كتاب

افتتاح الدعوة

تم تأليفه سنة

346 هـ 957 م

للقاضي النعمان

تحقيق
فرحات الدشراوي

ديوان المطبوعات الجامعية
الجزائر

الشركة التونسية للتوزيع
تونس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

افتتاح الدعوة

كتاب

افتتاح الدعوة

تم تأليفه سنة

346 هـ 957 م

للقاضي النعمان

تحقيق

فرحات الدشراوي


الشركة التونسية للتوزيع
تونس

ديوان المطبوعات الجامعية
الجزائر

الطبعة الثانية
ايداع قانوني / د ـ ك ـ و ـ 86/673

© الشركة التونسية للتوزيع
5 شارع قرطاج – تونس. 1986
الهاتف : 255.000 – تلكس : 15.521

أهدي

هذا البحث إلى روح المرحوم
حسن حسني عبد الوهاب الذي
وجهني إليه ووطد عزمي
عليه تشجيعاً ونصحاً



محتوى الكتاب

توطئة

عندما استقرّ العزم عندي منذ ما يقرب من عشرين سنة على البحث في تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب، سافرت إلى القاهرة في شهر سبتمبر 1956 للإطلاع على ما في مكتباتها من المخطوطات الأُصول أو المصوّرة التي كان أهل البحث قد كلفوا بجمعها من اليمن والهند واهتموا بدارستها ونشرها، فساعدني الصديقان المحققان صلاح الدين المنجد وفؤاد السيِّد على تصوير النسخة الفوتغرافية من «كتاب افتتاح الدعوة» للقاضي النعمان الموجودة إذاك بدار الكتب المصرية، والتي كانت قد أخذت عن الأُصل المخطوط المحفوظ بالمكتبة الهمدانية بمدينة سُرات في الهند.

ولم أكد أفرغ من النظر في الكتاب في بداية سنة 1957 حتى أدركت أن «الإفتتاح» هو أهم المصادر الأَصلية لمعرفة أمر الفاطميين بالمغرب وأنه «المفتاح» لاقتحام ما كان مجهولا من تاريخهم ببلادنا، واستجلاء حقيقة دعوتهم وإبراز ما شعّ من نور الحضارة في عهدهم،

فاخترت إذن أن يكون تحقيق الكتاب موضوعاً للأُطروحة التكميلية من «دكتوراء دولة» بعنوان «الخلافة الفاطمية بالمغرب» وبادرت بتسجيل الموضوع في تلك السنة بكلية الصربون من جامعة باريس.

ثم انكببت على الإلمام بالكتاب إلماماً دقيقاً حتى قضيت في درسه ثلاثة أعوام ونيف، ولم أكد أُتِمُّ تحقيقه والتعليق عليه وإعداد مقدمته وتحليله تحليلا مفصلا وترجمة بعض فصوله إلى اللغة الفرنسية، حتى هيأته للطبع وحصلت على رخصة طبعه من عميد الصربون و«شيخ» جامعة باريس في سنة 1961.

وانشغلت عندئذ بإعداد الأُطروحة الأَصلية وتعهدت «الشركة التونسية للتوزيع» بطبع «الإفتتاح» فَتَمَّ ذلك سنة 1969. إلا أنه لم ينشر احتراماً للتراتيب الجامعية القاضية إذاك بانتظار مناقشة الأُطروحة التي تمت بباريس في 25 ماي 1970.

غير أني لم أكد أفرغ من أمر الدكتوراء حتى انشغلت عن البحث العلمي والإهتمام بطبع الأُطروحتين معاً، فَظَلَّ «الإفتتاح» ينتظر البروز إلى بداية السنة الماضية، عندما سنحت لي الأيام بالعودة إلى التدريس واستئناف البحث العلمي، فبادرت بالإشراف على طبع «القسم الفرنسي»

حتى اكتمل ذلك وتَهَيَّأتْ الفرصة لظهور «الإفتتاح» بعد طول الإنتظار .

لكن «الإفتتاح» كان قد ظهر بلبنان سنة 1970 ، حققته الآنسة وِداد القاضي ونشرته «دار الثقافة ببيروت» بعنوان «رسالة إفتتاح الدعوة»

غير أني التزمت عند نشر عَمَلِي أن أهمل قصدا وجود الطبعة البيروتية ، حرصاً مني على الأمانة العلمية ، وفرضت على نفسي أن أُقدِّم اليوم للقارىء الكريم «الافتتــاح» على صورته التي أكملت عليها تحقيقه سنة 1961 وطبعه سنة 1969 .

وذلك أني توخَّيت في عملي هذا منهجاً خاصاً وقصدت به إلى مقصد معيَّن ، فقد حرصت على قراءة الكتاب على أساس النسخة الهمدانية التي رمزتِ إليها بحرف (أ) ونسخة ثانية رمزت إليها بحرف (ب) أعارني إياها أستاذي الفقيد المستشرق «لويس ماسنيون» وَإذْ تعذر عَلَيَّ الحصول على نسخ أخرى يُقَدَّرُ وجودها بالخزائن الخاصة باليمن والهند اكتفيت لتحقيق الكتاب تحقيقاً علمياً مرضياً بالمقارنة بين «روايته» - وهي رواية شيعية اسماعيلية - وبين الروايات الأُخرى عن تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب الموجودة في كتب أهل السنة والخوارج ، فدفعني ذلك إلى المقارنة بين نص الإفتتاح وبين نصوص أخرى من

كتاب «البيان المُغْرِب» لابن عِذَارِي و«الكامل» لابن الأثيـر و«اتعاظ الحنفاء» للمقريزى و«نهاية الأَرَب» للنويرى، و«العبر» لابن خلدون، و«أعمال الأَعلام» لابن الخطيب، و«أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم» لابن حَمَّاد، وكتاب السيرة في أخبار الأَيمة »لابن زكـريـاء . . .

وقد تبين من تلك المقارنة أن «الإفتتاح» « إنما هو النص الأَصلي للرواية التاريخية المتعلقة بظهور الدعوة الفاطمية بالمغرب، أي الرواية الأُمُّ التي تَوَلَّدَتْ عنها الروايات المتتالية في القرون الأَربعة الخامس والسادس والسابع والثامن هجرياً، عن طريق رواية الكاتب الصنهاجي المشهور أبي إسحاق إبراهيم الرقيق الذي أدرك القاضي النعمان إذ هو توفي سنة 416 ولا شك نقل عنه أخبار ابتداء الدولة الفاطمية .

وهكذا استطعت أن أَتَتَبَّعَ بمقارنة النصوص تسلسل السند التاريخي المتعلق بالدولة الفاطمية من عهد النعمان إلى عهد ابن خلدون وتأكد لَدَيَّ أن المؤرخين من أهل السنة وَثِقُوا برواية النعمان واعتبروه مؤرخاً أميناً وإن كان «مؤرخا رسمياً» لدولة شيعية، فلم أتردد إذن في الإعتماد عليه والإطمئنان إليه، لتأليف كتابي «الخلافة الفاطميـة بالمغرب» باللغة الفرنسيـة .

وذلك أني أفرغت «كتاب النعمان في كتابي إفراغاً وإلى ذلك قصدت قصدا بالمنهج الذي وصفته سابقاً في تحقيق «الإفتتاح» لا سيما أني حللته تحليلا مفصلا وعَلَّقْتُ عليه تعليقا حرصت فيه على الإستقصاء قدر المستطاع.

هذا وقد عمدت إلى تبويب كتاب «الإفتتاح» تبويبا راعيت فيه مراحل الدعوة منذ ظهورها إلى عهد سقوط الدولة الأغلبية وبداية الدولة الفاطمية؛ غير أني احترمت ترتيب الفصول كما فَصَّلَهَا المؤلف وعددها إثنان وأربعون فصلا يبتدىء كل منها بكلمة «ذكر» فَقَسَمْتُهُ إلى أربعة أقسام كبرى وقَطَّعْتُهُ إلى فقرات اعتبرْتُ في تقييم حجم كل فقرة منها وحدة في موضوعها وعدد هذه الفقرات ثلاثمائة وخمس (305).

– فالقسم الأول – يحتوي على إثنتين وأربعين فقرة (42) يَمْتَدُّ من الصفحة الأولى إلى الصفحة 43 وهو يتعلق بظهور الدعوة الفاطمية باليمن مع ابن حَوْشَب وابن الفضل، ثم بالمغرب مع الحلواني وأبي سفيان ثم مع الداعي أبي عبدالله.

– والقسم الثاني يحتوي على تسعين فقرة (90) ويمتد

من الصفحة 47 إلى الصفحة 132 وهو يتعلق باستقرار أبي عبد الله ببلاد كتامة وظهور أمره بها .

ـ والقسم الثالث يحتوي على ست وثمانين فقـرة (86) ويمتد من الصفحة 135 إلى الصفحة 240 وهو يتعلق بخروج كتامة بقيادة أبي عبد الله على الدولة الأغلبية وبما كان من الحوادث والوقائع التى آلت إلى سقوط هذه الدولة .

ـ أما القسم الرابع فإنه يحتوي على سبع وثمانين فقرة (87) ويمتد من الصفحة 243 إلى منتهى الكتاب وهو يتعلق ببداية الدولة الفاطمية عند تأسيسها سنة 296 إلى سنة الفراغ من تأليف الكتاب أي سنة 346 .

تلك هي خصائص المنهج الذي نهجته في تحقيق «الإفتتاح» وذلك هو المقصد الذي قصدت من الإعتناء بدرسه ونشره .

فلعلي قد نهجت منهجاً صحيحاً ، وقصدت مقصدا نبيلا فإنه قد قامت نيتي منذ عشرين سنة على معرفة أمر الفاطميين بالمغرب أصَحَّ ما يمكن أن تكون المعرفة ، وَوَطَّنْتُ نفسي على كتابة صفحة من تاريخ بلادنا في عهد من حضارتنا العربية الزاهرة .

والله هو المعين .

تونس في 15 أفريل 1975

قائمة المراجع المستعملة باختصار

لتحقيــق النــص

دائرة المعارف الاسلامية ـ الطبعة الثانية .

ابْنُ حَزْمٍ : كتاب جمهرة انساب العرب ، لابن حزم الاندلسي . تحقيق ليفي بروفنصال القاهرة 1948 .

ابْنُ حَمَّادٍ : اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، لأبي عبد الله محمد ابن علي حماد (= بن حماده) . تحقيق فندر هايدن الجزائر 1927 .

ابْنُ حَوْقَل : كتاب صورة الأرض لابن حوقل ، الطبعة الثانية . نشر . ج. ه. كرامرس لايدن 1938 ـ (ارجع الى الجزء الاول فقط) .

ابْن سَعْد : كتاب الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد ، طبعة بيروت 1957 .

ابْنُ كَثِير : البداية والنهاية لابن كثير ، طبعة القاهرة .

ابْنُ هِشَام : سيرة النّبي ، لعبد الملك بن هشام ،طبع م. م. عبد الحميد،القاهرة 1937 ـ (الرجوع الى الجزء الاول فقط)

اتِّعَاظ : اتعاظ الحنفاء باخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء لتقي الدين المقريزي ، تحقيق الشيّال ، القاهرة 1948

الإدْرِيسِي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ماخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، للشريف الادريسي نشر وترجمة ر. دوزي وم. ج. دي خوية ، لايدن 1866 ـ (الرجوع الى النص العربي فقط) .

الأزْهَار : كتاب الأزهار ومجمع الأنوار للداعي حسن بن نوح الهندي البهروجي ، نشر عادل العوّافي « منتخبات اسماعيلية » دمشق 1958 .

الإصَابَة : الاصابة في تميز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، طبعة القاهرة 1939 ،

أعْمَال : كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يجرّ ذلك من شجون الكلام ، للسان الدين بن الخطيب،نصوص منه تتعلّق بتاريخ

المغرب وصقلية نشر حسن حسني عبد الوهاب في بلرم 1910 (من ص 427 الى ص 494)

الأغـــانِي : كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني طبعة بولاق 1285هـ

الأمـــوال : كتاب الأموال لأبي جعفر أحمد بن نصر الداوودي المالكي مخطوط بالاسكوريال رقم 1165 نسخة حسن حسني عبد الوهاب .

برونشفيك : افريقية في عهد الدولة الحفصية الى آخر القرن الخامس عشر ، لروبار برونشفيك ، طبعة باريس ، الجزء الاول سنة 1940 الجزء الثاني سنة 1947.

البكـرى : وصف افريقيا الشمالية للبكري، ترجمة دي سلان طبعة الجزائر – باريس 1913 (الرجوع الى الترجمة فقط)

البيـــان : كتاب البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي تحقيق ونشر ج.س. كولان وأ. لفي بروفنصال طبعة ليدن 1948 (الرجوع الى الاول فقط) .

التّيجـــانِي : رحلة التيجاني لأبي محمد عبد الله بن محمد بن احمد التيجاني، نشر حسن حسني عبد الوهاب، تونس 1958

الجـــاحظ : البيان والتبيين للجاحظ . نشر حسن السندوبي (في ثلاثة اجزاء) القاهرة 1947 .

الحاج صادق : وصف المغرب واوروبا في القرن الثالث نصوص من كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة وكتاب البلدان لابن الفقيه وكتاب الاعلاق النفيسة لابن رستة ، نشر وترجمة محمد الحاج الصادق ، الجزائر 1949 .

الخـــلاصة : الخلاصة النقية في أمراء افريقية للباجي المسعودي ، الطبعة الثانية تونس 1323 هـ .

دُوزِي : الملحق الى المعجمات العربية لدوزي ، الطبعة الثانية ليدن باريس .

رِيَـــاض : كتاب رياض النفوس لأبي بكر المالكي الجزء الاول تحقيق ونشر حسين مؤنس القاهرة 1951 .

الزُّبَيْـــدِي : طبقـــات النحويين واللغويـين للزبيـــدي نشر م. أبو الفضل ابراهيم القاهرة 1953 .

رَايـــز : منتخب من كتاب الافتتاح للنعمان : نشره فلادمير ايفـانوف في كتابه « ذي رايز » « قيـام الفاطميين » (النص العربي من ص 40 إلى ص 46) طبعة كلكوتا 1942

زَهــــر : زهر المعـــاني للداعي ادريس عماد الدين بن حسين القرشي، (الرجوع الى المنتخب الذي نشره فلادمير ايفانوف في كتابه « ذي رايز »)

الشُــلُوك : أخبـار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك من طبقات العلماء والملوك للقاضي بهاء الدين الجندي نشر حسن سليمان محمود في كتابه « تاريـخ اليمن » القاهرة 1957 .

سِيرَةُ جَعْفَر : سيرة جعفر الحاجب ، تحقيق ايفـانوف ، مجلة كليـة الآداب بجامعة القاهرة ، القاهرة 1936

سِيرَةُ جَوْذَرْ : ســـيرة الاستاذ جوذر ، تصنيف أبي علي منصور العزيزي الجوذري تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة ، القاهرة 1954 .

طَبَقَـــات : كتاب طبقات علماء افريقية لابي العرب محمد بن احمد ابن تميم التميمي ... نشر الشيـخ محمد بن أبي شنب الجزائر 1914 .

العِـــبَر : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايـــام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان

الاكبر ، لعبد الرحمان بن خلدون ، بولاق 1284 هـ .
(الرجوع الى الجزء الرابع فقط)

عُمَارَة : تاريخ اليمن ، لنجم الدين عمارة اليمني نشر حسن سليمان محمود (اعادة لطبعة كاي) القاهرة 1957 .

غَايَة : غاية المواليد ، لابي الخطاب بن الحسن الحجوري ، الداعي ، (الرجوع الى المُنْتَخَب الذي نشره فلادمير ايفانوف في كتابه " ذي رَايْز » بكلكوتا 1942 .

فُتُوح : فتوح البلدان ، للبلاذري ، نشر م. رضوان ، القاهرة 1932 .

القِفْطِي : إنباه الرواة على أنباه النحاة،لعلي بن يوسف القفطي نشر محمد أبي الفضل ابراهيم (ثلاثة اجزاء) ، القاهرة 1950 — 1955 .

الكَامِل : الكامل في التاريخ ، لابن الاثير ، نشر الشيخ عبد الوهّاب النّجّار ،القاهرة 1353 هـ (الرجوع الى الجزء السادس فقط) .

كَشْف : كشف اسرار الباطنية وأخبار القرامطة لمحمد بن مالك الحمادي ، الطبعة الثانية تقديم محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، القاهرة 1955 .

لَاوِيكِي، إبَاضِيَّة : دراسات إباضية بافريقيا الشمالية ، لتدوز لاويكي ، قرسوفية 1955 .

لَاوِيكِي، لُغَة : لغة رومية منسية لافريقيا الشمالية، لتدوز لاويكي، كراوكوفية 1963 .

لِويس : أصول الاسماعيلية، لبرنارد لويس ترجمه من الانقليزية الى العربية خليل أحمد جلو وجاسم محمد الرجب ، القاهرة 1947.

المجَالِس : كتاب المجالس والمسايرات ، للقاضي النعمان نسخة خطية بمكتبة حسن حسني عبد الوهاب .

المدَارِك : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك . للقاضي عياض بن موسى اليحصبي مخطوط بالزيتونة بتونس رقم 132 ك ، (الجزء الاول منه ، أوراق غير مرقومة).

مَعَالِم : معالم الايمان في معرفة أهل القيروان لابن ناجي (عن الدباغ) تونس 1320 هـ.

المُقَدَّسِي : وصف المغرب الاسلامي في القرن الرابع نشر وترجمه شارل بلّات ، عن كتاب أحسن التقاسيم في في معرفة الاقاليم للمقدسي ، الجزائر 1950 .

المُقَدّمَة : مقدمة ابن خلدون الجزء الاول من كتاب العبر ... طبعة القاهرة ، مطبعة مصطفى محمد .

المَهْدِي : عبيد الله المهدي امام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب لحسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف ، القاهرة 1947 .

النُوَيْرِي : فتح المسلمين لافريقية وتاريخ افريقية في عهد الامراء العرب ، مُنْتَخب من «نهاية الارب» للنّويري ترجمة دوسلان وألحقه بالجزء الاول من ترجمته لكتاب العبر ، باريس 1925 .

الهَمْدَاني : الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن لحسين بن فيض الله الهمداني وحسن سليمان محمود ،القاهرة 1955 .

الـهِمَّـة : كتاب الهمة في آداب أتباع الأئمّة للقاضي النعمان ، نشر وتحقيق محمد كامل حسين ، القاهرة 1948 .

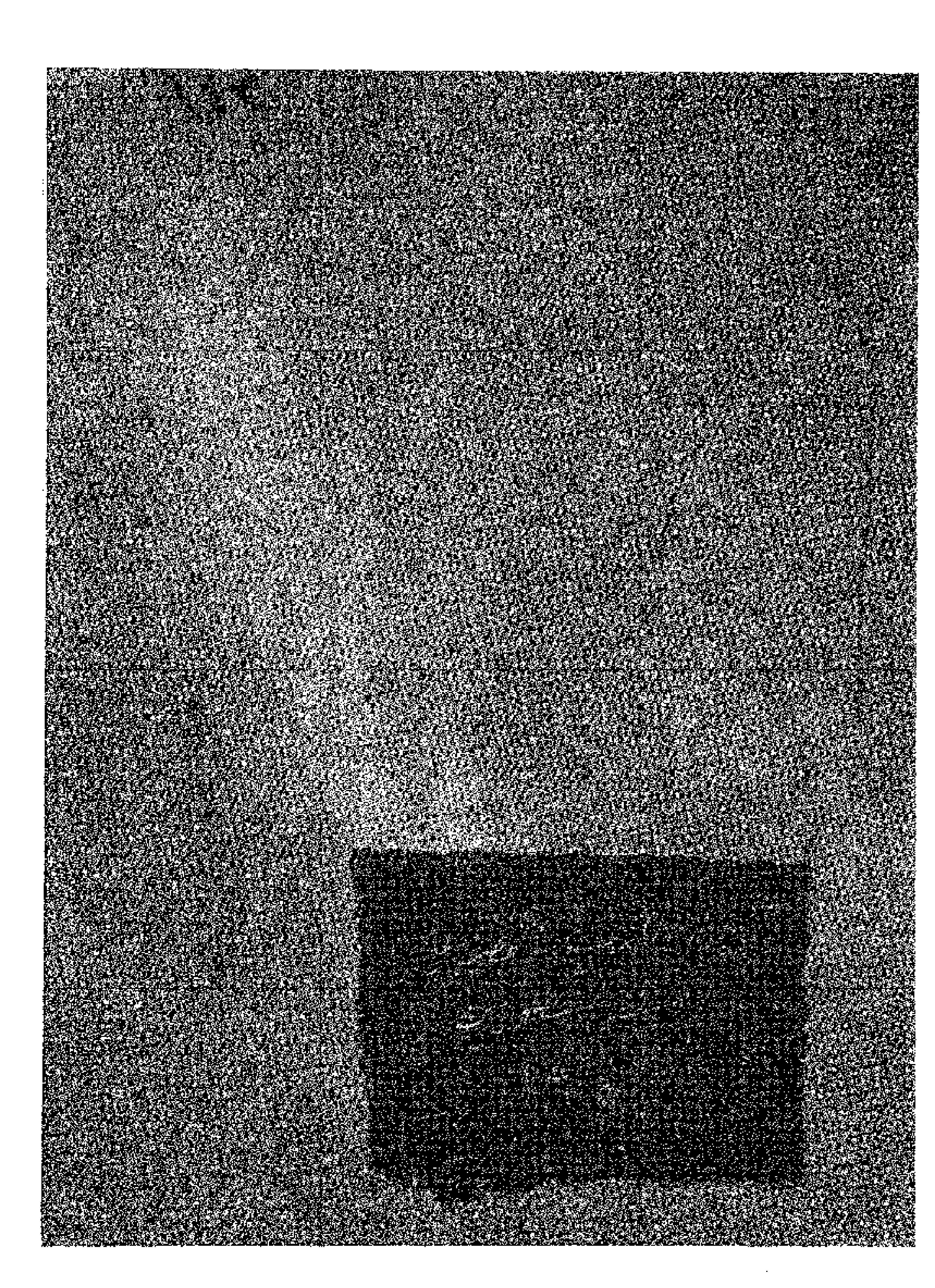
وُلَاة : وُلَاة مصر لمحمد بن يوسف الكندي تحقيق حسين نصارة بيروت 1959.

يَاقُوت : معجم البلدان لياقوت طبعة بيروت 1957 (في خمسة اجزاء)

اليَعْقُوبي : صفة المغرب المأخوذة من كتاب البلدان لليعقوبي نشر وترجمة (لاطينية) دي خوية ، ليدن 1860 .

صُوَرٌ من المخطوط (أ) المحفوظ
بالمكتبة الحمدانية





خريطة إفريقية بأسماء
القبائل المذكورة في الافتتاح

أوربة
بنو هراش
بنو أوزديم بنو وشنو
كتامة
بنوسكتان
ملوسة
أجانة
بنو عفنيت
أورمة بنوماوطنت
جيملة
لطاية
الشاجرة
مث ربيعة
عيلة
بنو جلاوة
بنو نبطاش
مسالتة
زواوة
بنو عسلوجة معرس
بسطيف
عجيسة
بنو تميم
بلزمة
بنو مالك
أهل القبائل
نفزة
مزاتة
لواتة
مدغوة
كرناية
زناتة
شماتة
بنو بشير
بنو جودان
بنو كدران
بنو صدغيان
صوارة
بنو عمرو
بنو معاذ
بنو ماجن
مكلاتة
أهل إفريقية



جيجل
بونة
معاز الكلب
باب زانة
إيزان
بلاد كتامة
إيكجان
ميلة
تازروت
جيملة
كبوتة
وشتوق
سطيف
قسنطينة
قالمة
أرض البربرية
طبراتشق
تيفاش
تيجس
كيانة
الزاب
بلزمة
طبنة
دارملول
باغاية
فج العطار
وادي مسكيانة
جبل اوراس
وادي سليانة
شقبنارية
الأربس
مرماجنة
مجانة
قلعة بسر
مدرة
تبسة
إفريقية
التيسوان
القيروان القديم
القصرين
سليانة
سبيبة
سوسة
تونس
لليانة
رقادة
قلشانة
جمة
المهدية
سوق الاحد
وردة
أرض سومجمار
التاقلور
سماتة
قفصة
بلاد قسطيلية
قسطيلية
نفطة
توزر
خريطة إفريقية بأسماء
البلدان المذكورة في الافتتاح

تنبيه

1) الارقام « الرومانية » مثلا : (XXII ، X ، VI)

هي أرقام أبواب الكتاب التي استهلّها المؤلّف بكلمة « ذكر » .

2) الأرقام المعروفة « بالعربية » مثلا : (15 ، 118 ، 246 . . .) هي أرقام الفقرات التي قطّعنا اليها النّص كي يسهل مطالعته واستعماله .

القسم الاول



1 ـ الحمد لله ، مؤيد الحقّ ، وناصر أوليائه ، ودامغ الباطل ومذلّ حزبه ، القائل وهو اصدق القائلين :[1] إنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَأَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ.[2] الذي ختم بنبوّة محمّد ﷺ نبوّة النبيّين وبرسالته رسالة المرسلين، وأبقى الإمامة في ذرّيته وعقبه الى يوم الدّين ،إكراما له وإعزازاً لدينه ، من قطعه بملّة ، أو نسخه بشريعة ، وتكفّل لأهله بالغلبة والتّمكين والتّاييد والإعزاز والتّحصين،ولم يخل الارض من إمام فيها للأمّة ، وقائل بالحقّ وقائم بالحجّة ، وان تغلّب فيها المتغلّبون واسْتَتَرَ للتّقيّة الأئمةُ المستحفظُون.

2 ـ وإنّ لهم بكلّ جزيرةٍ من جزائر الأرض داعياً إليهم وبكلّ ناحيةٍ من نواحيها دليلاً عليهم ، ولو ذكرنا كلّ إمام منهم (صلوات الله عليهم) ومن دعا إليه،وقام بأمره،لطال الكتاب بذكرهم،ولكن آثرنا من

---

(1) كذا في ب ، أ : الا

(2) ذكر المؤلف ثلاث آيات : الاولى هي جزء من الآية 56 من سورة المائدة : « وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ »

الثانية هي الآية 173 من سورة الصافات : وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ (لا المنصورون)

والثالثة هي جزء من الآية 105 من سورة الانبياء .

ذلك ذكر أمر الدَّعوة بارض اَلْمغْـرِبِ إِلَى اَلْمهْدِيِ (صلوات الله عليه) وابتدائها فيها، وهجرته (صلوات الله عليه) اليها،وقيامه عنها،وظهوره بأسبابها، ليبقى ذكر ذلك مسطوراً ، ويجـري مذكوراً ماثوراً ، على مرّ الزمان ، في غابر الدُّهور والأيَّام . وقد أفردنا كتاباً غير هذا في « مَعَـالِمِ اَلْمهْدِيّ » [1] (صلوات الله عليه) وصفته وذكر قيامه وأيَّامه،وما تقدَّم في ذلك من الآثـار عن رسول الله ﷺ وآله ، فيما بشَّر به منه .

ا ـ ذكر ابتداء الدَّعوة بِاليَمَـنِ والقَائِمِ بها ، والسَّبَبِ الذي كان في قيامه بأسبابها .

3 ـ بدأْنا بذكر هذه الدَّعوة المبـاركة ، اذ كانت أصـل الدَّعوة التي قصدنا الى ذكرها ، واليها أُرسل الدَّاعي ، ومن اليَمَـنِ نفذ إلى اَلْمغْـربِ وعن صاحب دعوته أخـذ ، وبآدابه تـأَدَّب ، وصاحب دعـوة اليمن أَبُـو القَـاسِم الحسنُ بن فَـرَح بن حَـوْشَب بن زَدَان

---

(1) هو جزء من كتاب شرح الاخبار ، انظر الهمداني 255 :

« . . . ومن مؤلفـاته في التاريخ كتاب شرح الاخبار في اربعة مجلـدات وستة عشر جزءا عرضه على الخليفة المعز . . . يتضمن تفسير الحديث «أنا مدينة العـلم وعليّ بابها » وعلى فضائل عليّ ومناقبه . . . ثمّ ذكر فضـائل الائمة . . . وذكر «معالم المهدي » . . .

الكُوفِيّ ،[1] وسُمِّيَ المنصورَ باليمن لما أُتيح له من النَّصر وكان اذا قيل ذَلك قال لهم : المَنْصُورُ إمَامٌ من أَئِمّة آل محمّد (ﷺ) أما سمعتم قول الشاعر :

إذَا ظَهَرَ الْمَنْصُورُ مِنْ آلِ أَحْمَدَ
فَقُلْ لِبَنِي العَبَّاسِ قُومُوا عَلَى رِجْلِ[2]

ورُوِيَ عن [3] جعْفَر بن مُحَمَّد (صلوات الله عليه) أنه قال : « مِنَّا المَهْدِيّ ومِنَّا المَنْصُورُ » وفي حديث آخر « أَبْشِرُوا سَتُوشِكُ أيامُ الجَبَّارِينَ أنْ تَنْقَطِعَ ، ثُمَّ يَأْتِي الجَابِرُ الَّذِي يَجْبِرُ اللهُ بِهِ أُمَّةَ مُحَمَّد، ثُمَّ المَنْصُورُ الذِي يَنْصُرُ بِهِ اللهُ الدِّينَ » .

4 ـ وكان ابْتِدَاءُ أمر أبي القاسم صاحب دعوة اليَمَنِ فيما أخبرنا به أهْلُ العلم والثقة من اصحابه ، أنّه كان من أهل الكُوفَة من أهل بيت

---

(1) كذا في ا و ب ، الكامل 126 رُسْتُم بن الحسين بن حوشب بن دادان النَّجّار

اتعاظ 68 (نقلا عن ابن خلدون) : رُسْتُم بن الحُسَيْن بن فرج ابن حَوْشَب الكوفي ،

السلوك 126 : منصور بن زادان بن حَوْشَب بن فرج بن المبارك ،

كشف 202 : المَنْصُورُ الحَسَنُ بنُ زَادَان

(2) لم نجد هذا البيت في مراجعنا ـ من الطويل .

(3) : وروي عن ، ا بياض قدره وروى عن .

علم وتَشَيُّع ، وكان قد قرأ القرآن وقوّمه وطلب الحديث والفقه . وكان ممّن يذهب الى مذهب الإمَامِيّة الإثني عَشَرِيّة اصحابِ مُحمّد بن الُحسين بن عَلِي بن مُحمّد بن علي بن مُوسى بن جعفر بن محمّد الذين كانوا يرون انه المهدي ، وأنّه يظهر ، ويكون من أمره ما يكون على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله (ﷺ) ، فنحلوه ذلك ، وتوَلّوْهُ [1] ، ولم يروه وزعموا أنّهُ تغيَّب عنهم ثمّ بطل ذلك في ايديهم . وكانت له اخبار طويلة وحماقة عجيبة .

5 ـ قال أبو القاسم : فعرضت لي الفكرة يوما في ذلك وذكرت قولَ الفِهْرِي ، شعر : [2]

أَلَا يَا شَيْعَةَ الحَقّ ذَوِي الإيمَانِ وَالبِرّ
أَتَتْكُمْ نَصْرَةُ اللهِ عَلَى التَّخْفِيفِ والزَّجْرِ
فَلَا تَدّعُوا إِلَى الدّاعِينَ أَهْلِ النَّكْثِ وَالْغَدْرِ
فَلَوْ قَدْ فُقِدَ العَاشِرُ أَوْ زِيدَ عَلَى العَشْرِ
لَدَارَتْ عُصُبُ الصَّبْرِ عَلى الدّائِرِ بِالشّرّ

---

(1) اتّخذوه وليا أي اماما .

(2) من الهزج ـ لعله ابراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة ابو اسحاق الفهري المدني ، انظر ابن كثير ، ج 10 ، 170 .

فَعِنْدَ السِّتِّ وَالتِّسْعِينَ [1] قَطعُ الْقَوْلِ وَالْعُذْرِ
لِأَمْرٍ مَا يَقُولُ النَّاسُ بِيعَ الدُّرُّ بِالبَعْرِ (×)
وَصَارَ الْجَوْهَرُ الْمَخْزُونُ عَلقًا غَيْرَ ذِي قَدْرِ
يَتِيمٌ كَانَ خَلْفَ البَابِ فَانْفَضَّ عَلَى الْوَكْرِ

قوله في اليتيم ههنا رمز على المَهْدِي (صلوات الله عليه) ، وكان بحسب ما كان رسول الله (ﷺ) قال الله (ع و ج) : « أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى » [2] .

6 ـ قال أبو القاسم : فرأيت الوقت قد قرب على ما قاله الفهري وجالت خواطري في ذلك ، واشتغل به فكري . فخرجت الى الفُرَات ـ أو قال الى دِجْلَة ـ . وإنّي لأمشي على النّهر اذا حضر وقت الصّلاة فتوضّأت ، وصلّيْت ، وجلست مُفكّرا فيما كنت فيه . ثمّ أخذت في قِراءة القرآن فافتتحت سورة الكَهفِ ، فَإنّي لأقرأ فيها [3] إذْ أقبل شيخ ومعه رجل لا والله ما نظرت عيني قبل ذلك الشّيخ الى أحد ملأ قلبي هَيْبة منه .

---

(1) أي 296 السنة التي سقطت فيها الدولة الاغلبية وقامت الدولة الفاطمية .

(×) ا : زيادة في الطرة : انظر الى الصفحة ب (كذا) قبل المقدمة قول الشاعر محمد بن رمضان .

(2) سورة الضحى ، آية 6 .

(3) ب : فيها ، ا : فيها وفي الطرة : هنا .

ونزل ناحيةً ، وجلس الرّجل بين يديـــه بعيدين منّي . فقطعت القراءة لهيبتـه ، وبقيت أنظر اليه اذ أقبل غلام يمرح في مِشْيَته . فقرب منّي ، فأنكرت ذلك عليه إجلالا للشّيخ ، فلم يَلْوِ عَليَّ . فقلت : من أنت [1] فقال : حُسَيْـنِيٌّ . فاستعبرت . قلت [2] : بأبي الُحسَيْن (صلوات الله عليه) المُضَرَّجُ بالدّماء. الممنوعُ من هـذا الماء [3] . فرأيت الشّيخ نظـر إلي عند ذلك . وتكلّم الرّجل الذي بين يديـه كلاما لم أفهمه . فقال لي الرّجل : تقدَّم إلينا رحمك الله ! فقمت إليه حتى جلست بين يدي الشّيـخ ، فرأيت دموعه تسيل على لحيته [4] ـ أُظُنُّهُ عند ذكري الُحسَيْن (صلوات الله عليه) وقال لي : مَنْ أنت الذي تذكـر الُحسَيْنَ بما ذكرتَـه ؟ قلت : رجـل من الشّيعة . قال : ما اسمك ؟ قلت : الَحسَنُ بنُ فَرَح بن حَوْشَب . قال : أعرف أباك من الشيعة الإ ثْني عَشَـرِيَّة . قلت : نعم . قال : فـأنت على ذلـك ؟ فسكتُّ ، . قـال : تكلّم ! فـإنّا من إخوانـك قلت : كنت فِيمَنْ كان على ذلك إلى ان بطل الأمر في ايدينـا ، وما أخرجني إلى هذا المكان إلّا ضِيقُ

---

(1) ا : كذا ، ب : يا بنيّ .

(2) ا : كذا ، ب : فقلت .

(3) كشف 202 : بأبي أنت يا ابن الزهراء المضرج بالدماء الممنوع من شرب الماء . (وهذا القول منسوب لعلي بن الفضل لا لابن حوشب) .

(4) ب : سقطت هذه الجملة .

صدري بذلك ، وذكرت له ما عرض لي،قال : أرى فيك نباهة،وقد سمعتك تقرأ فلِمَ قطعت القراءة ؟ قلت : والله ـ أيّدك الله ـ ماأسكتني إلاّ هيبتك قال : فاقرأ كما كنت تقرأ . فابتدأت من حيث وقفت حتّى بلغت : (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ [1]) فأومى بيده إليّ أن اسكت . فسكت فقال : أنت مِمّن يقول بالعدل والتوحيد ؟ فقلت : نعم ،هو مذهبي،قال : فمِنْ أيّ وجه العدل أَنْ تقتل نفسٌ زكيّةٌ بغير نفس ـ الآية الى قوله : (فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا [2]) فسكتُ قال : قلْ . فقلت : ماذا أقول ؟ والله لكأنّني ما قرأتها قطُّ وإنّني الى علم الوجه في ذلك لفقير ، فإنْ رأيت تعريفي ذلك فعلت قال : دون ذلك سترٌ رقيق . قلت : ترى كشفه لي جُعِلتُ فداك ! قال : يكون ذلك اذا أمكن ان شاء الله (تع) وأخذ في غير ذلك حتّى إذا وقف منه على مكان الجواب فيه أخذ في غيره ، وأنا كل ذلك أساله الجواب فيه، فيقول مثل ما قال . ثم تحرّك للقيام ، فقلت : يا سيّدي أحبّ أن أعرف المنزل ، قال : لماذا ؟ قلت : لاقتضاء وعدك فتبسّم وقال : لعلّنا أن نجتمع ههنا من غد ان شاء الله (تع) ، ومضى وتركني .

---

(1) سورة الكهف، آية 74 : فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا .

(2) سورة الكهف آية 80 .

7 ـ فلمّا غـاب عنّي ندمت إذ لم أكُن تَبِعْته حتّى أعرف مكانـه ، وَعَظُمَ موقِـعُ كلامه من قلبي ، وشَغَل ما سمِعت منه ذهني ، وعدت من غد الى المكان ، وأقمت به الى اللّيل . فلم أرَ احدًا . فاختلفت كذلك وأنا من الغمّ بما فاتني منه فيما لا أصفـه ، حتّى اذا كنت في حدّ اليـأس منه ، مَرَّ بِي الرَّجل الـذي كان معـه ، فنهضت إليه ، وسلّمت عليه وقلت : ما فعل الشّيخ ـ حفظه الله ـ وقد كان وعدني بالاجتماع من غد يَوْمَ لَقِيتُه معك هَهُنَا ، وإنّي لمتردّد من يومي ذلك الى وعده ؟ قال : لو وعـدك ما أخلفك،ولكن لم يكن في مخرج قوله وَعْد ثابت . قلت : فأين لي به ؟ فَوَاللهِ ! لقد شغل قلبي ما سمعت منه . قال لي الرّجـل : اجلس نتحدّث قليلا . فجلسنا فاذا الرّجـــل معه علم كثير . فَطَارَحْتُ عليه ، وأراد القيام والمسير ، فقلت : وَاللهِ ! لَا أُفَارِقَنَّكَ أو تكشف لي هذا الأمر . فما زلنا حتّى أخـذ عليّ العهود ، وعرّفني أنّ الشيخ هو إمام الزّمـان ، و فَتَح لي من المعـرفة كـثيرا ، وعرّفني المـوضعَ وجمع بيني وبين الإمـام وكان يخصّني ويقرّبني و يَرْمُز بقُرْبِ الأمْرِ ، وَدُنُوّ العَصْرِ ، ويقـول في كثير من كلامه : « البَيْتُ يَمَانِيٌّ والرُّكْنُ يَمَانِيٌّ وَالدِّينُ يَمَانِيٌّ وَالْكَعْبَةُ يَمَانِيَّةٌ وَلَنْ يَقُومَ هَذَا الدِّينُ وَيَظْهَرَ أمْرُهُ إلَّا مِنْ قِبَلِ اليَمَنِ » [1] .

---

(1) كشف 202 : فعند ذلك قال ميمون يا أبا القاسم ان الدين يماني ، والحكمة يمانية وكل امر يكون مبدؤه من قبل اليمن فانـه يكون ثابتـا لثبوت نجم النجوم ...

8 ـ قال : ثمّ قال لي يوما : يا أَبَا القَاسِم ، هل لك في غُرْبَـةٍ في الله ؟ قلت : يا مولاي ! الأمـــرُ إليك ، فما أمرتني به امْتَثَلْتُهُ ، قال : اصبر كَأَنّي برجل قـــد أقبل الينا من اليَمَنِ وما لليمن الاّ أنت ، فقلت : أستعين بالله على ما يُرضيك .

9 ـ وكان الرَّجل من أهل جَيْشَانَ مدينـــةٍ باليَمَنِ شابٌ جميلٌ من أهل بيت تَشَيُّعٍ ونعمةٍ ويسارٍ ، يقـــال له أَبُو الحَسَنِ عَلِيٌّ بن الفَضْلِ [1] قد خرج حاجًّا من جيْشَانَ في جماعة من أهلها، في جملة أهل اليمن سنة ستٍّ وستِينَ ومِائَتَيْنِ . فلمّا قضى حجّه خرج الى قبر الُحسَيْن (صلوات الله عليـه) زائراً له ، في جماعـة من أهـل اليمن مِمّـن شَهِـدَ المَوْسِمَ من الشِّيعة . فلمّا انتهوا إليـه أصابُوهُ معمورًا بالشِّيعـة . فجعل عِلِيٌّ بن الفَضْل هذا يبكي عنده ، ويـنتحب ويُعـدّد مناقب الُحسَيْن (صلوات الله عليه) ، ويذكر فَضْله ؛ ورجل من الدُّعَاة يراعيه كلَّ يوم وهو على ذلك . فلمّا رأى نيَّتَه واجتهاده ، خلا به ، وبسطه ، وفتـح له شيئا من العلم ، وألقـى اليـه بعض المسائل ، فـركن عَلِيٌّ بن الفضل اليه ولازمه ، وبحث عما عنده ، فقال له الرجل يوماً في حديثه : أرأيتك لو أدركت صاحبَ هذا القبر الذي تبكي عنده ، وتذكر ، فضائلَ صاحبه

---

(1) أ و ب : كذا ، الكامل 126 : محمد بن الفضـل ، اتعـاظ 52 : محمد ابن الفضل ، السلوك 166 وعمـارة 38 وكشف 201 : علي بن الفضل

ما كنت صانعاً في أمـره ؟ قال كنت والله أضع خـدّي ، وأقبّل الارض الّتي يطـأها ، وأتبرّك بفضل وضوئه ، وأكون لو شهدت مصرعه أوّلَ صريـع بين يديـه . قال : فإذ قـد فـاتك فـما عندك ؟ قـال: مـا ترى من الأسف والحزن عليه . قال : فكـأنّك ترى أنّ الله (ع و ج) قطع أمره بانقطاعه ، ورفع حجّته عن خلقه بموته ؟ قال : كـلّا ! و لكن كيف لي ذلك ؟ فسكت الرّجل ، وجعل عليّ بن الفضل يُلِحُّ عليه ويقول [1] : والله ما رميت لي بما رميت إلاّ وعندك أثر منه ، فاهدني اليـه . وجعـل يلازمه وهو متـوقّف عنـه ، ويطـارح عليه وهـو ينـقـبض منـه ، إلى أن حضر انصرافُ أصحابه،فودّعهم وكتب إلى أهله وتخلّفعنالرّحيل .

١٠ ـ فانصرف الرّجل إلى موضعه ، فاتّبعه ، فقال له : أين تريـد ؟ قال: معـك ، والله لا أُفَارِقَنَّـكَ أو تدلّني على من أشرتَ إليـه ،وسار معه . فلمّا دخل المدينة التي فيها الإمـــام ، أتى به إلى مسجد ، فقال له : اجلس ههنا حتّى آتيك فجلس ومضى عنـه . وأقام أربعين يوما وعليّ في ذلك المسجد لا يبرحــــه إلاّ لحاجة الانسانـ ، والرجل يتفقده من حيث لا يراه .

١١ ـ فلمّا رأى قوّة عزمه ونيّته، أتاه [2] . فلمّا رآه وثب إليهوقال :

---

(1) ب : ويقـول ، ا : يقول
(2) ا : اتيه ، ب : نقص

يا سيّدي!ما هذا الفعل الذي قطعت بي،وتركتني ؟قال : وإنّك لَهَهُنَا ! قال: وأين كنت أذهب ؟ وأنت تقول لي :اجلس ههنا حتى آتيك .قال:فلو لم آتك، ما كنت صانعاً ؟ قال : إذاً والله لا أبرح حتى أموت،فالقى اللهمعذوراً . فذهب به إلى موضعه،وأخذ عليه ، وأوصله الى الإمام . فلمّا رآه واختبر حاله قال لأبي القاسم : يا أبا القاسم هـذا الذي كُنَّا ننتظره ، فكيف رأيك في الذي عرضت عليك من أمْـر [1] اليَمَن ؟ قـال : يا مولاي ! أنـا على ما قلتُ لك ، والأمر إليك . قال اعزم على اسم الله ، فَوَالله ! لَيُظْهِرَنَّ اللهُ أمْرَك ولَتَصْدُرَنَّ الدّعاة الى آفاق الأرض عنك . ودعا بعلّي بن الفضل، فسأله عن أخبار اليمن ، وأحواله ، وملوكه ، فأخبره بما أراد من ذلك ، فقال : أتعرف عَدَنْ لاَعَة ؟ قال : يا مولاي! عسى أن تكون أردتَ عَدَنْ أبْيَن ؟ قال : لا ! إلّاعَدَنْ لاَعَة . قـال : ما أعرفها . قال لأبي القـاسم إلى عدن لاعة فاقصد ، وعليها فاعتمد ، فمنها يظهر أمرنا، وفيها تعِزُّ دولتنا ومنها تفترق دعاتنا . وقال لعليّ بن الفضل : إنّي مرسلُ أخاك.هذاداعياً إلى اليَمَن وأنت معه ، وتقدَّم إلى كلّ واحد منهما ناحية وأوصاه .

١٢ ــ وأعطى أبا القاسم كتاباً،فيه أصول ورُموزُ [2]، كان افتتاحه « باسم الله الرّحمانِ الرّحيم من أبِ المسلمين ، وأمِـير المؤمنين ، ووارث

---

(١) ب : أمر ، ا : أهل ، وهو خطأ .

(٢) ب : رموز ، ا: رمز .

الوارثين ، وسماء الطّارقين ، وشمس الناظرين ، وقمر المستضيئين، وقِبلة المسلمين (*)، وأمـان الخائفين، وقاتل إبليس اللّعين ، وركن الإسلام ، وعلم الأعلام ،وقلم الأقلام،ويوم الأيّام ، ونور التّمام ، رسالةُ عبد مسكين ، يعمل في البحر منذ سنين ،ولعلّ سفينه تنجو من الغرق فينجو من ينجو فيها من العطب . » ثمّ افتتـح الكلام الذي أصّله ، والمعنى الذي أراده ، وقال له فيما عهده إليه : إن لقيت من هو أَلْحَنُ (1) بالُحجّة منك، فانغمس له في الباطن ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : تقطـع الكلام ، وتريه أنّ تحت ما تريدُ الجواب به باطنـا لا يمكنك ذكره ، فتحتجز بذلك منه ، إلى أنْ يتهيا الُحجّةُ عليه. وأوصاه بعليّ بن الفضل خيراً وقال:هو شابٌّ قريب عهد بالأمر ، فانظر كيف تسوس أمره (2) وتقدّم إلى عليّ ناحيـة وأوصاه ، وقال له : إنّ هذا الرّجل الذي نبعث بـه معك بحر علم ، فانظـر كيف تصحبه(3) وودّعهما ، ودَعَا لَهُما ، وانصرفا عنه مُتَوَجّهَيْنِ إلى اليَمَن .

(*) علّها المصلّين

(1) انظر للمقارنة ما ورد من قول يشبهه ، الهمة 54 - 55 .

(2) كشف 203 : وقال لي : الله الله صاحبك ! فاحفظه وأكرمه بجهدك ومره بحسن السيرة في أمره فإنّه شابّ ولا آن نبوته .

(3) كشف 203 : وخلا بعلي بن الفضل وقال الله الله بصاحبك ! وَقّـرهُ واعرف له حقّه ولا تخالفه فيما يراه لك ،إنّـه أعرف منك وإنك إن خالفته لم ترشد . . .

13 ـ قال أبو القـــاسم : ولَمَّا ودّعت الاهل والأحبّة، متشوّقاً إلى أقطاع [1] الغربة ، توّجهت . فلما خرجت من القَادِسِيَّة أوْجسْت خِيفَةً، فَأَصْغَيْتُ إلى فَأْل [2] أسمعه ، فسمعت حاديا يقول [3] :

يَا حَادِيَ العِيسِ [4] مَلِيحَ الزَّجْرِ بَشِّرْ مَطَايَاكَ بِضَوْءِ الفَجْرِ [5]

قال فسررت به، واستحسنت ذلك الفال لمَّا سمعته، ووافيت مكّةفي حين قدوم الحاجّ من اليَمَن ، فسمعت أنّ مُحَمَّدَ بْنَ يَعْفَر مَلِكَ صَنْعَاء قد أظهر التَّوبة والنُّسك ، وتخلّى عن الملك ، وردّ ما اقتطع من النّاس إليهم ، وأنصف من الظَّلامات [6] ، وذلك لأمر تقدّمت فيه الرّوايات عنده ، من أنّ ملكه سيزول من يديه وأنّ داعي المهدي يغلب عليه فتقدم في الإقلاع من ذات نفسه ، والنزوع عن الملك من قِبَلِه ، وفرّق الأموال ، فيقال إنّه

---

(1) ا : كذا ، ب : انقطاع .

(2) ا : فال . وهو مخفّف فأل ؛ ب :قال . ـ وهو خطأ بيّن .

(3) ا : كذا ، ب : شعر .

(4) في ب ، والهمداني : العيس ، ا : العين؟

(5) كشف 203 :

يا أيّها الحادى المليح الزجر نشر مطاياك بضوء الفجر
تدرك مـا أملته من أمـر

(6) ب : الظلامات ؛ ا : الظلمات .

ردّ في يوم واحد ألف ألف ، حتى قام شاعر من شعرائه [1] في أهل بيته وقد اجتمعوا فقال [2] :

يَا ذِي حَوَالٍ يَا مَصَابِيحَ الأُفُقْ	وَ يَا مَبَاذِيلَ الْعَطَايَا تَنْدَفِقْ
مِنْ خَالِصِ العِقْيَانِ سَحًّا وَالوَرَقْ	تَدَارَكُوا مُلْكَكُمْ لَا يَنْفَتِقْ
فَتَطْلُبُونَ رَتْقَ مَا لَا يَرْتَتِقْ	إِلَّا بِأَطْرَافِ الشَّمَارِيخِ الشُّهُقْ
وَالنَّاسُ فَوْضَى وَالنُّفُوسُ تَزْدَهِقْ	كَغَنَمِ الذِّئْبِ تَجَرَّعِ الْعَلَقْ
فَالرَّأْسُ لَا يَصْلَحُ إِلَّا بِعُنُقْ	وَلَنْ يَقُومَ قَدَمٌ عَلَى زَلَقْ
لَيْسَ عَتِيقُ البُرِّ كَالبُرِّ الشَقِقْ	وَلَيْسَ أَمْلَاكُ الرَّعَايَا كَالسُّوَقْ
هَذَا أَبُو يَعْفُرٍ فِيكُمْ قَدْ لَحِقْ	كَالْجَبَلِ الشَّامِخِ وَاللَّيْثِ النَّزِقْ
فَأَيُّكُمْ قَامَ بِهَا قَدْ سَبَقْ	

ـ في أرجوزة طويلة ـ . فقام ابن أخيه ، فتدارك الأمر ، وقد وهى وقد تفرّق أكثره ، وتمزّقت المملكة وكان ذلك من صنع الله (ع و ج) لأوليائه . وقضى النّاس الحجّ ، وانصرفوا إلى اليمن ، وتوجه أبو القاسم

---

(1) كشف 203 : . . . ألف دينار وقال في بني حوال رجل يقال له ابراهيم فقال :

ياذا حوال يا مصابيح الافق	تداركوا عزكم لا ينفتق
فتطلبون رتق ما لا يرتتق	فأيكم قام بها فقد سبق

(2) ب : زيادة بالحبر الأحمر : شعر بحر رجز .

وأبُو الحَسَن معهم . فَدَخَلَا اليَمَنَ [1] في أول سنة ثمَان وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْن.
فأقاما باليمن سَنَتَيْن يدعُوان مستورَيْن . ثم ظهرت الدّعوة سنة
سبعين ومائتين .

14 ــ قال أبُو القَاسِم : وسالت كلّ من لَقِيت من أهل اليمن عن عَدَنْ
لَاعَة ، فكلٌّ يقول لي : أمّا لَاعَةُ فموضع معروف ، ولكن ما نعرف عدن
لاعة ، فإنا نعرف عَدَنْ أبْيَن . وقصدتُ عَدَنْ أبْيَن إذ لم أجد أحداً يُخبر
عن عَدَنْ لَاعَة ، الموضع الذي وُجّهت أليه . فأصبت بِعَدَنْ أبْيَن قوماً
من الشيعة يُعْرَفون بِبَنِي مُوسَى وعَدَنْ هذه هي فُرْضَةُ الْهِنْدِ وأُمُّ
البلدان . فسالت عمّا يُحْمَل إليها من قبل أن أدخلها ، فقيل : القُطْنُ .
فاشتريت منه شيئا فجعلته تَسَتُّراً لِيُرَى أنِّيَ تاجر . ودخلت مع صاحبي،
فسألنا عن مكانٍ بيْعه فَدُلِلْنَا عليه ، وَاكْتَرَيْنَا حَانُوتاً في سوقه وجلسنا
فيها نَبيعُه.فإنّي لجالس يوما إذا استهلّت السّماء بمطرٍ وابِلٍ . فإنّي كذلك
إذْ نظَرت الى رجال قبالتي في الصَّفّ ينظرون إليّ ، ويتحدثون .

15 ــ ثمّ قام أحدهم إليّ ، ووقف عليّ . وقال : ترى أن تدخل بنا
إلى داخل الحانوت ؟ فقمت معه،فقال :ما أظنُّ هذا بيَّاعَ وجْه عطب(2)

---

(1) كشف 203 والسلوك 166 : فلما خرج علي بن الفضل مع الحاج
هو والمنصور وصارا في غلافقة افترقا ...

(2) ا : كذا : ، ب : ما أظنّ هذا ووجه بياع عطب ...

ـ يعني القطن كذلك يُسمُّونه . قلت : وكيف ذلك ؟ قال : معك من علم آل محمّد شيء ؟ قلت : أنا رجل تاجر . قال : دعني من هذا،لعلّك سمعت ببني موسى ؟ قلت : نعم . قال : فنحن منهم ، ونحن شيعة ، وهذا أوان ننْتَظِرُ دخولَ دَاعِي الْمَهْدِي إلَيْنَا ، فَإنَّا لَنَجِدُ صفته فيك ، فهات ما عندك ، فنحن إخوانك . ولم يزل بي إلى أن كشفتُ الأمر ، وما برح حتّى أخذت عليه العهد (1)

16 ـ وقام فاتاني باصحابه،فأخذت عليهم ،ونقلوني إلى محلّهم ، فكنت عندهم ، فقالوا : إن لنا إخوانا من الشِّيعَةِ بِعَدَنْ لَاعَة ، فترى ان نرسل إليهم ؟ فقلت : وثَمَّ عَدَنْ لَاعَة ؟ قالوا : نعم . قلت : فَإلَيْهَا أُرْسِلْتُ ولم أجد مُخبِراً عنها . فَأَرْسلوا إليهم فأتى رجال منهم،فأخذت عليهم وسرت معهم.فاصبت دَار شِيعَةٍ.وأخبروني عن رجل منهم يقال له أحمد بن عبدالله بن خَلِيع كانَ لَهُ عِلْمٌ فِيهِمْ وَأَنَّهُ، كان ينتظر قدومي ، ويقول : في هذا العام يدخل ، وأعدّ سلاحا لذلك أتوني به ، وأنّ أمره اتّصل بابن يَعْفُر ، فَرَفَعَهُ ، وَحَبَسَهُ،فمات في الحبس منذ قريب . وأنزلوني في دار من دُوره وتزوّج أبو القاسم بعد ذلك ابنة أحمد هذا المتوفّي ، وبعث بابن أخيه

---

(1) كشف 204 : ويقال ان هذا العدني جد بني الوزان فاسدى المذهب وبنو الوزان الى اليوم رفضة شيع ...

الهَيْـثَمِ (+) بعد ذلك، داعيا إلى بلادالسِّنْدِ ، فاستجاب له كثير من أهلها، ودعوته اليوم فاشية في السِّنْدِ .

17 ـ وقـال أبو القاسم : و كتبـت إلى الإمام بما صـار إليه أمـري . وكانت كتبه ترد عليّ ، ولم نزل في ضيق من الأمـر إذ ورد علينا الكتاب بالعهد لِلْمَـهْدِي (صلوات الله عليـه) وأن نـأْخُـذ ذلك له ـ فاستقام لنا الأمر وآتـانا الله بالنَّصر . فبعثتُ جواب ذلك الكتاب مع مالٍ كثيرٍ ، وطرائفَ من طرائف اليمن ، وطِراز من طُـرْزِهِ ، فيقال إنَّ ذلك لمّـا وصل إلى الإمام دعا بالمهدي ـ وقد عهدوا إليه ـ فاعطـاه ذلك ، وقـال : هذا أوّل ثمرة أيّامك،وبركة دولتك ، وأقرأه الكتاب بما هيّأه الله له من ذلك ، وتمثّل عليه السّلام بهذه الأبيات [1] :

اللهُ أَعْطَـاكَ الَّـتِي لَا فَـوْقَهَا وَكَمْ أَرَادُوا مَنْعَـهَا وَعَوْقَهَا

عَنْكَ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا سَوْقَهَا إِلَيْكَ حَتَّى طَوَّقُوكَ طَوْقَهَا [2]

(+) ا : في الطرة : أول الدعاة إلى بلد السّند .

(1) المهدي 90 (نقلا عن استتار الإمام للنيسابوري) : وصارت الإمـامة إلى المهدي ع م . فقال الشاعر : ...

(2) البيتان لعبد الله بن همام السلولي قالهما في بيعة الوليد بن عبد الملك ، انظر ابن كثير 9 ، 70 :

اللهُ أَعْطَـاكَ الَّـتِي لَا فَوْقَـهَا وَقَدْ أَرَادَ الْمُلْحِدُونَ عَوْقَهَا

عَنْكَ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا سَوْقَهَا إِلَيْكَ حَتَّى قَلَّدُوكَ طَوْقَهَا

وفشت الدعوة في اليمن ، وظهر أمرُها واستأذن أبو القاسم في الحرب فأذِن له،فابتنى حصنا [1] بجَبَلِ لاَعَة ،وجيّش الجيوش ،وافتتح مَدَائِنَ باليَمَن وملك صنعاء ، وأخرج بني يعفر منها ؛ وفرّق الدّعاة في نواحي اليمن ، وإلى سائر البلدان ، إلى اليَمَامَةِ ، وَالبَحْرَيْن ، والسِّنْد ، والهند وناحية مِصْر والمَغْرب . وكان له أخبار يطول ذكرها ليس إيّاها قصدنا فنستقصيها ؛ ولا بدّ من أن نذكر شيئا منها إن شاء الله (تع).

II ـ ذكر نكت من أخبار أبي القاسم صاحب دعوة اليمن

18 ـ أخبرنا الثّقات من أصحاب أبي القاسم (رحه) أنّه قال : لقد ظهر لِي من أمر المهدي (ع م) والبُشْرى باليَمَن أكثر مِمّا [2] كنت عرفت به . وقلَّ موضع أخذت فيه أو سلكت به إلاّ وجدت فيه خبرا عنه ، وأمراً يَدُلُّ عليه . وإنّي لسائر يوما في بعض بوادي اليمن إذ انقطع شِسْعُ نَعْلي، فملت إلى صخرة ، فجلست عليها أصلحه . فَإنّي لَكَذَلِكَ [3] إذ أقبل إليّ شيخ قد تعب وأدركه النَّفَسُ ، فقال لي : مِمَّن الرَّجلُ ؟

---

(1) كشف 205 : .. فأجمعوا على بناء موضع يقال له « عبر محرم » وهو جبل تحت مِسْوَر وهو موضع بني العرجى .. ؛ السلوك 127 : .. ... فبنيت عبر محرم وهو حصن كان لقوم يعرفون ببني العرجاء ...

(2) ب : كذا ؛ ا : ممن .

(3) ب : كذا ؛ ا : كذلك .

فقلت : رجل غريب . قال : هل معك خبر من المهدي ؟ قلت : ومن المهدي؟ قال : إذا كنت لا تعرفه فلعلّ هذا وقع اتّفاقا. فقلت : وما ذلك ؟ قال : لَحِقْتُ عند هنا شَيْخًا كان من علماء الشّيعة يقول : إنّ رسول المهدي يدخل هذه القرية ، فينقطع شِسْعُ نعله عند هذه الصَّخرة ، فيجلس عليها يصلحه، ولعلّ منكم من يدرك ذلك الزّمان . قلت : كلام الشّيعة كثير . قال : أيْ وَاللهِ كثير ! ولم أجد عند الشيخ قبولا ، وتولّى ومضى عنّي .

١٩ ـ قال : ودخلت مسجد صَنْعَاء أوّل دخولي اليَمَن فصلّيتُ إلى أسطُوانة فيه ركعتين ، وكنتُ كالآثم لَفَفْتُ ردائي ، وجعلته تحت رأسي ، واستلقيت على ظهري ، ورفعت إحدى رِجْلَيَّ على الأُخرى. فإنّي لكذلك إذ وقف عليَّ شيخ فَرَفَسنِي [1] بِرجله ، وقال لي : قُمْ ! وانتهرني ، فقمت ، وقلت : ما لي ـ أيُّها الشّيخ ! ـ أُقْصَدُ دون سائر النّاس، وهذا كثيرٌ مضطجِعٌ في المسجد ؟ قال : لم أنكر اضطجاعك ، ولكن هذه أسطُوانة يُؤْثَر أنّ داعي المَهْدِي إذا دخل صَنْعَاء أتاها ، وصَلَّى [2] ركعتَيْن ، واستلقى على ظهره عندها ، ورفع إحدى رجليه على الأُخرى فإنّما أنكرت عليك التّشبُّه به ، قلت : وما أنا وهذا ؟ وكلّمه

---

(1) ب : كذا ؛ ا : فرفشني

(2) ب : كذا ؛ ا : فيصلى

بعضُ من سمِعه، فقال ما أَعْجَبَ أمرك ! وكَأَنَّ هذا هو داعي المهدي ! قال: ما هو بـه، ولكنّي أنِفتُ أن يتشبّه به غيرُه. فقمت وتسلّلت، ـ فكأنّهم رأوا أن ذلك يكون عند ظهوره عليهم واقتداره ـ وخَرَجْتُ[1].

20 ـ وأخبرنا عنه بعض أصحابه أنّه سمع حديثا ترويه الشّيعة باليمن: أَنَّ ثَلَاثَـةً منهم قدموا على أبي عبد الله جَعْفَرَ بن مُحَمَّد (صلوات الله عليه) فقال لأحدهم: من أيِّ اليَمَنِ أَنت؟ فقال: من المُذَيْخِرَة. قال: هي مدينة من صفتها كِيتْ وكِيتْ؟ ووصفها له بصفتها، قال نعم، ـ جعلني الله فداك ! ـ كأنّها بين يديك ! قال: أَمَا إِنَّهُ لا يزال لنا فيها عدوٌّ، وقال للآخر: وأنت، من أيِّ اليَمَنِ؟ قال: من مدينة يقال لها الجَنَدُ. قال: هي مدينة من صفتها كذا وكذا؟ ووصفها له. قال: هي كذلك: ـ جعلني الله فِدَاك ! ـ كأنّك تراها ! قال: ما أَبْعَدَ ما بينها وبين المُذَيْخِرَة ! إنَّ الجَنَدَ لا يَزَال لنا فيها وَلِيٌّ ما بَقِيَتْ. وقال للثالث: من أَيِّ اليَمَنِ أَنْتَ؟ قال: مِنْ جَيْشَانَ. قال: هي مدينة من صفتها كذا وكذا؟ قال: نَعَمْ. قال: وبأعلاها سِدْرَةٌ، وبأسفلها سدرة؟ قال: نعم. قال: إنَّ بين السّدرتين لكنزاً[2] لِآلِ محمّد (صلّى الله عليه وعلى

---

(1) ب: خرجت؛ ا: نقص

(2) ا: كذا؛ ب: إنّ بين السدرتين يدى (؟) لكنز ...

آله!). قال أبو القاسم وقد سمع هذا الحديث : أنا، والله، استخرجت ذلك الكنز، قيل له : ما هو ؟ قال : سبعون رجلا ـ عددتهم عَدَدًا ـ من أهلها، بلغوا مبالغ الدّعاة، وكانوا من عُدّة الدّين، وثقات المؤمنين، وعليٌّ بن الفَضْل الذي ذكرنا خبره هو منها، وكان سبَبَ الدَّعْوَةِ [1]، وقد ذكرنا خبره. وابْنُ جِيرَان الشَّاعِرُ منها، وكان له تَشَيُّعٌ، ولَهُ إِخْوَةٌ مثل حاله. قال أبو القاسم: وأمّا المُذَيْخِرَة، فمازالت كما قال جَعْفَر بن محمّد (صلوات الله عليه) [2] أعرف فيها عَدُوًّا لِآلِ مُحَمَّد (صلى الله عليه وسلم وعلى آله) [3] ولقد مخضتها [4] مخض السِّقاء، وأكفيتها إكفاء الإناء، وإنّها على ذلك الى اليوم، كما قد علمتم.

21 ـ وأمّا الجَنَدُ فإنّي أصبت بها شيعةً عُرِفُوا بذلك قديما. ولقد صَدّق الله روايتهم وأفلح حجّتهم بي. قيل له : وكيف ذلك؟ قال : دخلتها وأنا مستتر، فقصدت مسجد الجامع، فصلّيت به الظّهر والعصر والمغرب. ثمّ قلت لبعض مَنْ فيه : أَيَبِيتُ هَهُنَا أحدٌ ؟ فإنّي رجل غريب أردت المَبيتَ في المسجد فقال : نعم، كُلُّ من ترى من الغرباء، فيه يَبِيتُونَ. فجلست. فلمّا صلّينا العشاء الآخِرَة تَحَلَّقُوا حِلْقَتَيْن، وجعلوا يتناظرون

---

(1) ب : كذا ؛ ا : الدعاة، وهو خطأ

(2) ا : كذا ؛ ب : عليه السلام

(3) ا : كذا ؛ ب : نقص

(4) ب : كذا ؛ ا : نخضتها

في العلم . فجلست بين الحلقتين . فإذا أحدهما شِيعَةٌ،والآخرون حِشْوِيَّةٌ. فتناظروا ساعــــةً من اللّيل . ثمّ انصرفت الشّيعـة ، وقام الآخرون لينصرفوا ،فقال لهم رجل منهم : اجلسوا قليلا . فجلسوا ،وجعل ينظر إلى أولئـك الشّيعـة وهم ينصرفـون ، حتّى انصرف آخـرهم . فعطف على أصحابه فقال: أتعرفون خَبَرَ هذه اللّيلة ؟ قالوا وما خبرها؟ قال: أليست لَيْلَةَ كذا وشهرَ كذا ؟ قالوا : نعم . فاستخرج كتاباً من كُمِّهِ . فقـال : أوَ لَيْسَ هذا كتابا رواه فلان من هؤلاء الفَعَلَة- يَعْنِي الشّيعَةَ -. فنظروا إلى الكتاب، فقالوا: نعم،هو معروف لهم.فاستخرج منه حديثا فقرأه عليهم : أنّ بعض الأئِمّةِ قال لصاحب ذلك الكتاب : من أدرك سَنَةَ كذا من أهل بلدك ، فَلْيَلْتَمِس داعي المهدي في ليلة كذا منها ، لتلك اللّيْـلَةِ (1) ، فإنّه يبيت في مسجدها . قالوا : لقد سمعنا هذا الحديث. قال : فقد ترون هؤلاء انصرفوا ما منهم ذكر هذا ، ولا عرفوه . فَهَلُمُّوا بنـا نُبْطِلْ قولهم ، ونُكَذِّبْهُم ، ونُخرِجْ جميع من في المسجد اللّيلة، فلا يبيتُ به أحدٌ لِنُبْطِلَ روايتهم . قالوا : نعم . فقام قائم منهم فقال : يا معشرَ الغرباء ! انْصَرِفُوا ! فليس يبيت أحد منكم اللّيلةَ في هذا المسجـد على حال ، فإنَّ لهذا قصّـةً لا يمكن معها مبيتُ أحد منكم .

22 _ قال أبو القاسم : فرأيت كلَّ أحد منهم يضمّ ما كان معه ويخرج.

---

(1) أ : كذا ؛ ب : نقص : تلك الليلة .

فلم أدر إلى أين أخرجُ ، وقصدت زاوية من زوايا المسجد، فجلست فيها ، وقلت: لعلّ من يُخْرِجُني يمضي بي[1] إلى بيته.فافترقوا يُخرِجون النّاسَ، ويُطفِئُون القَنَادِيلَ . فأتاني رجل منهم وقد طَفِيء أكثرها ، وقال : قم يا رجل ! فقمتُ[2] وقلت:إنّي رجل غريب لا أعرف موضعا أقصد اليه، فلعلّك أن تمضي بي هذه اللّيلةِ فَتُؤْوِينِي في محلّك ؟ قال : لا والله ! ما عندي موضع. فقلت : سُبْحَانَ الله ! تُخْرِجُنِي من بيت الله وتَمْنَعُنِي بيتك ! فكأنّه اسْتَحْيَى.ونظر إلى النّاس قد خرجوا،فانصرف وتركني. وأغلقوا باب المسجد . فبِتُّ بِلَيْلَةٍ طَوِيلَةٍ ، وخِفْتُ أن يُختَبر المسجدُ من غدٍ ، فلم يكن ذلك . فأصبحوا . ففتحوا الأبواب ، ودخل النّاس ، وصلُّوا ، وما نظروا بي في شيء من ذلك .

23 ـ قال أبو القاسم[3] :وخرجت من الجَنَدِ أُريد ناحية . فإنّي لسائر يوما إذ رأيت عسكراً عظيما قد أقبل ، والنّاس يقولون : هذا عسكر ابن يَعْفُر يريدون حرب جَعْفَر بن إبراهيم صاحب المُذَيْخَرة . وتفرّقوا في شعاب في جبل ، خوفا من العسكر . وكنت فِيمَنْ تَفَرّقَ فِيهِ . فرأيت كَهْفاً،فدخلت فيه فإنّي لجالس فيه إذ دخل عَلَيَّ رَجُلٌ.فسلّم عَلَيَّ وجلس،

---

(1) ب : بي ، أ : نقص

(2) ب : و ، أ : نقص

(3) أ : أبو القاسم ، في الطرة ؛ ب : نقص

وقال : مِمَّن الرّجـل ؟ قلت من هذه السَّيَّارة ، رأينا العسكر قـد أقبـل ، فافترقنا في هذا الشِّعْب إلى أن يجوز . فدعا لي بخير ، وانبسط إليّ وسألني عن مسائل من الحلال والحرام ـ ذكرها أبو القاسم (+) ـ . قال : فأجبتـه عنها ، ـ وذكر جوابَها ـ .

24 ـ قال : فنظرت إلى الرّجل قد ملأ عينيه منّي ، وهملتـا دموعا . ثُمَّ قام إلَيَّ فجعل يُقبِّل رأسي ، ويدَيّ ، ورجـلَيّ ، ويقول : يا سيدي ! رسولُ الله أرسلني إليك لتستنقذني ، وتـأخذ بيدي فتخلّصـني . قلت : وكيف هذا أيّها الرّجل ؟ قال : نعم، كنت رجلا أرى في منامي رسول الله (صلى الله عليه وسلم، وآله[1]) في ليلة معروفة من كلّ عام، وكنت أتأهّب لتلك اللّيلة ، ولا تحرم رؤياي . فلمّا كان هذا[2] العام لم أره. ومضت مُدَّة، فكنت في أكبر الغَمّ من ذلِك فلمّا بِتُّ[3] البارحة رأيته (صلى الله عليه وعلى آله) فجعلت أقول : يا رسول الله ! طـال شوقي إلى رؤيتـك ، وقطعتَ عنّي ما عوّدتَـنِي من ذلك. قال: فإنّي أبشّرك وأخبرك أنّ داعي المهدي في بلدك، وبين ظهراني قومك ، فبادِرْ إليه ، وخذ بحظّك منـه . قلت : وكيف لي

(+) أ : في الطرة زيادة : هذا قول لبعض أصحاب أبي القاسم .

(1) أ : كذا ؛ ب : صلى الله عليه وسلم

(2) أ : هذا ؛ ب : نقص

(3)ب : بت ، أ : نمت ؛ وفوق السطر : بت

به يا رسول الله ؟ قال أنت واجدُه غداً في كهف كذا ، ـ وذكر لي هذا الكهف ـ قلت : فإنّي أخاف أن أجد غيره . فوصفك[1] لي بصفتك وقال مع هذا ، فاساله عن كذا ، ـ وذكر لي هذه المسائل ـ فإن أجابك كذا [2] ـ وذكر لي جوابك ـ ، فهو صاحبُك .

25 ـ قال أبو القاسم : فادركتني خشية وعبرة ، وقلت : ما عسى أن أقول لمن أرسله إليّ رسول الله (ﷺ) ؟ فذاكرته ، وبسطت له . ثمّ أخذت عليه . وكان هذا الرّجل معروفا بِاليَمَن ويَذكر ذلك ويُحدّث به .

26 ـ وأخبرنا بعض أصحاب أبي القاسم عن أَبي محمّد عبد الله بن عبّاس [3] وكان من أجلّ من كان من دعاة أبي القاسم من أهل اليمن، وهو الذي استخلفه على الدّعوة بعده ، قال : أرسلني أبو القاسم إلى ناحية مصر أدعوه فأتيت حيّا من أحياء العرب،فاصبتهم في جماعتهم يَهْنِئُون إبِلهم. فلمّا رأوني مُقبِلا تركوا ماهم عليه ، وأقبلوا عليّ وقالوا : مِمّن الرّجل ؟ . قلت : رجل غريب. قالوا : أنزل على الرَّحْبِ [4] والسَّعَة، وأخذ بيدي شيخ منهم، ومضى بي إلى منزله، فأنزلني عنده ، وأخلى لي خيمة ،وفرش

---

(1) ب : فوصفك ؛ أ : فوصف

(2) أ : كذا ؛ ب : بكتاب

(3) الهمداني 49 ، 50 ، 51 : عبد الله بن عباس الشاوري

(4) ب : الرحب ؛ أ : الرحبة .

لي فرشا ، وأتاني بطعام ، فأكلت. فلمّا كان من اللّيل تحـدَّث معي طويلاً . فلمَّـا مضى هَـوِيٌّ من اللّيل قال لي : أنْشُدُكَ الله ! لَمَا كشفتَ لي ما أنت عليه ، وما جئت له ! قلت : أوَ لَمْ أخبرك أنّي معـلّم ؟ قال : ما يقـع هذا بقلبي . فلم أكشِف له شيئا . فَغَدَا عَلَيَّ . وأقام أيّاما ولَيَالِيَ يستكشِفني ، ويسالني سؤال من عنده علم . فتماديتُ له على ما ابتـدأت به من أنّي معلّم. فجمع لي صبيانَ الموضع وجلستُ أعلّمهم ، وهو في ذلك إذا خلا بي قـال لي مثل قوله الأوّل . فما زال بي حَتَّى كشفت له الأمر وأخذت عليه فكان من خير من دَعَوتُه . ودعوت هناك دعوة عظيمة . فكان يقول لي بعـد ذلك : والله ! لكأنّما أنزل الله لك الهيبة والجلال في قلبي ، وأنّك لم تـات إلّا لهذا ، وكأنّ عندي منه علم سبق إليَّ . قـال أبو محمـد : ولم أسْألْـه عن ذلك العلم ولا ذكره لي .

III ـ ذكر السَّبَبِ الذي تقدّم إلى المغرب قبل قدوم الدّاعي [1] إليه

27 ـ قدم إلى المغرب في سنة خمسة وأربعين ومائة رجلان من المشرق قيل إنّ أبَا عبد الله جعفر بن مُحمّد (صلوات الله عليه) بَعَثَهُما [2] وأمرهما

---

(1) أي أبو عبد الله

(2) الكامل 126 : . . . وكانوا (أي الشّيعة باليمن) أنفذوا إلى المغرب رجلين أحدهما يعرف بالحلواني والآخر يعرف بأبي سفيان . . . ؛
اتعـاظ 53 : وأوفدوا (أي الشيعة باليمن) إلى المغرب رجلين . . .

أن يبسطا ظَاهِرَ عِـلْمِ الأَئِمَّةِ ، (صلوات الله عليهم) وينشُرا فضلـهم . وأمرهما أن يتجاوزا إفْـرِيقْيَةَ إلى حـدود البربر ، ثمّ يفترقان فينزل كلُّ واحد منهما ناحية .

28 ـ فلّما صارا إلى مَرمَاجَنَّةَ [1] نزل أحدهما ـ وكان يعرف بـأبي سُفْيَان بها بموضع يقال له : تَالَا . فابتنى مسجدا ، وتزوّج امرأة،واشترى أَمَةً وعَبْداً . فَيُقال إنّهُ كان يعمل مع عبـده ، ويأمر امرأته فتعمـل مع أَمَتِهَا . وكان له من الفضل والعبـادة والذّكر في النّاحية ما قـد اشتهر به ذكره . وكان أهل تلك النّواحي يأتونه ، ويسمعون فضائل أهـل البيت (صلوات الله عليهم) منه ويأخذونها عنه . فَمِنْ قِبَـلِهِ تَشَيَّعَ مَنْ تَشَيَّعَ من أهل مَرمَا جَنَّةَ [2] ، وهي دَارُ شِيعَةٍ ، وهو كان سبب تشيُّعِهِمْ ، وكذلك أهل الأُرْبُس [3] . ويقال إنّه كان أيضا سبب تَشَيّع أهل نَفطَة. وذلك أنّ قوما منهم كانوا يختلفون بالتّمْرِ إلى تلك النّاحية ، ويشترون القمح منها . وكانوا يأتونه ويستمعون منه ، ويأخذون عنه .وقيل : إنّ

---

(1) اوب : كذا ؛ ابن حوقل 84 والمقـدسي 5 والإدريسي 118 : مرمـاجنـة ؛ الكامل : 126 : مرمجنة ؛ العبـر 31 : فنزل أحدهم ببلد مرغة .

(2) كذا في اوب ؛ وفي مراجعنا

(3) اوب : كذا؛ اليعقوبي 10 وابن حوقل 86 والإدريسي 117 :الأربس؛ المقدسي 5 : لربس .

بعضهم هلك له بعير كان معه ، فرآه يبكي ، فرقّ له ، وقال : أنا أُعيرُكَ بعيراً وإن شِئْتَ بِعتُه منك بنظرة . قال : بل تَبِيعُه منّي بنظرة إلى أن أصل إلى بلدي فآتيك بثمنه ـ ولم يكن من أصحابه الذين أخذوا عنه ـ. فقال له : تَجِدُ كَفِيلاً ؟ قال : نعم . قال : فَانْظُرْ فيه . فقال : اللهُ لك بي كفيل . قال: قد قَبِلْتُ . ودفع إليه البعير . فلّما صار إلى بلده اقتعد به وجعل يختلف به إلى بَاغَايَةَ [1] . وأقام دهرا . ثمّ إنّ البعير انقطع في اللّيل من القِطَار ،فضرب إلى ناحية مَرمَا جَنّةَ.فبينا أبو سفيان في مسجده إذ أناخ البعير بفناء المسجد وعليه حِمْلُ تمر . فنظر إليه ، فعرفه وقال : لقد أوْفَى الكفيلُ بك ، وكتب إلى الموضع بِخَبَره . فأتاه صاحبه بالثّمن . فدفعه اليه بِحِمْلِهِ[2] وذهب ليعتذر إليه[3] . فقطع كلامه عليه ، وأضافه إلى أن باع تمره، وابتاع قَمْحا، وانصرف [4] .وكان له في الفضل والعبادة أخبار كثيرة .

29 ـ وأمّا الثّانِي[5] ، فكان يعرف بِالحُلْوَانِي ، وأنه تقدّم حتّى

---

(1) ا وب : كذا ؛ اليعقوبي 11 : باغايه ؛ ابن حوقل 84 والمقدسي 5 : باغاى ؛ الإدريسي 57 و 91 : باغاية ، و 93 و 96 : باغاى

(2) ا : كذا ؛ ب : فدفع إليه بحمله . ا : في الطرة زيادة : الباء بمعنى مع

(3) ب : اليه ؛ ا : به .

(4) ب : وانصرف ؛ ا : فانصرف .

(5) ب : كذا ؛ ا : بياض ، وفي الطرة زيادة : فاما الثاني .

وصل إلى سُوجْمَار [1] . فنزل منه موضعا يقال له النَّاظُور. فبنى مسجداً ، وتَزَوّج امرأة ، واشترى عبدا وأَمَةً . وكان في العبادة والفضل والعلم عَلَماً في موضعه . فاشتهر به ذكره ، وضرب النَّاس من القبائل إليه ، وتشيَّع كثير منهم على يده من كُتَامَة ، ونَفْزَة [2] ، وسُمَاتَة [3] ، وكان يقول لهم : بُعِثْتُ ـ أنَا وأَبُو سُفْيَان ـ ،فقيل لنا : اذهبا إلى المَغْرِب ، فإنّكما تأتيان أرضا بُوراً ، فَاحْرِثَاهَا ، وكَرِّبَاهَا [4] ، وذَلِّلاها إلى أنْ يَأتِيَها صاحبُ البَذْرِ ، فَيَجِدُها مُذَلَّلَةً فَيَبْذُر حَبَّهُ فيها . فكان بين دخولهما المَغْرِبَ ودخول صَاحِب البَذْرِ ـ وهو أبو عبد الله ـ مائة وخمس وثلاثون سنة . فمات أبو سفيان منهما بِمَرْمَاجَنَّة ، وقبره بها يعرف مكانه ومكان مسجده إلى اليوم . وعاش الْحُوَانِي بعده دهرا طويلاً حتّى لَحِقَ من لَحِقَهُ أَبَا [5] عبد الله . وخلَّف ابنةً له ، يقال لها أُمُّ مُوسى . ومات بالنَّاظُور من أرض سُوجْمَار . وثَمَّ قبره ومسجده .

---

(1) ا و ب : كذا؛ الكامل 126 — 127 : سوق حمار ؛ اتعاظ 54 و(2): سوق حماد ؛ العبر 31 : سوف جمار .

(2) ا : نَفْرَةَ (كذا بهذه الحركات) ؛ ب : تحريف كثير .

(3) ا : كذا .ب؛ تحريف؛ابن حوقل 93 : سُمَاطه ؛ العبر 32 : سوماتة؛

(4) ا : كذا ؛ ب ، تحريف في الكلمة؛ المهدي 74 : أكرباها؛

(5) ا و ب : أبو ؛ والأصح : أبا

وكان مِمّنْ لَحِقَه ولَحِقَ أَبَا عبد الله أَبُو حَيُّوْن المعروف بأَبِي المُفَتِّش؛ وأخذ منه بعض الشّيْء، وهو صغير، وأخـذ بعد ذلِك عن رجاله، ولَحِقَ أبا عبد الله، وسنذكر خبره معه عند ذكره في موضعه إن شاء الله (تع).

IV ـ ذكر وصول أَبِي عبد الله دَاعِي المَغْرِبِ إلى صاحب دعوة اليمن وخروجه من عنده.

30 ـ كان أبو عبد الله هـذا من الكُوفَة [1] واسْمُه الحُسَيْن بن أحمد بن محمَّد بن زَكَرِيَّا [2]. وكان ذَا علمٍ، وعقلٍ، ودينٍ، ووَرَعٍ، وأمانةٍ ونزاهةٍ. وكان أكثرُ علمه الباطنَ، ونظر في علم الظَّاهر نظرا لم يبالغ فيه. فلمّا تمكَّنت الدَّعْوَةُ بِالْيَمَنِ، وظهر أمرها، أرسل الإمام أَبَا عبد الله إلى أَبِي القاسم [3] داعي اليمن. فكتب إليه في أن يُبَصِّرَهُ ويُرْشِدَه ويُلَقِّنَه. وقيل لأَبِي عبد الله: امْتَثِلْ سيرته، وانظر إلى

---

(1) ا و ب: كذا؛ الكامل 127: من أهل صنعاء، اتعاظ 68 (نقلا عن ابن خلدون): وأصله من الكوفة.

(2) ا و ب: كذا؛ الكامل 127: كذا؛ العبر 31: أبو عبد الله الحسين بن محمّد بن زكريا المعروف بالمحتسب...

(3) أي: ابن حوشب

مخارج أعماله ومجاري أفعاله فَاحْتَذِهَا ، وامتثلها واعمل [1] عليها ، ثم اذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ فَادْعُ . وقيل بل حُدَّ له المَغْرِبُ وأُرْسِل إِلَى بلد كُتَامَة . وهذا أثبت الأمرين . فانتهى أبو عبد الله إِلَى أبي القاسم صاحب دعوة اليمن ، فأنزله عنده ، وقرَّب مجلسه ، وأدنى مكانه ، ورفع من قدره ، وقد كان يعرفه - وأقام عنده - من وقت انصراف الحاجّ من مَكَّةَ إلى اليَمَن إلى وقت خروجهم إلى الحجّ في العام المقبل - يَشْهَدُ مجالسه ، ويخرُج معه في غزواته ، لا يفارقه .

31 - فلمّا حضر وقت خروج أهل اليمن إلى مكّة للحجّ خرج أبو عبد الله معهم إلى مكّة . وأخرج أبو القاسم معه مِنْ قِبَلِهِ رجلا أصحبه إيّاه وَأَزَّرَهُ به ، بِحَسَبِ ما جرت به السّيرة في الدُّعاة، وبحسب ما كان مَعَهُ عليُّ بن الفَضْلِ لِئَلّا يحدُث به حَدَثٌ، فيكون معه من يخلفه إلى أنْ يَأْتِيَ أمر الإمام (ع م) . وكان الذي أُخْرِج معه رجلا يقال له عبدُ الله بن أَبِي المَلَاحِفِ [2] . فصحبه إلى أن وصل إلى بلد كُتَامَة ،فَأَحْكَمَ أَمْرَهُ . وكان إذا بعث رجلا لوجه من هذه الوجوه لم يُعْلِمِ ذلك الرَّجل بسيره أحدا من أهل ولا ولد ، من قريب ولا بعيد ، ولا يعرف إلى أين

---

(1) ب : واعمل ؛ ا : فاعمل .

(2) ا : كذا ، ب : الملاحق : الكامل 127 : ملاحف؛ سيرة جعفر 125 : ورد اسمه هكذا « أبو الملاحف » .

تَوَجَّـهَ ، ولا أين سلك . كذلك كان أبو عبـد الله وأصحابه من كُتَامَة . فكانت لعبد الله بن أبي المَلَاحِفِ والدةٌ فقـــدت عقلها لمّا فقدته ، وخُولِطَت فيه . فَرَقَّ لها أبو القاسم ، وبعث إلى أبي عبد الله رجلا يقال له إبراهيم بن إسحاق الزَّبيدِي [1] من أهل اليَمَن ، لِيكون معه مكان أبي المَلَاحِف . وكتب إليه بأن يَنْصرِفَ إليه ابنُ أبي المَلَاحِفِ فَفَعَلَ .

32 ـ وكان أبو عبد الله يقال له السَّيِّدُ بِكُتَامَة ، كما تقول العرب لصاحب أمرها ، ـ والشَّرِيف فيها السَّيِّد ـ . فأجْرَى ذلك أبو عبد الله على ما يعرفه بالمَشْرِق . فَسُمِّيَ إبراهيمُ هذا لمَّا قدم عليه السَّيِّدَ الصَّغِيرَ [2]. وكان يُعْرَف أيضا بالهُوَّارِي [3] ، وذلك أنَّه أنزله قبل أن يظهَر أمرُه عند بعض شيوخ كُتَامَة. فَقيل له: من هذا الرّجل ؟ قال : هُوَّاري . فَلِزِمَهُ هـذا الاسْمُ . ولم يكن إبراهيمُ هذا بمحمود الفعل . وكذلك ابن أبي المَلَاحِفِ . ولَمَّا انصرف إلى اليَمَن صار في جملة من افْتَتَنَ بها . وسنذكر خبره .

---

(1)و(2)ا وب : كذا؛البيان 153 : ابراهيم بن محمد [اليماني المعروف بـ] الهوّاريّ ؛ [وكان يلقّب السيّد الصغير]

(3) ا و ب : الهوازى ؛ والأصح : الهُوّارِي(نسبة إلى قبيلة هُـــوّارة البربرية) كما هو في البيان 153

33 ـ ولمَّا قدم [1] أبو عبد الله من اليَمَنِ قِبَلَ إفْرِيقْيَةَ أظْهَرَ أمره لِكُتَامَةَ أنَّه صَنْعَانِيٌّ . وكان يدعى عليه على منابر بني الأغلب بذلك : يُقال اللَّهُمَّ إن كان هذا الكافر الصّنعاني قد اسْتَشْرَى (+) شَرُّهُ ، واسْتَمْرَى مَرْتَعُه ، كافِرًا لِنعْمَتِكَ ، مُبدّلاً لِدِينِكَ ، مُخالِفًا لكتابك ! اللَّهُمَّ فالْعَنْهُ لَعْنًا وبيلاً ، واخْزِهِ خِزْياً طويلاً، وأرِحْ مِنْهُ عِبَادَكَ وَطَهِّرْ مِنْهُ أرْضَكَ وبِلَادَكَ . » وكان يبلغ ذلك أبا عبد الله فيقول : قولهم هذا فِيَّ كقول مشركي العرب في رسول الله ﷺ إذا شتموه : اللَّهُمَّ افْعَلْ بِمُذَمَّمٍ وَاصْنَعْ بِمُذَمَّمٍ ! لِئَلَّا يَقُولُوا مُحَمَّدًا ، فَيُعَظِّمُوهُ. وكان رسول الله ﷺ يقول : « أمَا تَرَوْنَ مَا دَفَعَ اللهُ مِنْ شَرِّهِمْ ؟ يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا وأنا مُحَمَّد» . فلمّا خرج أبو عبد الله من عند أبي القاسم من عَدَنْ لَاعَة مع من بعثه معه وأرسل معهما من يُشَيِّعهما إلى أقصى مبلغ لَاعَة من اليَمَنِ وكتب إلى من يكاتبه فيما يلي ذلك من طَرِيق مكَّةَ في الوصاية بهما . فخرج أبو عبد الله من عنده . فأخبرني من كان بحضرته يوم وَدَّعه مِنْ لَاعَة ، وهو في مجلس له مُشْرِفٍ على الجَبَلِ ، فنظر إليه

---

(1) ب : ولما قدم ؛ أ: بياض قدره كلمة . وفي الطرة زيادة : لما قدم.

(+) ا : زيادة في الطرة : استشرى شره اي تفاقم وعظم استمرى الطعام اي استطيبه (ثم كلمة غير واضحة) ووجده مريئا .

مُنْصَبًّا [1] في الجبل بين يديه ، فجعل يَنْكُتُ بِأُصْبَعِهِ نحوه ويقول : وإنَّ بَيْنَ كَتِفَيْهِ لنجاةَ خَلْقٍ عظيمٍ .

٧ ـ ذكر اجتماع أبي عبد الله مع الرِّجال الكِتَامِيِّين بمكَّة ووصوله معهم إلى بلد كُتَامَةَ .

34 ـ وصل أبو عبد الله مع جملة الحجيج من أهل اليمن إلى مكّة. فلمَّا قضى النَّاس حجَّهم واستقرُّوا بِمِنَى ، جعل أبو عبد الله يمشي بِمِنَى ؛ فمرّ على جماعة من رجال كُتَامَة مِمَّنْ حجَّ تلك السّنة،وهم في رِحَالِهِمْ ، وفيهم من الشّيعة الذين كانوا تشيّعوا بأسباب الحُلْوانِي رجلان : حُرَيْثُ الجِيمْلِيُّ ومُوسَى بن مَكَارِم [2] . فسمعهما أبو عبد الله يذكران لأصحابهما فضائل عَلِيٍّ (ع م) ؛ فجلس إليهما يذكر شيئا من ذلك معهما. فاقبل عليه جميعُهم . وحدّثهم طويلا . ثمّ نهض ليقوم؛ فمشوا لِمشْيَتِهِ، وقالوا : نُحِبُّ أن نعرف مكانَ رَحْلِكَ . فجاء بهم إليه . فلمّا كان من غد

---

(1) ا : منصبا ؛ ب : منصبتا ، وهو لا معنى له .

(2) ا : مكارمه (كذا) ؛ ب : مكارمة ؛ الكامل 127 : مكاد ؛ العبر 32 وكان منهم موسى بن حريث كبير بني سكان (كذا) من جملة أحد شعوبهم وأبو القاسم الورنجومي (كذا) من أحلافهم ومسعود بن عيسى بن ملال المساكني (كذا) وموسى بن تكاد . ـ والتحريف جلي في هذه الأسماء : سكان يكتب : سكتان ، الورنجومي يكتب : الورفجومي ، المساكني يكتب : المسالتي .

أَتَوْهُ ؛ فحدّثهم ، وأوسع في الحديث وازدادوا فيه رغبة وعليه إقبالاً ، فجعل يسألهم عن بلدهم ، فَيُخْبِرونَه .

35 ـ فلمَّا حضر النَّفَرُ من مِنَى قالوا له : أين تَوجُّهُك ؟ قال : إلى مِصْر . فسُرُّوا بذلك . ورَحَلُوا برحيله ، وجَعَلُوا يمشون حوله إذا سار ، وينزلون بقربه إذا نزل ، ويخدمونه ، ويعظّمونه . فلمّا نَزَلُوا أوَّلَ مَنْهَلٍ اشتروا له شاة ، فذبحوها ، وهيّؤوا له طعاما ، ونزلوا [1] معه ؛ فأتوه بالطعام قال : ما هذا؟ قالوا : هذه سنّتنا [2] في الضَّيْفِ ، وأنت ضَيْفٌ فِينَا . فَدَارَاهُمْ [3] في ذلك ، وأقسم عليهم أَنْ لا يفعلوا . فقالوا : نحن على ظَهْرِ طَرِيقٍ . فجعل [4] يَتَلَطَّفُ لهم في ذلك ، وأمره في كلّ يوم يعظم عندهم ويزيد ، ويسمعون منه في كلّ يوم أمرا جديدا ، لم يكونوا سمعوا مثله ، ويَسْتَفْتُونَهُ فَيُفْتِيهم . فمالت إليه قلوبهم ، واجتمع إليه كلُّ من كان حاجًّا ذلك العام من كُتَامَةَ ؛ فكانوا يمشون حوله إذا مشى ، فإن نزل لحاجته وقفوا ، ونزل له بعضهم معه حتّى يَقْضِيَ

---

(1) ا : كذا ؛ ب : ونزلوا منزله معه .

(2) ا : كذا ؛ ب : سنة .

(3) ب : فدراراهم ، ـ والاصح : فداراهم ؛ ا : مداراة لهم ـ ، والمعنى لا يستقيم (في ا) إلا بإضافة فعل كامتنع مثلا ، فتصير الجملة هكذا : فامتنع مداراة لهم

(4) ا : كذا ؛ ب : فجعل أبو عبد الله .

حاجته ، ويأخُذَ ركابه فيركب ؛ وإن مرَّ بماء اَسْتَقَوْا له وإنْ رَحَلَ لَمْ يُرَحِّلُوا لِأَنْفُسِهِم رَحْلًا حَتَّى يُرَحلَ رَحْلُهُ ويَحْمِلُوه . وإذا نزل منزلا كانوا حوله يَخْدِمُونَه ويَسْعَوْنَ في حَوَائِجِهِ بين يديه . وكذلك شأنُ كُتَامَة إلى اليوم، يُعَظِّمُونَ من كان عنده أقلُّ شيء من العلم، ويُقَدِّمُونَه، حتّى المعلّم الذي يكون عندهم ، وإن كان لا يحسن غير قراءة القرآن ، فإنّ له عندهم قَدْراً ، وحالاً ، ومكاناً .

36 ـ وكان أبو عبد الله يَسْأَلُهُم في خِلَال حَدِيثِه عن بلدهم وأحوال أهله ، فَيُخْبِرُونَه بما يرى أَنَّهُ مَوْضِعٌ لما يُرِيدُهُ . وكان مِمَّا [1] سَأَلَهُمْ عنه أن قال لهم : كيف طاعتُكم للسُّلطان وحكمه عليكم؟ فقالوا : ما له علينا من طاعةٍ ولا حكمٍ أكثرُ من أَنَّا نقول: إنَّهُ سُلْطَانٌ. قال: وكم بينكم وبين موضعه ؟ قالوا : مسيرة عشرة أيّام . قال : فبالقرب منكم أمصار ؟ قالوا : نعم ، وذكروا مِيلَة ، وسَطِيف [2] وبِلَزْمَة ، وقالوا : هي في حدودنا . قال : فَلِسُلْطَان إِفْرِيقِيَةَ بِهَا عُمَّالٌ؟ قالوا : لَا، فإنَّمَا بها رجال مَلَكُوهَا ، ما له عندهم أكثرُ من الدَّعوَةِ على المَنَابِر، وهم له طاعةٌ في معصيةٍ . قال : فلهم عليكم أنتم طاعة ؟ قالوا : لَا، بَلْ هُمْ

---

(1) ب : مما سألهم ؛ ا : عما يسألهم .

(2) ا و ب : سطيق؛ سيرة جعفر 117 : سطيق ، أيضا ؛ اليعقوبي 12 وابن حوقل 95 والمقدسي 58 والإدريسي 98 .

يُدَارُونَ مَنْ قَرُبَ منهم مِنَّا ، ونحن الغالبون عليهم . قال : فإلى مَنْ يرجع أمركم؟قالوا : لِكُلِّ رجل منّا في نَفْسِهِ عزيزٌ ، ولنا أكابر مِنّا في كلّ قبيلة ، وعندنا قوم نَظَرُوا في شيء من العلم ومُعَلِّمُونَ نستفتيهم في أمر ديننا ، ونتحاكم إليهم فيما يكون بيننا ، فمن حكموا عليه لِيَزِمَ نفسَهُ ما أَلْزَمُوهُ ، وإنْ عنِدَ [1] عن ذلك قامت الجماعةُ عليه ، وما وَجَبَ في أموالنا من عُشْرٍ أو صَدَقَةٍ أخرجناها نحن بأنفسنا [2] فدفعناها إلى الفقراء فينا . قال : فلا سبيل لسلطان عليكم في ذلك ؟ قالوا : لا . قال : فكم مسافة بلدكم ؟ قالوا : مسافة خمسة أيام طولا في عرضه [3] مسافة ثلاثة أيّام . قال : فأنتم قبيل واحد ؟ قالوا : يجمعنا اسم كُتَامَة ، ثمّ نفترق قبائلَ وأفخاذاً وبُيُوتَاتٍ . قال : فبعضكم ناءٍ من بعض ؟ قالوا : ما بيننا كثيرُ تباعدٍ . قال : فأمركم مُتَّفِقٌ [4] ؟ قالوا : لاَ ، [5] يُحَارِبُ بَعْضُنَا بَعْضًا ، ثُمّ يَصْطَلِح بعد القتال [6] ، ويصالح القومُ مِنّا

---

(1) ب : كذا ؛ ا : عندنا ، وهو خطأ .

(2) ا و ب : لأنفسنا ؛ والباء أفصح

(3) ا : كذا ؛ ب : عرض .

(4) ب : كذا ؛ ا :متنفف .

(5) ب : لا ؛ ا : نقص . ـ ا و ب : نحارب ، والياء أفصح قياسا بيصطلح .

(6) ا و ب : القتل .

قومًا ، ويُحَارِبُون آخرين، كذا دَأْبنَا. قال : فإنْ دهمكم غيركم تَجْتَمِعُون ؟ قالوا : ما رام ذلك مِنَّا أحد قَطُّ . قال : ولِمَ ؟ قالوا : لِكثرةِ عددِنا وامتناعِ بلدنا . قال : وكم يكون عددكم ؟ قالوا : ما أحصى ذلك أحد مِنَّا ولا من غيرنا فيما علمناه . قال : فعندكم الخيل والسِّلاح ؟ قالوا : ذلك أكثر كسبنا ، وبه نَفْخَرُ وَإِيَّاهُ نَفْتَدي [1] لِحاجتنا إليه [2] لما بيننا من حروبنا . وكلّ ذلك يسألهم عن هذا ومثله في خلال الحديث ، ويذكره ويذكر أحوال البلدان والعشائر ، وكلّ ذلك يسألهم ويجريه حديثًا لغير عِلَّةٍ ، وهو يَعِي ذلك عنهم ، وَيَسْتَخْبِرُ ما يُريدُهُ منهم ، لِمَا يَرْجُوهُ ويأمُلُه فيهم ، وهم عَمَّا يريده بمعزل . لا يَرَوْنَ أنَّه يُجْرِي ذلك إلاَّ حديثاً على ظَاهِرِ ما يَرَوْنَ منه وهو مُغْتَبِطٌ بكلّ ما يسمعه من ذلك ، ويَرَى أنَّ الأمر ينتهي [3] فيهم .

37 ـ حتّى إذَا صَارُوا إلى مِصْر [4] أظْهَرَ لهم أنَّه يريد المُقَام . فَأَظهروا الغُمَّةَ لِفِرَاقِهِ ، وقالوا : ما يُقِيمكَ ههنا وما نرى معك من تجارة ولا هو بلدك ؟ قال : أَطْلُبُ التّعليم . فابتهجوا لذلك وقالوا :

---

(1) ا : نقتد .

(2) ب : سقطت هذه الجملة .

(3) ا : كذا ؛ ب : يتهيّأ .

(4) ب : كذا ؛ ا : نقص .

ما نرى أنك تجدُ بلداً أجدى عليكَ في التّعْليمِ من بلدنا وجعَلُوا يُخْبِرُونَه[1] بِنَفَاقِ ذلك عندهم، وتعظيم أهل بلدهم للمُعَلّمين فيهم وقالوا: إنْ شئتَ فانظرْ ما عسى أنّكَ تَرَى وتأمّلُ كَسْبَه في التعليم في كلّ سنة، فنحن نزيدُ فيه على أَمَلِكَ، ونوجِبُه لك على أنفسنا، وندفع إليك الآن منه إن شئت أجر السّنة والسّنتين وما أحببت من ذلك. فأظهر لهم في ذلك أمراً بين الأمرين، ورغبتُهم في ذلك تزيد فيه، وهم يَتَطَارَحُون[2] في ذلك عليه، ويسالونه، إلى أنْ أجابهم إلى الخروج معهم. فَسُرُّوا بذلك سرورا شديدا، وقال بعضهم لبعض: إنَّ هذا لَمِمَّا يكون لنا به الفَخْرُ، وإنّا لنأتي إلى بلد كُتَامَة بشيء ما جاء به أحدٌ مِمَّنْ كان قَبْلَنَا. فَجَعَلُوا يزيدون في الرَّغْبَةِ إليْهِ، ويقولون: عندنَا كثيرٌ من إخوانِنَا مِمّنْ يَذْهَبُ إلى ما أنت عليه! فلو رَأَوْكَ ورآك النَّاسُ ما رَضَوْكَ إلاّ لشيوخهم دون صبيانهم، وليس مِثْلُكَ نَجْلِبُه لتعليم صبيانٍ، وما تُريده لِوَجْهِ التّعليم فأنت تجد أضعافه في أموالنا. فأسمعهم خيرا. فلمَّا رَأَوْه وقد عزم على المسير معهم اجتمعوا وقالوا: نَجْمَعُ له دنانيرَ ندفعها إليه لِتَقْوَى بها نفسُه وتحْمِلُ مُؤْنَتَهُ. فَجَمَعُوا دنانير أتَوْهُ بها. فامتنع عليهم[3]

---

(1) ب : يخبرونه ؛ ا : يخبرون .

(2) ب : يتطارحون ؛ ا : يطارحون

(3) ا كذا ؛ ب : فامتنع عليهم من أخذها فحاولون (كذا ، والاصح فحاولوه) على ذلك بكلّ وجه فأبى عليهم .

وقال : لَمْ يَكُنْ مِنَّا ما يَجِبُ ذَلِكَ لَهُ [1] ، وإذَا كَانَ قَبِلْنَا مِنْكُمْ .
قالُوا : فَامْنُنْ علينا بِقَبُولِ هذا . فَإنَّهَا يَدٌ لَكَ عِنْدَنَا . فامتنع من
ذلك بِتَلَطُّفٍ وشكرٍ . فعظُم في أعينهم ، وزادت هيبَتُه في صدورهم ،

38 ـ ثمّ خرجوا من مِصْرَ ، وأرادوا حمل مُؤْنَتِهِ . فابى عليهم
وسايرهم على ما كان فى تلطفه ، وكلّ ذلك أمرُه يَعْظُمُ عندهم ، وجلالتُه
تزيد في أعينهم . فكانت طريقهم من طَرَابُلْسَ إلى قَسْطِيلِيَّةَ [2] لِأَنَّهَا
الجَادَّةُ [3] . فلم يدخلوا إفْرِيقْيَةَ . حتّى إذا ساروا إلى سُوجْمَار من
أَرْضِ سُمَاتَه ، تَلَقَّاهُم أهلُ الموضع ، فأَنْزَلُوهُمْ عندهم . ولقي حُرَيْثًا ومُوسَى
أبُو المُفَتِّشِ وأَبُو القَاسِمِ الوَرْفَجُومِي وأَبُو عَبدِ اللهِ الأَنْدَلُسِي [4] ،
وكان هؤلاء شيعةً ، فَلَقُوا صاحِبَيْهِمْ [+] ، فاخبراهم بخبر أبي عبد الله .
فنظر السُّمَاتِيُونَ إلى تعظيم الكُتَامِيِّينَ بِجَمَاعَتِهِمْ [+] له ، فَرَغِبَ كلٌّ

---

(1) ب : كذا ؛ ا : ما يكن منا يجب ذلك إليه (وفوق السطر : له)

(2) ب : كذا ؛ ا : قسطنطينية ، وفي الطرة بالكتابة الخفيفة : قسطيلية .
أعمال 446 : قصطيليه : انظر لاويكي ، لغة 463 : قصطالية ـ قصطيلية :

(3) ب : كذا ؛ ا : الجاد .

(4) كذا في ا و ب ؛ العبر 32 : . . إلى ان وصلوا إلى بلد سوماته (كذا)
وبها محمد بن حمدون بن سماك الأندلسي من بجاية الأندلس نزيلا عندهم . .

(+) ا : زيادة في الطرة : أي حريثا وموسى .

(+) ا : زيادة في الطرة : الباء بمعنى مع .

واحد منهم أن يكون نزولُهُ عندهُ حتّى رَمَوْا عليه السّهام ؛ فخرجله سهمُ أَبِي عبد الله الأندلسي فنزل عنده ونزل حُرَيْثٌ عند أَبِي المُفَتِّش ، ومُوسَى عند أَبِي القَاسِمِ . وَأَنْزَلَ السَّمَاتِيُونَ كلَّ واحد من الكُتَامِيِّينَ عند رجل منهم بحسب ما يفعلونَهُ بِالأَضيَافِ الجَمَاعَةِ إذا حَلُّوا بِالقَوْمِ . فَذَبَحَ كُلُّ وَاحِدٍ شاةً [1] لِضَيْفِهِ واحتفل في بِرِّهِ وإِكْرَامِهِ .

39 ـ فنظر أبو عبد الله إلى صدق ما وصفوه من أحوالهم ، وأتاهُ أَبُو المُفَتِّش وأَبُو القَاسِمِ الْوَرْفَجُومِي مع حُرَيْث ومُوسَى مِنَ اللَّيْلِ . فتحدّثوا عنده مَلِيًّا . ونظر أَبُو عَبْد اللهِ إلى القَوْمِ لَهُمْ من المعرفةوَالفَهْمِ أكثر مِمَّا رَآه لمن عاينه مِمَّنْ صَحِبَهُ وأَصَابَ عندهم من علم الشِّيعَةِ وفضل أهل البَيْتِ أَصْلًا قَوِيًّا ؛ فزاد في الكلام معهم والإيضاح لهم .

40 ـ فلمَّا كَانَ آخر المجلس وأرادوا القيام نظر إليه أَبُو المُفَتِّشِ وقال : واللهِ إنِّي لأَظُنُّكَ [2] صَاحِبَ البَذْرِ الَّذِي يَذكره الحُلْوَانِي ، وأخبره بخبره ، وقَام . فقال أبو عبدالله لأَبِي عبد الله الأندلسي : شيخ « كُوَيِّسٌ » [3] يعني أَبَا المُفَتِّشِ ـ فلمّا خرج أَبُو المُفَتِّش قال لأصحابه: لَوْلَا واحدة كان الحلواني يقولها ما يُخَالِجُنِي الشّكُّ في أنَّ هذا الرّجل

---

(1) ب : شاة ; ا : نقص .

(2) ا : لا أظنك ؛ ب : سقطت الجملة .

(3) كذا في ا و ب ؛ في ا : زيادة تحت السطر : أي عاقل .

هو الَّذِي كان الحُلْوانِي يُبَشِّرُ به . قالوا : وما هـو يا أبا حَيّون؟ قال : كان إذا وصفه قـال فِي فِيهِ أُصْبَـعٌ . فبلـغ ذلـك أَبَا عبد الله ، فتَبَسَّمَ وقال : هـذا لا يَكُونُ . فلمّا أخذ العهد بعد ذلـك على من سمع ذلك من أبِي المُفَتِّشِ واشْتَرَطَ الكِتْمَانَ وضع أصبعَهُ على فِيهِ وقال : هذا لهو [1] الأُصبـع الذي يقوله الحلواني ، أمركم بالصَّمْتِ والْكتمان ، فأَمّا أن يكون في فَمِ [2] رَجُـلٍ أُصْبَـعٌ فلا . قـالوا : كذلك واللهِ هُوَ ! وقام عنـدهم الشّاهد في ذلك .

14 - فلمّا انصرف القوم عنه بقي معه أَبُو عبدِ الله الأَنْدَلسي ،وكان له فهم وحدّة ومعرفة،وَكَانَ مُعَلِّمًا بالموضع،ثمّ أَوْطَنَهُ،وصار إلى درجة العلماء فيه ، وتَشَيَّـعَ ـ فما زَالَ يُطَـارِحُهُ أبو عبد الله ، و يَجِـدُ منه ما يريـده ، حتّى كَشَفَ له الأَمْرَ ، وأخــذ عليه العهد في ليلته تلك . فَيُقَالُ إِنَّهُمَا صَلَّيَا الفجر على طُهْرِ العِشاء الآخِـرة . فنام أَبُو عبد الله بعد الصّلاة ، وقـام أبو عبـد الله الأندلسي فذبـح غَنَمًا كـثيراً ومشى إلى الكُتَامِيِّينَ وقد أَخَذُوا في الرَّحِيـلِ فاقسم عليهم أن يُقِيمُوا عنده يَوْمَهُمْ ، فَشَقَّ ذلك عليهم لِقُرْبِ بَلَدِهِم . فقـال لهم : إنَّ هذا الضَّيفَ الَّذِي معكم

---

(1) ا : لهـو ؛ ب : هـو .

(2) ب : في فمِ ؛ ا : في في .

قد سَهِرَ هذه الليلة، فلمَّا صلّى نام وكَرِهْتُ إنْ مشى اليومَ أن تناله علة.
قالوا له : أمَّا إذا كان هذا مُقيمٌ، ولَوْ قدرنا أن نَقِيَهُ بأنفسنا لَفَعَلْنَا .

42 ـ فقام بضيافتهم،وجعل يَسْتَعِدُّ ما يسير به. فرآه أبُو المُفَتِّشِ وأبُو القَاسِمِ الْوَرْفَجُومي فقالا : ما هذا الذي نراك تصنعه من الزَّادِ ؟ فَقَالَ لأبِي المُفَتِّشِ : أظُنُّ أنَّ الَّذي قُلْتَ هذَا إنَّهُ صَاحِبُ البَذْرِ كَمَا قُلْتَ ، وقَدْ رَأيْتُ أنْ أصْحَبَهُ وأتعرّفَ ما عِنْدَه . قال أبُو القَاسِم: وأنا واللهِ فَاعِلٌ ذَلِك . وكان أبُو المُفَتِّشِ قَدْ خَرِفَ وضَعُفَ بَدَنُه فقال : وأنا واللهِ فَلو اسْتَطَعْتُ السَّفَرَ لَكُنْتُ مَعَكُمَا . ولكن مَتَى وقفتما منه على أمْرٍ كَتَبْتُمَا إليَّ فَحَمِلْتُ إلَيْـــهِ . ونظر مُوسَى وحُرَيْثٌ من رغبة أصحابهما فيهما ما زادهما غبطةً به، وسروراً بِقُدُومِهِمَا بِه. وبَاتَ القوم، فَلَمَّا أصْبَحُوا ارْتَحَلُوا .

القسم الثاني



٧١ ـ ذكر وصول أبي عَبْدِ الله إلى بـلد كُتَامَةَ وابتداء أمره فيه

43 ـ وسار القوم فدخلوا أحدَ بِلاَدِ كُتَامَةَ يوم الخميس للنصف من شهر ربيع الأوّل سنة ثمانين ومائتين (1)، ومعهم أبو عبد الله الأَنْدَلُسِي وأبو القَاسِم الوَرْفَجُومِي. فتنازع أبَا عبد الله كُلُّ واحد من الكُتَامِيِّين ليذهب بِهِ إلى موضعه رغبة فيـه ، وحِرْصاً عليه، حتّى صار أمرهم في ذلك إلى التَّشَاحِّ والمُنَابَذَةِ(+) ثُمَّ آل أمره إلى أن يُخَيِّرُوهُ في حيث يحبّ أن يقصد عنهم وتراضوا في ذلك فقـال في (2) أيّ موضع عندكم فَـجٌّ يُسَمَّى فَجّ الأَخيَـار ؟ فنظر (3) بعضهم إلى بعض ، كَأَنَّهُم رَأَوْا أَنَّـهُ قد علِم ذلك . قالوا : هو عِنْدَ بَنِي سَكْتَان (4) وطريقهم من هـذا الموضع فيه . قـال : فإليه نَقْصِدُ ثُمَّ نأتي كُلَّ قَوْمٍ منكم إن شاء الله في مواضعهم ، ونزورهم في

---

(1) ا و ب : كذا ؛ الكامل 127 واتّعاظ 76 : كذلك؛ العبر 32 ؛ سنة ثمان وثمانين ومائتين .

(+) ا : زيادة في أعلى الصفحة : التشاح التبادر إلى الأمر حذر فواته . المنابذة المخالفة والمفارقة عن قلى .

(2) ب : في ؛ ا : نقص .

(3) ب : فنظر ؛ ا : فينظر .

(4) ا و ب : كذا؛ الكامل 127 ؛ سليان؛ اتّعاظ 76: سليمان؛ العبر 32 : سكتان من جيلة . (وهو تحريف لجيملة أحد بطون كتامة) .

بيوتهم ؛ ولا نجعل لأحد منكم من نفسي حظا دون أحد ، فأرضاهم ذلك، وسار كلُّ قوم منهم إلى جهتهم .

44 ـ وسار أبو عَبْدِاللهمع حُرَيْثٍ ومُوسَى وأبِي القَاسِمِ الوَرْفَجُومِي وأبِي عَبْدِ اللهِ الأَنْدَلُسِيّ إلى إيكجان [1] موضع مُوسَى وحريث من بَنِي سَكْتَان . فلمَّا صار إلى فَجّ الأخيار قال لهم : هذا فَجُّ الأَخيَار ؟ قالوا : نعم : ثمّ قال له مُوسَى وحُرَيْث : واللهِ ما نعلم أنَّا ذكرنا لك هذا الفجّ ، فَمِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ اسْمَه ؟ ثمّ نراك قد عرفته دون أنْ نُعَرِّفَكَ بِهِ . قال : البُلدان تُوصَفُ للنّاس وتُذكر لهم ، وإنْ لم يَرَوْهَا . وكان بعد ذلك يقول : واللهِ ما سُمِّيَ هذا الفَجُّ إلاَّ بكم ولقد جاء في الحديث [2] : « إنَّ لِلْمَهْدِيِّ هجرةً تَنْبُو عن الأَوْطَانِ* في زمان محنَةٍ وافتتان* يَنْصُرُهُ فيها الأَخْيَار [3] من أهل ذلك الزَّمَانِ* قَوْمٌ مُشْتَقٌّ اسْمُهُمْ من الكِتْمَان [4] » . فأَنْتُمْ هُمْ كُتَامَة ، وبِخُرُوجكُمْ من هذا الفَجّ يُسَمَّى فجّ الأَخْيَار .

(1) ا و ب : كذا ؛ الكامل 127 : انكجان ؛ المقدّسي 6 : 52 ، انكجا

(2) كذا ؛ الجملة سقطت في ب .

(3) ب : الأخيار؛ ا : الخيار. (4) كذا نص الحديث في ا و ب،العبر 32 : وأن النص عنده من المهدي بذلك وبهجرة المهدي وأن أنصار الأخيار من أهل زمانه وأن اسمهم مشتق من الكتمان؛الكامل 127 : ولقد جاء في الآثار أن المهدي هجرة تبو عن الأوطان ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان قوم مشتق اسمهم من الكتمان . . . ؛ إتّعاظ 76 : ولقد جاء في الآثار: للمهدي هجرة تبو عن الأوطان ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان قوم اسمهم مشتق من الكتمان.

45 ـ ونزل أبُو عبد الله بإيكْجَان ، فأقام بـه ، وصدر عنه كلُّ من كان معه من الحجيج من كُتَامة إلى مواضعهم ، فأخبروا مَنْ قَدِموا عليه من أصحابهم باخباره ، ووَصَفُوا لهم عِلْمَه وحالَه ـ فأقبل النَّـاس اليه من كُلِّ ناحِيةٍ ، وتسامعوا به . فكان يجلس لهم ويحدّثهم بظاهر فضائل عليّ ابن أبي طالب (صلوات الله عليه ، وعلى الأئِمَّةِ مِنْ وُلْدِهِ عليهم السلام) . فإذا رأى الواحد منهم بعد الواحد قـد لَقِنَ عنه وأَحسَّ فيه مـا يُـريدُه ألقى إليه شيئا بعد شيءٍ حتى يُجيبَه فَيأْخذ عليه .

46 ـ وأخذ قبل ذلك على أبي القاسم الوَرْفَجُومي وعلى حُرَيث. فقال حُرَيْث : ما كان [1] أطْوَلَ سَفَرَ نَا مَعَكَ ! ونحن في غفلة عن مثل هـذا منك . وأتاه هَارُونُ بنُ يُونس بْن مُوسَى المَسَالْتِي [2] الذي كان يقال له : شَيْخُ المَشَايِـخِ [2] مِنْ مَسَالْتَه، فَدَعَّـاهُ وجاءه الحَسَنُ بن هارون [3]

---

(1) كذا في ا و ب ، وهو تركيب غير فصيح .

(2) كذا في ا و ب ـ وكنيته أبو موسى : انظر 109 ، ويدعى الاربابي : انظر 282 ؛ ـ العبـر 33 : هارون بن يونس ، و 37 : شيخ المشايخ ؛ اتعـاظ 95 : شيخ المشايخ (نقلا عن الكامل) 134 البيـان 160 : شيخ المشايخ .

(3) كذا اسمه في ا و ب؛ في العبر 33 : الحسن بن هارون الغساني؛ الكامل 127 واتعـاظ 78 : الحسن بن هارون وهو من أكابر كتامة .

الغَشْمِي مِنْ غَشْمَان[1] تَازْرُوت[2] ، فَدَعَاهُ ، وكان شَابًّا عَاقِلًا وَسِيمًا كَرِيمَ الأَخْلَاقِ مِنْ أَهْلِ الجِدَةِ واليَسَارِ ، وكان له أفعال جميلة ، وَفَضَائِل مذكورة. وأتاه من أَجَّانَة[3] أبو يُوسف مَاكْنُون بنُ ضُبَارَة[4] وابنُ أخِيه تَمَّامُ بنُ مُعَارِك أبو زَاكِي[5] ، ـ وهو حَدَثٌ ـ فدعاهما ، فرأى من أبي زَاكِي حركة ونباهة ونشاطـا في حوائجه ، وخِفَّةً ، ورغبـة في ذلكَ ، وحِرْصًا عليه . وكان أبو زَاكِي يَخْدِمُه بين يديه لا يفارقه . واشْتَهَرَ أمْرُهُ وهو في ذلك ظَاهِرٌ .

47 ـ ثُمَّ عَرَضت له عِلَّة من حَصَاة كانت تَعْتَرِيه[6] فتبلغ به . فقالوا له : لو أصبت حمَّامًا ، وقيل له الحمّام بِمِيلَة ، وهو قريب منك . فمضى مع رَجل من بَنِي سَكْتَان ، حتّى دخل مِيلَة . فقصد فُنْدُقًا بها

---

(1) كذا في ا و ب ؛ العبـر 33 : غسان .

(2) كذا في ا وب ؛ الكامل 128 : ناصرون ، اتعاظ 78 : تاصروت .

(3) ا وب : اجانة ؛ العبر 33 : الجاية .

(4) كذا في ا ؛ ب : ابو يوسف المكيون بن صبـارة ؛ العبر 33 و 37 ماكنون بن ضبارة ؛ البيان 164 : ماقنون بن دبّارة الأجّاني .

(5) كذا اسمه وكنيته في ا و ب ؛ وفي العبـر 37 وفي الكامل 133 ؛ وفي اتعـاظ 95 ؛ وفي البيان 136 .

(6) كذا في ا وب ؛ الكامل 131 : علة الحصى وكانت تعتاده .

كان لِفَرْجون مَوْلًى لموسى بن العبَّاس [1] صاحب ميلة [2] . فنزل فيه وجاء رجل إلى مُوسَى بن العَبَّاس فقال له : إنَّ الرَّجل المَشْرِقِيَّ الذي انتهى إليك أنّه نزل بإيكْجَان وأَنَّ النَّاسَ مِنْ كُتَامَة يأْتُونَهُ، قد دَخَلَ مِيلَة ونزل في فندق فَرْجون وفرجون قائم بين يديه . وكان من جلّة عَبِيدِهِ وَوَلَدُهُ اليومَ بِمِيلَة في ثروة وجماعة، ويُقَالُ إنَّه مات عن عِشْرِينَ وَلَداً ذُكُوراً كُلُّهُمْ يَرْكَبُونَ خَلْفَهُ إذَا رَكِبَ؛ وكان نبيلا ذا همّة وكرم ، فقال له مُوسَى مَوْلاَهُ : اذْهَبْ فَجِئْنِي بِهَذَا الرَّجلِ مِنْ فُنْدُقِكَ، فَمَا ينبغي أن تُهْمِلَ أمْرَ مِثْلِهِ . فخرج فَرْجون لِيَأْتِيَ بِهِ ، وحاسب نَفْسَهُ فيه، وذلك أنَّهُ قَدْ صار ضيفه إنْ نَزَلَ في فُنْدُقِه ، وخاف أن يكون من موسى إليه ما يكرهه ، فيكون ذلك نَقْصًا عليه . فَدَسَّ إليه من أنذره ، وأمره بالخروج . وتَرَجَّحَ [3] إلى أنْ عَلِمَ أنَّهُ قد خرج ، فأتى فُنْدُقَه ، فسأل عنه ، فقيل : خرج . فجعل يطلبه ثمّ

---

(1) ا : موسى بن عياش ؛ ب : موسى بن عباس ؛ العبر 32 : موسى بن عياش؛ اليعقوبي 11 : (يذكر حصن ميلة فيقول :) فيه رجل من بني سليم يقال له موسى بن العباس بن عبد الصمد من قبل ابن الاغلب؛ في الاموال 20 و 21 : ذكر لبني عبد الصمد من جند صقلية .

(2) كذا في ا و ب ؛ العبر 32 : صاحب المسيله ، وهو خطأ ، فالمسيلة لم تؤسس بعد ، فقد بناها علي بن حمدون بأمر من القائم الفاطمي .

(3) ا : ترجع ، ب : ترحج ، والأصح : ترّجح .

رجع إلى موسى فأخبره أنّه وجده قد خرج فاعرض عن ذكره، وَوَقَاهُ اللهُ شَرَّهُ. والبيتُ الَّذِي نَزَلَ فيه من هذا الفُنْدُق يُعْرَفُ بِنُزُولِهِ إلى اليَوْم.

48 ـ وقيل إنّه جاء على بغلة بَلْقَاء [1]، وكانت عنده زمانا طويلا يركبها. ورجع إلى إيكجان فَذُكِر طلبُ مُوسَى بْنِ العَبَّاسِ [2]، إيَّاهُ، وانتشرت أخباره في قبائل كُتَامة، وأَقْبَلوا إليه من كُلِّ ناحية. فتسامع النَّاس بأنَّه يدعو إلى أمر مكتومٍ لا يعلمونه، وأنَّ مَنْ دخل ذلك الأمر لم يُظْهِرْه ولاَ شيئا منه، فإذا ساله أخصُّ النَّاسِ به، وأَقْرَبُهُمْ إليه، وأعزُّهُمْ عليه. عمّا دخل فيه وما قِيلَ له قال: «ابْلُغْ تُوقِنْ» ـ وكانت كَلِمَةً علَّمَهُم إيَّاهَا أبُو عبد للهِ، فكانت هِجِّيرَاهُمْ (+) عند السُّؤَالِ. وسَمّاهم إِخْوَانًا، وكان إذا دَعَاهُم [3]، قال: يا أَخَانَا! وكانوا يَتَدَاعَوْنَ بينهم كذلك.

49 ـ وعُرِفَ أَبُو عَبْدِاللهِ وشُهر أمرُه بالمَشْرِقِيِّ. ومَنْ دَعَاهُ ودخل في أَمْرِهِ نُسِبَ إِلَيْه فقيل إنَّهُ مَشْرِقِيٌّ، فَسُمُّوا المَشَارِقَة. ورأى

---

(1) كذا في ا و ب؛ البيان: 125: شهباء.

(2) ا: عياس؛ ب: عباس.

(+) ا: في الطرة زيادة: الهجّيرا العادة والدأب.

(3) ا: كذا؛ ب: إذا دعا عادة أحدهم...

أهْلُوهُم منهم من الإقبال على الصَّلَاة ، والصِّيام وأعمالِ الخَيْر ، وأفعال البِرّ ، وتجنّب المعاصي ، وصلاحِ الأحوال ما دَعَاهُم إلى الدُّخول في ذلك ، فاقبلوا إليه من كلّ وجه . فكلُّ مَنْ جَاءَهُ دَعَّاهُ [1] ، وانْصَرَفَ إلَى بَلَدِهِ ، ومَوْضِعِهِ ، وأهلِه ، واخْتَلَفَ إليه يَسْمَعُهُ . ومِنْهُمْ مَنْ أقام بإيكْجَان رَغْبَةً في القربِ منه . ودَعَا جماعة من بَنِي سكْتَان فأخْلَوْا له مجلساً لِلسَّماعِ . وكانوا يُقيمُون ضِيافَةَ مَنْ يأتيه ، ويَرِدُ عليه ؛ ويحملُ المُؤمنونَ إليه، ويُنْفِقُون في ذلك، رَغْبَةً في الثَّوابِ،وتقرُّباً إلى اللهِ (عوج) بعمل الخير . وكان ذلك أوَّلَ ما حَظَّهم به من النَّفقةِ عليه، ونَدَبَهم إليه .

50 ـ وصار مَنْ وَصَل إلى الدَّعْوَةِ في قومهم كالنُّجوم في أفْعَال الخير ، يُشَارُ إليهم بالأصابع ، ويَعْجَبُ النَّاسُ من سوءِحالهم قَبْلَ دُخول الدَّعْوَةِ ، ومَا صَارُوا بَعْدَ ذلك إليه . وجَعَلَ مَنْ لم تُطَاوِعْهُ نفسُه الخَسِيسَةُ على ترك المَعَاصِي و رِيَاسَةِ الدُّنْيَا يتغامَزُ بهم ، ويَنْسُبُ الكُفْرَ ، والخروجَ عن المِلَّةِ إلَيْهم ، ويقول : لوكان هذا الأمْرُ فيه خيرٌ مَا سَتَرُوهُ ، وما هُو إلاَّ خِلَافُ دِينِ الإسْلَامِ ، وما هذا الذي يَتَصَنَّعُونَ [2] به إلَّا رِيَاءٌ يَجُرُّونَ به النَّاسَ .

51 ـ وكَثُرَ القَوْلُ في ذلك بكلّ ناحية ، واتَّصَل اشتهارُ ذلك ومـــا

---

(1) أ : دعاه ؛ ب : نقص .

(2) أ : يتضعفون ؛ ب : تحريف في الكلمة .

يُقَال فيه بمُوسَى بنِ العَبَّاسِ [1] صاحب أمر [2] ميلة. فأرسل إلَى بَنِي سَكْتَان أن يُرسِلُوا أبَا عبد الله ليستخبر أمْرَه ، ويَجْمَع بينه وبين العُلَمَاءِ عنده . فانفوا مِنْ ذَلِك وَرَدُّوا إليه وَقَالُوا : مَا كُنَّا بِمَنْ يُسَلِّم ضيفَنَا [3] إليك . فحاولهم في ذلك ، وردَّ الرَّسول إليهم ، ولطَّفَ بهم ، وحذَّرَهم عواقِبَ الأُمور وأنَّ أمـــرَه إن اتَّصل بإبراهيم بن أحمد أخرج إليهم العساكر، ونالهم من ذلك ما يَكْرَهون . فأغلظُوا له في الجوابِ . وقالوا : مَا كُنَّا بِمَنْ يُسَلِّمه، [4] ولا يَخْذُلُه، ولا يَدَعُ أحدًا تَمتَدُّ يدُه إليه ، وهو ضيفُنا وبين أظهُرِنَا . فلَمَّا يَئِسَ منهم وعلِمَ أنَّهم لا يُطِيعُونَه حَاوَلَ أن يَضُرَّهُمْ بِغَيْرِهِمْ مِنْ كُتَامَة . فأنِفُوا من ذلك أنْ يكُونُوا له يَدًا على أهل بيوتاتهم مع غيرهم .

52 ـ واتَّصَلَ خبرُ أبِي عَبْدالله بإبراهيم بن أحمد صاحب إفْرِيقْيَة فكتب إلَى مُوسَى بن العَبَّاسِ [5] عن خبره. فضعَّف مُوسَى بن العبَّاس[5] أمره، وخَاف من قدوم إبراهيم بن أحمد إنْ قدم أن يُوقِعَ به ، أو يَعْزِلَهُ ،

---

(1) أ و ب : عياس .

(2) أ : كذا ؛ ب : نقص .

(3) أ : ضيفنا ؛ ب : ضيفا .

(4) أ : كذا ؛ ب : نسلمه .

(5) أ : عباس ؛ ب : عباس .

- لِأَنَّـهُ لم يكن يَثِقُ[1] به ، وإنَّمَا كان يُكَاتبه على سَبِيل المُدَارَاةِ - وذكر جُمْلَةَ خبره فِي كِتابه ففطن إبْراهيمُ بن أحمد لأمر مُوسَى فِي ذلك .

VII - ذكر جواب إبراهيم بن أحمد لموسى بن العبَّاس (+) مع رسول من قِبَلِهِ إليه وإرساله إلى أَبِي عبد الله :

53 - قال : لَمَّا وقف إبراهيم بن أحمد على جواب موسى بن العَبَّاس (+) وعَلِمَ مُـرَادَهُ كتب إليه كتابا ، وبَعَثَ إليه بابْن المُعْتَصِم[2] المُنجِّم ، وأَمَرَهُ أن يَتَلَطَّفَ فِي إيصاله إلى أبي عَبْد الله ؛ وأَمَرَهُ أن يَخْتَبِرَ أحوَاله ، ويَأْتِيَهُ بصحيح خبره ؛ وأوْصَاه بوَصَايَا إليه ، وأَمَرَه أنْ يُبْلِغَهُ إيَّاها . فانتهى إلَى مُوسَى ابن العَبَّاسِ[3] فأَرسل مُوسَى إلى بعض بَنِي سكتان يُخْبِرُه بأَنَّ إبراهيم بن أحمد بَعَثَ برجل إلى أبي عبد الله ، ليجتمع معه ، ويَسْأَلُهُ في إيصاله إليه . فرفع ذلك إلى أبي عبد الله ، فأَذِن فيه - فبعث مُوسَى بن العَبَّاس[3] بابن المعتصم سِرًّا إلى أبي عبدِ الله كما أمره إبراهيم - وَأَنْفَذَهُ إلى الرَّجل الذي كَاتَبَهُ بذلك فأَوْصَلَهُ إليه .

---

(1) ب : يثـق ؛ ا : يشقا .

(+) ا عياس ؛ ب : عباس

(2) كذا اسمه في ا و ب ؛ في العبر 32 ، والكامل 127 ، واتعاظ 77 : اشير إلى الرسول ولم يذكر اسمه . - الارجح أن اسمه اسماعيل بن يوسف القيرواني المعروف بالطلاء ، انظر الزبيدي 263 والقفطي 313 .

(3) ا و ب : عياس .

54 ـ فَقَرَّبَهُ أبُو عَبْدِ الله ، وَأَقْبَلَ عَلَيْه ، وَقَالَ لهُ ابْنُ المُعْتَصِم:[1] إن الأَمِيرَ إبرَاهِيمَ بن أحمد وجَّهني إليك،وأمَرَني أن أبْلِغَكَ عنه ، وأنا رَسُولُهُ[2] وإنْ أذِنْتَ لِي في تأدِيَةِ ما أرسلني به إليك أدَّيت إليك ، قال له أبو عبد الله : أدِّ رِسَالتك فما على الرَّسُولِ إلَّا البلاغُ . قال وأنا آمِنٌ؟ قال:أنتَ آمِنٌ بأمَان الله فَقُلْ كلَّ مَا قالَ لك .قال : يقُولُ لكَ الأميرُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى تَعَـرُّضِ سُخْطِي والتَّوثُّبِ عَلَى[3] مَمْلَكَتي وإفساد رعيَّتي والخروج عَلَيَّ ؟ إنْ كُنْتَ تَبْتَغِي عَرَضاً مِنْ أعراضِ الدُّنيَا ، فإنَّ ذلك مِمَّا تَجِدُهُ عِنْدِي، إن كنتَ تلافَيْتَ نَفْسَكَ ورجعت عن غَيِّكَ فَاقْدَمْ إلَيَّ، فأنْتَ آمِنٌ ، فإنْ[4] أرَدْتَ المقام ببلدي أقمتَ ، وإن أحبَبْتَ الانصِرَافَ إلى الموضع الذي جئت منه،انصرفْتَ، وان كان قصدُك قَصْدَ مَنْ سَوَّلَتْ له نفسه الخلافَ على الأئمَّةِ،واستفساد جَهَلَة الأُمَّـةِ،فقدْ لَعَلَّكَ عَرَفْتَ كيف كانَتْ[5] عوَاقِبُ مَنْ مَنَّتْهُ نفسُه أمْنِيَتَكَ وسَوَّلَتْ لهُ ما سَوَّلَت نفسُكَ لكَ ، من الهلاك العاجل قَبْـلَ سوءِ المَصِيرِ في الآجـل . فلا يَغُرَّنَّكَ ما

---

(1) انظر النص مختصرا في أعمال 445 ؛ والخلاصة 32 — 33 .

(2) ا : رسوله ؛ ب : رسول .

(3) ب : على ؛ ا : في .

(4) ا : فان ؛ ب : فاذا .

(5) ب : كانت ؛ ا : كان .

رَأيتَه من إقبال هؤلاء الأَوْبَاش عليك،واتّباعِهم إيَّاكَ، فإنِّي لوْ قَدصرَفْتُ وَجْهِي إليك ،لأَسْلَمُوك ، وتَبَرَّؤُوا منك، واعلَمْ أنّي إنَّما أرَدْتُ الإعْذَار اليك ،لإظهار الْحجَّــــةِ عَلَيْكَ . وهذا أوَّلُ كَلاَمِي إليك وآخره ، لنْ أقْبَلَ لك بعده [1] تَوْبَةً،ولا أقْبَلُ لك عَثْرَةً ولا أجْعَلُ جَوَاب ما يَكُونُ مِنْكَ إلَّا النّهُوضَ بنفسي إليك بجميع أبطالِ رِجالي ، وأنصارِ دولتي، وجُملةِ أهلِ مملَكَتِي، فعِنْـدَ ذلك تَنْـدَمُ إنْ جَمَحْتَ الآن في الغَيِّ حينَ لا يَنْفَعُكَ النّدامةُ ولا يُقبَل منك التوبةُ . فإن نظرتَ في يومكَ لِغَـدِك ، فقد « أعذَرَ إليك منْ أنْذَرَكَ » .

55 ــ قال أبو عبد الله ، قد قُلْتَ فاسْمَـعْ وبلّغْتَ فأبْلِـغْ . قُـلْ لَهُ : « أمَّا ما ذكرتَ من التّهدُّدِ والوعيد فما أنا مِمَّنْ يُرَوّع بالوَعْدِ والإيعَـادِ ولاَ مِن الإبْرَاقِ والإرْعَـادِ ، ولا تَخْـويفِك إيَّايَ بأنصـار دولتك ، ورجال مملكتك أبناءِ حُطَامِ الدُّنيـا [2] وذِيَاب طَمْعِها ، الّـذين يرتاعون لكلّ بَارِقٍ، ويُجيبون كلّ داعٍ وناعقٍ . فإنّي في أنصار الدِّين وحُمَاة المُـؤمنين الّذين لا يَرُوعُهم كثرةُ أنصار الظَّالمين ، مع قول الله (ع وج) وهو أصدقُ القائلين : (كَمْ مِنْ فِئَــــةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَـةً كَثِيرَةً بِإذْنِ اللهِ واللهُ مَعَ

---

(1) ب : بعده ؛ ا : بعد .

(2) ب : كذا ؛ ا : الدين ، وفوق السطر بالكتابة الخفيفة : نيـا .

الصَّابِرين)[1]. فأمّا ما أطمع به من دُنياه، وعَرَضُهُ من زَبَدِها وحُطامِها، فلستُ من أهل الطَّمَعِ فأميلُ إليه، ولا ممّنْ يرغبُ فيما عِنْدَهُ ومَاعَرَضَه[2] فيأْتِيهِ ، وإنّما بُعِثْتُ وَرَسُولاً لأمر حَمَّ وقَرُب ، وانْتِجَازِ وعدٍ من اللهِ سَبَقَ ، ـ واللهُ لا يُخْلِفُ الميعادَ ولا يظلم إلّا من ظلم نفسَه من العباد . ـ فإن سوَّلتْ له نفسُه ما توعَّد به، ودَعَتْه إليه، فسوف يَعْلَمُ[3] أنّ الله مِنْ ورائه ، ولَنْ تُغْنِيَ عَنْهُ فِئَةٌ ولو كَثُرَتْ، وأنَّ اللهَ مع المُؤْمِنِينَ[4] فهذا جواب ما جِئْتَ به ، فَبَلِّغْهُ . ثُمَّ تَحْمِلُ رِسَالتي إليه ، وبلِّغْ عنّي ما حمّلتُكَ إيّاهُ : إنِّي أدعُوه إلى الله (عوج) وإلى كِتابه ، وإلى الإمام المَهْديّ من ذُرِّيَّةِ رسوله دعوة مُحْتَجٌّ عليه ، وأرغَبُ فيما يُنْجيه . فإنْ قَبِلَ عنّي قَبِلَ رُشْدَه ، فإنْ عَنِدَ فقد قدَّمتُ إليه المعذِرَةَ . ولو كان صاحبي لعَجَّلتُ السَّير[5] نحوَهُ ولكِنَّ لَهُ ولِمَنْ بعده مَتَاعٌ إلى حين، حتّى إذا بلغ الأَجلُ، وحَانَ الحِينُ ـ (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنقَلبٍ يَنقَلبون)[6] ـ .

---

(1) سورة البقرة ، جزء من الآية 249 .

(2) ا : من ؛ ب : تحريف في هذه الجملة . ـ أسقطنا مِنْ ليستقيم المعنى .

(3) ب : يعلم ؛ ا : تعلم

(4) الجملة مقتبسة من الآية 19 من سورة الأنفال : (وَلَنْ تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وأنَّ اللهَ مع المُؤمِنِينَ).

(5) ب : كذا ؛ ا : السير اليه نحوه .

(6) سورة الشعراء ، جزء من آية 227 ؛ ا و ب : فسيعلم ،

56 ـ ثُمَّ صرف أبو عبد الله الرَّسول على أفضل حـال . فبلَّغَ إبراهيمَ قولَه . وسَأله عن صفته، فوَصَفه حتّى كأنَّهُ يَرَاهُ . فامتقع لون إبراهيم ، وتعاظم أمر أبِي‌عبد الله ، واستهالَ خبره ، وأعرض عن ذكره ، وعَلِمَ أنّه صاحبُ قطعِ دولته . وقد كان يُعْنَى بعلم الحَدَثَـانِ ، وأخبارِ ما يكونُ ، وإنَّما بعث إليـه ليَخْتَبِر أمـرَه ، فلمّا عَلِمَ ذلك وصحَّ عنـده أُسْقِط في يديه . فكان إذا ذُكِر له فِي المَلَاءِ[1] أظهر التهاون بأمـره ، وقِلَّةَ الاكتراث به . وإذا ذُكِر له في الخَلَاءِ ومع خَاصَّتِهِ قـال : و للهِ لو دخل عَلَيَّ هـــذه المدينة من باب ، لخرجت من بَيْن يديه من باب آخر ! وللهِ لَكَأَنِّي أنظرُ أَكْسِيَةَ أصحابه منشورةً على شُرفات قَصْرِي هذا ! وقد كان يميل إلى التَّشَيُّعِ . وكثيرٌ من أهل بيته والخاصَّةِ منهـم ـ منهم السَّالِمِيُّون[2]، قَوْمٌ يَجْذَمُونَ[3] ـ فلذلك يقول ابنُ حَسَن[4] الشَّاعِر يهجو بعضهم :

---

(1) ا : الملاء ؛ ب : الخلاء ؛ والمَـلا أصحّ من الخلاء وسبب الخطـأ هو سوء الترتيب حتى سقط جزء من الجملة .

(2) ب : منهم الـساليون وقد كان منهم قـوم (كذا) ؛ ا : نقص . . وهم يُنْسَبُون إلى سَالِم بن غَلْبُون (أي الأغلب) بن عبد الله بن الأغلب ، الذي ثار على محمد I سنة 233 وقُتِلَ لذلك .

(3) لعلّ المعنى ينقطِعُون عَنْ أَصلِهِمْ والجِذْمُ هو الأصلُ .

(4) كذا في اوب؛ رياض 427 : أبو عقال بن علون ؛ معالم ج 2 ، 142 : ابو عِقال غَلْبُون بن الحسَن بن غلبون .

لوْ تَقَطَّعْت جِذَامًــا (1) أوتديَّنْتَ عَلِيًا

لم تَكُنْ فِي السَّالِمِيِّنَ حَقِيقًا سَالِمِيًّا (2)

57 ـ واسْتَعْمَلَ إبراهيمُ عَلِيَّ بنَ أبِي حَجَر (3) على قَفْصَة وقَسْطِيلِيَّة وأوصَاهُ لمّا أراد الخروج فقال : سر فيهم بِسِيرَةَ العُمَرَيْن (+) . فقال : لا والله لا أسِيرُ فيهم إلاَّ بسيرة عليّ بن أبي طالب (ع م)(4) فإن شئت وإلاَّ فَهَذَا عَهْدُكَ ، ـ وكان من أهل بَيْتِه مِمّن تشيّع ـ . فقال له إبراهيم : أفضلُ سيرةٍ والله ! فسِرْ بها . وَمَا أراك تَفْعَلُ (5) .

58 ـ وكان محمّد بن الأغْلب (6) قد ولّى سحْنُون بن سَعِيد القَضَاء ، وكان مالكيًّا ـ، أراد أن يَسْتَرضِيَ بذلك عامّةَ أهل القيروان لِمَا كان

---

(1) ا : جذاما ؛ ب : جذما .

(2) هكذا كتب الشعر في النسختين، وهو من مجزوء الرّمل. فلذلك ينبغي كتابته هكذا :

لو تَقَطّعْتَ جِذَاماً أو تَدَيَّنْتَ عَلِيًّا

لم تكنْ في السَّالِمِيِّينَ حقيقاً سالِمِيًّا

(3) ا : كذا ؛ ب : على ابن حجر (كذا) . ـ كنيته أبو الحسن انظر 289 . ـ وأبو حجر أبوه كان واليا لإبراهيم بن احمد على صقلية . انظر أعمال 474 .

(+) ا : في الطرة زيادة : يعني أبو بكر وعمر .

(4) ا : كذا ؛ ب : نقص . ـ الشيعة يدعون على علي بالصلاة والسلام ؛ أما السنة فلا يدعون إلا بالسلام ، كما هو الامر هنا . لانّ القائل من السنة .

(5) تفعل معناه : تقدر على ذلك .

(6) هو الامير محمد I ، كنيته ابو العباس .

بينه وبين أحمدَ [1] أخيه ما كان . فنصَروهُ . فأنكرَ عليه ذلك أهلُ بَيْتِهِ فلمّا مات سحنونُ ، اجتمع أصحابُهُ، فدبّروا مع ابنه محمّد أن يأتي محمَّد بن الأغلب فيُخبِرَه بموت أبيه ، ويَذكُرَ له أنّه [2] أوصاهُ أنْ يُصلِّيَ عليه ، وقالوا فهو لا يَستَبِدّ [3] من ذلك ، وإذا أتى وصلّى تكلّمْنا فيكَ أنْ يَستَقْضِيَكَ . وواعَدوا جماعة من العامّةِ إذا كان ذلك أن يَصيحوا ويتكلّموا . فأتى محمَّد بن سَحنون إلى محمَّد بن الأغلب بذلك ، وَوَاعَدَهُ صلاةَ العَصْرِ . وأخرجَ نعشُ سَحنُون إلى السَّبْخَةِ ممّا يلي دارَهُ . وخرج محمَّد بن الأغلب فخرج جماعةٌ من أهل بَيْتِهِ ورِجالِهِ من القصْر القديم . فلمّا انتهوا إلى الْمارُونِيَّةِ ، نزلوا إليه ، فوقَف لهم ، وقال : ما الّذي أنزلكم ؟ قالوا : خرجت لتصلّيَ على سَحنُون، فلَمْ يُمكِنّا التّخلُّفُ عنك ، وقد علِمْتَ ما بَيْنَنَا وبَيْنَهُ وأنّهُ [4] يُكفّرُنَا ونُكفّرُهُ ، فإن صلّيْنَا عليه رأى النّاسُ أنّا قد رَضِينَا حالَهُ. قال : فما تُريدُون ؟ قالوا : تُعْفِينَا مِنَ الصّلاةِ عليه . قال : قد أعفيتُكُمْ . قالوا : فَنُقيمُ هَهُنَا

---

(1) أحمد بن زيادة الله بن إبراهيم بن الاغلب ، ثار على أخيه محمد I .

(2) ب : انه : ا : ان .

(3) ا : فهولاء يستبد ؛ ب : تحريف كثير في الجملة.

(4) ا : ان ؛ ب : تحريف .

لِأَنَّا إنْ وَصَلْنَا معك إلى الجَنَازَةِ لَمْ يَرَ النَّاسُ إلاّ أنَّا [1] صلَّيْنَا عليه . قال افْعَلُوا [2] . فنزلوا في الْهَارُونِيَّةِ وفُرِشَتْ لَهُمُ اللُّبُودُ وجلسوا . وتقدّم محمّدُ بنُ الأغلبِ في عَبِيدِهِ ، فَصَلَّى عَلَى سَحنُون . وأَخْبِرَ أهلُ القيروان بخبرهم ، فَحَلَّ ذلك مِمَّا عَقَدُوهُ ، وَتَكَلَّمُوا فِيمَا كانُوا يُدَبِّرُونَهُ [3] . فلم يَلْتَفِتْ إليهم مُحَمَّد ، وانْصَرَفَ [4] .

59 ـ وكانوا لهذا التَّشَيُّعِ الَّذِي كان فيهم يَرْوُونَ أخبار المهدي [5] (ع م) وما [6] جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ويَدْرُسُون كُتُبَ الحَدَثَانِ والإخْبَارِ عَمَّا يَكُونُ . وكَان إبراهيم قد أَوْعَبَ [7] من

---

(1) ب : أنا ؛ ا : ان .

(2) انظر رياض 288 ومعالم ج 2 ، 66 (نقلا عن رياض) : واستعفى رجال ابن الأغلب من الصلاة عليه وقالوا : « قد علمت ما بيننا وبينه وانه يكفّرنا ونكفّره » ـ لان اكثرهم كانوا معتزلة ـ « وإنما خرجنا طاعة لك . فإن صلينا عليه رأى الناس أنا رضينا حاله » ، فأعفاهم فتقدم وصلى في عبيده وعامة أهل السنة وجماعة المسلمين .

(3) ا : يديرونه ؛ ب : يديرونه .

(4) ا : كذا ؛ ب : زيادة بعد وانصرف : عليه السلام ؛ وهو دليل على سقوط سطر كامل .

(5) هذا السطر سقط من ب .

(6) ب : كذا ؛ ا : بياض قدره كلمة وفي الطرة ما جاء .

(7) ب : أوعب ؛ ا : كال .

جميع ذلك وطلبه وانتهى إليـه عن شَيْخٍ بِقَرْيَةٍ من قرى تونس يُقَالُ لها قرية الخِرْبَتَيْنِ ، ـ أنَّ قِبَلَهُ عِلْمُ الحَدَثَانِ ، وكان شاعرا. فأمر بحمله إليه ، ـ وكان قد خَرِفَ ـ ، فَسَأَلَهُ . فَاعْتَذَرَ بِالكِبَرِ ، وأنه سَقَطَ عَنْهُ عِلْمُ أَكْثَرِ ذَلِكَ . فَلاَطَفَهُ ، وَبَـــذَلَ لَهُ ، وقَالَ : لاَ بُدَّ أن تَذْكُرَ لِي مَا عِنْدَكَ فِي ذَلِكَ . فَقَالَ [1] لَهُ فيه شِعْراً كان قد فَشَا ، وكانوا يَرْوُونَهُ وَيُنْشِدُونَهُ وعَرَّضَ لَهُ فيه ولَمْ يُفْصِحْ .

60 ـ وهو الشعر الذي أوّله :

أَقُـــولُ وَأَسْلَمْتُ القَـرِيضَ لِأَهْلِـهِ
وَعِشْتُ زَمَاناً وَهْوَ خَـــيْرُ مُكَاعِبِ [2]

أَمِنْ بَعْـــدِ تِسْعِـينَ سِنِينًـا أَعُـدُّهَا
وَأَرْبَعَـةٍ مِنْ بَعْـــدِ ذَاكَ رَوَاتِـبِ [3]

أُزَاحِمُ أَهْـلَ الشِّعْـرِ بِالشِّعْرِ نَاجِـزاً
أَبَى اللهُ هَـذَا بَعْدَ أَنْ جُبَّ غَارِبِي [4]

---

(1) ب : فقال ؛ ا : وقال .

(2) من الطـويل .

(3) ا : رواتب ، أي ثابتة ؛ ب : روابت ، ولا معنى له .

(4) ا : حب ، أي قُطِعَ وانكسر ؛ ب : تحريف كثير في الكلمة .

وَلَكِنَّنِي أَرْجُو مِنَ اللهِ عَفْوَهُ
بِأَوْبَةِ مَأْمُونِ السَّرِيرَةِ تَائِبِ [1]

وَآمَلُ غُفْرَانًا بِفَضْلِ تِلَاوَةٍ
أُرَدِّدُهَا لَيْلِي بِفِكْرَةِ آيِبِ

صَرَفْتُ أُمُورِي لِلَّذِي أَنَا عَبْدُهُ
إِلَاهِي رَبِّ العَرْشِ مُعْطِي الرَّغَائِبِ

فَلَسْتُ حَيَاتِي سَائِلًا غَيْرَ ذِي العُلَا
وَإِلَّا قَحَفْتُ [2] مِن يَمِينِي رَوَاجِبِي [2]

أَلَا يَا أَمِينَ اللهِ وَابْنَ أَمِينِهِ
وَعَاشِرَ سَادَاتِ المُلُوكِ الأَغَالِبِ [3]

وَجَدْتُ كِتَابًا قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ
رِوَايَةَ أَشْيَاخٍ كِرَامِ المَنَاسِبِ [4]

---

(1) ا : كذا ؛ ب : تحريف كثير في العَجُز والصَّدر الذي يليه.

(2) ا : فحبت ، ولا معنى له ؛ ب : تحريف كثير في البيت . ـ ومعنى العَجُز : قَحَفْتُ رَوَاجِبِي مِنْ يَمِينِي : قَطَعْتُ مَفَاصِلَ أصابعي من يدي اليمنى .

(3) إبراهيم بن أحمد تَاسِعُ المُلُوكِ الأغالِبِ لا عاشِرُهُمْ .

(4) لعلّ هذا الكتاب هو كتاب الجِرْبِي (والأصح الجَرْبِي نسبة إلى قرية الجَرْبَتَيْنِ التي منها هذا الشيخ الشاعر) الذي ذكرهُ البَكْرِي 69 و 87 .

رِوَايَةَ وَهْبٍ عَنْ سَطِيحٍ وَدَنْيَالٍ
مَشَايِخِ عِلْمٍ صَادِقٍ غَيْرِ كَاذِبِ
تَتَابَعُ رَايَاتٌ مِنَ الشَّرْقِ سَبْعَةٌ
إِلَى الغَرْبِ سُودٌ خَافِقَاتُ الذَّوَائِبِ [1]
يَسِيرُ بِهَا خُزْرُ العُيُونِ تَرَاهُمُ
مَبَاسِمُهُمْ شُمْطٌ طِوَالُ الشَّوَارِبِ
وُلَاةُ [2] بَنِي العَبَّاسِ عِشْرُونَ وَالِيًا
تَدِينُ لَهُمْ بِالرَّغْمِ أَرْضُ المَغَارِبِ
وَفِي السِّتِّ وَالتِّسْعِينَ تَهْبِطُ رَايَةٌ
مِنَ الغَرْبِ فِي جَمْعٍ كَثِيفِ المَوَاكِبِ
يُمَزِّقُ أَرْضَ البَرْبَرِيَّةِ جَمْعُهُمْ
بِخَيْلٍ كَأَمْثَالِ القَطَا المُتَسَارِبِ
وَتَطْلُعُ شَمْسُ اللهِ مِنْ غَرْبِ أَرْضِهِ
فَلَا تَوْبَةٌ تُرْجَى هُنَاكَ لِتَائِبِ
وَيَظْهَرُ مِنْ أَبْنَاءِ فَاطِمَةَ امْرُؤٌ
تَقِيٌّ نَقِيُّ العِرْضِ جَمُّ المَوَاهِبِ

---

(1) ب : سبعة ؛ ا : سبقه ، وهذا ضعيف المعنى .

(2) ا : بياض قدره سطران ؛ ب : ويقول فيها ايضا .

سَمِيُّ نَبِيِّ اللهِ وَابْنُ صَفِيِّهِ
وأَكْرَمُ مَوْلُودٍ وَأَشْرَفُ طَالِبِ

فَيَمْلَأُ أَرْضَ اللهِ عَدْلًا وَرَحْمَةً
لِأَيَّامِ صِدْقٍ طَيِّبَاتِ الْمَكَاسِبِ

وَبِالأَعْوَرِ الدَّجَّالِ يَنْهَدُّ جَمْعُهُ
سِوَى عُصْبَةٍ فِي بَاذِخِ الطَّوْدِ رَاتِبِ

وَيَقْتُلُهُ مِنْ بَعْدِ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ
بِقُدْرَةِ رَبٍّ مَالَهُ مِنْ مُغَالِبِ

وَمِنْ بَعْدِهَا مَوْتُ ابْنِ مَرْيَمَ مَقْضِيًّا
إِلَى اللهِ فِي حُكْمٍ مِنَ اللهِ وَاجِبِ

61 ـ فَعَرَّضَ له [1] فيها، ولم يُصَرِّحْ ؛ وَفَرَّقَ بَيْنَ أَبْيَاتِهَا وَأَغْمَضَ لَهُ بِمَعَانِيهَا . وَكَانُوا يَرْوُونَهَا ، وَيُنْشِدُونَهَا . وَيُنْشِدُونَ شِعْرَ ابْنِ عَقِبٍ [2] الَّذِي يَقُولُ فيه :

---

(1) أي للمهدي .

(2) ا : شعر بن عقب ؛ ب : شعر ابن أبي عقيت ؛ المقدمة 341 : ابن عقاب : الجاحظ ج 2 ، 231 : ابن العقب ؛ الاغاني ج 1 ، 169 : ابن أبي عقب ـ واسمه يحيى بن عبد الله بن ابي عقب الليثي .

قَدْ قُلْتُ لَمَّا طَارَ عَنِّي الكَرَى
حَتَّى مَتَى ذَا اللَّيْلُ لَا يُصْبِحُ [1]
عَذَّبَنِي الحُزْنُ وَفَقْدُ الكَرَى
كِلَاهُمَا أَقْسَمَ لَا يَبْرَحُ
وَكَيْفَ لَا يَحْزَنُ مَنْ لَا يَرَى
بِأَنَّهُ يَبْلُغُ يَا مَسْطَحُ [2]
دَهْرًا يَرَى فِيهِ إِمَامَ الهُدَى
بِاللهِ بِالمَغْرِبِ يُسْتَفْتَحُ
وَيَبْتَنِي البَيْضَاءَ [3] فِي لُجَّةٍ
خَضْرَاءَ فِيهَا نُونُهَا يَسْبَحُ
يَنْجُو مِنَ الأَهْوَالِ سُكَّانُهَا
والأَرْضُ مِنْهَا كُلُّهَا تُفْتَحُ
لَوْ مُدَّ مِنْ عُمْرِي إِلَى عُمْرِهِ
لَكُنْتُ فِي القَرْنِ الَّذِي يَفْلَحُ

---

(1) من السَّرِيع .

(2) لعلّ في هذا تلميح الى الكاهن سَطِيح .

(3) هو لَقَبُ المَهْدِيَّة في حَدَثَان الشِّيعَةِ ومَلاحِمِهِمْ ، أنظر : 296 .

هَيْهَاتَ مَــاذَا العُمْــرُ مِمَّــا أرَى

فِيمَا أرَى المَوْتَ بِــهِ يَسْمَــحُ

62 ـ وَقَوْلُهُ أيْضًا

اسْتَمِعِ الحَقَّ وَدَعْ عَنْــكَ اللَّعِبْ

وَهَاكَ قَــوْلًا صَادِقًــا غَيْرَ كَـذِبْ [1]

إذَا أرَى الكَوْكَبَ الطَّوِيلَ الذَّنَبْ [2]

فَـذَاكَ حَدَثٌ ظَاهِــرٌ قَدِ اقْـتَرَبْ

فِي السِّتِّ وَالتِّسْعِينَ [3] يَأْتِيكَ العَجَبْ

بَعْدَ كَمَالِ المِائَتَيْنِ مِنْ رَجَبْ

مِنْ جِيجِلَ يَنْقَضُّ جَيْشٌ ذُو لَجَبْ

أمْضَى مِنَ الجَمْرِ إذَا الجَمْرُ التَهَبْ

مِنْ بَرْبَرٍ يَسْعَوْنَ فِي كُلِّ حَدَبْ

رُكْبًا رِجالًا مَا يَمَلُّونَ التَّعَبْ

---

(1) من الرّجز .

(2) هو زُحل ويعرف باللّغة العامية التونسية « بِنَجْم بُوذِيلْ » أي النَّجْمُ ذُو الذَّيْلِ .

(3) أي في السنة (296 هـ .) التي يفتح فيها أبو عبد الله الداعي إفريقية.

قَدْ مَلَؤُوا المَشْرِقَ خَوْفًا وَرَهَبْ

وَأَنْزَلُوا بِالغَرْبِ ذُلاًّ وَنَصَبْ

تِسْعُونَ أَلْفًا بَيْنَ رَأْسٍ وَذَنَبْ

سِيمَاهُمُ الحِقْدُ وَإِظْهَارُ الغَضَبْ

وَفِيهِمْ خِلْطُ قُرَيْشٍ وَعَرَبْ

بِكُلِّ سَيْفٍ قَاطِعٍ إِذَا ضَرَبْ

حَتَّى إِذَا جَازُوا صُعُودًا وَصَبَبْ

فِي كُلِّ جَيْشٍ رَايَةٌ مِنَ العُصَبْ

يَغْرِزُهَا الرَّاكِبُ فِي عُودِ الرَّكَبْ

يَقُودُهُمْ كَهْلٌ عَلِيمٌ بِالكُتُبْ

يَأْوِي إِلَى الحَزْمِ إِذَا الخَطْبُ اضْطَرَبْ

وَيَأْخُذُ الأَمْرَ البَعِيدَ مِنْ كَثَبْ (+)

تَنْقَلِبُ الدَّوْلَةُ فِيمَا تَنْقَلِبْ

مَهْدِيَّةً فِي نَصِّ أَسْفَارِ الكُتُبْ

عَنْ دَانِيَالٍ وَسَطِيحٍ فِي العَرَبْ.

63 ـ ولَمَّا صَارَ أَبُو عَبْدِ اللهِ إِلَى رَقَّادَةَ أَنْشَدَهُ أَبُو اليُسْرِ [1] هَـذَا

(+) ا : في الطرة زيادة : أي قريب.

(1) ا و ب : كذا ، البيان 163 : أبو اليسر ابراهيم بن محمد الشيباني البغدادي المعروف بالرياضي .

الشِّعْرَ ، وقالَ لَهُ : كُنَّا نَرْوِيهِ فِي سَنَةِ التِّسْعِينَ (1) يَأْتِيكَ العَجَبْ ، فَلاَ نَرَاهُ إِلَّا كَانَ مُسْتَحِيلاً وصِحَّتُهُ فِي السِّتِّ وَالتِّسْعِينَ . وكَذَلِكَ جَاءَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ إِنَّمَا هُوَ فِي سَنَةِ التِّسْعِينَ . فَلَمْ يُعْلَمْ اسْتِحَالَةُ ذَلِكَ حَتَّى كَانَ دخولَ أبي عبد الله إفريقية في سَنَةِ سِتٍّ وَتِسعِينَ (2) فَفِيهَا كَمُلَ أَمْرُ أَبِي عَبْدِ اللهِ ، وَقَوِيَ ، وَاشْتَدَّ ، ولَمَّا أنشدَ أَبُو اليُسْرِ هذا الشّعر أباعبد الله وكان بِحَضْرَتِهِ شُيُوخُ أَهْلِ القَيْرَوَانِ قال ابن عَبْدُون (3) :

ما سمعنا بِشَيْءٍ مِنَ الحَدَثَانِ كَانَ أَصَحَّ مِنْ هَذَا .

64 ـ وكان إبراهيم بن أحمد قد اعتقل رجلا في حَبْسِهِ من أهل بَاغَايَة يقال له كَرِيمُ بن زُرْزُرْ،(4) لأمر نَقَمَهُ عَلَيْهِ . فَهَرِبَ مِنْ حَبْسِهِ ، فأتى بَنِي مَالِكِ بِبِلِزْمَة مُسْتَجِيراً بهم من إبراهيم بن أحمد، فأجاروه.وذلك قبل أبي عبد الله بزمان طويل. فوجّه إبراهيم في طلبه، فَمَنَعُوهُ . فخرج

---

(1) أي في سنة 290 .

(2) كذا ورد كامل هذا السطر في ب ، وهو ضروري في النص ليستقيم النص ؛ ا : سقط هذا السطر كما يدل على ذلك بياض جليّ .

(3) ا و ب : كذا : طبقات 140 و 237 محمد بن عبدون بن أبي ثَوْر ، أبو العباس .

(4) ا كذا ، ب : زرزور ، ويقال بالعامية التونسية زَرْزُور ، وهو نوع من العصافير .

إليهم بنفسه في عسكر، فلم يستطِعْهُم . فانصرفَ عنهم [1] وأظهر لهم الصَّفْحَ والعَفْوَ إلى أن أتاه قوم منهم ، فَكَسَاهُمْ وَحَمَّلَهُمْ [1] ، وأحسن إليهم ، وولَّاهم الْوِلَايَاتِ . فَتَسَارَبُوا إليه . وجعل يفعل ذلك فيهم حتّى اجتمع منهم نَحْوٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ.[2] وكان قد أنزلهم بِرَقَّادَة في مكان أدَارَ عليه سُوراً ، وجعل عليه بَاباً ، ـ وكان بقرب فُنْدُقِ البِلَزْمِيِّينَ . فلمّا اجتمعوا، وأيْقَنَ أنّهُ لا يأْتيه غيرُهم ، أغلق عليهم الباب في اللّيل من خارج وأحاط عليهم بالعبيد ، فقتلوهم عن آخرهم [3] . وكان بِبِلِزْمَة رجل من أهل نَفْطَة ، كان شِيعِيًّا، وكان يذكر انقطاع أمر بني الأغلب؛ فَطُلِبَ، فصار الى بِلِزْمَة . ـ وكان شاعرا ، يقال له مُحمّد بن رَمَضَان ـ . فَتَحَرَّمَ بِبَنِي مَالِكٍ ، ـ وكان يَمْدَحُهُمْ ـ فَحَمَوْهُ ، ومَنَعُوهُ . فاتّصل بهم قَتْلُ إبراهيم البِلِزْمِيِّينَ ، وهو عندهم ، فقال في ذلك :

---

(1) ا كذا ؛ ب : سقط هذا السّطر.

(2) كذا في ا و ب : البيان 123 : سبعمائة رجل .

(3) البيان 123 : ركب (أي إبراهيم بن أحمد) الى دار البلزميين فقتلهم عن آخرهم بعد ان دافعوا عن انفسهم إلى وقت العصر . . .

65 ـ جَلَّ المُصَابُ لَئِنْ كان الَّذِي ذَكَرُوا

مِمَّا أَتَتْنَا بِهِ الأَنْبَاءُ وَالخَبَرُ [1]

عَنْ أَلفِ أَرْوَعَ كَالآسَادِ قَدْ قُتِلُوا

لِسَاعَةٍ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ إِذْ غَدِرُوا

لَوْ كَانَ مَنْ بَيَّتَ [2] الآسَادَ أَيْقَظَهُمْ

حَلَّتْ بِهِ مِنْهُمُ الأَحْدَاثُ وَالغِيَرُ

قُلْ لِابْنِ أَحْمَدَ إِبْرَاهِيمَ مَالِكَةً

عَنِ الخَبِيرِ بِمَا يَأْتِي وَمَا يَذَرُ

عَنِ المُشَرَّدِ فِي حُبِّ الأَيِمَّةِ مِنْ

آلِ النَّبِيِّ وَخَيْرِ النَّاسِ إِنْ ذُكِرُوا

اِعْلَمْ بِأَنَّ شِرَارَ النَّاسِ أَطْوَلُهُمْ

يَدًا بِمَكْرُوهِهِمْ يَوْمًا إِذَا قَدِرُوا [3]

لَاسِيَّمَا الضَّيْفُ والجَارُ الغَرِيبُ وَمَنْ

أَعْطَوْهُ ذِمَّتَهُمْ مِنْ قَبْلِ مَا خَفَرُوا

---

(1) من البحر البسيط .

(2) أ : بيت؛ ب: بني ، بني الآساد: لا معنى له ولا يستقيم به الوزن وبيّت الآساد بمعنى هجم عليها ليلا .

(3) ب : تحريف كثير في البيت كما في الابيات السابقة .

فَمَا اعْتِــــذَارُكَ مِنْ عَارٍ وَمَنْقَصَــــةٍ
أَتَيْتَهَــا عَــامِــدًا إِنْ قَامَ مُعْتَذَرُ [1]
جَرَّعْتَ ضَيْفَكَ كَــأْسًا أَنْتَ شَارِبُهَا
عَمَّا قَلِيلٍ وَأَمْــــرُ اللهِ يُنْتَظَــــرُ
فَــدَوْلَةُ القَــائِمِ المَهْدِيِّ قَــدْ أَزِفَــتْ
أَيَّامُهَـــــا وَالَّذِي أَنْبَـــا بِهِ الأَثَرُ
عَنِ النَّبِيِّ وَفِيهَــا قَــطْــعُ مُــدَّتِكُــمْ
يَــا آلَ أَغْلَبَ أَهْلَ الغَــدْرِ فَاقْتَصِرُوا
وَقَطْعُ أَمْــرِ بَنِي العَبَّــاسِ بَعْدَكُمْ
وَقَطْعُ آلِ بَنِي مَرْوَانَ [2] إِذْ بَطِــرُوا

66 ـ فَيُقَالُ إِنَّهُ لما انتهى هــــذا الشِّعر إلى إبراهيم، سَأَلَ عن قائِله، فَأُخْبِرَ بِخَبَرِهِ. فقالَ: لَعَنَ اللهُ مَنْ طَلَبَهُ، وَشَرَّدَهُ، فَمَا مِثْلُ هَــذَا يُؤْذَى. وَلَوْ أَتَانَا لَصَفَحْنَا عَنْهُ وَأَحْسَنَّا إِلَيْهِ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ فِي الْوَفَاءِ لِمَنْ أَجَارَهُ وَصَنَعَ الْمَعْرُوفَ إِلَيْهِ. وَمِثْلُ هَذَا تُذْكَرُ عِنْدَهُ الصَّنَائِعُ وَمَا يُنْقَمُ [3] عليه تَشَيُّعُهُ، بل ذلك مِمَّا يُقَرِّبُه مِنَّا، وَيُدْنِيهِ عِنْدَنَا. فَأَبْلِغُوهُ عَنَّا ذَلِك، فَإِنْ أَحَبَّ الْقُدُومَ إِلَيْنَا، فهـو آمِنٌ وله عندنا مع

---

(1) مُعْتَذَرٌ مصدر ميمي من اعتذار.
(2) أي بنو مروان بالأندلس.
(3) ب: ينقم؛ ا: ينتقم.

ذلك الجَاهُ [1] والإكْرَامُ . فانتهى قولُه الى محمَّد بن رَمَضَان فَعَلِمَ أَنَّهُ إنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَدْرِجَهُ . وقال لَهُ بَعْضُ مَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَأَنْشَأَ يَقُول :

لَوْ لَمْ أُعَايِنْهُ يَصِدْ   بِجُبِّهِ لَلَقَطتُ حُبَّهُ [2]
مَنْ ذَا يُغَرُّ بِغَادِرٍ   مَا أَنْ يَخَاف اللهَ رَبَّهْ

67 ـ وكان محمّد بن رَمَضَان هذا يذكر المَهْدِي كثيراً في شِعره يَقُولُ فِيه :

سَلَا ظَبْيَةَ القَنَّاصِ أَيْنَ احْتِلَالُهَا
فَقَدْ هَاجَنِي تَقْتِيرُهَا وَامْتِدَالُهَا [3]
لَعَلَّ الَّتِي عَنْهَا تَفَرَّقَ أَهْلُهَا
فَبَادَتْ [4] مَغَانِيهَا وَطَالَ اخْتِبَالُهَا

---

(1) ا : الحيأ (كذا) ؛ ب : الحياء ، لعلّه الجاه ؟

(2) ا : يصيد . أثبتنا « يَصِدْ » لضرورة الوزن ؛ ب : تحريف كثير في البيتين . ـ والشعر من مجزوء الكامل: مستفعلن ـ متفاعلن ـ مستفعلن ـ متفاعلاتن.

(3) من الطويل . ـ ا : تقتيرها وامتدا لها ؛ ب : سقط هذا العجز .

(4) ب : فبادت ؛ ا : فبادرت .

أَرِقْتُ لَهَا مِنْ بَعْدِ أَنْ نَامَ إِنْسُهَا
حَنَاطٌ فَمَا[1] رَامَ الظِّبَاءَ جَمَالَهَا
فَعُدْ عَنِ الدَّارِ الَّتِي بَانَ أَهْلُهَا
وَعَنْ كَيْفَ مِنْ بَعْدِ البِلَى صَارَ حَالُهَا[2]
فَهَذَا أَوَانُ الْحَقِّ قَدْ حَانَ حِينُهُ
ودَوْلَةُ أَهْلِ البَغْيِ آنَ زَوَالُهَا
كَأَنِّي بِشَمْسِ الأَرْضِ قَدْ طَلَعَتْ لَنَا
مِنَ الغَرْبِ مَقْرُونًا إِلَيْهَا هِلَالُهَا
فَيَمْلَأُ أَرْضَ اللهِ قِسْطًا بِعَدْلِهِ
بِمَا ضَمَّ مِنْهَا سَهْلُهَا وَجِبَالُهَا
وَآمَنُ فِيهَا مَا أَخَافُ وَأَتَّقِي
وَأَظْفَرُ بِالزُّلْفَى بِهَا[3] وَأَنَالُهَا

فأدرك محمَّد بن رَمَضَان هذا أَيَّامَ المَهْدِي (ع م) ، وَقَدْ خَرِفَ ، وَاسْتَقْضَاهُ عَلَى مِيلَة. وكَانَ بِهَا، وَمَاتَ (رحمة الله عليه) وهو قَاضٍ عَلَيْهَا.

---

(1) ا : حاطيلا (كذا) ؛ ب : حناطيل (كذا) ؛ الحَنَاطُ ، ذات الجلد الاحمر ، وهكذا يستقيم المعنى لان لون الظبي قد يميل الى الاحمر القانيء .

(2) ب: ورد هذا البيت قبل البيت السابق، وهذا الترتيب عقيم لا يلائم السياق.

(3) بها ، أي بالارض كما يقتضي السياق والوزن : ا : منه وفوق السطر : بها ؛ ب : بها .

68 ـ وكان يَعْقُوبُ بْنُ الْمضَاء[1] ، مِنْ بَنِي الأَغْلَب ، له ضِيَاعٌ بناحية جَمَّة . وكان ربَّما أتاها ، فيأتي الجزيرةَ الَّتِي بُنِيَتْ عَلَيْهَا المَهْدِيَّةُ، فيقفُ بِهَا ويَدُورُ فيها، ويَنْظُر إليها، ويقول: هذه صِفَةُ الجزيرة التي يقال إنَّ المهديَّ يبني مدينته عليها . والله ما أُعلم على ساحل إفْرِيقيَةَ مَوْضعاهو أشبه بما وُصِفَ مِنْ هذا المكان. والأَخْبَار والأشعار في هذا كثيرةٌ تخرج عن حدِّ هذا الكتاب . وإنَّ الشِّيعة يَرْوُونَهَا ، ويَذْكُرونَها . وقد جاءت بها الرِّوايات[2] والأخبار وبُشِّرَ بها كما جاءت الأَخْبَارُ بمبعثِ رسول الله (صلّى الله عليه وعلى آله) من قبل أنْ يُبْعَثَ . ورَوَاهَا وذَكَرَهَا كَثِيرٌ مِنَ العَرَبِ فِي الشِّعْرِ والأَخْبَارِ ، كَأُمَيَّة بن الصَّلْت[3] ووَرَقَة بن نَوْفَل[4] وزَيْد بن عَمْرو[5] وأسعد بن

---

(1) اسمه يعقوب بن المضا بن سوادة بن سُفيان (أخو الاغلب) بن سالم بن عقال ، ابناؤه كانوا قوادا بصقلية ، انظر اعمال 473 — 474 .

(2) ب : كذا ؛ ا : وقد جاءت الرواية والاخبار وبشر بها (بياض قدره كلمة وفي الطرة : كما جاءت) الاخبار . . .

(3) كذا في ا و ب ، وهو أمية بن أبي الصلت .

(4) ا : كذا ؛ ب : تحريف .

(5) اسمه زيد بن عمرو بن نفيل . . . بن عبد العزّى بن لؤي .

كرب [1] وقُسُّ ابن سَاعِدَة [2] وخالد بن سِنَان [3] وغيرهم .

69 ـ ولَمَّا [4] قَوِيت أمور أبي عبد الله وظهرت ، صنَعَ إبراهيمُ ابن أحمد صُنْعَ محمّد بن يَعْفُر ملك اليَمَنِ الّذي قدّمنا ذكره. فانسلخ من الإمارة وأظهر التوبة وردَّ أكثر ما اقتطع ، وفرّق الأموال في النّاس ولبس الصُّوفَ ، وأظهر النُّسك ، وخرج الى مَلِكِ الرُّومِ غازياً ، وأقام ابنه أبا العبّاس وسنذكر أخباره .

70 ـ وكان خروج إبراهيم بن أحمد من إفْرِيقْيَة وركُوبه البحر ، في رجب، سنة تسع وثمانين ومائتين، لمَّا نَظَرَ الى سنة تِسْعِينَ الّتي جاءت بها الرّوايات قد قَرُبَتْ . ووصل الى صِقِلّيَة ، وخرج منها الى طَبْرَمِين فَافْتَتَحَهَا يوم الأحد لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ شَعْبَان من هذه السنة. وكان عندما أراد الخروج في البحر بذل العطايا للفارس عشرين ديناراً، ولِلرَّاجِل عشرة . فاجتمعت له عساكر كثيرة . وكان يقول لا أرجع الى إفْرِيقْيَة

---

(1) ا : كذا ؛ ب : تحريف ، والارجح أنه : تُبَان أسعد أبو كرب (تُبّع II) بن كَلى كرب بن زيد (تُبّع I) بن عمرو . . . . ، انظر في شأنه ابن هشام ج 14,1 .

(2) ا : قيب بن ساعدة ؛ ب : قيس بن ساعة(كذا).

(3) ا : سبلى (كذا) ؛ ب : بيلى (كذا) .

(4) ا : بياض وفي الطرة : لما ؛ ب : ولا .

أَبداً . وتَقَدَّمَ مِنْ طَبْرَمِينَ الى كُشْتَه[1]. فحاصرها. فاعتلّ وهو محاصر لها بِعِلَّةِ البَطْنِ [2] . فمات يوم السّبت لثلاث عشرة ليلة مَضِينَ من ذِي القعدة [3] من هذه السّنة . وكان تَسَاقُطُ النُّجوم قبل موته لخمس ليال ، ليلة ثَمَانٍ من هذا الشّهر [4] . وكانت ليلة عشر من تشرين الاوّل ـ وهو اكتبر [5] ـ وكانت وِلاَيَتُهُ منْذُ ولي الى ان مات ثماني وعشرين سنة،وستّة أشهر وأياما [6]. وانصرف العسكر إلى صقليّة وجيء بإبراهيم ميتا فدفن بها [7] وانصرف بالجيش زيادة الله إلى أبيه أبي العبّاس واتّصل به أنّه يريد الوثوب عليه فقبض عليه ، وقَيَّدَه ، واعتقله وسنذكر أخباره بعد هذا ، ان شاء الله (تعٓ) .

---

(1) كذا في ا و ب : الكامل 6 وأعمال 443 : كستة .

(2) كذا في او ب : الكامل 6 : علة الذرب.والذَّرْبُ داءٌ في الكَبَد.

(3) كذا في ا و ب ، الكامل 6 : ليلة السبت لاحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة تسع وثمانين ومائتين ؛ أعمال 443 : ليلة السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة تسع وثمانين ومائتين .

(4) كذا في ا و ب : البيان : وفيها (أي سنة 289) تساقطت النجوم لثمان بقين من ذي القعدة .

(5) ا : اكتبر ؛ ب : اكتوبر .

(6) كذا في ا و ب : الكامل 6 : وكانت ولايته خمسا وعشرين سنة .

(7) كذا في ا و ب ؛ أعمال 443 : فدفنوه بها بمدينة بلرم :الكامل 6 : وجعلوا الامير إبراهيم في تابوت وحملوه الى افريقية ودفنوه بالقيروان.

VIII ـ ذِكرُ قيـامِ الجماعةِ من كُتَامَة على أَبِي عَبْـدِ اللهِ ليأْخذُوهُ بإيكْجَان .

71 ـ واشتَهَرَ[1] أمرُ أبي‌عبدالله ببلد كُتَامَة‌وسُمّي المَشْرِقيَّ،لقدومه من المَشْرِق . ثُمّ نُسِب إليه كلُّ من بايعـه ، ودخـل في دَعْوَتِـهِ ، وسُمُّـوا المَشَارِقَـة . وإذا دخـل الواحـد منهـم في ذلك قيـل : تَشَرَّقَ . ورأى النّاس من صلاحِ أحوالِ مَنْ دخل دعوته وتَوَرُّعهم عمّا كانوا يعرفونهم عليه ، من الفساد، وإقْبَالِهِمْ على الصّلاة والصّيام، وأعمال البِرِّ، ما رَغَّبَهُمْ في الدخول في ذلك . فتسارب النّـاسُ إليه وأطْلَقَ الدَّعْوَةَ لِمَن ارْتَضَاهُ منهم من قبائلهم فلمّا نظر رؤساء القبائل، ووُلَاةُ البُلْدَان ذلك ولم يَرَوْا نهضة من إبراهيم بن أحمد في أمره،وخافوا على زوال رئاستهم من أيديهم، وتقدّم مَنْ سَارَعَ الى أمره مِمّنْ كانوا يَرَوْنَهُمْ دونهم عليهم، كتب بعضُهم الى بعض في ذلك، واجتمعوا ، وتراسلوا ، وتعاقدوا .

72 ـ وكان مِمّنْ تَعَاقَدَ على ذلك مُوسَى بن العَبَّاسِ[2] صاحبُ مِيلَة ، وعَلِيُّ بنُ عُسْلُوجَة[3] ،صاحب سَطِيف[4]، وحَيُّ بن تَميم[5]،صاحب

(1) ا : كذا ؛ ب : واشتهر .

(2) كذا رسم اسمه في النسختين .

(3) كذافي‌النسختين انظرفي‌شأنه 155 ؛العبر 32 :علي بن‌حفص بن‌عسلوجة

(4) ب : سَطيق ؛ ا : سطليق .

(5) كذا في ا و ب ؛ العبـر 32 : وجاه بن تميم .

بِلِزْمَة . وهؤلاء أُمَرَاءُ هذه المدائن [1] الذين عندهم العدَّةُ وفيهم النَّجدة ولديهم العدد -والقـوّة وفي أيديهم الأَمـوال الكثيرة [2] . ومن مُقَـدَّمِي قبائل كُتَامَة وَكِبَارِهِمْ ، ووُلاَةِ أمورهم : فَتْح بن يَحْيَى المَسَالِتِي يقال له الأَمير [3] ومَهْدِي بن كِنَـاوَة [4] ، رَئيسُ لَـهِيصَة [5] ، وفَـرَحُ بن جِيرَان [6] ، رَئيسُ أَجَّانَة ، وتَمِيمُ بن فَحْل [7] رَئيسُ لَطَايَة [8] ، وزِيَادُ المَتُوسِي [9] ، رئيسُ مَتُوسَة [10] .وهؤلاء مع رياستهم وتَقَدُّمِهم

(1) ب : المداين : ا ، نقص .

(2) كذا في ا : ب : سقط السطر السابق كله .

(3) العبـر 32 وكان يدعى بالامير .

(4) ا : مهد بن كناوة ؛ ب : مهـد ابي كناناوة ؛ العبـر 32 : مهـدي بن ابي كمارة .

(5) كذا في ا و ب ؛ العبر 32 : لهيعة .

(6) ا : فرح بن جيران ؛ ب : وح بن حيران (كذا) ؛ العبـر 31 : فرج بن حيران ، و 33 : فرج بن حيران .

(7) كذا في ا و ب ؛ العبر 32 : ثمل بن بحل .

(8) ا : لطانة ؛ ب : الطانة : وفي العبـر 32 : لطانة أيضـا ؛ والارجـح لطَايَة كما في 81 و 95

(9) ا : زياد ؛ ب : زيادة .

(10) كذا في ا و ب ؛ انظر : لاويكي ، إباضـية 39 ، 40 : مَاطوس ، مَاطوسَة مَشوسَه .

ابطالٌ ،كلٌ واحد منهم يَعْدِلُ الكَتِيبَةَ . فأَدَارُوا الحِيَلَ ، واستعملوا الآراء في أخذ أبي عبد الله ، فلم يَرَوْا أنَّهُمْ يقدرُون على أخذه عَنْوَةً من أيدي بني سَكْتَان ، لأنَّهم لم يَشُكُّوا أنهم يَمْنَعُونه [1] ، فإذا مَنَعُوهُ احْتَمَى اليهم جميعُ جِيمْلَة [2] ومن تقرّب منها من قَبَائِل كُتَامَة . فخافوا إنْ هم فعلوا ذلك أن يكون ما فعلوه منه دَاعِيةً الى ان يجعلوا له أنصارا ، ويَصِيرَ جميع كُتَامَة فِرْقَتَين ، ولم يامنوا سُوء العَوَاقِب في ذلك . وكان الذي اجتمع عليه رَأْيُهُم أن يقصِدوا في أمره بَيَانَ بن صَقْلَان [3] ، وكان وَجْهًا مِنْ وُجُوه بني سكتان ، ولم يكن يومئذ دخل في أمر أبي عبد الله . فقالوا : نقصِده في أمره وَنَسْتَمِيلُهُ ، ونَبْذُلُ له ، فإن أجابنا افترق أمرُ بني سَكْتَان وأمكننا فيه ما نُرِيدُه . واسْتَخْفَى [4] حينئذ أبو عبد الله لَمَّا بَلَغَه ذلك . فلم يكن يَظْهَرُ عليه ، ولا يَعْرِفُ مكانَه إلاَّ مَنْ كَانَ مِنَ المُؤْمِنِينَ .

---

(1) ب : يمنعونه ، ا : يمنعوه .

(2) كذا في ا و ب ، العبر 33 : جيلة ، وهو خطأ . — تدل هذه الجملة على ان جيملة أقرب بطون كتامة الى سكتان وان منازلهم قريبة من جبل ايكجان حيث ينزل بنو سكتان .

(3) كذا في ا و ب ؛ العبر 32 : بيان بن صقلان ،و 33 بيان بن صقلاب .

(4) ب : استخفى ؛ ا : بياض قدره كلمة .

73 ـ فأرسل القومُ جماعةً منهم الى بَيَان وبعثوا إليه أربعة أفراس ومائة شاة هديّةً، وقالوا: إنَّ هذا الرّجل قد بدّل الدّينَ وفرّقَ الجماعَةَ، وشتّت الكَلِمَةَ، وأدْخلَ الشّتَاتَ بَيْنَ الأقَارِبِ. وقد قصدناك في أمره وأملنا قيامُك في قطع هذا المكروه عنّا، بأن تَقبِض على هذا الرجل فَتُخْرِجَه مِنْ بلدنا إن كَرِهْتَ قتلَهُ وتَنفِيَهُ عنّا، ونجعل لك بعد ذلك التَّقْدِمَةَ على جميع كُتَامَةَ والعَرَبِ، فيكون لك بذلك فَخْرُ الدّنيا وشرفُها، وثواب الآخرة وأجرها، وتُزِيل عن أهل بيتك مكروها، وتقطع عنهم شرّا فإنَّهُ إنْ تمَادَى أمْرُهُمْ على كَوْنِهِ عندهم، لم يَدَعْهُمُ النَّاسُ، ولا تُؤْمَن حركةُ السّلطان اليهم. فإنْ أعْطَوْهُ عند ذلك، أعْطَوْهُ على غَلَبَةٍ. وإنْ مَنَعُوهُ لم يُؤْمَنْ عليهم سوء العاقِبَة، مع ماينالُهُمْ من ذهاب النَّعيم، ويَلْزَمُهُمْ من النَّفقَاتِ عليه، وعلى مَنْ يَلْجأُ إليهم من أنصارِهِ.

74 ـ فَقَال لهم بَيَان: هذا الرّجلُ قد نزل بين أظهُرِنَا وصار ضيفاً عندنا، فكيف ينبغي لنا انَ نفعل فيه مِثلَ هذا؟ قالوا: فَأَخْرِجُوهُ مِنْ حدّكُمْ، فإنْ قَبِلَهُ غيرُكُم كانَ المكروهُ بِهِمْ دُونكم، فإن أراد الخروجَ الى بَلَدِهِ، أو حَيثُ أراد أنْ يَقْصِدَ غيْرَ بَلَدِ كُتَامَة، تَرَكْنَاهُ، ولم نَعْرِضْ لَهُ. قال لهم بَيَان بنُ صَقْلَان: وفي إخْرَاجِنَا إيَّاهُ وطَرْدِنَا لَهُ أيْضًا نَقْصٌ عَلَيْنَا، وعَيْبٌ، ولَكِنْ مِنَ الرَّأْيِ ان نَجْمَعَ العُلَمَاء،

وَيَخْرُجَ إِلَيْهِمْ ، وَيُنَاظِرَهُمْ ؛ فَإِنْ [1] كان على حقٍّ فما أَوْلَانَا وإِيَّاكُم بِنَصْرِ حَقٍّ وَاتِّبَاعِهِ ، وإِنْ كَان على بَاطِلٍ عَرَفَ ذلك من اتَّبَعَهُ ، فَرَجَعَ عَنْهُ ، وَوَسِعَنَا وأَمْكَنَنَا إِخْرَاجُهُ . فَحَاوَلُوهُ على غَيْرِ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَجِدُوهُ عِنْدَهُ .

75 ـ فرجعوا الى أصحابهم فاخبروهم بما كان منه فلم يقع ذلك بموافقتهم وخافوا أن تَقُومَ [2] حُجَّتُهُ ، فَيَسْتَحْكِمَ أَمْرُهُ ، وتَزُولَ رِئَاسَتُهُمْ مِنْ أَيْدِيهِمْ بِسَبَبِهِ ، ويَأْتِيَهم مَا يَتَخَوَّفُونَهُ من أجله . ولَمْ يُرِدِ القَوْمُ من ذلك إلاَّ إِقَامَةَ دُنْيَاهم، لم يَطْلُبُوا إقامَةَ حَقٍّ ،ولا إِزَالَةَ بَاطِلٍ. فَتَدَبَّرُوا أَمْرَهُمْ ، واجْتَمَعُوا على أَنْ يَمْضُوا في جماعةٍ وعُدَّةٍ ، ويُرُونَ أَنَّهُمْ أَتَوْا بِالعُلَمَاءِ. فإذا خَرَجَ إليهم قَبَضُوا عليه، فَقَتَلُوهُ، وانصَرَفُوا على حِمَايَتِهِ [3].

76 ـ فاجتمعوا ، وساروا في جمع عظيم من الخَيْلِ والرَّجْلِ . فَأَخَذُوا ما بين تَاكُوت وَوَادِي النَّجَاةِ [4] . فلمّا رآهم بَنُو سَكْتَان ثارت فيهم الصَّيْحَةُ ، فركبوا خَيْلهم ، وأخرجوا رَجْلَهُمْ ، وعُدَّتَهُمْ ،

---

(1) ا : فان ، ب : فاذن .

(2) ا و ب : يقوم .

(3) ا : كذا ؛ ب : حاميته.

(4) كذا في ا و ب . والتاكوت نوع من الشجر ذو عِلْكٍ كعلك الصنوبر . ـ يدلّ السياق على ان المكانين يقعان قريبا من فج الاخيار بجبل ايكجان.

وتَلَقَّوْهُمْ [1]. وتَوَاقَفَ الفَرِيقَان ، فقالوا لِبَيَان : إنَّمَا أتيناك لِمَا كان بيننا وبينك. قال: ماهذا بيني وبينكم أن تَجِيئُونَا بِالزَّحفِ والعُدَّةِ، إنَّمَا قُلْنَا: يُؤْتَى بِالعُلَمَاءِ فَيُنَاظِرُونَ الرَّجلَ . فنراكم جِئْتُمُونَا [2] بِالْمَلَإِ ، تريدون أنْ تَنْزَعُوه مِنَّا بالغلبة . وعَلَا الكلامُ بينهم ، وكان فيهم [3] جماعةٌ من الأَوْلِيَاءِ ، فَهَجَمُوا فيهم [3] ، وأنشبُوا القتال ، فَالْتَحَمَ . وتَداعت جِيمْلَة ، وكان للأولياء في ذلك مقام لم يُشَاهِدْ منهم مِثْلَهُ غَيْرَهُ . وانهزم الجمع ووَلُّوا الدُّبُرَ . وانصرف عنهم بَنُو سَكْتَان . ومضى القوم مَنْكُوبِينَ مَهْزُومِينَ . وقَوِيَ أمرُ الأولياء واشتدَّ ، وبقي أبو عبد الله مستترا ، وخاف عليه الأَوْلِيَاءُ إنْ ظَهَرَ .

77 ـ وانصرفت الجماعةُ فَأَدَارُوا أمرهم، فلم يَرَوْا إلَّا معاودةَ بَيَان . فأرسلوا إليه ، وقالوا له : قد كنَّا أخطأنا فيما أتينا من الجمع ، ولم يكن ذلك عن قصد منَّا وإنَّما تسامع النَّاس بنا، فَاتَّبَعُونَا . وقد رَجَوْنَاكَ لِصَلَاحِ جَمَاعَتِنَا ، وقَدَّمْنَاكَ على عَامَّتِنَا ، واخْتَرْنَاكَ لِأَنْفُسِنَا ، لِتَحْقِن [4]

---

(1) ب : تلقوهم ؛ ا : تلقوتهم .

(2) ا : جئتمون ؛ ب : جئتموتنا (كذا).

(3) اي من بين أعداء الداعي .

(4) ب : كذا ؛ ا : تحريف في الكلمة .

دِمَاءَنَا ، وَتَلُمَّ مَا تَشَعَّثَ [1] من أمرنا ،وَتَجْمَعَ مَا تَبَدَّدَ مِنْ شَمْلِنَا . فقد عادى من أجل هذا الرَّجل الاخُ أَخاهُ [2]،والابْنُ أَبَاهُ، والقريبُ قريبَه ، وكَفَّرَ مَنْ صَارَ إِلَيْهِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ . وهذه فتنة قد بَدَتْ ، وَرِدَّةٌ قد ظهرت ، فانت أَوْلَى من اكتسب أَجْرَهَا ، ونَفَى من نفسه ، وأهل بيته ، نَارَهَا وشَرَّها ، وأَحْسَنَ النَّظَرَ لَهُمْ فِيهَا . وهذا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ المَشْرِقِ ،وَهُمْ كَمَا [3]عَلِمْتَ شَيَاطِينُ،وعُلَمَاؤُنَا بَرَابِير وقَوْمٌ لَيْسَ لهم تِلْكَ الأَذْهَانُ ، وإِنْ نَاظَرُوهُ ظَهَرَ عليهم بحجَّته،ولم يجدوا حُجَّةً يحتجُّون بها عليه ، وكان ذلك زِيَادَةً [4] في فتنته ، وتقويةً لأمره [5] . فَتُرَى أَنَّا نَحْنُ ، وآبَاؤُنَا وأَهْلُ المَشْرِقِ والمَغْرِب، والنَّاسُ كَافَّةً [6]على ضَلَالٍ ؟ وهذَا وَحْدُهُ على هُدى وحَقٌّ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ ؟ أَوْ يَكُونُ هَذَا يَقَعُ لِقَلْبٍ وَاحِدٍ [7] سِيَّمَا أَنَّ أَمْرَهُ مَكْتُومٌ ، والَّذِي يدعو اليه غيرُ معلومٍ ؟

---

(1) ب : تشعث ؛ ا : تشعب .

(2) ب :كذا ؛ ا : اخا الاخ اخاه . وقد يصح احد الوجهين : اخا الاخ اخوه .

(3) ب : كما ، ا : مـا .

(4) ب : زيادة ؛ ا : زائدة .

(5) في ا و ب : امـره .

(6) ا : كافة ؛ ب : كلهم ، ثم يلي الكلمة تحريف كثير .

(7) ا : كذا ؛ ب : احد .

ولَوْ كَانَ حَقًّا وصَوَابًا لأَظْهَرَهُ ، ومَا كَتَمَهُ . وجَعَلُوا يُعَدِّدُونَ لَهُ مَا وَعَدُوهُ بِهِ مِنَ التَّقْدِمَةِ وَالجَلاَلِ .

78 ـ فأَصْغَى إلَيْهِمْ ، ووَعَدَهُمْ أنْ يَسْعَى وَيَتَلَطَّفَ فِي إِخْرَاجِهِ ، وجعل يَتَكَلَّمُ في ذلك ، وَيَحْتَجُّ على أهل بيته ، وَيُخَوِّفُهُمْ ، وقال لهم : قد كانت الحرب واحدةً كان لكم الظفرُ فيها . والحرب تَارَاتٍ[1] ولا تَأْمَنُونَ[2] أن تكون الأخرى عليكم . فَأَخْرِجُوا هذا الرَّجل من ذَاتِ أنفسكم ، من غير أنْ يُوصَلَ[3] إليه ضَيْمٌ ولا إلَيكم ، وانتم على عِزٍّ من أمركم من قبل أن يُغْلَبَ[4] عليهِ وعليكم .

IX ذكر خروج أبي عبد الله من إيكْجَان ومسيره الى تَازْرُوت .

79 ـ فلمَّا[5] اتَّصَلَ كلامُ بَيَان بن صَقْلاَن بأبي عبد الله وبجماعة المؤمنين ، اجتمع مَنْ كان منهم من بَنِي سَكْتَانَ الى بَيَان ، وذكروا ما اتّصل بهم عنه ، وما يدخل من أجله تَقْصٌ عليه وعليهم ، إن طَرَدُوا ضَيْفَهُمْ وأَسْلَمُوا جَارَهُمْ . فجعل يَذْكُرُ لَهُمْ مِثْلَ مَا بَلَغَهُمْ عَنْهُ وَيُحَذِّرُهُمْ

---

(1) تارات جمع تارة : الحرب تارة لك وتارة عليك .

(2) من أَمِنَ يَأْمَنُ ؛ ا : تؤمنون ؛ ب : نامنون .

(3) ا : يوصل ؛ ب : يصل .

(4) ب : يغلب ؛ ا : تغلب .

(5) ا : فلما ؛ ب : واتصل .

العَوَاقِبَ فِيهِ .واتَّصَلَ الْخَبَرُ بِالْحسَن بن هَارُونَ الْغَشَمِيِّ ، وكان قد دخل في الدِّين ، وكان رجلا من خِيَارِ[1] المؤمنين ، وفيه عقل ، وله أدب وحسن خُلُق ، وكرم نَفِيس ، وله نعمة ، وكان مطاعا في قومه، وسَكَنُهُ كانَ بِتَازْرُوت[2]، فأتى إلى أبي عبد الله ، فذكر له ما اتصل به ، وسال وَرَغِبَ اليه في الكون عِنْدَهُ ، والنُّقْلَةِ الي مَكَانِـهِ . وَوَعَدَهُ الذَّبَّ عَنْهُ ، والْمُدَافَعةدُونَهُ ، بنفسه وأهله وماله. فَشَاوَرَ الْأَوْلِيَاء في ذلك، فاشاروا به عليه ، خَلَا مَنْ كَانَ منهم من بَنِي سَكْتَان ، فَإِنَّهُ عَظُمَ ذلك عليهم ، وكَرِهُوهُ[3] وقالوا : نحن ندفع عنك بانفسنا حتَّى نُقْتَلَ كُلُّنَا دُونَكَ . فشَكَرَ لهم قولَهم،ورأى جماعةُ المؤمنين أنَّ كَوْنَهُ عند الْحَسَنِ بن هارون أَعَزُّ لِلدِّينِ ، وأَمْنَعُ لَهُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ .

80 ـ فانتقل[4] أبو عبد الله وانْتَقَلَ معه[5] من استطاع النُّقْلَة من بَنِي سَكْتَانَ وَمَنْ كَانَ هَاجَرَ إِلَيْهِ[6] من المؤمنين.فاسْتَخْلَفَ[7] على

---

(1) ا :خيار؛ب: اخيار.

(2) ا : كذا ؛ ب : ومسكنة بتازروت ، يصلح هكذا : مسكنه

(3) ب: وكرهوه ؛ ا : وكرهوا

(4) ب : انتقل ؛ ا : بياض قدره كلمة وفي الطرة كلمة غير ظاهرة الكتابة.

(5) كذا في ب ؛ ا: ومن معه من استطاع . . .

(6) كذا في ب ؛ ا: هاجروا .

(7) ا : فاستخلف ؛ ب : واستخلف .

الضعَفَاءِ منهم ،ومَنْ لم يستطع السَّيْرَ معه الحكَمَ [1] بْنَ نَاسِب . وسار به الحسن بن هارون إلى تَازْرُوت،فتَلَقَّاه مَنْ بها من المؤمنين وغيرهم،وأنزلوا مَنْ كانَ معه عندهم . وأنزله الْحسَنُ بْنُ هارُون عِنْدَ نَفْسِهِ ، وقام الغَشْمَانِيُّونَ بما احتاج إلَيه المؤمنون ، وقَاسَمُوهُم أموالهم ، وأحلّوهم فيها مَحَلَّهُمْ ، وأرَوْهُم من الغِبْطَةِ والسُّرُور بهم ما سَرَّهُم . وأقبل المؤمنون من كلّ ناحية اليهم ، وجَعَلَ كلُّ واحد منهم يأتي بما يُمكِنُه ويَسْتَطِيعُ تقويةً ونُزُلاً لِلْمُؤْمِنِين . وجعلوا يُرْسِلُون [2] من ذلك الى مَنْ بَقِيَ بإيكْجَان من ضُعَفَاءِ المؤمنين. حتى رُبَّمَا تَعَذَّرَ عليهم إيْصَالُ ذَلِكَ فيَرْكَبُون خَيْلَهُمْ ويَحْمِل [3] كلُّ واحدٍ منهم في خُرُوجِه تَحْتَهُ على سَرْجِهِ من الطعام قَدْرَ مَا يُمْكِنُه، فَيَصِلُون بِهِ إلَيْهم ، فَيُعْطُونَهُمْ إيَّاهُ ، ويَنْصَرِفُون . وبَذَلَ الحسنُ بن هارون مِنْ مَالِه في ذلك وأموال خاصّة أهل بيته ما أوْسَعَ المؤمنون به .

81 ـ وصار أبو عبد الله بالقرب من بَلَدِ أجَّانَة ، ومَلُوسَة، ولَهِيصَة ولَطَايَة،وجِيمْلَة [4] ، فتسارب إليه النّاس ،وظهر أمره،وعزّ جانبه ،

---

(1) ب : الحكم ؛ ا : حكم .

(2) ب : يرسلون ؛ ا : يراسلون .

(3) ب : يحمل ؛ ا : يجعل ، وفي الطرة بالكتابة الخفيفة جدا : يحمل .

(4) اي قريبا من ميلة غربيها.

واجتمع غَشْمَان على نُصرته ، ومَنعـه . فاجْتَمَعَ [1] إليه خلق عظيم من سائر قبائل كُتَامَة من المؤمنين، وأقاموا عندهم مُرَابِطِين مع أبي عبد الله، ومُنْتَصِبِينَ لِلْجِهَادِ دُونَهُ ،ومَنْعِهِ مِمَّنْ [2] أراده.ونَدِمَ بَيَانُ بن صَقْلَان فيما كان منه إليه ، ودخل الدَّعوة ، فَعَزَّ بِجَانِبِه [3] من كان قِبَلَهُ من المؤمنين بإيكْجَان. وعَظُم شأن الحسن بن هارون بما فعل من ذلك، وعلا ذكرُه ، وشُكِرَ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ وَمَا بَذَلَ من ماله ، واتَّصَلَت [4] الأخبار بذلك في نواحي [5] كُتَامَة وعند وُجوهِ أهلها .

82 ـ وكان لِلْحَسَنِ بن هارون أخٌ ، يُقَال له : مَحْمُودٌ [6] ، أَسَنُّ منه . فوجد في نفسه من ذلك ، وعَظُمَ عليه ما جرى من ذكر أخيه ، وكان هو قبل ذلك المُقَدَّمَ عليه لِسِنِّهِ ، وكان مع ذلك أيضا [7] مُطَاعًا في أهل بيته ، فانصرفت وُجوهُ النَّاس الى أخيه لِمَا فَعَل. فَشَقَّ ذلك

---

(1) ب : فاجتمع ؛ ا : واجتمع .

(2) ب : ومنعه من ؛ ا : منعة من

(3) ب : كذا ؛ ا : وعز جانبه من . . .

(4) ا : به ؛ ب : كذا .

(5) ا : كذا ؛ ب : نقص.

(6) كذا في ا و ب . العبر 33 : ثم انتقض على الحسن بن هارون اخوه محمد

(7) ب : وكان ايضا مع ذلك ؛ ا : وكان ذلك ايضا .

عليه ، وتَكَلَّمَ به ، وفَشَا عَنْهُ . وكان الحسنُ [1] في ذلك يُـداريهِ ، ويُقَدِّمه ، ويُظْهِرُ بِرَّهُ ، ويَستعطفُه خوفاً من أن يُفَرِّقَ جماعة غَشْمان ، أو يدخل فيما بينهما بالشَّتَاتِ [2] .

83 ـ ولمّا صار [3] أبو عبد الله إلى ما صار إليه بتَازْرُوت ، وانتهى ذلك الى القوم الذين كانوا تعاقدوا عليه أُسْقِطَ في أيديهم . وعَظُمَ أمرُهُ عليهم ، وكَثُرَ له غَمُّهُمْ .

X ـ ذِكْرُ اجتماع الجَماعَةِ لِلْحِيلَةِ في أَمْرِ أَبِي عَبْدِ الله [4] .

84 ـ ولما اتّصل بالجماعة ما كان من غَيْرَةِ مَحْمُود بن هَارُون بأخيه الحسن رَجَوْا أن يدخلوا من ذلك الى ما يريدون من أمر أبي عبد الله . فاجتمعوا إلى مَهْدِيّ بن كِنَاوَة [5] اللَّهِيصِي ، وكان أحدهم في عَقْدِ ذَلِكَ ، فذكرُوا له ما بلغهم عن محمود ، وقالوا له : وهو جارك وصديقك ولعلّك أَنْ تستميله ، فَتُفَرِّقَ به جماعة غَشْمان ، فَيُمْكِنُنَا من ذلك ما نُريده .

---

(1) ب : الحسن ؛ ا : نقص .

(2) ب : بالشتات ؛ ا : من الشتات .

(3) ب : ولما صار ؛ ا : بياض قدره كلمة ، وفي الطرة بكتابة خفيفة جدا : ولما صار .

(4) كذا في ب ؛ ا : سقط هذا السطر ، والبياض في الصفحة دليل على هذا النقص .

(5) ب : مهدي ابن كناوة ؛ ا : مهدي بن كنان .

85 ـ فَرَكِبَ مَهْدِيٌّ عند محمود ، فنزل عنده فذكر له اجتماع وجوه كُتَامَة إليه ، وأنَّهم أرسلوه إليه ، ليلقاه ، وعَلِمُوا ما بينه وبينه ، وقالوا له : « قَدْ أَجْحَفَ أَخُوكَ بنفسه وأهل بيته ، وجاء الى غَشْمَان بِبَلِيَّةٍ قد تَعَافَى منها بَنُو سَكْتَان ، وتخلّصوا من شَرِّهَا ، فادخلهم فيها » وجعل يُحَذِّرُهُ من سوء عواقب الأمور ، ويذكر له من أحوال أبي عبد الله ، مِثْلَ الذي ذكر القوم لِبَيَان ، ويَسْتَمِيلُهُ بِتَطَارُحِ الجَمَاعَةِ عَلَيْهِ ، وَرَجَائِهِمْ قَطْعَ ما دهمهم من ذلك على يديه ، ويَعِدُهُ عنهم التَّقْدِمَةَ على أنفسهم، والتَّسْوِيدَ فيهم ، والتَّأْمِيرَ عليهم فاسْتَمَالَهُ ذلك مع ما تَدَاخَلَه من الحَسَدِ لأخيه ، والغَيْرَةِ بِهِ .

86 ـ فقال له : القولُ في ذلك ما قلت ، وما أنا إلاَّ في غَمٍّ من أمره ولكنّه قد تَمَكَّنَ ، وقَوِيَ ، وكَثُرَ أتباعه . وليس هو الآن كمثل ما كان في بَنِي سَكْتَان ، قد أجابَهُ عامَّةُ غَشْمَان ، وكثيرٌ من قبائل كُتَامة ، وارتحلوا اليه ، وساروا حوله . فهم يَمْنَعُونَهُ ويقاتلون دونه من أراده . ومتى دَعَوْتُ مَنْ يُطيعني من غَشْمَان إلى أخذه صِرْنَا فرقتين وكانت كلتا الدَّائِرَتَيْنِ فينا ، وأهلك بعضُنا بعضاً ، وما[1] أرى في أمره الاَّ ما رآه بيان : أَنْ يُؤْتَى بِالْعُلَمَاءِ فَيُنَاظِرُوهُ . فان ظهرت الحُجَّةُ عليه وجدنا السَّبيلَ إليه ، وان يكن الاخرى دَبَّرْنَا رَأْياً آخَرَ فيه .

---

(1) ا : كذا ؛ ب : سقطت الاسطر الثلاثة التالية الى حد قوله : دبرنا.

87 ـ فانصرف مهديّ الى القوم ، فأخبرهم بذلك . فقالوا له : مَنْ هَذَا الذي يُنَاظِرُهُ من علمائنا ؟ أنت ترى الواحدَ من جُهَّالِنَا إذا دخل في أمره ناظرهم فقطعهم . فكيف به هو في ذات نفسه ؟ فقال لهم مهديّ : قد رأيت مِنْ مَحْمُود شَهْوَةً في قَتْلِهِ ، ومَيْلًا الى ما وعدناه به من التَّقْدِمَةِ ، مع ما تَدَاخَلَهُ من الحَسَدِ لِأَخِيه ، ولَمْ أَجِدْ عِنْدَهُ غَيْرَ ما فارقته عليه ، وما علينا أَنْ نَأْتِيَ [1] بالعُلَمَاءِ ؟ فإذا أخرجوه ، وَقَعْنَا عليه فقَتَلْنَاهُ . فاذا فعلنا ذلك ، كان بعده مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ ، وقَطَعْنَا أَصْلَ الدَّاءِ . فَاجْتَمَعَ رأْيهم على ذلك. فأرسلوا في طلب العلماء من كُلّ ناحية ، واختاروا من أبطال الرجال وحُمَاتِهِمْ مَنْ يَسِيرُ نَحْوَهُ مَعَ العُلَمَاءِ وقالوا : لا نَجِيءُ في الاحْتِفَالِ أيضا كما جئنا الى بَنِي سَكْتَان فَيَكُونَ من ذلك مِثْلُ مَا كَانَ .

88 ـ واتَّصَلَتْ أخبارهم بالحسن بن هارون وبأبي عبد الله ، فقال لهم أبو عبدالله : يَجْتَمِعُ غَشْمَان إلى مَحْمُودٍ، فَيُلَاطِفُوهُ، ويَذْكُرُوا له ما اتّصل بهم عنه، ويُحَذِّرُوه العَارَ في ذلك، والنَّقْصَ ، وسُوءَ العَوَاقِبِ ، ويُقَدِّمُوهُ على أَنْفُسِهِمْ ، ويُعَظِّمُوه، ويَرْفَعوا [2] من شأنه مَا قَدَرُوا عليه ، ويَنْظُرُوا

---

(1) ا : نأتي ؛ ب : يأتي .

(2) ا : كذا ؛ ب : سقط ما يلي من هذا السطر ومن السطر التابع الى حد قوله : ذلك .

ما يكون منهم . ففعل ذلك . وأتاه الحَسَنُ وجَمَاعة غَشْمَان ، فذكروا له ما اتّصل بهم عنه وعن الجماعة وقالوا له : نَحْنُ أَهْلُ بَيْتِكَ وعَشِيرَتُكَ وأنت مُقَدَّمُنَا ، وأمِيرُنَا . وهذا ضَيْفُكَ وضَيْفُنَا ، وقد اجرْنَاهُ . وقد رأيت ما لحق ببَنِي سكتان في اخراجه من النَّقْص ، وأنّهم قد نَدِمُوا على ذلك ، وأنَّ بَيَانًا قد دخل في أمره ، فحاول رَدَّهُ إليه لِيُصْلِحَ ما أفسده على نفسه فَلَمْ يُجِبْهُ الى ذلك ، فلا تجعل علينا عاراً ، ونقصاً . وأتوهُ بالمُصْحَفِ ، وحَلَفُوا به ، وقَدَّمُوهُ على أنْفُسِهِمْ . فَاسْتَمَالَهُ ذلك، وجَمَع مَنْ كان يميل إليه مِنْ غَشْمَان ، وأعلمهم ما عقدت عليه الجماعة من الفَتْكِ بأبي عبد الله .

89 ـ وأقبلت الجماعةُ على ما أبرموه . فلمَّا عَلِمَ محمودٌ أنَّهُمْ قد قَرُبوا من تَازرُوت ، رَكِبَ في جَمَاعَةٍ من غَشْمَان ، في عُــدَّةٍ ، وهَيْأَةٍ . وقال أبو عبد الله لجماعة المؤمنين : اركَبُوا معهم ! وان قَدَرْتُمْ على أن تُلْقِحُوا [1] الحرب فافعلوا . فلمَّا التَقَوْا قالوا [2] لِمَحْمُودٍ : هؤلاء العُلماء ! قد جِئْنَا بِهِمْ ، ـ وعَزَلُوهم نَاحِيَةً ، ـ فقــال لهم محمود : فَانْصَرِفوا ، ودَعُوهمْ عِنْدَنَا حَتَّى نَجْمَعَ بَيْنَهُمْ وبين الرَّجل مَعَ عَشَرَةٍ من وُجُوهِكُمْ وخِيَارِكُمْ في مَجْلِسٍ ، ونَنْظُرَ ما يكون من أمرهم وأمْرِهِ . فَأَنْحَلَّ [3]

---

(1) ب : تلقحوا ؛ ب : تلحقوا ـ ألقح الحرب : أهاجها.

(2) ب : كذا ؛ ا : نقص .

(3) ب : فانحل ؛ ا : ونحل .

في أيديهم ما عَقَدُوهُ ، وقالوا له : وما عليك أنْ تُخْرِجَهُ لِيَشْهَدَ ما يكون مِنْه ومِنْ العلماء جميعُ مَن حَضَرَ ؟ فيكون ذلك أشْهَرَ في النَّاسِ وأقطع للأمْرِ ؟ قال لهم محمود : ليس هذا وَجْهَ المناظرة ولا مجيئكم هذا مَجِيءَ مَنْ أرَادَ ذلك . وقد بلغنا أنَّكم عَقَدْتُمْ أمْراً . وتكلّم الحَسَنُ أخوهُ فقال : هذا مَجِيءُ مَنْ أطمع نفسه فينا ، وأراد أنْ يَنْزَعَ ضيفنا من أيدينا بالتَّغلّب علينا .

90 ـ فَرَدُّوا عليه . فَحَمَلَ فيهم ، وحمل الأَوْلِيَاءُ . والْتَحَمَ القِتَالُ ، وغَضِبَ محمود ، وقاتل قتالا شديدا . وقاتل الأولياء قتالا لم يُرَ مِثْلُه ، وجُرِحَ محمود . ثمَّ افترقوا . فمات محمود مِنْ جراحه ، فَسَرَّ أخاه مَوْتُه ، وسَرَّ أبَا عَبْدِ اللهِ ، وسَرَّ الأَوْلِيَاءَ ، وأظهروا الطَّلَبَ بِدَمِهِ . واجتمع أمر غَشْمَان ، وصاروا إلْبًا واحداً ، ودخل الدَّعوةَ عامَّتُهم . وصحّت الرِّيَاسَةُ لِلْحَسَنِ ، ووَلَّاهُ أبو عبد الله أعنَّةَ الخَيْلِ [1] ، وقَوَّدَهُ على جميع المؤمنين . واشتعلت الحرب فيما بين غَشْمَان ولَهِيصَة بسبب موت محمود ، واجتمع أمرُ مَلُوسَة لأبي عبد الله مع أكثر القبائل .

91 ـ وظَهَرَ أبو عبد الله ، وأبْدَى نفسه . وكان يَشْهَد الحَرْبَ

---

(1) كذا في ا و ب : العبر 33 : وولى أبو عبد الله الشيعي الحسن بن هارون على خروبه ، الكامل 128 واتعاظ 78 (نقلا عن الكامل) : وصارت الرياسة للحسن بن هارون ، وسلم اليه ابو عبد الله أعنة الخيل .

ويُبَاشِرُها . وكان جميع المؤمنين أنصار غَشْمَان ، والجماعةُ أنصارَ[1] لَهِيصَة . وكان صاحبُ أمرهم مَهْـدِيُّ بن أَبِي كِنَاوَة [2] . وكان أخوه أبو مُدَيْنِي[3] قد دخل الدّعوة، وصار الى أبي عبدالله مهاجرا. وكانت له بصيرةٌ ونِيَّةٌ ونجدةٌ . وكان أخوه مهديّ أشدَّ فارس كان [4] في عصره وأهوَلَهُ مَنْظَرًا : يُقَال إنّهُ كان أشعر البدن كلّه ، هائلَ المنظر ، شديدَ الضّربة . فيُقَالُ إنَّ الأولياء احتالوا عليه في بعض تلك الحروب ، وقد زحف اليهم ، والتحم القتال ، ـ وفي موضع المعركة مقبرة فيها قبور مُحَجَّرٌ عليها ـ ، فأدخلوا له رجالا منْ أَشَدِّ مَنْ قَـدَرُوا عليه في ذلك التّحْجِير ، وقَدَّمُوا إليه فارسا لِيَجُرَّهُ إليهم . فَشَتَمَهُ، وأغضبه . فحمل عليه . وانجرّ له الفارس الى موضع الرَّجالَة . فرماه مهديّ برمح فأصابه فَأَنْفَذَهُ وسقط الرّمح بين يَدَي الفَارس. وظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ قد[5] أخطَأهُ . فما علموا أنَّهُ أصابه حتّى رَأَوْهُ قد سقط عن بِرْذَوْنِهِ . وخرج الرّجال على مهديّ ، فأخذوا عنانه ، وأحاطوا به ، وحملت الخَيْلُ عليه .

---

(1) ا : تحت السطر : اي مخالفون .

(2) ا : أبي كناوة ؛ ب : كناوة .

(3) ب : أبو مديني ؛ ا : مديني ، العبر 33 : أبو مديني و 35 : أبومديني بن فرّوخ اللّهيمي (والصواب : اللهيصي) ، البيان 175 أبُو مَديَن.

(4) ا : من اشد فارس وكان ؛ ب : من اشد فارس كان .

(5) ب : انه ؛ ا : نقص .

فضرب في الرَّجالَةِ [1] ، ففرّقهم ، وحَمَى نَفسَه من الخيل ،وخَلُصَ منهم عَنْوَةً . وكان من شأنه [2] يومئذ أُعْجُوبَــةٌ لم ير الناس مِثْلَهَا . وإنَّمَا يكون مِثْلُ هذا ويُعْجَبُ [3] منه في النَّبْلِ أنَّها ربَّما أنفذَتِ الرَّمِيَّـة ، وخـــرج السَّهْمُ منها . لا يُصِيبُهُ شيءٌ من الدَّم لشدَّة الضَّربة ، وسرعة خروجه . ومِنْ ذلك الحديث عن النَّبيِّ (ﷺ) في الخَوَارِج أنَّـه وصفهم فقـال : يَمْرُقُـونَ مِنَ الدِّينِ كما يمرُق السَّهْمُ من الرَّمِيَّـةِ . أيْ يخرُجون منه لا يتعلّقـــون منه بشيء . فأمَّا أنْ يكونَ مِثْلُ هذا الذي كان مِنْ مَهْدِيّ عن ضربة كَفٍّ برمح طويل فهذا ما لم يُسمع به لِمَنْ قبله ولا لمن بعده . والخبر فيـه ثابت عنـه . فطَالَتِ الحـرب بين الفريقين ينتصف بعضهم من بعض .

92 ـ فلمَّا نظر أبُو مُدَيْنِي إلى تمادي أخيه مهديّ في غَيِّهِ وإصْرَارِه ، اغتمّ لذلك وأسَاءَهُ . وكان رُبَّمَا وقف إليـه ، فوَعَظَهُ ، ودَعَـاهُ الى الله وخَوَّفَهُ ، وحَذَّرَهُ عِقابه،فلا يَزْدَادُ على ذلك الاَّ غَيًّا ، وتَمَادِيًا. فلمَّا رآه لا ينصرف عن ذلـك ، اجتمع مع فَتًى [4] مِنْ لَهِيصَة كان قد صـار الى

---

(1) ب : الرجالة ؛ ا : الرجال ،

(2) ب : كذا ؛ ا : من يومئذ .

(3) ا : كذا؛ ب : العجب .

(4) ب : فتى من لهيصة ؛ ا : فتى لهيصة .

الدَّعْوَةِ ، وهاجر الى تَازْرُوت فيمن هاجر من المؤمنين ، يُقال له : لاوَةُ بنُ صُوحَانَ [1] ، ـ وكانت له شِدَّةٌ ونَجْدَةٌ ـ . فقال له أبُو مُدَيْنِي ، وقد خلا معه : ويْحكَ ! فقد ترى تمادي مهدي ، وما أكسبنا مِنَ العَارِ ، وأوْحلَ [2] لَهِيصَةَ [3] فيه مِنَ الخِلَافِ والعِصْيَانِ . ولو قد أَرَاحَ اللهُ (تـع) منه لافْتَرَقَ أمْرُ لَهِيصَةَ وصاروا الى الدِّين . وقد رأيتُ أنْ نَجْتَمِعَ ـ أنَا وأنْتَ ـ إذَا الْتَقَيْنَا، وَنَخرجَ ناحية اليه على حَسَبِ ما كنت أفعله لِنَعِظَهُ ونُكَلِّمَهُ. فإذا أمْكَنَنَا رَمَيْنَاهُ جَمِيعًا بِرُمْحَيْنِ في سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ . فَإن اتَّقَى ، فلعلَّه أنْ يَتَّقِيَ أحدهما ولعلّ الله ان يريح منه ، ويقطع أثَرَهُ ! فاتّفقا على ذالك ، وتعاقدا عليه .

93 ـ فَلَمَّا ألْتَقَوْا للحرب ، خَرَجَا ناحية ، ودَعَوْا بِهِ . فأقبل اليهما . وكلّمه أخوه أبُو مُدَيْنِي بِمِثْلِ ما كان يكلّمه حتّى أَنِسَ إليه ، ثمّ ضرباه جميعا، ضربة رجل واحد، فاختلف رُمْحَاهُمَا [4] فيه . فسقط الى الارض . وحمل الاولياء ، وحملت لَهِيصَةُ ، فاستنقذته ، وحملته . فمات

---

(1) ا : لاوة بن صوحان ؛ ب : لاوة بن صيوجان

(2) ا : اوجل ؛ ب : تحريف : واحلان (كذا) . والأرجح أوْحلَ .

(3) ب : نقص من قوله : فيه من الخلاف الى حدّ قوله وصاروا : اي كامل هذا السطر الاخير من الصفحة .

(4) ب : فيه ، ا : نقص .

من جراحه تلك بعد أن وصل إلى موضعه. وتفرّق أمرُ لَهِيصَة من بَعْدِهِ، وأقبلوا الى الدَّعْوَةِ [1] . واصطلح غَشْمَان ولَهِيصَة، وتآلفوا على الدين. فعزّ أمر الدّين وقَوِيَ، واشْتَدَّ. وحاربوا مَنْ يَلِيهِمْ من القبائل، وشَنُّوا الغَارَاتِ على مَنْ بَعُدَ مِنْهُمْ. وخرجت لهم خَيْلٌ مُغِيرةٌ على مُزَاتَة،[2] - ورئيسُ مُزَاتَة يومئذ يُوسُف العطاشي [3] . - وكان قد قدم على ابراهيم بن أحمد فَحَبَاهُ، وَوَصَلَهُ، وكَسَاهُ، وَحَمَّلَهُ، وأعطاه جاريةً نفيسة. فقصد المؤمنون بالغارات اليه، وقد تفرّق أصحابه لِرَعْيِ إِبِلِهِمْ -، فَكَبَسَتْهُ الخيلُ وأخذوا جميع ما كان له، وسَبَوْا الجاريةَ الّتي أعطاه إيّاها إبراهيم بن أحمد، ولم ينجُ الاّ بنفسه في مَطْمُورَةٍ تَغَيَّبَ [4] فيها، وقتلوا مَنْ قَدِرُوا عليه من أصحابه. وَوَصَلُوا بالغنيمة إلى أبي عبد الله، فاصطفى الجارية لنفسه، فَهِيَ أمُّ وَلَدِهِ ولم يكن له غيرُها.

---

(1) العبر 33 : وكان لمهديّ بن أبي كمارة شيخ لهيعة أخ اسمه أبو مديني وكان من أحباب أبي عبد الله فقتل أخاه مهديا ورأس على لهيعة مكانه فصاروا جميعا الى ولاية أبي عبد الله وأبي مديني شيخهم.

(2) أ و ب : مزاتة . ابن حوقل 106 : مزاتة . الادريسي 120 : مزاتة و (في نسخة منه) مزاته . الحاج صادق 13 ، 156 : مُزَاتَة : لاويكي ، اباضية 66 ، مَزَاتة .

(3) ب : العطاشي ؛ أ : العطاني .

(4) ب : تغيب ؛ أ : يغيب .

XI ـ ذِكْرُ زَحْفِ جميع القبائل إلى أبي عَبْدِ اللهِ والفَتْحِ له عليهم.[1]

94 ـ ولمّا رأى الذين قاموا على أبي عبد الله ظهورَ أمره، وانقطاعَ أمر لهيصة عنهم، وقَتْلَ مهديّ، وأنه لا حيلة لهم الاّ المناجزة، مشى بعضُهم إلى بعض، ومَشَوْا في القبائل، وَاسْتَنْفَرُوا[2] العَامَّةَ، وتجرّدوا للحرب. فارسلوا إلى مُزَاتَة[3]، فاجابوهم لما كان من ايقاع الاولياء برئيسهم. فاجتمعوا على أن يَنْتَقِلَ القبائل[4] بالعيالات اليه، وتَحِيطَ[5] به من كلّ ناحية، وتَحْصُرُه[6] من كلّ جهةٍ حتّى يُسَلِّمَه[6] غشّان، أو يَأْتُوا عليها.

95 ـ واتّصل الخَبَرُ بأبي عبدالله، فَأمر جميعَ الأولياء بالانتقال إلى تَازْرُوت، فَانْتَقَلُوا من كلّ ناحيةٍ. وجاءت كُتَامة من أطرافها، فأحاطوا به. فكان أهل المدائن ناحيةً في عسكرٍ. واجتمع أَجّانة ولَطَايَة وجميعُ مَنْ يلي مِيلة من القبائل في عسكر. واجتمع جميع من يلي سَطِيف[7] من

---

(1) ب: كذا بالحبر الاحمر؛ ا: نقص، كما يدل عليه بياض قدره سطر.

(2) ا: استنفروا؛ ب: استفروا. وهو خطأ. ـ واستنفر من النّفير.

(3) ا و ب: مزانة.

(4) ا: كذا؛ ب: ينقل كل القبائل.

(5) ا: كذا؛ ب: ويحيط.

(6) تحريف في ب.

(7) في ا و ب: سطيف.

كُتَامة مع فَتْح بن يحيى ناحيـة . ومُزَاتَة [1] ناحيـة . وكان أقربُ من نزل اليه منهم لَطَايَة وأَجَّانَة .

96 ـ فلمّا رأى ذلك أبو عبـد الله ، برز بمَنْ معـه عن تَازْرُوت [2] ، وعَسكر بناحية منها ، وخنـدق على نفسه واجتمع الأولياء والدّعـاة والمشايـخ الى أبي عبد الله ، فقالو : أَنْتَ قُطْبُ أَمْـرِنَا ، وعَلَيْكَ مَدَارُنَا جَميعا، وأنت نعمةُ الله وفَضْلُهُ علينا ، وبِكَ هَدَانَا ، وعَرَّفَنَا من الحقّ ما عَرَّفَنـا ، فَبَقَاؤُكَ بَقَـاء الدِّينِ ، وجَمـعُ شمل المؤمنين . فقـد رأينا رأيا نَعْـرِضُه عليك ، فَتَرَى فِيه رَأْيَكَ ، فتاذن لنا في ذِكْـرِهِ لَكَ ؟ قـال : اذْكُرُوا مَا بَـدَا لَكُمْ . قالوا : قـد ترى ما اجتمع علينا من الخلائـق ، ـ ونحن بينـهم في قِلَّةٍ ، والحرب خِـدْعٌ [3] ، وقد كانـ القومُ أمِلُوا الوصولَ الينا بالحِيَلِ ، والمَكْرِ ، والتَّلَطُّفِ ، فلم يَجِـدُوا ذلـك ، ولم يُمْكِنْهُمْ وحَمَاكَ اللهُ ، ومَنَعَكَ مِنْهُمْ ـ، تَجَرَّدُوا كما تَرَاهُمْ لِلْحَرْبِ، ونَحْنُ مَنْ لَا نُلْقِي بِأَيْدِينا إلّا أَنْ يَفْتَحَ اللهُ (ع وج) لنا، أَو نَمُوتَ عن آخرنا، فإن كان الظَّفَرُ لنـا في ذا [4] ، فذلك الذي نرجـوه من الله ، ولن يَضُرَّنَا

---

(1) ا و ب : مزانة :

(2) تحريف كثير في هذه الجملة في ب .

(3) أ : خدع ؛ ب : خدعة .

(4) ا : في ذا ؛ ب : نقص

أن نكون بأيدينا [1] قدحطناكَ، وفعلنا بالعَزْم والرَّأي فيكَ . وإن تكن الأخرَى، وغُلِبَ علَيْنا ـ ونعوذ باللهِ ! ـ فما مِنَّا مَنْ يَشُكُّ في أنّه [2] يصيرُ إلى رحْمَة الله . ولَعلَّ اللهَ أنْ يُعوِّضكَ غيرَنا، ويُظْهرَ أمرَهُ علَى يَدَيْكَ، بمَنْ شاءَ مِنَّا، أوْ مِنْ غيرِنا . وليس قَصْدُ القوم إلاَّ إليك ولا هَمُّهم غيرَكَ . فنرى أنْ نُخرِجكَ سِرًّا من هذا المَوْضعِ ونُصَيِّرَكَ الى مكانٍ لا يُؤْبَهُ [3] لَهُ، تكونُ مُسْتَتِرًا فيه عِنْدَ مَنْ يَكْلَؤُكَ [4]، ويَحْفَظُكَ [4]، ويَرْعاكَ . فإن كان الامر لنا عُدْتَ إلينا بما تجده، وإن كان الأمرُ علَيْنا، سَلِمْتَ أنتَ، ونَظَرْتَ في غيرِنا، ولا نكون نُحَمِّلُكَ [5] هذا الخَطَرَ، ونُقابِلُ بك هذا العَدَدَ، ونَلْقَى بك هذه [6] الكَثْرَةَ والقُوَّةَ .

97 ـ فجزاهم أبو عبد الله خيرًا، وأسمعهم جميلًا، وحظّهم على الجِهَادِ والصَّبْر، وتَلَا عليهم قولَ الله (ع وج) : « كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ، واللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ [7] »، مع كلام كثير

---

(1) ا : كذا ؛ ب : نقص

(2) ب : في انه ؛ ا : فانه .

(3) ا: كذا ؛ ب : لا يوبه ان لا يبالي له.

(4) ب تحريف .

(5) ا : كذا ؛ ب : ولا نكون تحملك.

(6) او ب : هذا .

(7) البقرة ، جزء من الآية 249 .

يعظهم به ، في مجلس عَظُمَتْ بركتُه ، واطلعهم على كثير من الحكمة فيه وأكّد عندهم تمام أمره،وظهورَه على اعدائه وأنَّهُ على ثقة من الله (ع و ج) بإنجاز وعده لوليّه وتمام أمره على يديه ، وقال لهم : ما كنت مِمّن يَسْتَأْثِرُ بِنَفْسِهِ دُونَكُمْ ، ولا مِمَّنْ يَرْغَبُ بِهَا عن الجهاد معكم ، فَأَحْسِنُوا بِاللهِ ظَنَّكُمْ وَلَا تَهِنُوا فَتَفْشَلُوا ، وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ . وَلْيُنْفِقْ قَوِيُّكُمْ عَلَى ضَعِيفِكُمْ ، وَغَنِيُّكُمْ عَلَى فَقِيرِكُمْ ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللهِ رَبِّكُمْ ، وَثِقُوا بِنَصْرِهِ إِيَّاكُمْ فَنَعَّشَهُمْ بِذَلِكَ، وَقَوِيَتْ قُلُوبُهم ، وَزَادَ فِي بَصَائِرِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ .

98 ـ وقام أبو عبد الله الأندلسيّ قائما على قدميه ابتهاجا بما سمع من ذلك ورأى من المؤمنين،فقال:واللهِ ! لَقَدْ ثَبَتَ أَمْرُ اللهِ فِيكُمْ كَمَا ثَبَتَتْ هذِهِ فِي هذا ـ وَأَوْمَأَ [1] إِلَى أُذْنِهِ وَرَأْسِهِ ـ ،وَاللهِ!لو قَابَلْتُمْ هَذِهِ الجِبَال [2]، ـ وأشار إِلَيْهَا ـ ، بهذه النِّيَاتِ ، لَأَزَلْتُمُوهَا ! وانصرفوا من عند أبي عبد الله . فأخرج كلُّ واحد منهم ما كان عنده من مال ، وكُرَاعٍ ، وَسِلاحٍ، فأتى به . فَحَمَلُوا مِنَ الرَّجَّالَةِ عَلَى الْخَيْلِ مَنْ كان يُحْسِنُ الرُّكُوبَ ، وَأَعْطَوْا العُدَّةَ لِمَنْ لَا عُدَّةَ لَهُ، وفَرَّقُوا مَا عِنْدَهُمْ بعضهم على بعض، حتّى

---

(1) ا : واومى ؛ ب : واوى .

(2) أي جبال بلاد القبائل الصغرى التي تقع شرقي جبل ايكجان وشمالي تازروت وهي اليوم : جبل بوشرف ، جبل تامنتوت ، جبل تامسغيدة ، . .

اسْتَوَوْا فِي الْهَيْـأَةِ ،وَالأَموالِ ، وَالْعُـدَّةِ . وَاعْتَـرِضُوا [1] ، فبلغت عِدَّتُهُم سَبْـعَ مِائَة فَارِسٍ لا يَـزِيدُونَ ولا يَنْقُصُون . وبلغت رَجَّالتُهُم نحو أَلْفَيْ رَاجِلٍ بعد أن خَلَّفُـوا جَميـعَ مَنْ فِيهم من الضُّعَفاءِ وممَّنْ لا يقْدِرُ على الحرب،وخَلَصُوا فى أهل الشِّدَّةِ والنَّجْدَةِ ، في هذه العُدَّةِ [2]. وكان مُعَسْكَرُهُمْ [3] وَخَنْدَقُهم على وَادِي تَافَرْت [4] وكان أقـربَ من نزل اليهم فَحْلُ بنُ نُوحٍ في لَطَايَة .

99 ـ فدعا أبو عبد الله المَشَائِخَ ، فقال : أرَى لكم أنْ تُرْسِلُوا منكم رجلا بينه وبين فَحْلِ بن نُوح خُلْطة، فَيَلْطُفَ به ، ويَدْعُوهُ الى السِّلْمِ . فَلَعَلَّنَا أنْ نُفَرِّقَ هـذه الجماعة ! فقالوا : سَهْلُ بنُ بِرْكَاس [5] ، بينـه وبينـه صِهْرٌ ، وهو له مُخـالط . فأوصاه بما يقـول له ، وأرسله اليـه .

100 ـ فمضى سهلٌ حتّى وقف بالقرب من مَنَـاخ لَطَايَة ، ودعا فَحْلًا فخرج اليه ، وسلّم عليه ، وساله عن حاله ، وقال : يا أَبَا تَمِيمٍ !

---

(1) اعترض القائد جنوده : عرضهم الواحد بعد الآخر .

(2) ب . في هذه العـدة ، مع ان في الاسطر السابقـة تحريف كثير ؛ ا : في هذا العدة .

(3) ب : معسكرهم ؛ ا : بعسكرهم .

(4) ا : تـافرت ؛ ب : تـافرنت .

(5) ا و ب : كذا . العبر 33 : سهل بن فوكاش .

أنت مُقَدَّمُنَا. وأميرُنا، وابنُ أميرِنا، وصهرُنا، أفترضى لإخوانك أن يسبيهنّ البربر - يعني مزاتة[1] - وأن يقتل إخوانك وبنو عمك على أيديهم؟ قال له أبو تميم: واللهِ! ما احبُّ هذا ولا أرضاه، ولا بيننا وبينكم ما يوجب ذلك. وإنما مطلبنا عندكم هذا الرجل الذي بدَّل الدين، وأوقع بيننا هذه الفتنة فأعطونا إياه[2] أو أخرجوه من بلدنا، ينقطع هذا من بيننا فقال له: سبحان الله! يا أبا تميم! أفترض أنت، لو كان عندك واستضاف بك، وتحرّم بحرمتك، وعُرف بك، أن تفعل فيه مثل هذا الذي تأمرنا به أن نفعله؟ فسكت فحلٌ. فقال له سهلٌ: ما كنت - واللهِ! - ترضى بذلك ولا تفعله فيه. فلا ترضَ لنا بما لا ترضاه لنفسك، فنحن اخوانك وعشيرتك وبنو عمك وأصهارك. فقال فحل: وما عسى أن أفعله أنا في جماعة[3] هذا الخلق؟ قال له سهلٌ: أنت عمادهم، وقطبهم، ولو كنت على أمر ما خالفوك فيه. وجعل يعظه، ويرفع من قدره. فقال له فحلٌ: فنفعل ماذا؟ فقال له سهلٌ: نصالحكم،

---

(1) أو ب: مزانة — ويقال في زناتة: البربر، ومزاتة عدّهم ابن حوقل، 106، من «القبائل الخارجة عن صلب زناتة». اليعقوبي 2، 4، 5، 6: مزاتة.

(2) ا: او اخروجوه؛ ب: واخروجوه.

(3) ب: هـذا؛ ا: هذان.

وتُصَالِحُونَا [1] ، ونُعَاهِدُكُمْ ، وتُعَاهِدُونَا ، ونَحْلِفُ لَكُمْ ، وتَحْلِفُونَ لَنَا على قَطْعِ الحربِ بَيْنَنَا. ويَرْجِعُ كلُّ قومٍ الى مواضعهم، ونكون كأَهْلِ مَذْهَبٍ من المسلمين : مَنْ أرادَ منكم الدّخول في مذهبنا ، دَخَلَ فيه ، ومن أرادَ [2] مِنّا الرُّجوعَ الى ما أنتم عليه ، رجع اليه ، لا يُكْرَهُ أحدٌ على ذلك ، ولا يُؤْخَذُ عليه فيهِ ، بحسب ما عليه أهْلُ المَذَاهِبِ في البلدان ، وبكلِّ وَجْهٍ ومَكَانٍ . فما الذي يُوجِبُ حَرْبَنَا [3] مِنْ دُونِهِمْ ، وتُسْتَحَلُّ بِهِ دِمَاؤُنَا من بينهم ؟ فقال له فحل : دَعْنِي حَتَّى أجْتَمِعَ مع أصحابنا ، وأعودَ إليك . قال : افْعَلْ .

101 ـ ومضى فَحْلٌ . فأرسل إلى فَرَحِ بنِ جِيرَان ، وجَمِيعِ مَنْ كان بالحَضْرَةِ من وُجُوهِ القَبَائِلِ ، فَاجْتَمَعُوا . فأخبرهم بما كان من كلام سَهْلٍ إليه لم يغادر منه شيئا . فجعل فَرَحُ بنُ جِيرَان يَصْفَرُّ وَجْهُهُ ، ويَنْكُتُ الأَرْضَ بِرُمْحِهِ ، ويَطْرِفُ [4] إليها بعينه ، وهم في ذلك رُكُوبٌ على خُيُولِهِم . فلمّا فَرَغَ فحلٌ من كَلَامِه ، قال له فَرَح

---

(1) ب : تصالحونا : ا : تصالحون .

(2) ب : منا ؛ ا : بنا .

(3) من ، غير موجودة في النسختين ، ولعل الافصح : من دونهم ، كما اثبتنا ذلك .

(4) ا : يطرف ؛ ب : يطرق .

بنُ جِيرَان : يَا أَبَا تَمِـــيمٍ ! هذا مِنْ حِيَـلِ هذا الـكافِرِ وَسِحْرِهِ ، وما للقوم ــ والله ! ــ عهدٌ ، ولا ذمّةٌ ، ولا دينٌ ، ولا أمانـةٌ ، وإنّما أرادوا أن يتخلّصوا من أيدينـا لَمَّا رَأَوْا أنّهم في قَبْضَتِنَا . لا ــ والله ! ــ ما كُنَّا مِمَّنْ يُفَارِقُهُمْ حَتّى يَدْفَعُوا إلينا هذا الرّجل أو يحـكم الله بيننا وبينهم . وقال مِثْلَ قول فَرَحِ بن جِيرَان جَمِيعُ مَنْ حَضَرَ . فقال لهم فحلُ بنُ نُوحٍ : إنّما هذا كلام جاء به الرّجلُ ، فَبَلَّغْتُـه إليكم ، فـإذا عَزَمَ رَأْيُـكُمْ على ما عَزَمَ عليه ، فما رَأْيِي إلّا رَأْيُكُمْ ، وَلَا قَوْلِي إلَّا قَوْلُكُمْ . فَأَثْنَـوْا [1] عَلَيْهِ خيراً . وانصرف الرّسول الى سهلٍ فأَخْبَرَه الْخَبَرَ .

102 ــ فرجع سهلٌ الى أبي عبد الله ، فأعلمه بالقصّة بحضرة المَشَائِخِ ، فقال أبو عبد الله : هذا ــ والله ! ــ دليلُ النّصر لكم ، وسَبَبُ الفتح عليكم ، فاسْتَعِينُوا بالله ، ونَاجِزُوا القوم أَوَّلًا فَأَوَّلًا من قبل اجتماعهم إليـكم . وكان جميـع مُزَاتَة [2] في ناحية بلد مَلُوسَـة ، وجَمِيـعُ المدائن وكُتَامَـة وسَطِيف [3] بناحية مَسَالْتَة مِمَّا يلي مَلُوسَة ، فَعَبَّأَ [4] أبو عبد الله مَنْ مَعَه ، ومشى نَاحِيَةَ كُتَامَة ومِيلَة وهم أَجَّانَة ، ولَطَايَة ، وجِيمْلَة ، ومَلُوسَة ،

---

(1) ا : فاثنوا ؛ ب : تحريف كما في كثير من الكلام السابق .

(2) ا : مزانة ؛ ب : مرانة .

(3) ا و ب : سطيق .

(4) ا : عبّى ؛ ب : عبي .

ودَنْهَاجة [1] وغَشْمَانُ سَجًّا [2]، وأورِسَّة [3]، وأهلُ مِيلَة. فقاتلوهم، وقُتِلَ فارس من فرسان الجماعة - وكان من أَشدِّهم - ، وافترق القتال ، ولم يُصَبْ أحد من الأولياء . فقويت قلوبهم إذ رأوا أنهم قاوَمُوهُمْ .

103 - ثُمَّ عاودُوهُم من غَدٍ . فقتل من الجماعة عَدَدٌ كبيرٌ. وسَلِمَ الأَولياءُ.وافْتَرَقُوا.وزادهم ذلك ثِقَةً بالله (عوج) وبنصره،وقَوِيَتْ قُلُوبُهم.

104 - وعاودوهم في اليوم الثالث في أوّل النّهار . فاقام القتال بينهم الى وَقْتِ صلاةِ الظُّهر ، واسْتَحَرَّ ، واشْتَدَّ ، وغَلبَ [4] بعضُهم على بعض . وفي ذلك اليوم بَدَتْ نَجْدَةُ غَزْوِيَة [5] ، وأبْلَى بَلاءً عظيماً ،

---

(1) ا : دبهاجة ؛ ب : ديهاجة . الادريسي 78 و169 : دنهاجة . اليعقوبي 12 : (مَرْسَى) دَنْهَاجة (أو دبهاجة في نسخة منه) .

(2) ا و ب : سجا . يظهر أن سجًا هذه بلد وأن قبيل غشمان هذا يتميز عن غشمان تازْرُوت الذين دخلوا في دعوة أبي عبد الله .

(3) ا : وآورسه (كذا) ؛ ب : واوورثت ،والتحريف بيّن كما في كثير من الاسماء السابقة . انظر : 294 .

(4) ا : غلب ؛ب : كلب

(5) ا : كذا ؛ ب : غزوية بن يوسف – واسمه غَزْوِيَة بنُ يُوسف المَلُوسي. وهو المعروف في كتب السُنّة بِعَرُوبة . انظر العبر 33 : عروبة بن يوسف الملوشي (كذا ، ويوجد اليوم بالقيروان من يسمى الملوشي) ، البيان 149 و 150 : غَرَوَيْه بن يوسف الملوسي ، و162 ، 164 : عَرُوبة بن يوسف الملوسي ، الكامل 132 عروبة بن يوسف .

وكان في الرَّجالة. وجرح غَزْوِيَة بن يوسف الجرْحَ الذي انقطع منه صوته. فلمّا فاء الفَيْء، وزالت الشّمس ضرب غزْوِيَة رجلا كان أبلى في القتال من رجّالة الجماعة، فقتله. وحمل الأولياء واجتهدت الجماعة أن يَسْتَنْقِذُوا جثّة الرّجل فلم يقدروا على ذلك. وشدّ الاولياء عليهم، واسْتَوَتِ الهزيمة فيهم، فطلبوهم، يقتلون فيهم، ويَحْرِقُونَ دِيَارَهُم ويَغنَمون أموالهم الى أن حال الظّلام دونهم. ولم يتعرّضوا لِامْرَأةٍ ولا حُرَّةٍ، ولا كشفوا عورة. وانصرفوا إلى مناخهم، قد مُلئت من الغنائم أيديهم. وتفرّق ذلك الجمع فدخل مَنْ دخل منهم مِيلَة. ورجع مَنْ رجع من القبائل الى مكانه.

105 ـ وأصبح أبو عبد الله والأولياء الى عساكر سَطِيف [1] وما وَالاَهَا، فقاتلوهم. فهزمهم الله بين أيديهم، وأمكنهم من ظهورهم، فقتلوهم قَتْلًا ذَرِيعاً، وغَنَمُوا أموالَهم.

106 ـ وعطفوا على مُزَاتَة [2] في اليوم الرابع [3] فقاتلوهم. فانهزموا من بين أيديهم، واحتوى الأولياء على قِيطُونِهِم، وجميع أموالهم، وما

---

(1) او ب: سطيق.

(2) ا: على مزاتة؛ ب: الى مزاتة.

(3) ب: الرابع؛ ا: الثالث - وهو بحسب السياق: اليوم الرابع من القتال.

كان لهم بعد أن اتَّبَعُوهُم بِالقَتْل ، وأَفْنَوْهُمْ ، وحازوا جميع أموالهم، وما كان لهم . فَبِيعَت الْجِمَالُ يومئذ ، عِشْرِينَ بَعِيراً بدينار . وَبِيعَ الْجَمَلُ بِخَمْسِ بَصَلَات . وأمّا الغنم والأمتعة فما أطاقوا حَمْلَهَا [1] ، ولا كيف يسوقون أنعامهم . وغنموا من الخيل ما لا يُحْصَى عدده[2]. فانصرفوا الى تَازْرُوت، وفرّق الله جَمْعَ مَنْ تأَلَّفَ [3] عليهم ، وقتل عامّتهم على أيديهم ، وأورثهم أموالهم وأغنمهم أمتعتهم ، وخيلهم ، وسلاحهم ، وأصابوا من أموال المدائن من السُّرُوجِ وَاللُّجُمِ الْمُحَلَّاةِ ، والخيلِ ، والغنائم ، والْخِلَعِ ، والأموال والسّلاح والبنود ، والطّبول ما لا يحصى عدده كثرةً (4).

XII ـ ذكرُ ابتناء أبي عبد الله بتَازْرُوت ، واتّخاذِها دارَ هِجْرَةٍ، ومُحاربتِهِ القَبَائِلَ منها .

107 ـ وابتنى أبو عبد الله بتَازْرُوت قصراً سكنه بنفسه، وأقطع الأولياء دُوراً حوله . وارتحل اليه المؤمنون من كلّ ناحية . وبَنَوْا ، وسَكَنُوا ووَاطَنُوا ، وقَوِيَ أمرُهم . واسْتَأْمَنَ كثيرٌ من القبائل

---

(1) ب : حملها ؛ ا : حملهن .

(2) كذا في ا . ب: زيادة بعد هذه الجملة : فصار الى الاولياء من النعم والاموال ما لا يحصى عدد (كذا) .

(3) ب : تألف . ا : الف .

(4) ا : كثيرة ؛ ب : كثيرا . ـ والارجح كثرة كما اثبتناه .

إليهم . وحاربوا مَنْ عَنِــدَ منهم عليهم مِمَّن قَرُبَ مِما لَدَيْهم . وشَنُّوا الغاراتِ على مَنْ بَعُدَ منهم . فَقلَّ يوم الاّ ولهم فيه رقعة بموضع ، وحلولٌ بساحةِ قومٍ . وأسلم [1] أكثر النـاس اليهم ، وأقبـلوا يسألون الدّخـول في الدّعوة رغبةً ورهبةً. و خَلُصَ جميع غشْمَان تازْرُوت، ومَلوسَة ولَهِيصَة لأبي عبد الله ، واجتمعت كَلِمَتُهُم على الإيمانـ ، وأطبق على ذلـك عامّة أجّانَة .

108 وكان رئيسُ المؤمنين يومئذ أبُو يُوسف ماكْنُون [2] بن ضُبَارة. وثَبَتَ أبُو زَاكِي تَمَّامُ بنُ مُعَارِك ـ وهو ابنُ أخي أبي [3] يوسف ، وكان يومئذ شاباً ـ فَقَرُبَ من أبي عبد الله. فخاف فَرَحُ بنُ جِيرَان على نفسه ، وجماعةٌ معه من رؤساء أجّانَة أنْ يَغْلُبَ عليهم العامّة : فارتحلوا الى مِيلَة . وكان مِمَّنْ ارتحل منهم فرحُ بنُ جِيرَان، ويُوسُف بنُ مُحمَّد [4] وَوَزْرَة بن نَصْر [5] في جماعة منهم . فلمّا صاروا الى مِيلَة خَلُصَ لأبي عبـد الله

---

(1) ا و ب : وسلم .

(2) ا : ابن ماكيون ؛ ب : ماكيون – والارجح : مَاكْنُون كما أثبتناه ، انظر ذلك 46 .

(3) ب : أخي أبي يوسف ؛ ا : أخي يوسف .

(4) كذا اسمه في ا و ب والعبر 33 : ومحمـود في 134 .

(5) ا : ووزرة بن محمد نضر ؛ ب : تحريف. اثبتنا اسمه كما ورد في 134.

جميعُ أجانة ، ولحِقَ بميلة فحلُ بنُ نُوح في جماعـة من لَطَايَة [1] . واستقام أمرُ باقيهم لأبي عبد الله . فاتّصلت طاعتُـه ، وظهرت في هذه القبائل دعوتُه ، وعزّ فيها أمْرُه .

109 ـ وجمع فَتْحُ بنُ يحيى اليه مَنْ أطَاعَه مِنْ مَسَالْتِه أهل بيته، ومَنْ قَارَبَهُمْ [2] وتسبّب بأسبابهم ، وبَنِي عِفْنِيت [3] ـ لأنّهم ينهبون إلى مذهب الإبَاضِيَّةِ قَديمًا ، ليس في جميع كُتَامَة مَنْ يَذْهَبُ إلى ذلك غيرُهُمْ ، وهم نَجْدٌ من مَسَالْتَة فَكَرِهُوا أمرَ أبِي عبدِ اللهِ ـ . وفارَقَه [4] مِنْ مَسَالْتَه أزَايَة ـ وهم أهل بيت أبي موسى هَارُون بن يُونُس ـ ومَنْ تَابَعَهُم [5] ، وصاروا الى الدّعوة . فاتّصل بأبي عبد الله أمره . فحاربه فَغَلَبَ عليه ، وقتل كثيرا مِمَّنْ كان معه . وهَرِبَ في جماعة من أهل بيته الى ناحية سَطِيف [6] . ثمّ كتب الى أبي عبد الله يسأله الأمَانَ والدّخولَ في أمره بعد أنْ أسلمت [7] مسَالْتَه كلّها لأبي عبدالله، ولم يجد جَنبًا يلجأ إليه .

---

(1) ا : اطاية ؛ ب : الطانة .

(2) ب : قاربهم ؛ ا : قاز بهم .

(3) ا : بنو عفنيت ؛ ب : بنو عقيته .

(4) أي فارقوا فَتحَ بنَ يحيي ،

(5) كذا في ا و ب . ـ ولعلّ الافصح : تَبِعَهُمْ .

(6) ب : سَطيف . ا : سطيق.

(7) ا : سلمت؛ ب: سلت. وهو تحريف بيّن. ـ والافصح أسلمت: أي انقادت.

فامر أبو عبد الله هَـارُون بن يُونس بالكتَابِ اليه بأمانه وقدومه . فقـدم عليه،وأدخله أبو عبدالله إليه وأمَّنَهُ وأمر أبا موسى أن يأخذ عليه العهد ويَدْعُوَهُ . فجعل أبُو موسى يَمْطُلُه بذلك ، ويَمْتَحِنُهُ ، يُغلِظُ عليه ، ويقول : قَتَلْتَ جماعةً من الأولياء ، فَجِيءْ بِدِيَّتِهِمْ .

110 ـ وقيل إنَّهُ كَرِهَ اتِّصالَهُ بأبي عبد الله لمكانه من الرِّئاسة ، وما سَبَقَ له من الذِّكر ، ولأنَّه مع ذاك مُطَاعٌ في قومه ، وشديد في نفسه ، ونَجِدٌ [1] بِيَدِهِ ، وفارسٌ مشهور في قَومِه. فَخَافَ [2] أنْ يَعْلُوَ عليه ، أو يَتَمَكَّنَ عند أبي عبد الله فَيُسَاوِيه .واتّصل ذلـــك بِفَتْحِ بنِ يَحْيَ عنه [3] وخَوَّفَ جانِبَه ، فهرَبَ ، وصارَ الى عَجِيسَة [4] ، وجمع جمعاً كثيراً حوله منهم ومن غيرهم . فاتّصل بأبي عبد الله خَـــبرُه . فقصد بالعساكر نحوه ، ومرّ على سَطِيف ، فلم يَعْرِضْ لِمَنْ فيها . وتحصّن فتحُ بنُ يَحْيَى ومن معه في قلعةٍ منيعةٍ بالموضع الذي عَقَدُوا فيه ، يقال لها تُوبَر [5] ، وتُسَمَّى أيْضًا وُشْنُوك [5] . وأحاطت بـه العساكر فيها ،

---

(1) ب : نجد : ا : نجدة .

(2) فاعل خاف : أبو موسى هارون بن يونس المسالتي .

(3) أي: عن أبي موسى

(4) في ا و ب : عجيشـه ، وهم عَجِيسَة كما في العبر 33 ، وصفحات اخرى كثيرة ، وعند ابن حزم 461 .

(5) كذا في ا ، ب : تحريف .

فقاتلوهم عليها وكانوا يَطْرَحُونَ الصَّخْرَةَ العظيمة من فوقها ، فَتُقْبِل لها دَوِيٌّ كَدَوِيِّ الرَّعْدِ . فاذا رآهـا أبو عبد الله مقبـلةً ، غطَّى وَجْهَه بِكُمِّهِ لئلّا يرى مـا يُصِيبُ[1] بـه الأَولياء . فلم يزالوا حتّى افتتحوها ، وقتلوا أكثر مَنْ بها . وقُتِلَ فيها يومئذ تَصُولَا بنُ يَحْيَى أُخو فَتْحِ بْنِ يَحْيَى . وهَـرِبَ فَتْحٌ . وغَنِمَ الأَولياءُ منهم غَنَـائِمَ كثيرةً . وانقادت عَجِيسَة وزُوَاوَة[2] لأَبِي عبد الله وجَمِيع كُتَامة ومَجْرِس[3] وانصرف بالعساكر الى تَازْرُوت .

---

(1) كذا في ا و ب ؛ والافصح : يصاب .

(2) ا : عجيشة وروواوة ؛ ب : تحريف ، العبر 33 : واجتمعت اليـه (أي الى أبي عبد الله) عجيسة وزواوة . . . ؛ ابن حزم 466 :زُواوة .

(3) ب : كتامة مجرس ؛ ا : كتامة محرس ؛ — وأصل مجرس هُوَّارَة ؛ فلـذلك ميّزنا بينهم وبين كـتامة فاثبتنا هكذا : كُتَامَة ومَجْرِس . ويستنتج من هذا النص ان قبيلا من مجرس كان ينزل غربي بلـد كتامة مما يلي سطيف في الجهة الشرقية من بلاد القبائل الكبرى حيث يوجد الجبل المعروف اليوم باسم هذه القبيلة البربرية . ولعلهم انتسبـوا الى كتامة لانهم جاوروهم ؛ انظر برونشفيك ج ا ، 323 (آعتمادا على ابن خلدون والتيجاني) ؛ انظر ايضا التيجاني 216 : مَجريس .

111 ـ وَلَحِقَ فَتْحُ بْنُ يَحْيى بِإفْرِيقِيَة إذ لم يجد مَوْئِلًا [1] دُونَهَا . فقدِم على أبي العبّاس بن إبراهيم بن أحمد [2] ـ وهو يومئذ بتونس بعد خروج أبيه إبراهيم إلى صِقِلِّيَة ـ . فَوَصَلَهُ وأدناه ، وأنزله ، وأكرمه ، وساله عن أخبار أبي عبد الله . فَضَعَّفَ عنده أمْرَه ، وقال : لو إنّكَ أخرجتَ [3] إلَيْهِ عسكرا لأخذته. قال أبو العبّاس : أفليس قد اجتمعتم أنتم في عساكر عظيمة ، فلم تطيقوه ؟ فقال : لَيْسَ أمْرُنَا من أمْرِك شَيْئًا [4] : نحن نقاتل بلا رَأْسٍ ، ولا كَثْرَةٍ [5] عُدَّةٍ ، ونقاتل مَنْ يَعْرِفُنَا مِنْ أهْلِ البلدِ . وَلَوْ قَدْ جاءَ عَسْكَرٌ مِنْ قِبَلِكَ [6] ، لكانت له هَيْبَةٌ في صدور الناس ويكونُ لهم يومئذ رأسٌ ، وَأتَانَا [7] بِالعُدَّةِ التي ليست عندنا ، وبالرّجال الذين لم يُمَارِسْهُمْ أهل البلد، ويقاتلونهم بقتالٍ لايعرفونه

---

(1) ب : موئلا ؛ ا : مويلا ، والمَوْئِلُ : المَلْجَأُ .

(2) كذا في ا و ب . — وهو الامير عبد الله II .— العبر 33 : ولحق فتح بن يحيى بالامير إبراهيم بن أحمد بتونس . وقد أخطأ ابن خلدون في هذا لان النعمان يوضح ان ابراهيم بن أحمد كان قد ابحر ليغزو صقلية عندما التحق فتح بن يحيى بتونس .

(3) ب : اخرجت ؛ ا : خرجت .

(4) ا و ب : شيء .

(5) ب : كثير ؛ ا : كثيرة .

(6) ب : ولو قد جاء عسكر من قِبَلِكَ ؛ ا : ولو جاء من قبلك .

(7) ب : واتاءتي (كذا) ؛ ب : وتاتي — والارجح : أتانا ، أي العسكر .

من النُّشَّابِ والقَنَا،وغير ذلك.وَلِعَسْكَرِ السّلطان هيبةٌ.ولو دخل بلد كُتَامَة لانصرف إليه أكثرُ مَنْ صار إلى أبي عبدالله . وزيّن له ذلك،وَمَنَّاهُ إيَّاه لما رَجَاهُ من الرُّجوع إلى بلده ،وَالعَوْدَةِ إلى أهْلِهِ،وَوَلَدِهِ،وَرِئَاسَتِهِ. فامسك عنه أبو العبّاس بعد أن أطمعه بما قال له .

112 ـ وكان أبوه إبراهيم بن أحمد قد أسَرَّ اليه أمْرَ أبي عبد الله ونهاه عن مُحَارَبَتِه ، وقال له : كُنْ مِنْ أمْرِه على وِقَاءٍ [1] ، فإن رأيتَ أنَّه قَصَدَ إليك فَخَلِّ مِنْ بَيْن يَدَيْهِ ، وَالْحَقْ بِي الى بلد الرُّوم ، فليس لك به طَاقَةٌ ، وهو صَاحِبُ قَطْعِ دَوْلَتِنَا . فاعتمد أبو العبّاس على ذلك ، وردّ الغَصْبَ [2] والقَطائِعَ ، ولَزِمَ الخُمُولَ والتَّوَاضُعَ فِعْلَ مُنْتَظِرٍ لما كان عَهِدَهُ إليه أبوه [3] وتقدَّمَ له فيه . فلمّا جاءه فَتْحُ بنُ يَحْيَى بما جاء أصْغَى إليه ، ومال نَحْوَهُ ، وأمسك عنه الى أن أتاه ابنُ مُوسَى بن العبّاس [4] ، فكان منه ما سنذكر خبره في موضعه إنْ شاء [5] اللهُ .

---

(1) ب : وقاء ؛ ا : وفاء.

(2) ب : الغصب ؛ ا : الغضب .

(3) ب : عهد اليه ابوه ؛ ا : عهده ابوه .

(4) ا : عياش ؛ ب : عياس — وهذا القادم على الامير عبد الله II هو أبو إبراهيم بن موسى بن العباس : قدم اليه من ميلة أرسله اليه أبوه صاحبها . انظر : 135 .

(5) ا و ب : انشاء .

113 ـ واسْتَوْلَتْ أمورُ أبي عبد الله على عامّة بلد كُتامة ، وظهرت دُعاتُهُ في كلّ ناحيةٍ منها، وغَلَبَ أمرُه عليها، واستحكم فيها، ولم يبقَ فيها إلاَّ من دَخلَ [1] دعوته، إمَّا رَاغِباً، وإمَّا رَاهِباً، أو مَخذولاً ، قد أنكرها بقلبه، وغَلَبَتْ عليه شَقْوَتُه فأَصرَّ على إنكارها ، فتمسّك بما هو عليه غير مُدَافِعٍ لأمر ولا مُتَوَثّبٍ على أحد من أهله ، بل قد صار كُلُّ مَنْ هذه حالُه تحت أحكام الدّين ، وأيـدي المؤمنين ، يجري حكمهم عليهم ، ويَنْفذُ أمـرُهم فيهم، ويُحيطُ سلطانُهم من وَرَائِهِمْ ، بعد أن كانت لأبي عبد الله في قبائل كُتَامة وقائـع كثيرة يطول ذكرُها ، أقام بعد انهزام الجماعة [2] عنه نحوا من سَنَتَيْنِ يُوقِعُها بهم، ويَنْقُصُ أطْرَافَهم ، ويقتلهم، ويَغْنَمُ أموالهم حتّى أجابوه وأسْلَمُوا [3] لأمره طائعين ، ومكرهين ، وراغبين ، وخائفين .

114 ـ ولم يبق غيرُ المدائن ومَنْ فيها من أمرائها ، و مَنْ انضمّ إليهم و صار عندهم ممّن غلبت عليه الشَّقْوَةُ ، وسبق في علم الله حُلولُ البلاء به ، من رؤساء القبائل، وَوُجوهِ العشائر مِمَّنْ اتّقى [4] عن الدُّخول في الدَّعوة

---

(1) ب : دخل ؛ ا : يدخل .

(2) او ب : الجميع . ــ والجماعة أصوب بحسب ما تقدم من قيام جماعة كتامة على أبي عبد الله وانهزامهم .

(3) او ب : سلم .

(4) ا : اتق ؛ ب : اتـو .

والوقوع تحت من كان يرى أنّه واقـــعٌ تحت أمْرِهِ من العَشِيرَةِ ، ومَنْ خامره الخوفُ من مُقدّمَاتِ سُوء فِعْلِهِ ، وزيّن له الشيطانُ التّمادي على غَيِّهِ وجهلِه ، وطوائـــفَ من القبائـل ممّن قارب المـــدائن ، وعـاشر أهلها ، واستمالهـم أمراؤهـا يُدارونهم ، ويكاتبونهم ، ويتسلّلون إليهـم في السّرّ ، وهم على ظاهـــر الطاعة والوُقوع تحت الدّعوة في الجَهْـر ، تُـركُوا على حالهـم مستورين كما ترك رسولُ الله (صلعم وآله) مَنْ كان بالمدينة من المُنَافِقِين .

XIII ـ ذكرُ [1] ما أجْرَى أبو عبد الله في كُتَامَة من السّياسة التي ملكهم بها وانطاعوا له من أجلها [1] .

115 ـ كان أصلُ ما [2] جـرى عليه أمرُ أبي عبد الله مـا أراده اللهُ (ع و ج) من ظهور أمر أوليائه ، واعزاز دينه ، وعُلُوّ كلِمَتِه ، فَتَسَبَّب لذلك ما أجرينا ذِكْرَهُ مِنَ الأسباب التي لا تُدْرَكُ الاّ بحوله وقوّتـه . فلمّا أظهر الله أمْرَهُ ، وأعزّ نَصْرَهُ ، وفشتْ دعوةُ أبي عبـــد الله ، وأجابه ودخل أمره طبقاتٌ من النّاس ، مِنْهُمْ مَنْ أراد بذلك وَجْه اللهِ ، وطلب

---

(1) ب : كذا بالحبر الاحمر . و « من جاء » ؛ أثبتناها : من أجلها . كما يقتضي السياق ذلك ؛ ا : يظهر ان هذا العنوان أسقط كله كما يدل على ذلك بياض قدره سطران كاملان .

(2) ب : ما جرى ؛ ا : جرى . و « ما » سقطت

ثوابه وأخلص فيه له ، وآثر به ما عنده ، ومنهم مَنْ أراد بذلك الدّينَ والدّنيا ، ودَرك حظِّهِ من الآخرة والأُولى . ومنهم مَنْ دخل في[1] ذلك يبتغي به الفخر ، والشّرف ، والذّكر ، والرّئاسة . ومنهم من أراد به الكسبَ والفائدةَ . ومنهم من دخله الحسدُ والمنافسةُ . ومنهم من صار اليه خوفاً ، وتَقِيَّةً ، ومُدَارَاةً[2] ولوُجوهٍ يطول ذِكْرُها يجمعها أمْرَانِ : أَمرُ الدّنيا وأمرُ الآخرة . وعلى ذلك كان أمرُ مَنْ مضى من السَّلَف . فقد أخبرنا الله (ع و ج) عن قوم كانوا على عهد رسول الله (صلعم وآله) فقال : « مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ »[3] وقال : « و مِنَ[4] النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرةِ حَسَنَةً »[4] .

116 ـ فأَيّدَ اللهُ أَبَا عبد الله لِمَا أَرَادَه من ظُهُور أَوْلِيَائِهِ في ذلك

---

(1) ب : في ؛ ا : نقص .

(2) ب : مداراة ؛ ا : مدارة .

(3) سورة آل عمران ، جزء من الآية : 152 .

(4) سورة البقرة الآية 201 ، والآية في المصحف : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » . ـ كذا في ا و ب : ومن الناس .

بِتَوْفِيقِه. وأَيَّدَه بِتَسْدِيدِه .فنظر الى أَصْلِ [1] مَا بُنِيَ عليه أَمْرُه ، وقُطْبه الذي عليه مدَارُ الدِّين ، وما يُوجِبُه الحقُّ ، وتَتَصَلَحُ [2] به أمورُ الخلق ، فاعتمد عليه . وجعله قاعدة أمره: فَلَمْ يُقَدِّمْ أحداً ، ولا أَخَّرَهُ، ولا نَوَّهَ بِهِ ، ولا ذَكَرَهُ ، ولا أثابَ ، ولا عاقَبَ ، ولا تَرَكَ، ولا طالَبَ ؛ ولا أَقْبَلَ ولا أَدْبَرَ ، ولا أَسَرَّ ، ولا أَظْهَرَ، إلاّ ما يُوجِبه الدِّينُ والصِّدق ويُحِقُّهُ الواجبُ والحقُّ ، لا يَقْبَلُ من أحدٍ إلاّ ذلك ، ولا يُثِيبُ إلاّ به ، ولا يُعَاقِبُ إلاّ عليه ، ولا يُعْطِي رُخْصَةً فيه . فاستعمل ذلك له أهلُ [3] كلِّ طبقةٍ لما أرادُوه [4] وقصدوا إليـــه ، إمّا اعْتِقَادًا ونيّة ، وإمّا رِياءً وسُمْعَةً، وفي الرِّيَا بالخير صلاحُ الظَّاهر ، والله يَجْزِي ويُعَاقِبُ على البَاطِنِ.

117 وكان بين النّاس على ما يَظْهَرُ مِنْهُمْ مِنْ ذلـك ، لا يَرْضَى منهم بغيره ، ولا يُدَاهِنُ فيه : فَمَن اطَّلَعَ [5] مِنهم عليه قد خَـلَا شيئاً منه ،

---

(1) ا : فنظر ان اصل ؛ ب : فنظر الى ان اصـل . — والمعنى يقتضي ان تُثْبَتَ الى وتُحْذَفَ ان

(2) ا : وتصلح ؛ ب : وتصلح .

(3) كذا في ا بهذا الترتيب ؛ ب : اهل له .

(4) ب : ارادوه ؛ ا : ارادة .

(5) أي أبو عبد الله . ولعل تقديم « عليه » على « من » افصح: فَمَنِ اطَّلَعَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ . . .

عاقبه عقوبـةَ مِثـلِهِ ، ولم يَتغَمّـدْ[1] ذلـك له ، ولم يُجَاوِزْ عَنْهُ[2] فيه كائِنًا مَنْ كَانَ مِمَّنْ عُـرِفَ بِالدّينِ والدُّخولِ في جُمْلَةِ المؤمنين وأقصاهُ[3] ، ونبذهُ ، و أطرده ، وأبعده ، وحرّم على المؤمنين ان يَقْرَبُوه أو يُدَانُوهُ ، او يُجَالِسُوه[4] ، أو يُكَلّموه ، فَيَبْقَى المُدّةَ الطّويلةَ والأيامَ والشُّهُورَ الكثيرةَ مَقصِيًّا . مَهْجُورًا،ومَنْبُوذًا مَقْهُورًا في عشيرته،وأهله،وخاصّته، وَوَلَدِهِ ، وجميـعِ من رآه وعرفـه حتّى يُخْلِصَ التَّوْبَـةَ ، ويُقدّمَ الأعمالَ الصّالحةَ ، ويُمْتَحَنَ المِحنَةَ الطّويلةَ بِقَـــدْرِ مَا اقْتَرَفَهُ[5] من ذَنْبِهِ ، وأتاه من خطيـئَتِه ، فعند ذلك يَبْتَدِئُ أحْـوالَه ، ويُقرّبـه إلى قَـرِيبِ أعمالِهِ . ومَنْ أصابَ ما يُوجِبُ الحَدَّ ، أُقِيمَ عليه ، ومن أتى ما يُوجِبُ العِقَاب عُوقِبَ عليه ، ومن اسْتَحَقَّ مكانًا رُفِـعَ إِلَيْهِ ، ومَنْ قَصُرَ عنه اُطّـرِحَ به .

118 ـ فَـوَزَنَ النّـاس أعمالهم ، وحاسبوا أنفسهم ، وعـلموا أنّه لا يَغْفَلُ عنهم،ولا يَتجاوز لهم . فاستقامت أمورُهم ،وصلُحت أحوالهم . ثمّ

---

(1) تَغَمَّدَ ذلِكَ له بمعنى سَتَرَهُ لهُ .

(2) كذا في ب : عنه فيه ؛ ا : سقطت عنه .

(3) او ب : اقصـــاه .

(4) ب : يجالسوه ؛ ا : يجلسوه .

(5) او ب : اقترف .

غَلَّظَ في العُقوبات لمن يستحقُّ التّغليظ منهم فَـأَدّبَهم بِالسّيف ، وعَاقَبَهُمْ بِالخَوْفِ ، وجعل ذلك بأيديهم ، ولم يَكِلْهُ إلى غيرِهِم ، ولا سَلَّطَ عليهم به سِوَاهم : فَإذَا أراد قَتْلَ مَنْ يُرِيـد قَتْلَهُ منهم أمر به أخـاه أو أباه أو أقربَ النّاس إليه ، فيرى ذلك طاعةً منه ، ويكون أسهلَ عليه من أن يرى غيرَه يَلِيهِ ، وأن يدخل في حـال السُّخط ، ويَنْحَسِمَ الطَّلَبُ عنه بتَوْلِيَتِهِ [1] إيّاه دون غيره . فكان في ذلك صلاحٌ من وُجوهٍ ، فاقتصر [2] عن الذُّنوب وتحامى عن فضائح العيوب عامّةُ النّاس خوفاً ورغبة ، وتقيّة ورهبة ، وأيقنوا أنّه لا رخصة فيه ، ولا صفح عنها ، فانحسمت أطماعُهم منها ، وانقطـع الفسادُ والخيانـةُ ، وفَشَا [3] الورعُ في الدّين والأمانة . ـ ولذلك قال الأوّلون : السُّلْطَانُ سُوقٌ فَمَا عَـلِمَ النَّاسُ أنّـهُ يَنْفُقُ فِيها أَتَوْا بِهِ إلَيْهَا ـ . وهذا لا يكون إلاّ بحسب ما ذكرنا من الرغبة والرهبة ، واليأس من الإدْهَان والرُّخصَةِ . والله (ع و ج) أعـلم بِخَلقه ، فلو علم (عزّ وجلّ) أنّهم يصلحون على غير ذلك لما جعل لهم ثوابا وعقابا ، ولو

---

(1) ا : تولِيته ؛ ب : توليه .

(2) ب : اقتصر ؛ ا : اقتصروا ، مع أنّ الناسخ كأنّه شَطَبَ شَطْباً خفيفا الوَاو والالف .

(3) ب : فشـا ؛ ا : فشي .

علم أنَّ الثّوابَ يُجزَى مِنْ دُونِ العقابِ ، والعقابَ دُون الثّوابِ [1] لَما جعلهما مَعًا . ولكنّه (ع و ج) عَلِمَ أنَّ مِنْ طِبَاعِ البشر التي جُبِلُوا عليها أنّه لا يُصْلِحُهُمْ إلّا الثَّوابُ والعِقَابُ .

119 ـ فلم يَرَ النَّاس ، ولا انتهى إليهم أنَّ قومًا كانوا من صلاح الحال والاستقامة على مثل ما كان عليه أصحابُ أبِي عَبْدِ اللهِ إنَّ التُّجَّارَ يُسَافِرُونَ بالأموال الصَّامِتَةِ ، والنّعم الظَّاهرة ، يمرّ بها الواحد والإثنان في الجبال ، والشّعاب [2] ، والفلوات ، والبراري ، وموضع الخَلَاءِ ، فَيَبِيتُ حيثُ أمْسَى ويسير حيث أَحَبَّ واشتَهى كأنّما هو في بيته ، أو سوقه ، يَبِيتُ آمِنًا [3] ويصبح سَالِمًا . وإنّ الضّالّة لَتَضِلُّ كالغنم من رُعَائِهَا والدّوابِ بِسُرُوجِها و لُجُمِهَا ، فتجول في البراري والعُمْرَانِ ، وبين الرّجال والنّساء والوِلْدَان ، لا يلتفت منهم اليها مُلْتَفِتٌ ، ولا يَطْمَعُ فيها طامِعٌ ، ولا يَرْغَبُ فيها راغبٌ ، تقيم كذلك الأيّامَ واللّيالِي حتّى يَأْتِيَ طالِبُها ويَحْضُرَ صاحِبُها . وكذلك تَسْقُطُ اللَّقِيطَةُ ، فتقيم بموضعها المدّةَ

---

(1) ا : كذا ؛ وردت هذه الجملة بخلط وتحريف في ب .

(2) ا : الشعار ب ؛ ب : الشعارى .

(3) ب : امن ؛ ا : امينا ـ ، أمِنَ يَأْمَنُ فهو أمِنٌ وأمين وآمن ، أثبتنا « آمناً » ملاءمة مع « سالماً » .

الطويلةَ ، والأيّامَ والليالي الكثيرةَ ، حتى يأتِيَ أهلها ، أوْ مَنْ أَضَلَّهَا فَيَأْخُذُهَا .

120 ـ وتحامى النّاسُ المعايبَ ، وتركوا الاختلافَ في المذاهب ، وصاروا على أمر واحد يتَسَمَّوْنَ إخْوَانًا ، ويتواصلون سرًّا واعلانا[1]، إذا دعا الواحد منهم من لا يعرف اسْمَه أو أَحبَّ أَنْ يُكْنِيَ عنه في دعائه إيّاه أو حديثه[1] له ، قال : « يَا أَخَانَا ! » فكانت هِجِّيرَاهُمْ وقولهم في حديثهم ودعواهم . وان تلاقى الرّجلان منهم تصافحا ، وتعانقا ، وقبّل كلّ واحد يد صاحبه لا يأْنَفُ في ذلك شريفُهم عن مشروفهم ولا يَرغَب بنَفْسِهِ فِيهِ قويُّهم عن ضعيفِهم . وكذلك كان أبو عبدالله يفعل لكل مَنْ دخل عليه ، وكذلك كان يدعو مَنْ يدعو به : « يا أخانا ! » وعنه أخذوا ذلك وبآدابه تأدّبوا فيه .

121 ـ ثُمَّ كان مِنْ نزاهته ، وصِيَانَتِه ، وعِفَّتِه ، وأمانته فيهم ما علموه وعَظُمَ في أعينهم من أجله ، أنّه أقام فيهم مدّة طويلة لا يذكر امرأةً ولا يلوي على ذكرها . وعَرَّضُوا بذلك له ، وذكروه ، فلم يلتفِت إليه حتّى صارت إليه جاريةٌ[2] بعد زمن طويل ، فاصطفاها لنفسه .

---

(1) نقص في ب من قوله : اذا ، الى حد قوله : إياه .

(2) جارية اعطاها ابراهيم II لرئيس مزاتة يوسف العطاشي ثم ببباها الاولياء فكانت مما أفاء الله به على أبي عبد الله انظر 93

وَمِنْ ذَلِكَ أنـهُ لم يكن يَقْبَلُ من أحدٍ منهم لنفسه قليـلا ولا كثيرا ، وجهِدُوا في ذلك، فلم يكن يفعَلُه، ولم يكن يَنْفُقُ إلاّ ما أطلقه له مَوْلاَهُ[1]، وأتاه كِتابُهُ بِأَخذِهِ ، وربَّما أبطأَ ذلك عليه، فَيحْتَاجُ ، فيرجع الى بيْـعِ ما عنده في السّرّ وإنفَاقِهِ ، والأموالُ الكثيرةُ في يده وله مباحةٌ .

122 ـ ومن ذلك أنّه عاملهم بالوقار ، والتَّهَيُّبِ ، فلم يُرَ فيهم ضاحكا ولا مُمازِحاً ، ولا يُسْمَعُ يقول هُجْراً ، ولا عَبَثاً ، ولا باطلا . ولم يكن مع ذلك بالعَبُوسِ المُنْقَبِضِ ولا بالطَّلِقِ المُنبَسِطِ ، ولكنّه كان مُتَوَسّطاً بين الأمرين : لا يَبْسُطُهُمْ فَيَبْطِرُهُمْ ، إنْ نَطَقَ نطَقَ بِحَقٍّ ، وصوابٍ ، وحكمةٍ ، وان صَمَتَ ، صَمَتَ بوقارٍ ، وحلمٍ وهيبةٍ ، ولا ينقبضُ عنهم ، فَيُوحِشُهُمْ وَيُنْفِرُهُمْ. وكان يشاورهم، ويُخْلِيهِمْ[2]، ويُسِرُّ إليهمْ، ويُدْنِيهِمْ على قَدْرِ مَوَاضِعِهِمْ واستحقاقهم ، ويُقَـدّمُ أهلَ الدّين والسّوابق الصّالحة منهم .

123 ـ وقَسَمَ كُتَامَةَ أسْبَاعا ، وجعل لكلّ سُبْعٍ منها عَسْكَراً وقدّم عليه مُقَدَّما ، وأطلق بكلّ موضع دَاعِيا ، وسمّى المُقَدَّمِينَ والدُّعاة

---

(1) أي : المهدي . ـ هذا النص يثبت ان الاموال والمغانم عند الفاطميين تؤخذ باسم الامام وله . انظر : 123

(2) أخلاه : خلا به .

المَشَايِخَ ـ ، وإن كان فيهم من لم يبلغ السّنّ ـ ، وأبقى أعمال المؤمنين وما أَفَاءَ الله من المغانم [1] على وَلِيّ المسلمين [2] في أيدي المشايخ ، لم يكن يَقْبِضُ من ذلك شيئا ، ولا يَصِلُ إليه ، ولا يأتيه ، ولا يَرَاهُ ، وكان في أيديهم الى أن قَدِمَ المهديّ (ع م) فدفعوه إليه [3] .

124 ـ وكان ذلك الوَجْهُ مِمّا اسْتَفْسَدَهُمْ [4] ، وحَسِبُوا أَنَّ ذلك كذلك يكون في أيديهم أبدا . وإنّما أراد به أبو عبد الله أَنْ يُطَيِّبَ بذلك أَنْفُسَهُمْ ـ ولم يكن له فيأخذه من أيديهم ،ورأى أَنَّ تَرْكَهُ عندهم بالأمانة أَحْوَطُ عليه وأصلح لهم ـ ، فصار ذلك لهم لمّا قُطِعَ عنهم كَقَطْعِ العادةِ الثَّقِيلُ قَطْعُهَا المُسْتَنْكِرَةَ الانتقال عنها ، كما قال الشاعر :

لاَ تُهِنِّي بَعْدَ إكْرَامِكَ لِي ... فَشَدِيدٌ عَادَةٌ مُنْتَزَعَه [5].

---

(1) انظر في الهمة 29 - 30 , 66 - 73 : نظرية القاضي النعمان فيما «يجب للائمة الصادقين أخذه من أموال المؤمنين والمؤمنات » بالاعتماد على تأويل الاسماعيلية للآيات المتعلقة بالزكاة والصدقة وتفسير خاص للغنيمة يصيّر معناها كلّ ما يكسبه المرء – لا ما يؤخذ من العدو فقط – ويجب دفع خمسه للإمام .

(2) أي : الإمام .

(3) عند وصوله الى إيكجان قادما من سجلماسة ، انظر : 261 .

(4) يريد بهذا الفساد فتنة بعض المشائخ مع أبي العباس أخي ابي عبد الله ، انظر : 280 .

(5) من الرّمل . ـ ا : تهنّي ؛ ب : تحريف كثير في البيت .

وقال [1] بعضُ المُتَقَدّمين : العَادَةُ طَبِيعَةٌ وقَطْعُهَا ذَنْبٌ .

125 ـ ولم يكن ذلك من سوء سياسة أبي عبد الله وإنّما فسد الأمرُ فيه من قِبَلِ فَسَادِ التَّمْيِيزِ مِمَّنْ أنْكَرَهُ وفسد من أجله . فأمّا الذي فعله أبو عبد الله فيوجب ما قدّمنا ذكره . وإنّما يَلْزَمُ الخَطَأُ [2] مَنْ أحالَ الصّوابَ وغَيْرَهُ ، لا مَن ابْتَدَأه واخْتَرَعَهُ [3] . ومِنْ ذلك أنّه كان يمتحن أصحابه بِالمِحَنِ الكِبَارِ . فمن رَضِيَ مِحْنَتَه منهم رفعه بقدر استحقاقِه . فكانوا لذلك لا يستعظمون محنة ولا يرغبون عنها ، بل يُسَارِعُون إليها [4] ، ويُؤْثِرُونها ، فَيُعَاهِدُهُمْ على الموت ، ويَحْمِلُهُمْ على التَّلَفِ في وجه الدّين فَيُجِيبُونَه ويُسَارِعون إليه .

126 ـ وكان يبعثُ الرُّسُلَ منهم الى المشرقِ ، قبل هجرة المهديّ (صلوات الله عليه) والى سِجِلْمَاسَة بعد أن صار إليها، وإلى النّواحي البعيدةِ في الوجوهِ التي يُريدها . فإذا اختار لذلك مَنْ يختاره ، وانتخب له من يَنْتَجِبُهُ [5] ، وأسرّ ذلك إليه ، لم يُطلع أحدا عليه مِنْ أهْلٍ ولا وَلَدٍ ،

---

(1) ب : وقال ؛ ا : بياض قدره كلمة .

(2) ا و ب : الخطاء .

(3) ب : ابتداه واخترعه ؛ ا : ابتداء واخترعه .

(4) ب : اليها ؛ ا : اليه.

(5) انتَجَبَ الرَّجلُ الرَّجلَ : اصطَفَاهُ .

ولا يعرف أحدٌ منهم حيث سارَ ولا أين توجّه . فلا يزال مفقودا عنهم حتّى يَأْتِيَهُم . وكان يبعثُ بالأموال العظيمة معهم ، فيَحْمِلُونها ، فيستترون ويمشُون في حال الضّعفاء وحجيج أطراف المَغْرِبِ في الأطمار والاخلاق [1] ، حتّى يُوصِلُوا ما يُبعث معهم الى الإمام ثمّ يرجعون كذلك على مِثل حالهم .

127 ـ ولقد أدار رَأْياً لما فتح الله أكثر البلادِ عليه ولم يُمْكِنْهُ الوصولُ الى سِجِلْمَاسَة بنفسه دون أن يفتح إفْرِيقْيَة ، وبلغه أنّ زيادةَ الله كتب الى اليَسَع بن مِدْرَار [2] صاحب سِجِلْمَاسَة يخبر المهديّ وأنّه من قِبَلِهِ [3] . وخاف من أجل ذلك عليه ، فانتقى من كُتَامة مِائَةَ رَجُل ، وعاهدهم أنْ يخرجوا الى سِجِلْمَاسَة في زِيّ المسافرين ، فاذا وصلوا إليها ، وثبوا على ابن مِدْرَار ، فقتلوه ، وقاموا [4] بأمر المهديّ (صلوات الله عليه) ـ على أنّ كلّ واحدٍ جعل على نفسه أن يقوم بمائةٍ من المُقَاتِلَةِ وعَلِمُوا أنّه لا يكون

---

(1) الاخلاق (مفردة خَلَق) : الثياب البالية.

(2) ب : مدرار ؛ ا : مدار . ــ اسمه في البيان 157 : اليَسَع بن مَيْمُون بن مِدْرَار بن اليَسَع بن سَمْغُون بن مَدْلان المكناسي .

(3) ب : من قبله ؛ ا : قبله (كذا) . ــ اي : من قِبَلِ ابي عبد الله ومعناه أنّ بين المهدي المتنكّر بسجلماسة والدّاعي الخارج بكتامة صِلَةً .

(4) ا و ب : اقاموا .

بِسِجِلْماسَة مثلُ هذا العدد . ـ فَأَعْطَوْا صَفْقَةَ أَيْمَانِهِم [1]،وعاهدوا الله على ذلك : وخرجوا،حتّى إذا كانوا بالقرب من تَاهَرْت[2] ،اشتهر أمرهم، وَعُرِفُوا ، ولم يُمْكِنْهُمْ النُّفُوذُ فانصرفوا . فكانت فيهم هذه النّياتُ العظيمةُ والبصائرُ العجيبةُ لِمَا أَدَّبَهُمْ به ، وَقَوَّمَهُمْ عليه بتوفيق الله (ع و ج)إيّاه ، وتسديده له، لِمَا أَرَادَهُ (تع)من إتمام أمره وإظهار دينه .

128 ـ ومِنْ ذلك أنه كان يتعاهدهم بالوصايا والتّذكرة،ويكرّر عليهم بالمواعظِ والحكمة ، ويجمعهم لذلك ، ويجلس لهم أَكْثَرَ أيّامه ، وَيَأْمُر مَنْ أَطْلَقَهُ من الدُّعَاةِ بذلك ، وَيُرَبِّيهِ عليه . فكانت أَيّامُهم أكثرُها مشاهدَ ، وسماعَ مَوَاعِظٍ[3] : فَبَيْنَ شاهِدٍ لذلكَ رَاغِبٍ فيه، وحاضِرٍ لهيخشى النّقص من التَّخَلُّفِ عنه [4] ، ولا بدّ ان يَعْلَقَ بالشيء منه فَيَنْبُغَ به . وأعمالهم مع ذلك علىمثل ذلك دارت تَدَيُّناً وَتَصَنُّعاً [4] وعلى ذلك مضى سَلَفُ الأَئِمَّةِ

---

(1) وصفقة اليمين ان يَضْرِبَ زيدٌ بِكَفِّ يده في كَفِّ يد عمرو قَسَماً وعَهْداً . وهو معروف اليوم متواتر ببوادي تونس والجزائر .

(2) كذا في ا و ب ؛وكذلك في اليعقوبي 20 وابن حوقل 90 وغيرهما من المصادر ، اما في الادريسي فنجد تاهرت وكذلك تيهرت .

(3) ب : كذا ؛ ا : ومواعظ .

(4) كذا ورد في ب من قوله ، ولا بدّ ، الى حدّ قوله ، وتصنّعا : ا : دارة تدينا وتصنعا (كذا) ، والسقوط هنا جليّ .

(سلام الله عليهم) حتى لقد قال بعضهم وحَلَفَ باللهِ لقد طلب العلم أوّل ما طَلَبَهُ [1] لغير وجه الله .

129 ـ ومِنْ ذلك [2] ما كانوا يَرَوْنَهُ من أمر أبي عبد الله من الاعراض عن الدنيا ، واطّرَاحِها ، وترك الاشتغال بالكسب فيه ، مع قنوعه في المَطْعَمِ ، والمَشْرَبِ ، والمَرْكَبِ ، والمَلْبَسِ ، والهَيْأَةِ. فكانوا قد اقتدوا به ، وجعلوا كَدَّهم وَجَدَّهم الانفاقَ فى سبيل الله (ع و ج) والتّعاونَ على ذلك ، والمؤاساة فيه ، اذ كان الامرُ فى ابتدائه ولا أَمْوَالَ في أيديهم إلّا اليَسيرُ مّما أفاءهُ اللهُ عَلَيْهِم ، بِحَسَبِ ما كان عليه صدرُ السَّلَفِ في ابتداء أمر رسول الله (صلعم) . فلم يكونوا كذلك يشتغلون بما جاوَزَ الكَفَافَ وستر العورة . ومن ذلك ما كان يحضّهم عليه، ويذكر لهم فضلَه ، ويُبَيِّنُ لهم ثوابَه من التّواصل بينهم، والتَّوَازُرِ [3] ، والتَّعَاوُنِ ، والتّرَافد والتّعاهد ، واطعام الطّعام ، وصِلَاتِ الأَرْحَامِ من أهل الدّين وجملةِ المؤمنين .

130 ـ فكانوا الى ذلك مسارعين ، وبه مغتبطين ، وعليه متعاونين ، لا يُعِدُّ الواحدُ منهم لنفسه مالا دون أخيه ، ولاَ [4] يَرَى الفضل والشَّرف

---

(1) ا : طلبه ؛ ب : طلب .

(2) ب : ومن ذلك : ا : نقص كما يدل عليه البياض .

(3) ب : التوازر ؛ ا : التزاور .

(4) ا : ولا ؛ ب : والا.

الاّ فيا وصل اليه فَأَعانَ به .فلم تكن أُمّةٌ من الأُمَم ، ولا أهل قرن من القرون على مثل ما كانوا عليه . وهم في ذلك على مَنَازِلَ بِحَسَبِ نِيَّاتِهِمْ واجْتِهَادِهِمْ،رجالهم ونساؤهم . ولهم [1] في ذلك من الاخبار ما لو ذُكِرَ بجملته مُفَسَّراً لطال ،وخرج عن حدّ هذا الكتاب .

131 ـ وقد ذكرنا ونذكر جماعةً مِّمَّنْ شُهِرَ بذلك وأنفق ماله فيه ، وكانت له الاخبارُ العجيبةُ ،فيما يحكى مِنْ ذلك عن كُوَيْرِت [2] بْن قَيْس اللَّهِيصِيّ فإنّه[3] قيل إنّه أنفقَ مالَهُ كلّه في موُاسَاةِ إخوانه، واطعامهم ، وسَدٌخَلَلِهِمْ.وكان يقال إنَّهُ يَضُمُّ اليه كلَّ جريحٍ يُجْرَحُ من المجاهدين فَيَأْسو جُرُوحَه ، ويداويه ويقوم عليه الى أنْ يَبْرَأ وَيَسْتَقِلَّ ، فَيَصِلُه بعد ذلك ويُعطِيه ، أو يَمُوتَ ، فيُكَفِّنُه ويُوَارِيه . وقيل إنّه ما زال يخرق ما عنده من الثّياب لِتَعْصِيبِ جِراحِ الجَرْحى [4] حتّى لم يبق له ثوبٌ،ولا لأحد مِنْ وَلَدِه ـ وكانوا لا يَصِلُون الى الأَسواقِ فَيَشْتَرُون ـ . واحتاج جماعة عنده مِمَّن كان يقوم به ويغذّيه ، ويداويه ، الى عصائب جراحهم ، فلم يجدها ، فَأَنْفَدَ [5] كُلَّ ما كان له ، ولبنيه ، ولأهل بيته

---

(1) ب : ولهم ؛ ا : ولم .

(2) ا : كويرت بن قيس ؛ ب : كوربن ابي قبر (كذا).

(3) ا : فانه ؛ ب : وانه .

(4) ب : جراح الجرحى ؛ ا : جرح الجرحاء .

(5) ب : انفد ؛ ا : انفذ .

من الثّياب في ذلك . وقد أدخل ابنــه يوما على امرأة له ، وهــي عروس وعليها ثياب ؛ فسألها [1] فيها وعوّضَهَا مالا منها، وانتزعها عنها، فشقّها عصائبَ ، وشدّ بها جراجاتِ اخوانه ؛ مع ما كان يتحمّل به هو وجماعة ، يطول الكتاب بذكرهم ، من اطعام ضعفاء المؤمنين والقيام بهم .

132 ـ ومِنْ نِسَاءِكُنَّ يَصْنَعْنَ ذلك ، ويُقِمْنَ عليه ابتغاء الأَجْرِ كإمْرَأَةِ يَحْيَى بن يُوسُف المعروفِ بِابْنِ الأَصَمّ الأَجَّانِيّ ـ وكان من أصحاب الحُلْوَانِي الذي قدّمنا ذِكْرَهُ ، ومات قبل دخـول أبي عبد الله بدهرٍ طويلٍ ، ولمّا احتضر أخرج مالا الى امرأته ، وكانت حَدَثَةَ السّنّ يومئذ ، وهو شيـخٌ ، وكان قد أدّبها وعلّمها التَّشَيُّعَ والوِلاَيَةَ [2] ، فقال لها : إنّ هذا المال ما كنت أعدَدْتُه إلّا لما كُنّا نسمَعُه من الحُلْوانِي من أمـر المَهْدِيّ ، وأنّه يَطَأُ بلدَنا ، وكنت أعْدَدْتُ هذا المال للنّفقة في الجهاد بين يَدَيْهِ أو بين يَدَيْ دَاعِيهِ ، فَلْيَكُنْ عندكِ بأمانـــة الله فَأخْرِجيهِ ، فَأَنْفِقِيهِ ! ومات. فَخَلَفَ عليها بعده أخوه [3] يٰس [4] بن يُوسُف ،

---

(1) ب : فسألها ؛ ا : فسلها.

(2) لتكون وَلِيّةً ؛ والاولياء هم طبقة مَنْ صحِبَ الدّاعي من كُتَامَة في أوّل دعوته ودخلوا في أمره ، والاولياء في الاصل هم الائمة (اولياءالله).

(3) كذا الجملة في ب ؛ ا : وتخلف عليها بعده اخاه .

(4) ا : ياسين ؛ ب : يا بين

وعاشت الى أن دَخَلَ أبو عبد الله، ودُعِيَتْ، وحَسُنَتْ حالُها ، وأخرجت اليه المالَ ودفعَتْه إليه ، وأخبَرَتْهُ بما كان من وَصِيَّةِ زَوْجِها اليها . وكان لَهَا مَالٌ فَأَنْفَقَتْهُ في الجهاد . وكانت تصنع بيدها الطعام للمجاهدينَ [1] وضعفاءِ المؤمنين ، ولِمَنْ ينزل بأهلها منهم . حتّى أنّ يَدَيْهَا كانَتَا تُدْمِيَان من الطَّحْنِ وعلاجِ الطَّعامِ لهم .

133 وغيرُها مِمَّنْ هو في مِثل حالها من النِّساءِ يَطُول الكتابُ بِذِكْرِهِنَّ. وكُنَّ يَشْهَدْنَ المجالسَ ، ويسمعن الحكمَةَ . وكان منهنَّ عجائز يسمعن ذلك مِمَّنْ قد بلغ حدَّ [2] الدَّعْوَةِ . مِنْهُنَّ : أُمُّ مُوسى بنتُ الحُلْوَانِي ، التي قدّمنا ذكره ، وغيرُها من عجائز كُتامَة . وكُنَّ كذلك يَخْدِمْنَ المؤمنين ، ويُعَالِجْنَ المرضى ، ويَاْسِين [3] الجرحى على نِيَّاتٍ وبصائِرَ لِمَا كُنَّ يَسْمَعْنَ مِنَ الذِكْرِ والحِكْمَةِ ، وقُوِّمْنَ عليه من الأدبِ والسِّياسةِ ، ومن تقدَّم ذكرُه من الرِّجال . فكان أبو عبد الله سبباً من الخير سَبَّبَه اللهُ لهم ، وبَابًا من البَرَكَةِ فتحه الله عليهم ، وسعادةً سَاقَهَا اليهم ، وبَصَّرَهم به من الجهالَة ، وهداهم من الضَّلالة ، وأوسع [4] به عليهم في النِّعْمَةِ .

(1) ب : للمجاهدين ؛ ا : للجاهدين .

(2) كذا في ا ؛ ب : تحريف في هذه الجملة .

(3) ب : يا سين ؛ ا : يائسن .

(4) ا : اوسع ؛ ب : اسبع ، والاصح : أسبَغَ .

القسم الثالث

XVI ـ ذكرُ افتِتَاحِ مدينةِ ميلَة [1]

134 ـ وكان بَنُو أَبِي خِنْـزير [2] من وُجوهِ أهلِ مِيلَة ـ وهم من العَرَبِ من رَبيعَة ، ويُعرفـون بالسَّنَاجِرَة [2] لأنَّ أوّلهم من سِنْجَـار ، مدينة من دِيارِ رَبيعَة . ـ وكان رئيسهم يومئذ حَسَنَ بنَ أحْمَد [3] . فوصل الى أبي عبد الله سِرًّا ، ودَعَاه . فأطلعه على امر المدينة . وكان أبو عبد الله حينـئذ يحاربهم ، ـ وقـد انضمّ اليهم رؤساء القبائل وعامّـة لَطَايَـة ـ ، ويزحف بالعساكر اليهم ، فيكون بينهم [4] القتالُ الشّديـدُ . وينصرف عنهم الى تَازْرُوت . وكان مع ذلك يحارب بَقَايَا من طوائف كُتَامة الى ان غلب عليهم ، وسلَّموا لامـره . فلمّا استقـام لابي عبـــد الله أمرُ كُتَامة

---

(1) كذا بالحبر الاحمر في ب ؛ ا : نقص كما يدل عليه بياض قدره ما يزيد عن نصف سطر ، وفي الطرة كلمات غير بيّنة.

(2) كذا في ا و ب ؛ ذكـرهـم اليعقـوبي 10 ، عند ذكر تجّانة هكذا : « وأهلها (اي : مجّانة) قوم يقال لهم السناجرة يقال ان اولهم من سِنْجار من ديار ربيعة وهم جند للسلطان ... »

(3) كذا في ا و ب ؛ وكذلـك في الكامل 128 واتعاظ 79 : الحسن بن احمد ، واسمه في البيـان 151 : الحسن بن احمد (بن عليّ بن كليب المعروف بـ) ابن ابي خِنْـزير .

(4) ب : سقطت هذه الفقـرة من قوله ، « القتـال » ، الى حـد قوله « وزحف » .

وأَرَاخَ [1] مَنْ عَنِدَ عليـه منهم ، جَمَعَهُمْ وزَحَـفَ بهم الى مدينة مِيلَة فاحاطت العساكر بهم من كلّ ناحية ونزلت عليها • فخرج اليهم مُوسى بنُ العبّاس [2] بِمَنْ معه ومَنْ لجأ اليه من كُتَامَة مثل فَحْلِ بنِ نُوحٍ ، وفَرَحِ بنِ جِيرَان[3] ويُوسُف بن محمود ووَزْرَةَ بن نَصْر [4] . فقاتلهم قتالا شديدا • فَقُتِلَ فحلُ بنُ نوحٍ ، وغلب أبو عبـد الله وأصحابه على أرباض مِيلَة ، ودخل جميـعُ مَنْ فيها الى الحِصْنِ [5] فَانْحَصَرُوا [6] به .

135 ـ فلمّا نَظَرُوا الى ما لا قوام لهم به دعا موسى بن العبّاس حَسَنَ بنَ أحمد بن أبي خِنْزِير ـ وقد كان عَلِمَ بأنّه قد دعّاه ـ ، فأرسله الى ابي عبد الله يسأله الامان . فأمّنهم أبو عبد الله في انفسهم ما لم يُحْدِثُوا حدَثًا . وفتحوا ابواب المدينـة ، ودخـل الاولياء . وتَسَلَّلَ ابو ابراهيم [7] بن موسى بن العبّاس مع جماعة منهم في اللّيل ، فَهَرَبُوا . فوصلوا الى افريقية . وقِيلَ

---

(1) كذا في ا . وفي الطـرة : أراخ اي اذل ، مِنْ رَاخَ يَرِيخ : ذلّ .

(2) ب : عباس ؛ ا : عياش .

(3) ا : جيران ؛ ب : حيران .

(4) ا : كذا ؛ ب : وزده بن نصرن .

(5) وصف هذا الحصن عند اليعقوبي 11 : « . . . ولها (اي : ميلة) حصن دون حصن . . . » . ـ فوجود حصن في حصن بالمدينة مما كان يزيدها تحصينا .

(6) ا : فانحصروا به ؛ ب : فاحتصروا به .

(7) انظر : 112 .

إنَّ مُوسى بن العَبَّاس ومَنْ معه مِنْ رؤساء كُتَامَـة أرسلوهُمْ .ولمّا دخل الكُتَامِيُّونَ قتلوا فَرَحَ بنَ جِيرَان ويُوسُفَ بنَ مَحْمُود [1] وَوَزْرَةَ بن نصر الأَجَّانِيَيْنِ [2] .ويُقال إنَّ الذي سَعَى في قتلهم أبُو زَاكِـي لِانَّ هؤلاء كانوا وجوه أجّانة ، فَخَشِيَ ان يَعْلُوَ أمرُهم عليه ، واخرج ابو عبد الله مُوسى بن العبّاس [3] ، واَسْتَوْصَى به خَيْراً.وولّى ابو عبد الله على مِيلَةَ أَبَا يُوسُف مَاكْنُون [4] بن ضُبَارَةَ الأَجَّانِي وهو عَمُّ أَبِي زَاكِي ، وانصرف الى تَازْرُوت بِالعَسَاكِرِ .

136 ـ وانتهى أبُو إبراهيم ومَنْ هَرَبَ معه الى أَبِي العبّاس بن ابراهيم بن احمد [5] ـ وهو يومئذ بمدينة تونس ـ ، فأخبروه بالخبر ، وضعّفوا عنده أمر ابى عبد الله ، وسألوه في اخراج عسكر اليه معهم ، وضَمِنُوا له أَمْرَهُ . واجتمع في ذلك معهم فَتْحُ بنُ يَحْيَى المَسَالْتِيّ الذي كان قدم قبل ذلك اليه [6] ، واعلموه انَّ اكثرَ النّاس لو اتاهم عسكر لقاموا معه .

---

(1) في ب : محمود ؛ في ا : محمد – انظر تحقيق اسمه في 108 .

(2) كذا بالمثنّى لان فرح بن جيران من لهيصة.

(3) ب : عباس ؛ ا : عياش.

(4) ا: ماكنون ؛ ب : بن ماكيون ضيارة ؛ انظر تحقيق اسمه في : 646 .

(5) انظر ذلك في : 112 .

(6) انظر ذلك في : 111 .

فأَمَرَ بالحُشُودِ ، وبذَلَ العطاء ، وجمع وُجوهَ رِجالِه ، فأَمَّرَ عليهم ابنَه مُحَمَّداً أبَا عَبْدِ اللهِ المَعْرُوفَ بِأَبِي حَوَال (1) ـ وكان فارساً شديداً بَطَلاً كَمِيًّا ،ولم يكن أحولَ وإنّما ذلك شيء لُقِّبَ به لِأَنَّهُ كان رُبَّما كَسَرَ عَيْنَهُ إذا أدمَنَ النَّظَرَ الى الشيء (2) . فاجتمعت اليه عساكرُ كثيرةٌ عظيمةٌ .

137 ـ واتّصل الخبر بأبي عبد الله أنّ موسى بن العبّاس هو الذي

---

(1) كذا في ا و ب ؛ البيان 133 : ابو عبد الله الاحوَلُ بن ابي العباس ، العبر 33 : فجهّز العساكر وعقد عليها لابنه ابي خوال . . . ؛ الكامل 128 : وبلغ الخبر (خبر فتح ميلة) امير افريقية ـ وهو حينئذ ابراهيم بن احمد ـ (كذا ، وهو خطأ) فنفذ (كذا) ولده الاحول (كذا وهو خطأ لان ابراهيم بن احمد انما هو جدّ القائد)؛ اتعاظ 79 (نقلا عن الكامل) : وبلغ الخبر امير افريقية وهو يومئذ ابراهيم بن احمد فبعث اليه ابنه الاحول ؛ وفي الكامل 103 ، ورد ما يناقض ما في صفحة 133 : فأرسل (اي ابو العباس) اخاه (كذا وهو خطأ) الاحول . . .

(2) وردت هذه الجملة في الكامل 103 مع بعض الاختلاف : ولم يكن احول وانما لقب بذلك لانه كان اذا نظر دائما ربما كسر جفنه فلقب بالاحول . ـ قد اثبتنا لقبه كما ورد في الافتتاح لان صيغة « ابو حوال » تؤدّي تخفيفا لعيب الحول لا سيما ان الملقب ابن الامير : فلو نودي القائد هكذا : يا أحول لكان عيبا ، اما اذا نودي هكذا : يا أبا حوال (وهذا التمديد بَدَل يا أبا حَوَل من التخفيف ايضا) تلاشى ما في صفة الحول من العيب .

وتّجه ابنه لذلك . فأمر بأنْ يُحْتَفَظَ به ، وجَعَلَ عليه الحَرَسَ . ثمّ امر بقتله لمّا صَحَّ ذلك عنده ، وقربت العساكر منه . فَقُتِلَ صَبْرًا في في بَنِي جُلاَمَة [1] ، وأُلْقِيَ في مَطْمُورَةٍ بها ـ وجمع أبو عبد الله العساكِرَ اليه واستعدّ للقاء أَبِي حوّال .

XV ـ ذكر خروج أبي حوال بالعساكر الى بلد كتامة وما كان من امره في ذلك وانصرافه منه [2] .

138 ـ فاجتمع لِمُحَمَّد هذا المعروف بابي حوّال بن عبد الله ابي العبّاس بن ابراهيم بن احمد إثْنَا عَشَرَ أَلْفَ [3] رَجُلٍ بَيْنَ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ تَنَقَّاهُمْ ، واختارهم. واخرج إليه ابوه الاموال والخِلَعَ والسّلاحَ والعُدَّة. فأسبغ عليهم العَطَاءَ ، وكَسَا وُجوهَهُمْ ، وَحَمَّلَهُمْ. وكَسَا فِيمَن كَسَا وحَمَّل فَتْحَ بن يَحْيَى وأَبَا إبراهيم بن مُوسَى بن العَبَّاس [4] وأَمَرَهم بالسُّرُوجِ واللُّجُمِ المُحَلَّاةِ في جَمَاعَةٍ كانوا [5] معهم من حُمَاةِ كُتَامَة. وخَرَجَ بالعساكر [6] من

---

(1) ا و ب : جلامة ـ وهم بطن من قبيلة لطاية ، انظر ذلك في : 141 .

(2) كذا في ب . بالحبر الاحمر ؛ ا : نقص كما يدل على ذلك بياض قدره ما يزيد على سطرين ونصف سطر .

(3) اثبت هذا العدد ـ وهو معقول لم يبالغ فيه ـ في الكامل 128 واتعاظ 19 .

(4) ب : عباس ؛ ا : عياش .

(5) ب : كانوا ؛ ا : وكانوا .

(6) ب : العساكر ؛ ا : العسكر.

مدينة تُونس في ذي القعدة من سنة تِسْعٍ وثَمَانينَ ومِائَتَيْنِ [1]. فَكُلُّ من مَرَّ عليه مِنَ القبائل بَذَلَ لهم العطاء ،والخِلَعَ وَالحِمْلَانَ لِوُجوهِهِمْ ؛ فَسَارَعُوا إليه ، وقَصَدُوا نَحْوَهُ . وصارَ الى سَطِيف [2] ، فلم يَصِلْ اليها حتّى زَاد في عسكره مِثْلُه . وتَلَقَّاهُ بَنُو عُسْلُوجَة [3] أصحاب سطيف [4] و بَنُو تَمِيم [5] أصحاب بِلِزْمَة فِيمَنْ معهم ، ومَنْ حَوَلَهُمْ مِمَّنْ لم يَدْخُل مع ابي عبد الله . فَصَارُوا في عساكرَ عظيمةٍ ، ومال بهم على مَنْ كان قد دخل في حِزْبِ ابي عبد الله مِنْ كُتَامَة اهل مَجْرِس [6]، فقتلهم قَتْلًا ذَرِيعًا ، وانْتَهَبَ اموالَهم وسَبَى [7] نِساءَهم وذَرَارِيهم .

---

(1) كذا في ا و ب ؛ العبر 33 : وزحف من تونس سنة تسع وثمانين البيان 133 : وفيها (اي : سنة 289 ، المعروفة بسنة العدل ، وسنة الجور ، وسنة النجوم)شخص ابو عبد الله الاحول بن ابي العباس الىمدينة طبنة الى محاربة الشيعي

(2) ا و ب : سطيق .

(3) انظر : 155 .

(4) ا : سطيق ؛ ب : يطيق .

(5) كذا في ا و ب ؛ اليعقوبي 12 : [ومدينةيقال لها بلزمةاهلها قوم من] بني تميم وموالي لبني تميم ؛ البيان 133 : وكان اكثرهم [اي : البلزميون] من قيس . ـ وكان اميرهم اذاك حيّ بن تميم ، انظر : 72 .

(6) وهم في ناحية سطيف ، انظر : 110 ، ولعل الارجح كما ذكرنا : واهل مجرس تمييزا للمجرسين عن الكتاميين لان اصلهم من هوارة.

(7) ا و ب : سبا .

ثمّ قصد ابا عبد الله الى تَازْرُوت . واتَّصَلَ الخبرُ بأبي عبد الله فبَرَزَ إليه فِيمَنْ معه .

139 ـ وكان أبُو حَوَال منذ خرج من بَاغَايَة جَعَلَ[1] يُسيِّرُ عساكِرَه إذا سارت زَحْفًا بِتَعْبِيَةٍ كما تُعَبَّى[2] العساكرُ عند لِقَاءِ القتال . فإذا نَزَلَ لم[3] يَبِتْ الاّ في خَنْدَقٍ يُحْتَفَرُ حَوْلَهُ من وقْتِ نُزُولِهِ ، فلا تغرب الشَّمس إلاّ وقد تَمَّ ، قدرتّب ذلك على رجال أوقفهم له بقياس معلوم بأذْرُعٍ معدودةٍ ورتب نزولهم على ترتيب معلوم : فكلُّ قوم قد عَلِمُوا ، وعَرَفُوا مكانَهم . فإذاأظْلَمَ اللَّيْلُ عليهم وَقَفَ الحرسُ على ابواب الخَنْدَقِ ؛ ودارت به الرَّجَالَةُ من داخِله بالدَّرَقِ والخَيْلُ تَعُسُّ دون الرَّجالَةِ في[4] داخل الخَنْدَقِ ، وتَخْرُجُ[5] ألفُ فارسٍ فَتَعُسُّ حوله الى أنْ يُصْبِحَ . فساروا على ذلك الـتَّرتيب ، وكان الزَّمانُ زمانَ شِتَاءٍ[6] .

---

(1) ب : جعل ؛ ا : يجعل .

(2) ب : تعتي ؛ ا : يعبي .

(2) ب : لم يبت ؛ ا : يبت ، و « لم » سقطت .

(4) ا : في ؛ ب : من .

(5) ب : تخرج ؛ ا : يخرج .

(6) ا : زمان شتاء ؛ ب : زمن الشتا .

140 ـ وزَحفَ ابو عبد الله اليه . فَالْتَقَوْا بِبَلَدِ مَلُوسَة [1] ، فاقتتلوا قتالاً شديداً . فانهزم أَبُو عبد الله واصحابُه آخِرَ النَّهار [2] ، واتَّبَعَهُمْ أَبُو حَوَال الى قُرْبِ اللَّيل. فَنَزَل، وخَنْدَقَ. فلمّا أصبح زَحفَ إليهم ـ وقد كانوا نَزَلُوا بقُرْبِهِ ـ فَاقْتَتَلُوا ، فانهزم ايضا اصحابُ أَبي عبد الله ، وجاء ثَلْجٌ عظيمٌ فحال فيما بينهم . وانْصَرَفَ ابو عبد الله واصحابُه الى الى تَازْرُوت ، فلم يَرَوْا أنّها تَحْصُنُهُمْ . فأخذوا [3] ما قَدَرُوا عليه مِنْ أموالهم ، وانْضَمُّوا عليه بأجمعهم الى إيكْجَان [4] .وارتفع الثَّلْجُ وأَتى أَبُو حَوَال الى تَازْرُوت فاصابها خاليةً فَأَحْرَقَهَا [4] ، وهَدَمَ قصرَ أَبي

---

(1) كذا في ا و ب وفي العبر 33 ؛ ـ لم يذكر مكان المعركة في الكامل 128 : فالتقيا (اي: الداعي وابو حوال) فاقتتل العسكران ؛ وفي اتعاظ 79 : والتقى (اي:ابو حوال) مع ابي عبد الله .

(2) كذا في ا ؛ والجملة محرفة في ب ؛ في الكامل 128 واتعاظ 79 (نقلا عن الكامل) ؛ فانهزم ابو عبد الله وكثر القتل في اصحابه . . .

(3) ب : فاخذوا ؛ ا : واخذوا .

(4) كذا في ا و ب ؛ العبر 33 : وفرّ الشيعي من قصر تازروت الى ايكجان فامتنع بها فهدّم ابو حوال القصر واتبعه ؛ الكامل 128 : وصار ابو عبد الله الى جبل انكجا . فوصل الاحول مدينة تاصرُون فاحرقها ؛ إتعاظ 79 : ولحق ابوعبد الله بجبل ايكجان ، وملك الاحول مدينة تاصروت واحرقها ـ فالمقارنة بين هذه الصيغ كلها تبيّن ان اصل رواية ابن خلدون وكذلك رواية ابن الاثير ورواية المقريزي (نقلا عن ابن الاثير خاصة) انما هو كتاب الافتتاح .

عبد الله الذي ابتناه بها[1]. ومضى، حتّى أتى الى[2] مِيلَة ، فاصاب اهلها أيضا قد ارتحلوا منها[3] ، وانْضَمّوا إلى إيكْجَان . فنزل منها بالجانب بناحية دُبُرِ[4] القِبْـلَةِ بقرب الجَنَانِ الكبيرِ المعروفِ بِمُوسَى بن العَبَّاس[5] على أنْ يَزْحَفَ الى أبي عبد الله الى ايكْجَان ، وخَنْدَقَ في مكانه .

141 ـ فلمّا اصبح ، اسْتَأْذَنَهُ أبُو إبراهيم بن مُوسى بن العَبَّاس[5] في أنْ يَمْضِيَ الى كُجَارْمَة يستخرج اباه[6] فَيَدْفِنَهُ ، ـ وكان ذلك بِقُرْبِ ما قُتِلَ ـ ، فأذن له في ذلك . ومضى في خيل كثيرة حتّى اتى كُجَارْمَة ـ وهي في بَلَدِ لَطَايَة ، بالقرب مِنْ مِيلَةَ ـ . فاصابها خاليةً قد ارتحل اهلُها

---

(1) بناه بها عندما اتخذها دار هجرة لقيام الجماعة عليه ليأخذوه من ايكجان ـ : انظر : 107 .

(2) ا : الى ؛ ب : نقص .

(3) كذا في ا و ب ؛ الكامل 128 : واحرق مدينة ميلة ولم يجد بها احدا ؛ اتعاظ 79 : واحرق مدينة ميلة .

(4) كذا في ا و ب . ـ والدُّبْرَةُ خِلافُ القِبْلَةِ ؛ فدُبُرُ القِبْلَةِ هي إذن في شمالِ مِيلَةَ .

(5) ب : عباس ؛ ا : عياش .

(6) أُلقِيَ أبوه موسى في مَطْمُورَةٍ بعد ان قتل صبرا في بني جلامة ؛ وكُجَارْمَة هي إذن منازل بني جُلامَة في بلد لَطَايَة ، انظر : 137 .

مع ابي عبد الله . فهو على أنْ يَسْتَخْرِجَ جُثَّـــةَ ابيه إذْ اقبلت خيلٌ ومعهم دوابٌّ من اهـل كجَارْمَة يَحْتَمِلُونَ طعاماً لهم . فَوَقَعُوا [1] ابـا ابراهـيم ومَنْ معـه ، فَقَاتَلَهُم . فَقُتِـلَ أَبُو عِقَـالِ بنِ أَبِي إبْرَاهِيم بن مُوسَى بنِ العَبَّـاس [2] ، ـ كان فارسا شـديـدا ـ . واتَّصَلَ الصُّرَاخُ بالفَرِيقَيْنِ فَأَمَدَّ كلُّ قوم اصحابَهم. والتحم القتال بيـنهم،وتكاثروا. فلمّا قرب اللّيـل ، وقعت الهزيمة على اصحاب أبِي حَـــوَال . فطلبهم الأولياءُ الى ان قَربُوا من العسكر . ودخل اللّيل عليهم ، فانصرفوا عنهم. وبات اهل العسكر مع ابي حَـوَال ، وقـد مَاجُـوا . فلمّا اعتكر الليل وقعت فيهم نَفْرَةٌ ، فَاقْتحموا الخندقَ،وَضَرَبُوا على وُجوهِهِـم ، كلُّ قوم منهم الى مواضعهم .وحاول أَن يُصْلِحَ ذلك أَبُو حَوَال ، فلم يَسْتَطِـعْ . فـامر برفع الثَّقَلِ ، وأشعل المَشَاعِـلَ ، وسار في اللّيـل ، وأخذ ناحيةَ جِيمْلَة يريد افريقية . فلم يُصْبِـحْ حتّى خرج من حدّ كتامة . واتّصل الخبر بـاصحاب أَبِي عبد الله فَأَتَوْا [3] مَنَاخَهُ ، فَغَنَمُوا مـا بَقِيَ فيه . وانقطعت خيل منهم في طلبـه فلم يَلْحَقُوا به . وسار أَبُو حَـوَال حتّى

---

(1) ا : فواقعوا ؛ ب : فوافقوا .

(2) ب : عبـاس ؛ ا : عيـاش .

(3) ا : واتا ؛ ب : تحريف . وكذلك في بعض الجمل السابقة .

وصل الى أبيـه بتونس وتراجع كتامة الى موضعهم وأهلُ مِيلَة الى مدينتهم [1] .

142 ـ وكان الحَسَنُ بنُ هارُون قد اعتـلّ فمات بإيكْجَان [2] (رحمة الله عليه) . وكان بَيَانُ بنُ صَقْلَان السَّكْتَانِيُّ وأبُو جَعْفَر ـ هو [3] أحمد بن سُلَيْم السَّكْتَانِي ، الذي كان يقال له الجَرَّارَة ـ قد بَلَغَا [4] عند أبي عبد الله المُبْلَغَ الصَّالِحَ ، وحسُنَ أثرُهُمَا . فرغبا اليه مع

---

(1) قد اختصر كلّ ما كان من امر ابي ابراهيم بن موسى بِكُجَّارمة وهزيمته وهزيمة ابي حوال بسبب هزيمته ، في الكامل 128 وفي اتعاظ 79 ، فلم يبق من نص الافتتاح شيء الا ما في هذه الجملة : « وعاد الاحول الى افريقية » . ـ اما في العبر 33 ـ 34 فقد لخصت رواية الافتتاح هذا التلخيص : « وتوغل ابو خوال في بلاد كتامة فاضطرب أمره وتوقع البيات (كذا) وسار ابراهيم بن موسى بن عياش (كذا) من عسكر ابي خوال الى نواحي مسيلة (كذا وهو خطأ لان المسيله لم تؤسس بعد) يتجسس الاخبار فتواقع مع طائفة من اصحاب الشيعي فهزموه واتبعوه الى المعسكر فاضطرب واجفل ابو خوال وخرج من بلاد كتامة » .

(2) كذا في ا و ب ؛ العبر 34 : ثم هلك الحسن بن هرون (كذا).

(3) كذا في ا ، ب : أبو جعفر احمد بن سليمان السكتاني . ـ الارجح انه هو ابو جعفر احمد بن سليمان السكتاني المذكور في : 191 * .

(4) ا : بلغا ؛ ب : بلغتا .

جماعة من بَنِي سَكْتَان في المكانِ بإيكجَان ، ورأى أنّه أشبهُ المَواضع به . فاقام ، وابْتَنَى به قصراً ، وارتحل النَّاسُ إليه ، وصار دارَ هِجْرَةِ للمُؤْمنين[1]. و[2]فرّقَ أبوعبدالله الدّعاةفي القبائل،وتجرّدبنفسه للمجالس؛ وكان يجلس في كلّ يوم للمؤمنين يُحَدِّثُهُمْ،ويشرح لهم.وأمر الدُّعاةَ بذلك، فحسُنت نيّات المؤمنين ، وزادت بصائرُهم ،وصلحت أحوالُهم[3].وكان يرسل الى إفْرِيقيَّة قوما يأتُونَه بالأخبار ، لا يقطع ذلك ، فقيل : كان لا يمرّ يوم إلاّ وعنده منها خبرٌ[4] .

143 ـ فجاءه الخبر بموت ابراهيم بن احمد ،وجلس للنّاس ذلك اليوم ، واجتمع اليه المشائخُ فرَأَوْهُ مُتَقَابِضاً[5] لم ينشرح ولا يَتكلّم الى وقت انصرافهم فلمّا خرجوا من عنده أقبل بعضهم على بعض فقالوا[6]: «ما نراه

---

(1) كذا في او ب ؛ العبر 34 : واستوطن ابو عبد الله ايكجان وبنى بها بلدا وسماها دار الهجرة .

(2) ب : وفرق ؛ ا : وافرق .

(3) تلخيص ذلك في العبر 34 بهذه الصيغة : « واستبصر الناس في أمره ودخلوا في دعوته ».

(4) كذا وردت هذه الجملة في ا ؛ وهي في ب : لا ينقطع ذلك عنه (فعل، كذا) فقل يوم يمر الا و (عند ، كذا) عنده منها خبر

(5) ب : متقابضا ؛ ا : مقاربا .

(6) ب : فقالوا ؛ ا : قالوا .

إلاّ وقد أَتاهُ أمرٌ أهمَّه والواجبُ ان لا نَنْصَرِفَ حتى نَعْلَمَ علمَ ذلك ؛ فإن كانت لنا فيه حيلةٌ ٱسْتَعْمَلْنَاهَا . فوقفوا ، وردُّوا بعضَهم اليه ، فَٱسْتَأْذَنَ عليه ، وذكَرَ ذلك له. فأَمَرَهُ بِرَدِّهِمْ ؛ فقال بلغني ما أنكرْتُمُوهُ مِن ٱنقِبَاضِي ؛وما ذلك إلاّ لِشَيْءٍ ٱشْتَغَلَ به صَدْرِي . فقالوا : مَا هو ؟ أَطْلِعْنَا عليه ، فلعلَّه أن يكون عندنا حيلة فيه ! قال : الفَاسِقُ إبراهيمُ بن أحمد قد ٱستأثر الله به، فمات [1]. فحمدوا الله وشكروه وٱسْتَبْشَرُوا بذلك وقالوا : ما يُغِمُّكَ مِنْ هذا ؟ قال : لا يُغِمُّنِي ذلك ، ولكنّ هذا الفاسق ابنَه [2] لَمَّا أتاه موت إبراهيم أبيه زاد في الرِّيَاءِ ، وردّ على النّاس جميع ما كان أبوه ٱغْتَصَبَهُمْ إيّاه ، وعَدَلَ فِيهم ، وتَوَاضَعَ لهم وجلس في المَسْجِدِ الجامِعِ [3] لِظَلَامَاتِهِمْ على حَصِيرٍ ونصب دِرَّةً بَيْنَ يَدَيْهِ كَفِعْلِ القُضاةِ يَسْتَمِيلُ بذلك قُلُوبَ العَامَّةِ إليه . فقالوا : ذلك أهون له . قال : لا تَقُولُوا ذلك ! كيف لَكُمْ بِمَنْ قابلكم بِحَصِيرٍ ودرّة يستميل بذلك قلوب العامّة ؟ ولكن ، جِدُّوا [4] في أمركم ، وٱجْتَهِدُوا ! فما زال يحذّرهم ذلك ، فيقول لَهُمْ [5]، حتّى أتاه الخبر بقتل أبي العبّاس وبأنّ

---

(1) مات محاصرا لكشنة بقلورية ،انظر : 70 ﴾ .

(2) اي : ابو العباس الامير عبد الله II .

(3) المسجد الجامع بتونس ، وهو جامع الزيتونة .

(4) ب : جدوا ؛ ا : خذوا .

(5) ا : فيقول لهم ؛ ب : ويقولوا لهم .

ابنَه زيادَةَ الله قد صار الى مكانه ، وأنّه هو الذي عَمِلَ في قَتْلِه وارْتَكَبَ المَحَارِمَ،وعَكَفَ على المَلاهِي [1] ،وشُرْبِ الخُمُورِ [2] . فَبَشَّرَهُمْ بذلك وقال : قد زال عنكم ما كنتم تتوقّعون وهذا صاحبكم وآخر من يحاربكم ، وعنه يَصِيرُ الأَمْرُ إليكم إن شاء اللهُ [3] (تع) .

XVI ـ ذكرُ رجوع المَعْرُوف بأبي حَوّال بالعسكر الثّاني وانْصِرَافِه مَهْزُومًا .

144 ـ ولّما انصرف أبو حَوّال إلى أبيه ، وَوَصَفَ له ما كان من ظُهُورِهِ أوّلًا ، وغَلَبَتِهِ على البَلَدِ،وأنّ انصِرَافَه إنّما كان لأمر عَرَضَ من غير علّة ، وقَوّى ذلك مِنْ قوله جميعُ مَنْ كان معه من كُتَامَة ، وضَعَّفُوا من أمر أبي عبد الله عنده ، وأطمعه ذلك ، فجهّز جيشا ثانيا زاد في عدده على الجيش الاول وأكثر في عدّته وقوّته،وأخرجه مع ابي حوال ابْنِهِ [4] . فخرج به قاصدا ، واخذ طريقه الاولى ، وانضمّت اليه القبائل . وسار

---

(1) ب : الملاهي ؛ ا : ملاهي .

(2) ب : الخمور ؛ ا : الخمر .

(3) ا : انشأ الله تع (كذا) ؛ ب : نقص .

(4) ب : واخرجه مع ابي حوال ابنه ؛ ا : واخرج مع ابي حوال ابنه .

حتّى نزل سَطِيف [1] على مثل ما كان سَيْرُهُ [2] في المرّة الاولى من التَّعْبِيَّةِ والتَّحَفُّظِ . وزحف من سَطِيف [3] . وانتهى خبرُه الى أبي عبد الله فزحف اليه من إيكْجَان بجميع من كان معه . فنزل بِتَاسَدْسُق [4] مِنْ بَلَدِ لَهِيصَة . ونزل أبُو حوَال ببلد مَلُوسَة [5] . فجرّد أبو عبد الله عامّة الخيل التى معه ، فقدّمها الى أبِي حوّال ، وأقام بِتَاسَدْسُق [4] .

145 ـ فلمّا أشرفت الخيل على أبي حوال ، خرج من خَنْدَقِهِ [6] بجميع أصحابه . فاقْتَتَلَ القومُ قِتالًا شديداً ، والغَلَبَةُ في كُلّ ذلك على أبِي حوّال حتّى أدخلهم اصحاب أبِي عبد لله خَنْدَقَهُمْ . فَحَالَ اللَّيْلُ بَيْنَهُمْ . فانصرفوا عنه . فباتوا . وأصبحوا اليهم من غد ، فاحتصر أبو حوال في الخندق،فلم يخرج اليهم ، ورأى أنّ أصحابه به [7] قد غُلِبُوا. فأقاموا عليهم يومهم الى اللّيل ، وانصرفوا الى أبي عبد الله فأخبروه بالخبر ، وقالوا له : مِنَ الرَّأْيِ أنْ نَرْفَعَ السّاعةَ بجميع العساكِرِ

---

(1) ا و ب : سطيق .

(2) ا : سيرة ؛ ب : يسر .

(3) ا و ب : سطيق .

(4) ا : تاسدسق ؛ ا تاسدست .

(5) ا : ملوسة ؛ ب : ملوسنت ؛ الكامل 103 : كموشة .

(6) ب : خندقه ؛ ا خندق .

(7) ا : به ؛ ب : نقص . ـ بـه ، اي : بالخندق .

فَنُحِطْ [1] بهم ، فإنّهم يَهْرُبُونَ اللّيلة ، لا محـالة .فقال أبو عبد الله : مـا أرى ذلـك وإنْ هَرَبُوا ، فـإلى لعنة الله ! فلمّا جنَّ اللّيلُ رفـع أبو حـوال ثقلَهُ ، فقدّمه بين يديه . ثمّ أوْقَدَ المَشاعِلَ وكَرَّ راجعاً الى سَطِيف [2]. وكانت خيـل كثيرة قد خرجت من عسكر أبي عبد الله إذْ تَيَقَّنُـوا [3] هُروبَ أَبِي حَوال، فَقَرُبُوا منه . فلمّا ارتحل ، ضربوا في سَاقَتِهِ ، فقتلوا جماعة من أصحابه ، وغَنَمُوا كثيرا ممّا كان معه . وأصبـح عسكرُ [4] أبي عبد الله، فَغَنَمُوا جميـع ما بقي في مناخ أبي حوال وانصرفوا الى إيكْجَان مع أبي عبد الله [5] . وانصرف أبو حوال بمن معه الى سطيف [2] .

---

(1) ب : فنحط ؛ ا : فحيط .

(2) او ب : سطيق .

(3) ا : اذا يقنوا ؛ ب : اذا تيقنوا .

(4) ب : عسكر ؛ ا : تقص .

(5) لا خبر عن هذه الحرب الثـانية الحاسمة بين الداعي وابي حـوال في اتعاظ 79 ؛ اما في الكامل 103 فقد ورد عنها هـذا : « فلما بلغه اي : الداعي) حركته (اي : حركة ابي حـوال اليه) خرج اليه في جموع كثيرة والتقوا عند كموشه فقتل بينهم خلق عظيم وانهزم الاحول إلا أنه اقام في مقابلة ابي عبد الله » . ـ وصيغة العبر 34 أوضح : « وجهز ابو العباس العساكر ثانية مع ابنه ابي خوال وردة لحرب الشيعي وكتامة فسار في بلادهم ورجع منهزما واقـام قريبا منهم يدافعهم ويمنعهم من التقدم » .

146 ـ ثمّ ان زِيَادَةَ اللهِ أَبَا مُضَرِبن عبدِ اللهِ أَبِي العَبَّاس عَمِلَ فيما يُقَال في قَتْلِ أبيه ، وصانع على ذلك بعض الخَدَمِ . وقيلَ بل الْخَدَمُ فعلوا ذلك لِيُرْضُوهُ بِهِ . وكان زِيَادَةُ اللهِ يومئذ مَحْبُوساً مُقَيَّداً وكان سبب حبسِهِ أنّ إبراهيم بن أحمد جَدَّهُ كان قد نَقِمَ عليه وهو معه ببلد الرُّوم فَسَاداً وزنًى[1] كان يرتكبه ، فأمر به فَحُبِسَ في خِبَاءٍ[2] وَوَكَّلَ به حَرَساً . وكان إبراهيم لَمَّا احْتَضَرَ استخلف على النّاس الذين معه ابنه أبا الأغلب ، ودفع اليه خَاتَمه ـ وكان أبو الأغلب رجلا عفيفا لَيِّنا . فلمّا مات إبراهيم خاف أن يكون أخوه أبو العبّاس يُكْرَهُ مكانه ـ . فدعا[3] بِزِيادَةِ الله ، فقال له : أبوك[4] هذا هو الأمير ، وأنت أحقُّ بهذا[5] الأمر منّي ، ودفع اليه خَاتَمَ إبراهيم و تَبَرَّأَ مِمَّا جعل اليه . وتولّى زِيَادَةُ الله العسكرَ . ـ وكان محاصرا لِكُشْتَة[6] قد أشرف على فتحها ـ . فانصرف زيادة الله بالجيش عنها الى صِقِلِّيَة وأراد الخِلافَ على أبيه بها ، وفرّق أموالا كثيرة على وجوه العسكر ، ودعاهم الى الخلاف معه . وذلك أنّه

---

(1) في ا و ب : زنا .

(2) ا : خبى ؛ ب : خبلى

(3) ا : بزيادة الله ؛ ب : زيادة الله .

(4) ا : هذا ؛ ب : نقص .

(5) ب : احق بهذا ؛ ا : اخو هذا .

(6) انظر : 70 .

علم من أبيه أنّه سَيُعَاقِبُه على ما كان منه . فقال له مَنْ دعاه الى ذلك : أَوْلاَدُنَا وأهلونا بافريقية،وإن خالَفْنَامعكلم نأْمَنْ عليهم العقوبة،ولكن نحن معك بجماعتنا ، فإذا وصلنا الى افريقية قُمْنَا معك ، وأزلنا أباك ، وَوَلَّيْنَاكَ . وكتب بعضهم الى أبيه بالخبر . فلمّا انصرفوا كلُّهم بالأُسْطَول [1] ، أمر أبو العبّاس بخيلٍ كثيرةٍ وقُوّةٍ قويّةٍ ـ وكانت على البحر ـ فلمّا نزل زيادةُ الله قبضوا عليه، وأتوه به. فضربه بالعصا ضربا وجيعاً ، وقيّده ، وحبسه. فلمّا عَمِلَ عليه ـ أو عُمِلَ له[2] ـ دخل الخدم عليه [3] ـ الذين كانوا يدخلون الى حَرَمِهِ لَيْلًا [4] ـ . وهو نائم ، ـ ويقال: إنّه كان قد شَرِبَ وسَكِرَ ـ ، فقتلوه في داخل قصره ، بمدينة تونس ليلة الاربعاء لِيَوْمٍ بَقِيَ مِنْ شعبان سنة تسعين ومائتين . وكانت ولايته من اليوم الذي خرج أبوه الى صقلّية الى اللّيلة التي قُتِلَ فيها سنةً واحدةً واثنين وخمسين يوماً . ولمّا قتله الخدم أتوا الى زيادة الله ، فاخبروه ،وأتوا بحدّاد اليه ليقطع قَيْدَه ، وسلّموا عليه بالإمارة . فأبى من ذلك وخاف من

---

(1) ب : بالاسطول ؛ ا : بالاسطوى .

(2) كذا في ا و ب : يحترز القاضي النعمان هكذا ، فلا يتّهم زيادة الله بقتل ابيه اتهاما قطعيا .

(3) ب : عليه ؛ ا : على .

(4) ب : ليلا ؛ ا : لئلا .

أن يكون دسيساً من أبيه عليه . فَمَضَوْا ، وأتَوْهُ برأسه في اللّيـل . فلمّا رأى ذالك ، أمـر بقطع قيده . وخرج ، فجلس بمجلس أبيه ، وضمّ أمواله ، وأصبح ، فاظهر الْوَجْدَ[1] عليه ، وقتل الْخَدَمَ الذين قتلوه[2] وقبض على إخوته وعمومته ، فاعتقلهم .

147 ـ وكتب في ذلك اليوم كتاباً الى أبي حَوّال على لسان أبيه يأمره بالإنصراف اليه لِيُقَـوِّيَ أمْرَهُ ، ويَزِيـدَ من الرّجال اليه . وأكّد عليه في اسْتِعْجَالِ القدوم عليه . ـ وذلك أن زيادة الله خـــاف مكانه ـ . ووَجّهَ بالكتاب[3] مع فَرَانِـقٍ ، واستحثّه . وكتب معه الى وجوه العسكر بموت أبيه وبالقبض على أبي حَوّال ان هو تَثَـاقَلَ عن القدوم ، وأمر الفَرَانِـقَ بدفعه اليهم ، إن رآه قد تثاقل . فلما وصل الكتاب الى أبي حَوّال ، وافقه وقد كَـرِهَ الْمُقَامَ إذْ[4] علم أنه لا قِـوَامَ له بأبي عبد الله ، ورأى غَلَبَتَـهُ عليه ، فدعا في ذلك الوقت بوجوه العسكر ، فأقـرأهم الكتاب ، وأمرهم

---

(1) ب : الوجد ؛ ا : الوجل .

(2) انظر روايات مختلفة عن مقتل ابي العبـاس بوضع من ابنه زيـاد الله وتولّي زيادة الله الامارة في البيان 134 – 135 ؛ والكامل 103 – 104 ؛ واعمـال 444 .

(3) ب : كذا ؛ ا : بالكتابة .

(4) ب : كذا ؛ ا : اذا .

بالنُّهُـوض . فَسُرَّ النَّاسُ بذلك لانصرافهم الى مَوَاضِعِهِمْ [1] ، فسارعوا اليه ، وانصرف . فلما وصل الى بِلِزْمَة اتصل به أمر أبيه، وأخبره بذلك حيُّ بنُ تَمِيمٍ وقال له : ان أَحْبَبْتَ الْمُقَامَ عندنا، فَنَحْنُ نَحْمِيكَ وَنَمْنَعُكَ. فلم يَرَ ذلك. وسار فلما قَرُبَ من بَاغَايَة لقيه صالح بن الرُّوحَانِيّ في عسكر، فقبض عليه ، فَكَبَّلَهُ ، وحمله على البريد . وتَوَلَّى أَمْرَ [2] الْعَسْكَرِ، وجاء بكتاب زيادة الله في ذلك، فانصرف به [3] . فوصلوا الى تونس فقتل زيادة الله أَخَاه أَبَا حَوَال وَعُمُومَتَه [4] وَإِخْوَتَهُ في شَهْرِ رَمَضَان [5] سنة تسعين ومائتين. وكان ذلك من صنع الله لاوليائه . وما أراده من قطع دولة الظالمين . فقتل بعضهم بعضا، وكان في ذلك وَهْنٌ لهم وتَضْعِيفٌ لِأَمْرِهِ .

148 ـ وكانَ أَبُو العباس هـذا يعنى بعلم الفُتْيَا ويرى رَأْيَ أبي

---

(1) ب : كذا ؛ ا : موضعهم .

(2) ورد هـذا السطر في : ب وسقط من : ا . وسبب السقوط أن شُبِّه على الناسخ في « عسكر » تَكَرَّرُ في سطرين متتالين وفي نفس المكان بكليهما .

(3) تختلف الرواية في احدى نسخ البيان 136 : « وبعث فتوحاً الرومي في خمسين فارسا الى أخيه أبي عبد الله الاحول .... » .

(4) ب : عمومته ؛ ا : عمومه .

(5) قتلوا بجزيرة الكراث . انظر : أعمال 445 ؛ والبيان 135 : «...الى جزيرة الكراث . وهي على اثني عشر ميلا من مدينة تونس ؛ فضربت هنالك رقابهم . ليلة السبت لثلاث خلون من رمضان » .

حنيفة ويذهب اليه،وينتحل القول بِخَلْقِ القُرآنِ[1] . وكان ذلك مّما يَنْقَمُهُ عليه العامةُ . فلمّا ولِيَ زِيادةُ الله أراد أن يَسْتَرْضِيَهَا ، فعزل الصّدّينيّ [2] عن القضاء ـ وكان ممن يذهب الى مذهب أبي حنيفة ، وَولّى حِمَاسَ بنَ مَرْوَان[3]، وكان يذهب الى مذهب مَالِك [4] ويُسَمَّى سُنِّيًا . وكتب في بنوده « نَصْرٌ مِنَ اللهِ للأميرِ زِيَادَةِ اللهِ بنِ عَبْدِ اللهِ القَائِمِ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ » ، وهو على ما هو عليه مِنَ الخَلاَعَةِ ، والمَجَانَةِ ، وَالفَسَادِ[5]،وارتكاب حَرَمِ أبيه.فلم يلتفت العامّة إلى ما رأته من ذلك ، ولا أقبلت عليه ، وفشا عنه شرب الخمر بِعَيْنِهَا ـ ولم يَكُنْ قَبْلَهُ يُعْرَفُ بِإِفْرِ يقيَة شُرْبُها ـ ، وأظهر الغناء والمعازِفَ (+) ، وجمع أهلَ اللّهو،

---

(1) في طبقات 238 تاكيد ذلك:« . . . ان ابنه عبد الله يقول بخلق القرآن»

(2) ا : الصدنى ؛ ب :الصدبني ؛ طبقات 194 : محمد بن أسود المعروف بالصدنى . ـ والارجح الصّدّيني كما اثبتناه ان صحت نسبته لِصَدّينَة القبيلة البربرية . انظر خاصة الحاج صادق 13 و 103.

(3) كذا اسمه في ا و ب وطبقا 153 وصفحات عديدة ؛ البيان 136 حِمَاس بنُ مَرْوَان بن سالم الهمداني .

(4) ب : مالك ؛ ا : مالكي .

(5) ب : والفساد؛ ا : في الفساد .

(+) ا : في الطرة هذه الزيادة : المعازف الملاهي كالعود والطنبور واحدها معزف ومعزفة .

والمُتَخَنِّثِين [1]، والمُضْحِكِين . وكان لا يُقْلِعُ عن شرب الخمر ، ولا يكاد الّاأنْ يُرَى سَكْرَانَ [2] ، واتخذ نُدَمَاء يَتَصَاقَمُونَ بين يديه ، ويُفحِشُونَ في القَوْلِ عنده ، ويأتون مالا ينبغي أن يذكر فضلا عن ان يعمل بـه . وكانوا يَتَّخِذُونَ مَثَانَاتِ[3] الغنم مَنْفُوخَةً مربوطةً ويجعلها تحت بِسَاطِه ، فإذا دخل عليه الجليلُ من رجاله ، فجلس ، تَقَعْقَعَتْ تحته، فيضحك ، ويضحك أصحابُه [4] في كثير من الرَّقَاعَةِ والعَبَثِ والمجانةِ والخلاعـةِ . وكان ياتيه ، ويَتَّصِلُ [5] بأبي عبد الله أخبارُه فيه ، ويُحَدِّثُ به رِجالَه ، ويقول :أبْشِرُوا فهذا صاحبكم وآخِرُ مَنْ يُحَارِبُكُمْ .

149 ـ ثمّ انتقل زيادةُ الله من مدينـة تونس إلى رَقّـادَة فنزلها وكان جدُّه ابراهيم بن أحمد انّما انتقل عنها، لَمَّا خالَفَ عليه أهلُ إفْرِيقِيَةَ[6] ،

---

(1) ا : المتخنثين ؛ ب : المخنثين .

(2) ا : كذا وردت الجملة : ولا يكاد الا ان يرى سكرانا ؛ ب : ولا يكاد يرى الا سكران .

(3) ا : كذا ؛ ب : ثانات .

(4) ب : فضحك ويضحك اصحابه ؛ ا : فتضحك ويضحك .

(5) كذا في ب ؛ ا : ياتيه واتصل . ـ والضمير في « يأتيه » يعود على إبى عبد الله .

(6) كان ذلك سنة 280 في السنة التي دخل فيها ابو عبد الله افريقية ، انظر : البيان 123 — 124 .

وَعقَدُوا بتونس ، فسار [1] إليهم ، فهزمهم ، وأفتتحها ، وأقام بها . فرأى زيادة الله أنّهَا [2] مُنقَطِعَة عن القيروان [3]، وخاف من أبي عبدالله أن يأتِيَ رَقَّادَةَ ، فَيَنْزِلَ بها . فارْتَحَلَ إليها ، وأبتَنَى سُورَهـا ، ـ ولم يكن عليها سور أيّام ابراهيم بن احمد، وإنّما كان عليها خَنْدَقٌ وأبوابٌ ـ، وأقَامَ بِهَا .

XVII ـ ذكر هجرة المهديّ (ع م) مِنْ دَارِ المَشْرِقِ وَوُصُولِهِ الى سِجِلْمَاسَة :

150 ـ ولمّا أنتهت الامامةُ الى المهـــديّ (صلعم) و قُبِضَ الامام قَبْلَهُ [4] الذي كان عهد فيها اليه ، وقد كان يقول له : « إنَّكَ سَتُهَاجِرُ بَعْدِي هجرةً بعيدةً ، و تَلْقَى مِحْنَةً شديدةً [5] » . فلمّا قَبَضَهُ اللهُ (تـع) إليه ، وقام المهديُّ بالامامة مِنْ بَعْدِهِ (ع م) اشْتَهَرَ ذِكْرُه ، و فَشَا

---

(1) ب : فسار ؛ ا : فساروا .

(2) اي : تونس . .

(3) ب: القيروان ؛ ا : البتران .

(4) وهو الحُسَيْن بن احمد ، مع ان المصادر متخالفة في ذلك اشد الاختلاف انظرَ المهدي 143 - 168 ، وخاصة ليوس 160 - 163 .

(5) كذا في ا ؛ ب : محنا وشدة ، الكامل 129 : محنا شديدة .

خَبَرُهُ ، ودَلَّتْ عليه آياتُه ، وتَبَيَّنَتْ [1] للنّاس عَلاماتُه [2] . وخاف المهديُّ بني العَبَّاس على نَفْسِه ، وكانت له في ذلك أخبارٌ يطول شرحُها وذكرُها ، ومِحَنٌ كما وعده الامام مِنْ قَبْلِهِ (صلعم) بها [3] . فَخَرَجَ بِنَفْسِه وبالإمَامِ ابنِه [4] - القائِمِ من بعده - معه، وهو يومئذ غُلامٌ حدثُ السِّنِ، والمهديُّ شابٌ عند ما كَمُلَ - ، حتَّى انْتَهَى الى مِصْرَ . وأمِلَ

---

(1) ب : تبينت ؛ ا : تبين .

(2) ب : علاماته ؛ ا : علامته . - انظر في زَهْر 65 - 67 ، كيف آلت الامامة الى المهدي الذي يسميه الداعي ادريس « سعد الخير » ، « وتسمّى بالإمامة بأمر النّاص عليه سترا على وليّ الله (اي : القائم) واخفاءً لمقامه . . . » ؛ انظر كذلك في غَايَة 37 — 38 ، كيف يرى الداعي ابو الخطاب راي الداعي ادريس فى قيام المهدي: « يَسَارَ وَلِيُّ الله في ارضه علي بن الحسين (اي : القائم) صلوات الله عليه ! - يريد بلاد المغرب حتى كان في بعض طريقه فأظهر الغيبة واستخلف حُجَّتَه سعيدا الملقب بالمهدي . . . »

(3) انظر وصفا لهذه المحن في سيرة جعفر 109 — 110 .

(4) ا : ابنه ؛ ب : انيه (كذا) . - فالقاضي النعمان يثبت اذن بُنُوّة القائم الجسمانية من المهدي كما يثبتها الخليفة المعز لدين الله نفسه (انظر ذلك في المجالس 344 و 347) عندما يفنّد انقطاع الامامة من ذرّية علي الى نسل ميمون القدّاح . وليس للنعمان الآن يفعل ذلك وهو قاضي المعزّ ومؤرّخ الدّولة الرّسمي .

أنْ يَقْصِدَ [1] إلى اليَمَنِ . وكان قد تقدّم [2] بعضُ دُعَاتِهِ ، فقصد اليمنَ قَبْلَه وفسد أمرُه ، وأتى الى أبي القاسم [3] صاحبِ دعوةِ اليمن ، فأراد أنْ يَسْتَزِلَّهُ [4] فوَجَده ثابتًا على أمْرِهِ . فانصرف عنه الى عَلِيِّ بنِ الفَضْلِ صاحِبِهِ ـ وكان في ناحية من اليَمَنِ [5] ـ ، فاستماله وأفسده . فكان يقال في ذلك الوقت : أتى عِرَاقِيٌّ الى عِرَاقِيٍّ [6] يطلب أن يُسْحَرَ [7] مِنْهُ ، فلم يُمْكِنْهُ ذلك . فأتى اليَمَانِيَّ فَسُحِرَ [7] منه فانسلخ عليُّ بنُ الفَضْلِ من أمْرِ الله وأمرِ أوْلِيَائِهِ واستحلّ المحارمَ ، ورفض الظّاهِرَ ، ودعا النّاس الى الإبَاحَاتِ [8] . فلمّا اشْتُهِرَ بذلك تَبَرَّأ منه

(1) كان ذلك سنة 280 في السنة التي دخل فيها ابو عبد الله إفريقية ، انظر : البيان 123 - 124

(2) ب : فسار ؛ ا : فساروا .

(3) أي : تونس .

(4) ب : القيروان ؛ ا : البتران .

(5) وهو الحُسَيْنُ بن احمد ، مع ان المصادر متخالفة في ذلك اشدّ الاختلاف ، انظر المهدي 143 - 168 وخاصة ليويس 160 - 163 .

(6) كذا في ا ؛ ب : محنا وشدة : الكامل 129 : محنا شديدة

(7) ب : تبينت ؛ ا : تبين .

(8) ب : علاماته ؛ ا : علامته . ـ انظر في زهر : 65 - 67 كيف آلت الامامة الى المهدي الذي يسمّيه الدّاعي إدريس « سعيد الخير » و « تسمّى بالامامة بأمر الناسّ عليه سترا على ولي الله (أي : والقائم) واخفاء « لمقامه ... » انظر كذلك في غاية 37 - 38 كيف يرى الدّاعي أبو الخطاب راي الدّاعي إدريس في قيام المهدي : « وليُّ الله في ارضه علي بن الحسين (اي: القائم) - صلوات الله عليه! يريد بلاد المغرب حتى كان في بعض طريقه فأظهر الغيبة واستخلف حجّته سعيدا الملقب بالمهدي ... .

ذلك الـذي أفْسَـدَهُ فكان كما قـال (ع و ج) من شأن ابليـس اللعـين : «إذْ قَالَ لِلإنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ : إنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ»(1) فحارب (2) أبَا القَاسِمَ ، فكانت له أمور يطول ذكرها . ومات على ذلك مِنْ غَيِّهِ وضَلَالِهِ ـ نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الخِذْلَانِ وَالضَّلَالَةِ وَالخُسْرَانِ ! ـ

151 ـ واتّصل ما كان من ذلك بالامـام ، فكَرِهَ دُخـولَ اليَمَنِ على هذه الحالِ (3) فاقـام بمِصر مسـتـترا في زِيِّ التُّجّـار . فأتـت الكتب من بغداد الى صاحب مصر (4) بِصِفَتِـــهِ والأمرِ بطَلَبِهِ والقَبْضِ عليه ، والى العاملِ بها (5) . وكان بعضُ أهل خاصّة ذلك العامل مؤمنا وليًّا (6) .

(1) انظر وصفا لهذه المحن في سيرة جعفر 109 - 110.

(2) ا : ابنه ؛ ب : اب (كذا) . ـ فالقاضي النعمان يثبت إذن بنُوّةَ القائم الجسمانية من المهدي كما يثبتها الخليفة المعز لـدين الله نفسه (انظر ذلك في المجالس 344 و347) عند ما يفنّد انقطاع الإمامة من ذرية علي الى نسل مَيْمُون القدّاح .وليس للنعمان إلا أن يفعل ذلك وهو قاضي المعزّ ومؤرّخ الدّولة الرسمي.

(3) في ب وراّيز 41 : الحال ؛ ا : نقص .

(4) لعلّ صاحب مصر هو القـائد العباسي محمـد بن سليمان الذي ازال ملك بني طولون عن مصر في سنة 292 (بينما كان المهـدي يقيم بهـا ، كما يظهـر من سيرة جعفر 113 - 114) .

(5) هذا العـامل هو عيسى النـوشري ، انظر خبر المهدي مع عيسى النوشرى،في العبر 34 والكامل 129 واتعاظ 81 - 82 انظر ترجمة هذا العامل في ولاة 278 - 286 .

(6) لا شك ان هذا الرجل هو ابن عياش المذكور في سيرة جعفر 113 .

فـأسرع الى المهديّ بالخبر ، وأمَرَهُ بِالتَّسَتُّرِ . و لطَـفَ في أمْرِهِ الى أن خرج من مصر ومعه ابنُه القائم (ع م) [1] وبعضُ عَبيدِهِ ، ومعه أموالٌ في الأحمال [2] كثيرة . فابْتاع بها بضاعة وجعل الأموال معها في الأحمال [2] وسار في رِفْقَةٍ في زِيّ التُّجَّارِ، حتّى انْتَهى إلى ناحية الطّاحونة فخرج على الرّفقة اللّصوص، فَسَلَبُوا كثيراً من أهلها . وذهب بعضُ ما كان للمهديّ (ع م) فيها ، وكان أعظمُ ما ذهب له كُتُبٌ كان [3] فيها علمٌ من علوم الأئِمَّة (صلعم) [4] . فلمّا خرج القائم بأمر الله [5] (تـع) الى مصر في الغزوة الأُولى التي غزاها أَخَذَ الذين قَطَعُوا على الرّفقة بِرَدِّ ما انتهبوا و اسْتَرْجَعَ الكُتُبَ بِعَيْنِهَا [6] . وكان المهديُّ يقـول : لَوْ لم تَكُنْ هذه الغزوة إلاّ لردّ هذه الكتب لكان ذلـك فَتْحًا عظيًما ، وسُرَّ باسترجاعها سروراً عجيباً .

(1) كذا في ا ؛ ب : ابنه القاسم عليهما السلام ؛ - ان اثبتنا ما في ب ينبغي إضافة « ابو » لان كنية القائم هي : ابو القاسم .

(2) — (2) نقص في ب ، والسبب فيه تكرار لفظة « الاحمال » .

(3) ا : كانت ؛ ب : وكان .

(4) ا : كذا ؛ ب : صلوات الله عليهم .

(5) ا : تع ؛ ب : ع ج .

(6) لهذه الكتب أهمية كبرى عند أهل البيت. انظر العبر 34 : « كتب في الملاحم منقولة عن آبائه . . . » ؛ الكامل 129 « وكانت عنده كتب وملاحم لآبائه فأخذت . . . » ؛ إتعاظ 83 : « ومنه كتب وملاحم كانت لآبائه . . . » . سيرة جعفر 115 : « وكتب للمهدي (ع م) فيها علوم كثيرة . . . » . - انظر أهمية كتب الملاحم عند الشيعة وما كان من امر كتاب الجفر المنسوب لجعفر الصادق. في المقدّمة 334 — 335 .

152 ـ وجُيرِحَ [1] يومَ ذلك السلب مع المهديّ [2] أبو العبّاس مُحَمَّد بن أحمد بن زكَرِيّا [3] ـ أخو أبي عبد الله، وكان فيمن قَدِمَ مع المهديّ (ع م) . فلمّا انتهى الى مدينة طرابُلْس ، فرّق مَنْ كان معه عنه، وأرى النّاس أنّهم [4] كانوا ، أصحاباً تُجّاراً ، و قدَّمَ أبَا [5] العبّاس الى القيروان ببعض ما [4] كان معه وأمره أنْ يَلْحَقَ به إلى كُتامة ، ـ وكان قصدُه [6] إليها ، ومعه بعضُ الكُتاميِّينَ الذينَ كانوا يَنفُذُون إليه ـ . فلمّا وَصل أبو العبّاس الى القيروان أصاب الكتبَ قد سَبَقَتْ إلى زيادة الله بطلبِ المهديِّ وصِفَتِهِ لمّا أفلتَهُمْ من مِصْرَ ، فأمر زيادةُ الله بالسُّؤال عنه.

---

(1) كذا في رائز 42 ؛ ا و ب : خرج . ـ وجرح أصحّ لان أبا العبّاس خُطِمَ أنفُه يومئذٍ فلُقِّبَ بالمَخْطُوم : انظر ، البيان 150 و 155 .

(2) كذا في ا ؛ ب : عليه السلام .

(3) كذا اسمه في سيرة جعفر 110 ؛ ا: ابو العباس محمد بن محمد بن زكريا؛ ب : ابو العباس محمد بن ابراهيم محمد بن زكريا .

(4 ـ 4) نقص في ب .

(5) اثبتنا ذلك هكذا اعتمادا على السياق مع أنّ في ا ، وفي رائز 42 : وقدم ابو العباس .. ومما يؤكد ما أثبتناه صيغة ما في الكامل 129 « فقدمه المهدي الى القيروان ... » ؛ وفي اتعاظ 83 : « فقدمه عبيد الله الى القيروان ... » ، وفي العبر 34 : « .. بعث معهم ابا العباس ... ومرّ بالقيروان ... » ويؤكد ما اثبتناه ايضا ما ورد في سيرة جعفر : 116 .

(6) ا : كذا ؛ ب : عليه السلام .

فأخبر بعضُ مَنْ كان في الرُّفقة معه أنّه يتخلّفُ بطرَابُلْس وذكروا أنَّ أبا العباس مِنْ أصحابه . فأُخِذَ ، وقُرّرَ [1] ، فأنكَرَ ، وقال : إنّمَا أَنا رجلٌ تاجرٌ . فَحُبِسَ [2].

153 ـ واتَّصَلَ الخبرُ بالمهديّ ـ وهو بطرَابُلس ـ فصادفه رِفْقَةٌ خارجة الى قَسْطِيلِيَّة [3] ، فخرج فيها . وأتى كتابُ زِيادة الله الى عامل طرَابُلْس بطَلَبِه وصِفَتِه ـ وقد كان ٱستعطفَه ، وأهدى إليه ـ، فكتب بأنّه قد خرج مِنْ عَمَلِه ، ونَفَذ الى ناحية قَسْطِيلِيَّة . ووصل المهديُّ إلى قَسْطِيلِيَّة ، فَوَافَى بها عيداً ـ وكانت في الرُّفْقَةِ التي هو بها [4] رجالٌ من بلدان المغْرِبِ والزَّابِ وسِجِلْمَاسَة ـ وكان قصدُه إلى أبي عبدالله . فلمّا ٱنتهى إليه أنّ أخا أبي عبد الله قد ٱعْتُقِلَ وأنّه عُلِمَ أنّه من أصحابه ، خاف إنْ قصَد إلى أبي عبد الله أن يتحَقَّقَ [5] ذلك عليه ، فترَكَ القصدَ إلى أبي

---

(1) ا : فاخذه وقرر ؛ ب : فاخذ وقرره .

(2) كذا في ا و ب ، الكامل 129 : «... إنما انا رجل تاجر صحبت رجلا في القفل فحبسه ...» ؛ اتعاظ 83 : «... انا رجل تاجر صحبت رجلا في القفل . فحبس ...» .

(3) كذا في ا و ب وسيرة جعفر 116 ؛ في العبر 34 : قسنطينة الكامل 129 : قسطيلة ؛ اتعاظ 83 : قسنطينة .

(4) ب : هو بها ؛ ا : هو فيها بها .

(5) ا : يتحقق ؛ ب : يتحق .

عبد الله وقَصَدَ الى سِجِلْمَاسَة. ولَمَّا شَهِدَ (ع م) صَلاةَ العِيدِ بقَسْطِيلِيَّة، دَعَا بعضَ عَبِيدِهِ [1] فقال له : ويحك ! إنَّ نَفْسِي ـ والله ! ـ حدَّثَتْنِي أنِّي مطلوب فاذهب الى مُقَدَّمِ الرُّفقة وأَقْرَأْهُ سلامي وقل له : قد قَضَينَا صلاةَ عيدنا ونحن مسافرون، وما قَطَعْنَا من [2] طريقنا فهو خيرٌ؛ وإنْ رأيت أن تَرحلَ بنا السَّاعة فافْعَلْ ، ـ وكان إليه مُحْسِنًا يَصِلُه ، ويُعطيه ـ، فلمّا جاء رسولُه إليه ، قال [3] : والله ! إنّ هذا الشيء يشتدُّ على النّاس ، ولكنّي ما أرى مراجعةَ أبي محمّد [4] فيما سَأَلَه . فضرب الطَّبْل، ورحل النَّاسُ . فلمّا كان مِنْ غَدٍ وافَى البريدُ مِنْ قِبَلِ زيادة الله الى عاملِ قَسْطِيلِيَّة بِطَلَبِه [5] ، فأصابَه قد خَرَجَ من عمله. وحماه الله (تع) [6] منهم، وصَرَفَ عنه بأْسَهم لِمَا أراده (ع ج) [6] من تَمَامِ أمْرِه وبلوغِ الكتاب إلى أجله .

---

(1) انظر صيغة سيرة جعفر 118 - 119 ، وهي تختلف عن صيغة الافتتاح .

(2) ب : من ؛ أ : نقص .

(3) ب : قال ؛ أ : فقال .

(4) كنية المهدي .

(5) ب : بطلبه ؛ أ : يطلبه .

(6) كذا في أ ؛ ب : عز وجلّ .

154 ـ فسار حتّى وَصل الى سِجِلْمَاسَة . فأقام بها . وكل ذلك تَلْحَظُهُ العُيونُ في طريقه وحيثمانزَلَ ، وفي أيِّ مَدِينَةٍ دَخل . ويقول كلُّ مَنْ رآه مِمَّنْ له تَمْييزٌ وبصيرةٌ : وَالله ! ما هذا تاجرٌ وما هذا إلاَّ سلطانٌ أو مَلِكٌ من الملوك. وكذلك كان يقول فيه كثيرٌ مِمَّنْ يرَاهُ من أهل سِجِلْمَاسَة . وكان مِمَّا يدلّ عليه أفْضَالُهُ على مَن يصحبه ، أوْ يأتيه ، وما أنزل الله عليه من المَهابةِ والجلالةِ في عيْنِ مَنْ رآهُ. وكان صاحبُ سِجِلْمَاسَة يومئذ اليَسَعُ بْنُ مِدْرَار ، ـ وكان المهديُّ يصله ويُهْدِي إليه، ـ فكان لذلك يَوجِبُ حَقَّهُ وتعظيمَه إلى أنْ أتَاه كتابُ زيادةِ الله، لَمَّا اتّصل به مصيرُه إليه ،يُخْبِرُهُ أنَّهُ هو الذي يدعو أبو عبد الله إليه. فغيَّرذلك منه عليه . وسنذكرُ خبرَه إذا صِرنا إليه إنْ شاء[1] الله (تـع) .

XVIII ـ ذكرُ افتِتَاحِ مدينةِ سَطِيف [2]

155 ـ وكان صاحبُ أمر مدينـة سطيف[2] عليّ بن حَفص [3] ، ويُعرف بابن عُسْلوجة نسباً إلى أمِّهِ[3] . وكان من الأبطال المعدودين ،

---

(1) أ : أنشاء ؛ ب : انشا .

(2) أ و ب : سطيق .

(3) أ : حفص ؛ ب : حفض ؛ العبر 35 : علي بن جعفر بن عسكوجة و 32 : علي بن حفص بن عسلوجة . ـ اليعقوبي 12 : «[ومدينة يقال لها سطيف بها] قوم من بني أسد بن خزَيْمَة عُمَّال من قِبَل ابن الاغلب» . فيستنتج من هذا ان علي بن حفصٌ صاحب سطيف كان عربيا من بني أسد بن خزيمـة ولعله عرف بابن عُسلوجة لأنّ أمّه بَرْبَرية .

ولم يكن له بالنَّاحيةِ كلِّها نظيرٌ في النَّجْدَةِ والذِّكر ، وأخوه أبو حبيب[1] مِثْلُه أو قريبٌ منه. وكان فِيمَنْ قَامَ وَقَعَدَ في أمْرِ أبي عَبْدِ الله ، وأدَار الحِيلَةَ في أخذه. وزَحفَ مع أبي حَوَال مَرَّتَيْنِ إليه ، ـ وقد ذكرنا خبره ـ ولم يُبْقِ شيئاً قَدَرَ عليه إلاّ استفرغ جَهْدَه فيه. فلمّا أخذ أبو عبدالله مدينةَ مِيلة، واستقام له أمرُ مَنْ بنواحيها من كُتَامَة . جَمَعَ جُمُوعَهُ وزحف إلى سَطِيف [2] ، فنزل عليها بالعساكِر . وكان عليٌّ بنُ عسْلُوجَة يُواصل كثيراً من رجالِ كُتَامة مِمَّن يَقْرُبُ إليه. فَصَارَ [3] إليه جماعةٌ من وُجُوهِهِمْ ، وحُمَاتِهِم . فقاتل أبا عبد الله ، وكان يخرج بهم وبأهل سَطيف [2] إليه ، ويُقاتِلُه ، ويَكُونُ منه من البَلَاءِ في ذلك ما لم يُشْهَد من أحدٍ غيره مِثْلُهُ . فقيلَ: إنّه قتل في يومٍ واحدٍ ثلاثةَ عشرَ فارساً ، في القتالِ ، لايَزِيدُ الواحدَ منهم على ضربةٍ واحدةٍ . فقال أبو عبد الله لّما شَهِد ذلك منه: هذا المَلْعُونُ ! مِمَّن قال الله (تع) : ـ (وإذَا بَطَشْتُمْ بطَشْتُمْ جَبَّارِينَ [4]) . وأقام أبو عبد الله على سَطِيف [2] أربعِينَ [5] يوماً وهو يُقَاتِلُهُ كذلك خارجاً منها .

---

(1) كذا في ا و ب والعبر 35 .

(2) ا و ب : سطيق .

(3) ب : فصار ؛ ا : فسار .

(4) سورة الشعراء ، الآية : 130

(5) ب : اربعين ؛ ا : اربعون .

156 ـ ثمّ انصرف أبو عَبْد الله إلى إيكجَان ، فأقام بها [1] شهراً ، وجَمَعَ الأولياء ، وأوعب في جَمْعِهم ،وزَحفَ الى سَطِيف [2] في عساكرَ لا يُحصى عددها ، حتّى أحاطَ بها . و خــرَجَ إليه عليُّ بنُ عَسْلُوجة بجَمْعِه ، فقاتَلَه ـ كما كان يُقَاتِلهُ في المرّة الأولى خارجاً من المدينة الى أنْ غَلَبَ عليه .و احتَصَرَ في الحصْن فمات هـو وأخوه أبو حبيبٍ جميعاً في أيام قليلةٍ فلمّا مَاتَا ، انحـلّ أمـر سَطِيف [2] . وكان فِيمَنْ نَزَع إليها من الكُتَاميّين ، دَاوُودُ بنُ حبَاسَة اللَّهِيصِيُّ [3] ـ وكان مِنْ فرسان لِهيصَة وَخِيَارِهم وَوُجوهِهم ، وكان جميلاً عفيفاً ذَهِناً [4] فآل أمـره بعد ذلك الى أن كان [5] داعياً من الدُّعاة ، ـ فـرَمَّ أمرَ سَطِيف [2] وكلّمَهُ إخوتُه ـ وهم مع أبي عبد الله في أنْ يَسْتَأْمِنَ ، فقال إنْ كُنْتُ [6] أسْتَأْمِنُ على أمَان أهلِ البلدِ كُلِّهم ، فَعَلتُ. فأُخبِرَ بذلك أبو عبدالله [6] ، فَأَمَّنَهُ ، ونزل إليه، فأخذَ الأَمانَ لأَهلِ سَطِيف [2] منه ، خلا من استحقّ

---

(1) ب : فاقام بها شهرا ؛ ا : واقام شهرا .

(2) ا و ب : سطيق.

(3) ا : داؤد بن حباسة اللهيصي ؛ ب: داؤد بن حاست الهيصي ؛ العبر 38 : داود بن حباثة من كبار لهيعة .

(4) ا : ذهنا ؛ ب : ذهبا ،

(5) ب : نقص ،

(6 ـ 6) نقص من ب ،

القتلَ عنده ، وٱنصرَفَ إليهم ، فَفتَحُوا أبوَابهَا .ودخل الأولياءُ إليها، وقُتِلَ من ٱستَحَقّ القتْلَ بِها.وهُدِمَ سورُها.وكان أهلُ عليّ بنِ عسْلُوجة دفنوه وأخاهُ ، لّما مَاتَا ، وأخفَوْا مكانَهُما . ولو ظَهرَ عليهما لَنُبِشَا وصُلِبَا ، لِمَا كَانَ في أنفُسِ الأولياءِ منهُما ، ومَا صَنعَا فيهم . وٱنصَرَفَ أبُو عبدِ اللهِ إلى إيكْجَان بجميـع العساكر ، وٱستَعْمَلَ عاملًا على مدينـة سَطِيف [1] .

XIX ـ ذِكر إخْرَاج زِيَادَةِ اللهِ إبْرَاهِيمَ بنَ حَبَشِي إلى أبِي عبـد الله الى بلد كُتَامَةوٱنهِزَامِه .

157 ـ ولمـــا ٱتّصل بزيادة الله أخبارُ أبي عبد الله، وظهورُه على كُتَامة وَٱجتِمَاعُ أمْرِهِمْ له،وٱفتتاحُه مَدِينَتَيْنِ [2]: مِيلَة وسَطِيف [1] ، ونَزَعَ إليـه من كُتَامَة جمـاعةٌ مِمّنْ خَـافَ على نَفْسِهِ ومِمّنْ قُتِـلَ وَلِيُّهُ. فَحَرَّكُوهُ في ذلك ، وخوَّفُوه أنّه إن لم يعاجل أبا عبد الله ،زَادَ [3] أمرُهُ وجَلَّ.فاخذ في ٱلحشُودِ، وأوسَعَ في العطاء فٱجتمعت له عساكرُ عظيمةٌ

---

(1) اوب : سطيق.

(2) كذا في ا ؛ ب : مدينة .

(3) ب : زاد في امره .

فقدّم عليها إبراهيمَ بنَ حَبَشِيٍّ [1] ـ وكان من أهل بيتـه إلاّ أنّه لم يكن من أهل الحرب ولا مِمَّنْ كان له نكايةٌ ، وكان الغالب عليه اللِّينَ ـ . فاخرج معه العسكرَ ، وحصَّلَه فبلغ أربعين ألْفًا بين فارس. وراجل . ولم يكن خرج لبني الأغلب مُذْ دَخَلُوا إفْرِيقْيَة عسكرٌ أكثرُ منه عدداً ولا قوّةً . وأخرج معه أحْمَالاً كثيرةً من الأموال والخِلَع والسِّلاح ، ولم يَدَعْ أحدا مِنْ حُمَاةِ رجاله ولا مِمَّنْ نزع إليه من كُتَامة وأهْلِ الزَّابِ إلّا أخرجه في ذلك العسكر . وأمر ابنَ حَبَشِيٍّ بأن يَبْذُلَ العطاء لمن يَمُرُّ به من القبائل وَيَسْتَمِيلَ وجوهَهُمْ بالحملان والخِلَعِ .

158 ـ وَدَبَّرَ أهلُ الموضعِ له بأن يَأْتِيَ كُتَامَة من غير الموضع الذي أتى منه أبو حَوَال. فقصَدَ الى قُسْطَنْطِينَة [2] وهي مدينةٌ أوَّلِيَّةٌ في جبل وَعْرٍ في طَرَفٍ مِنْ بلد كُتَامَة ، فنزل فيها . فاتاه من كُتَامة من يليها ،

---

(1) كذا في ا و ب : العبر 35 : ابراهيم بن حشيش : الكامل 130 : خنيش اتعاظ 84 : ابراهيم بن حنبش ـ وهو إبراهيم بن حَبَشِيّ بن عمر التَّمِيمِيّ كما ورد اسمه في البيان 137 و 138

(2) كذا في ا : قسطنطينة ؛ ب : قسطينية ، ابن حوقل 93 : القسطنطينية [التي لكتامة] : المقدسي 6 و 20 : القسطنطينية : الادريسي 94 : قسنطينة [العواء] : الكامل 130 قسطينة [الهواء] ، اتعاظ 85 : قسنطينية ؛ ـ والاصوب كما ورد رسمها في العبر 35 : قُسَنْطِينَة .

وحارب مَنْ قَرُبَ منها مِمَّنْ عَنِــدَ عليه ، فَقَتَلَهُمْ . وتَعَاظَمَ كُتَامَةُ أمرُهُمْ وكثْرَتُهم وما معهم من العُـدَّةِ . وفيما بين هذا الموضع الذي نزلوا فيه وبين إيكْجَان الموضعِ الذي به أبو عبد الله أقلُّ من مَرْحَلتَيْنِ إلاّ أنّه في طَرَفٍ من كُتَامَة .فتركه أبو عبد الله ، ولم يتقدّم إليه .فأقام ابنُ حَبَشِيٌّ بِقُسْطَنطِينِيَّة [1] ستّة أشهر . وكان بِطُبْنَـة شَيْبُ بنُ أبي الشَّـدَّادِ [2] مقيما فِي عَسْكَرِهِ [3] ، فَأَمَرَهُ زيادةُ الله بالمصيرِ إلى ابنِ حَبَشِيٍّ . فأتاهُ بعسكره . فَيُقَال إنّه ، اجتمع له بِقُسْطَنْطِينِيَّة [1] نحو المِائَة ألفٍ بين فارسٍ وراجلٍ .

159 ـ فلمّا رأى إحجامَ أبي عبد الله زحف إليـه بالعساكر التي معه كُلِّهَا حتّى انتهى الى كَبُونَة [4] من بلد أجّانَة .فأخرج أبو عبد الله

---

(1) ا : قسطنطينية ؛ ب : قسنطينة .

(2) ا : كذا ؛ ب : شيب بن التداد (كذا) ؛ البيان 40 : شيبب بن ابي شدّاد القَمُّودِي .

(3) ا : في عسكره فامر ؛ ب : على عسكرة (كذا) فامره .

(4) ا و ب : كبونة ؛ البيـان 138 : كـيْنُونـة (وكبونه ايضا) الكامل 130 : كرمة ؛ العبر 35 : ووافقهم عند مدينة بلزمة . ـ يستنتج منه ان كبونة كانت شَمَالِيَّ بِلِزْمة .

خَيْلاً ٱنْتَقَاهَا [1]، وٱختارها لِيَخْتَبِرَ نزولَ ابن حبشي أين يَنْـزِلُ [2] ويقصِد . فَوَافَتْهُ بِكَبُونَة . فلمّا تراءت له الخيلُ قصد إليها بنفسه فِعْـلَ جاهلٍ بالحرب، ولم ينـزل ولا نَزَلَ أحدٌ من أصحابه، والأثقالُ على الدّوابّ والجمال . فَنَشَبَ القتالُ . ـ وكان القومُ الذين لَقُوهُ من خيارِ فرسان كُتَامَة فقامت الحربُ فيا بينهم ، فَاقْتَتَلُوا قِتـالاً شديداً وأصحاب ابن حبشي لَم يَنْـزِلُوا ولا لهم مُعَسْكَرٌ . وٱتّصل أمرُ القتال بأبي عبد الله ، فَزَحَفَ بالعساكر إليهم . فوقعت الهزيمةُ ، على ابنِ حَبَشِي وأصحابه . وعُـقِرَ بِرْذَوْنُه وجُرِحَ فلم يُنْجِهِ إلاّ جَـوْدَة [3] وٱستوت الهـزيمةُ ، وأسلموا جميعَ الأثقال والأموال ، وأخذوا طريقَ بَاغَاية . وطالبهم الأولياء يومَهم ذلك أجْمَعَ ومن غدٍ يَقتلونَ منهم ، ويغنَمونَ أمـوالهم فَقُتِلَ منهم [4] مـا لا يحصيه إلاّ الله (تـع) وحـده وغنم من أمـوالهم ما لا يُحْصَى عـدداً، من أحْمَالِ الأموالِ ، والخِلَعِ ، والكُرَاع ، سَائِرُ النَّاس

---

(1) ا : انتقاها ؛ ب : تنقاها .

(2) ا : ينزل ؛ ب : نزل .

(3) ا و ب : كذا . والجَوْدُ هوَ المطر الغَزِير .

(4) ب : فقتل منهم : ا : نقص . وفي الطرة : كلمة حروفها غير بينة لان الكتابة خفيفة جدا ، كأنها : قتل .

160 ـ ووصلَ ابنُ حَبَشِيٍّ بمن نَجَا إلى بَاغَاية . وكتب إلى زيادة الله بخطِّه كتاباً يقول فيه « : كَتَبْتُ إلى الأمير أطال الله بَقاءَهُ من مدينة بَاغَايَة ، وقد انهزم العسكرُ المنصورُ . فلم يَنْجُ منهم إلاَّ شِرْذِمَةٌ يسيرةٌ وذهب كلُّ ما كان من المالِ مَعِي والسِّلاحِ وغيرِ ذلك ، وقُتِلَ أكثرُ أهلِ العسكرِ المنْصورِ » وجعل يُخْبِرُ في كتابه بما كان من أمره فإذا ذكَرَ العَسْكَرَ قال « : العسكر المنصور » ، فكان ذلك مِمَّا رُئِيَ[1] من ضعفه وسُخْفه . ثمّ لم ينتظر جواب زيادة الله أنْ يأْتِيَه ، فانصرف إلى إفْرِيقْيَة في بَقِيَّةٍ من بَقِيَ معه من أهلها . ورجع كلُّ من كان سَلِمَ إلى موضِعه . وانصرف شيْبُ بِمَنْ بقي معه إلى طُبْنَة . فاضطربت إفْرِيقْيَة ، واسْتَهَالَ أهلُها أمر أبي عبد الله . وأخبرهم مَنْ وَصَلَ من الفَلِّ بما عايَنُوه ، ونَالَهُمْ . وكتب أبو عبد الله الى سَجِلْمَاسَة إلى المَهْدِيِّ (صلعم)[2] بما وهبه الله من ذلك الفتح وما غَنِمَ من الأموال والغنائم ، وأرسل اليه ببعض ذلك

---

(1) ا : راى ، ب : ره .

(2) ا : كذا ؛ ب : صلوات الله عليه .

مع رجالٍ [1] من قِبَلِهِ من الكُتَامِيِّينَ . وكان أوّل فَتْحٍ قدم على المَهْدِيّ وكان ببركته وبركة أيام هِجْرَتِهِ . فَسَرَّهُ ذلك وحَمِدَ الله عليه .

XX ـ ذِكْرُ ٱفتِتَاحِ مَدِينَةِ طُبْنَـة :

161 ـ ثمّ إنّ أبا عبد الله نادى في النّاس فٱجتمعوا إليه . ـ وكذلك كان حشدُه إنّما هو بالنّداء [2] ـ ، فزحف بِجَمْعٍ عظيمٍ إلى مدينة طُبْنَة ، وقد كان قبل ذلك طَرَقَهَا بعسكرٍ بعد عسكرٍ ـ ، فٱنتهى إليها بجميع العساكر ، فأحاط بها من كلّ جهةٍ . ونظر مَنْ بها الى أمرٍ لا قِوَامَ لهم به ، ولا طاقة بالخروج إليه ، فٱحتصروا . وكان العامل عليها يومئذ حَسَنَ بنَ أحمد

(1) ب : رجال ، ا : رجاله؛ ـ انظر أيضا ما جاء عن هذه البعثة الى المهدي بسجلماسة من صيغة مختلفة في الكامل 130 « وكتب أبو عبد الله كتابا الى المهدي وهو في سجن سجلماسة ـ يبشره وسير الكتاب مع بعض ثقاته فدخل السجن في زي قصاب يبيع اللحم فاجتمع به وعرفه . . . »؛ في العبر 35 : « وكتب الشيعي بالفتح الى المهدي مع رجال من كتامة أخفوا أنفسهم حتى وصلوا اليه وعرفوه بالخبر »؛ في البيان 139 : « وكتب ابو عبد الله الداعي الى عبيد الله (الشيعي) وهو [يومئذ] بسجلماسة يعلمه بالفتح، ووجّه اليه بمال كثير مع قوم من اهل كتامة سرًّا»

(2) كذا في ا و ب ؛ البيان 138 : «وكان حشده بغير ديوان، انما كان يكتب الى رؤساء القبائل فيحشدون من يليهم طاعة له رغبة فيه . . . » .

بن نَافِذِ المعروفَ بأَبِي المُـــقَارِعِ [1] ، وبها شَيْب بن أَبِي الشدَّاد المعروف بشَيْب الصَّغير على أَعِنَّةِ العسكـر الذي كان بها ، وفَتْحُ بنُ يَحْيَى على عَسْكَرٍ جَمَـعَه من أهـل بيتـه ، ومن قبائـل جميـع البربر ، وقد كان جُرِحَ بِجَائِفَةَ [2] فَأَوْهَنَتْهُ، وبها على الخبر مُحَمَّد بن قُرْهُب، وعلى العَطَاء يحيى بن القَسْرِي [3] ، فاحتصروا في المدينة ، وعَــلَوْا السُّورَ يُقاتلون عنهـا . فزحف إليهم الأَولياء من كلّ جانب ، وقدّموا إليهم دَبَّابَةً ، فَنَـقَبُوا بُرْجاً من أبرجة السُّورِ ، فسقَط [4] ، وحمل الأَولياء عليه ، فهرب جميعُ العسكر والمُقَاتِلَة والمُقَدَّمِينَ، فدخلوا حصنا أوّليّا مبنيّا بالحجارة منيعاً في داخل المدينة ، واحتوى الأَولياءُعلىالمدينة

---

(1) كذا اسمه في ا و ب ؛ البيان 140 : « وشكّ (اي زيادة الله)مدينة طبنة وشحنها بالرجال ، وقدّم عليها حاجبه ابا المقارع حسن بن احمد بن نافذ مع شيب بن ابي شدّاد القمّودي وخفاجة العبسيّ ... » . ـوابو المقارع هذاكان قد ولاّه ابراهيم بن احمد صقلية سنة 284 ، انظر اعمال 475 : « . . . الحسن بن احمد بن نافذ الى صقلية واليا عليها » .

(2) ا : جائفة ، ب : حايفة ـ والجَائِفَةُ : طعنة تبلغ الجوف : فالصواب : بِجائِفَةٍ .

(3) ب : القسري : ا : اليسري .

(4) كذا في ا ؛ ب: تحريف كثير ، الكامل 130 : « . . . ونصب عليها الدبابات ونقب برجا وبدنة فسقط السور . . . »

وعامّتُها تُجّارٌ ، فأمَّنَهم أبو عبد الله ، ولم يَصِلْ إليهم إلّا ما شَغِبَ [1] فيه العسكرُ .

162 ـ واحتصر الذين صاروا الى الحصن فيه [2] ،وصلَوْه ،ونصبوا القتال عليه .وأمر أبو المُقارِع بمَنْجَنيقٍ كان فيه أن يرفع عليه . فلمّا رُفِعَ ، وأرادُوا أن يَرْمُوا به انكسر سهمُه . فنظروا إلى ما يُصلِحونه به فلم يجدوه ، فسلخوا جِلد دابّةٍ ماتت لهم وقَـــدُّوا مِنْهُ قِدًّا وربطوا به السَّهْمَ . ثمّ ذَهبُوا ليرْمُو به ، فانكسرت جَرِيرَته وقال أبو المُقارِع: دعوه ! فهذا أمر الله الّذي لا يُدْفَعُ .فقال له شَيْبُ صاحبُ العَسْكَرِ : ما الحيلةُ، يا أبا القاسم ؟ قال له أبو المُقارِع : ما ترى أنت ؟ قال : أرى أن نحتـال في الهربِ في اللّيل فقد هَرَبَ من مِيلَةَ جماعةٌ فقـــال :وَيْحَكَ ! ليس نحن مّما كان أهل مِيلَةَ فيه بِسَبِيلٍ [3] ؛ نحن في وسط مدينة قد أخذها [4] العدوّ علينا ، وأحاطوا بها من حولها ، وأقرب العمارة إلينا بَاغَايَة، وبيننا وبينها ثلاثةُ أيّامٍ ؛ فإنْ نَجَوْنَا من المدينة لم نَنْجُ مّما حولها ؛ وإنْ نَجَوْنَا منه وطَلَبَنَا [5] لَحِقَنَا ، واليأسُ من النّجاةِ من هـذا كلّه

---

(1) ب : شغب ؛ ا : شغلت .

(2 - 2) سقط من ب .

(3) ب : كذا وردت الجملة ؛ ا : ليس نحن مما كان اهل فيه سبيل

(4) ب : اخذها ؛ ا : اخذ .

(5) ب : منه ؛ ا : تقص .

أَقْرَبُ . قال : فنستسلم إليهم ولا نقاتلهم فإنّ القتال مِمَّا يُغْرِيهِم بِنَا ويَحْمِلُهُمْ[1] علينا ، أو نَطْرَح بأنفسنا إليهم ، فلعلّ أَنَّهم يُبْقُونَا . قال أبو المُقَارِع : هذا ٱسْتِعْجَالُ المَوْتِ . قال شَيْبٌ : فما الحيلَة عندك ؟ قال نسألهم الأَمانَ ونحن على ما يرون من المدافعة ، فلعلّهم يرون الأَمان أَصْلَحَ لهم من المُحَاصَرَةِ قال : فٱفْعَلْ .

163 ـ فنادَى أبو المُقَارِع بالأَمان . وكان أبو زاكي بإزائه ، فقال له: لَكُمُ الأَمَانُ . قال له أبو المقارع : ومن أنت ؟ قال : أنا أَبُو زَاكِي. قال : فهذا الأَمَانُ عَنْكَ أَوْ عن السَّيِّدِ[2] ؟ قال : عَنِّي . قال : ما كُنَّا بالذين نُلْقِي بأيدينا إلاّ أنْ يُؤَمِّنَنَا السَّيِّدُ[3] . قال أَبُو زَاكِي : فإن لم يَفْعَلْ فَمَا تصنعون ؟ قال : يكون كما قال الشَّاعر :

فَأَثْبَتَ فِي مُسْتَنْقَعِ المَوْتِ رِجْلَهُ
وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ أَخْمَصِكِ الحَشْرُ[4]

---

(1) ب : يحملهم ؛ ا : يحميهم .

(2) ا : السيد ؛ ب : سيدك .. والأصوب ماأثبتناه لان « أبا عبد الله كان يقال له السيد بكتامة كما تقول العرب لصاحب أمرها والشريف فيها السيد ...» انظر : 32 .

(3) كذا في ا و ب .

(4) من الطويل .

قال : هكذا ؟ قال : نعم ! ما راحتنا في استعجال الموت بل ميتة كريمة بعد بذل ٱلمجهود أفضلُ . فٱنصرف أبو زاكي إلى أبي عبد الله ، فاخبره بالخبر فقال له : أَعطِهِم ٱلْأَمَانَ . فٱنصرف أبو زاكي، فاخبره بذلك .فنزل ومَنْ معه ، وقد تهيّأ و لَبِسَ .

164 ـفأتى أبا عبد الله ، ـ وهو في الغَازَةِ [1] ـ فسلَّم عليه وهنّاه بالفتح. فقال له أبو عبد الله: ما حملك على طول هذا العِنَادِ والإصْرَارِ ؟ قال له أبو المُقَارِع : إنّ ذلك ـ أطال الله بقاءك!ـ ما نفعَنَا ولا ضرَّكَ، وخلّفنَا أهلٌ وولدٌ [2] وخشِينَا إن أَلقَيْنَا بايدينا عليهم أن يُنَالَ منهم ، وقد أَمَّنَنَا هذا عنك . قال : نعم . فشكر له ودعا. وأعجب أبا عبد الله ما رأى من بيانه وجزالة مَنْطِقِهِ، وأمر أبا زاكي بحفظه وحفظ أصحابه. وقَتَلَ فَتْحَ بنَ يحيى وجماعةً مِمَّنْ كان معه من العسكر .وٱستعمل أبو عبد الله يحيى بن سليمان[3] على طُبْنَة،وٱنصرف بالعسكر الى إيكْجَان.ومضى معه بأبي المُقَارع [4] وأصحابه وأنزلهم بإيكجان . وحَسُنَتْ منزلة أبي المُقَارِع عنده ، وكان يَخُصُّه ويُدنيه . ويُجِلُّهُ .وخَيَّرَه في المُقَامِ عنده أو

---

(1) ا : الغازة ؛ ب : المغازة . ـ والغازة هي المظلة ذات العمودين.

(2) ب : اهل وولد ؛ ا : اهلا وولدا .

(3) ا : سالمى ؛ ب سلا . ـ ولعله سالم . ـ على أنه في : 202 ،: سليمان.

(4) ب : زيادة : وكان .

الإنصراف . فقال : ما كنت بالذي أنصرف عنك ، ولا أدخل إفريقية إلا بدخولك ، وكيف أختار المصيرَ الى قوم قد أدْبَرَتِ الدّنيــا عنهم ، وأدَعُك وهي مُقبِلَةٌ عليك. فاعجب ذلك أبا عبد الله منه . وأقام عنده بإيكْجَان إلى أن فتح أبو عبد الله إفريقيـة فأرسل في طلبه فقدم عليه .

XXI ـ ذِكْرُ اَفْتِتَاحِ بِلِزّْمَة .

165 ـ وكان أبو عبد الله قد خرج إلى بِلِزّْمَة،وأخرج إليها عساكره مرّة بعد أخرى. كُلَّ ذلك يقاتلونه،ويدفعونه .وكان يخرج إليهم العساكر فى أوان زراعتهم فيأتي عليها، فعل ذلك بهم ثَلَاثَ سنين ، حتّى اَنقطع الطّعام من أيديهم . وزحف إليهم فحاصرهم.ومات حَيٌّ بن تَمِيم محصورا، ويئس أهل بلّزمة . وكان فيهم رجل من أهل مَجّانَة [1] ، يُعْرَفُ بأبي عبـــد الله ، له لسانٌ ، فكان يحملهم على العِنَادِ والإصْرَارِ ، ويصنع لهم اَلْمجانيقَ والعَرَّادَاتِ وآلاتِ اَلْحَرْبِ [2] . فلمّا طال عليهم ذلك نزل إلى أبي عبد الله . فقال له : ما حملك على مـا صنعت ؟ فجعل يحتجّ عليه .

---

(1) ا : مجانة ، وفي الطرة بإزاء الكلمة : بلزمة ؛ ب : اجانة . ـ والارجح أنها مدينة مجّانة كما أثبتنا ذلك ،وهي مَجّانةُ المعَادِنِ او مَجّانَةُ المَطَاحِنِ ، انظر لاويكي ، لغة 471 .

(2) ب : الحرب ؛ ا : الحروب .

فأمر أبو عبد الله بقتله ، فَقُتِلَ وهـذا سبيل المعاند المحتجّ في الحرب ، والسّيرة فيه ؛ فلو لم يجب قتال[1] المشركين وأهل البغي حتّى يُحتَجّ عليهم وتقوم ٱلْحجّة للمحتجّ، لم يكن قتال أبدا ، ولم يكن يجب أيضا أن يُقَاتَلُوا أو يُقتَلُوا حتّى يُحتَجّ عليهم واحدا واحدا . ولكنّ السيرة أن يُدْعوا ويُنَاشَدُوا ان لم تكن الدّعوةُ قد بلغتهم. فإن أجابوا ، وإلّا قُوتِلُوا .

وقاتل أهل بلّزمة قتالا شديدا ، ودافعوا مدافعة عظيمة. ونصب عليهم أبو عبد الله الدّبّاباتِ والأبرجةَ ، فأحرقوها . ولم يصل إليهم إلّا من شدّة ٱلْجهْدِ وَغَلَبَةِ ٱلْجُوعِ عليهم : فإنّه أقام عليهم حتّى نَفِذَ ما كان بأيديهم ، وأكلوا كلّ ما عندهم من الحيوان ؛ ثمّ أكلوا جلودَها ؛ ثُمَّ لما نَفِدَ[2] ذلك كلّه عادوا إلى دَرَقِهِمْ فكانوا يقطَعُونَها ويَبلُّونَها ويَطبخُونَها،ويأكُلونَها ، إلى أن غلب عليهم ٱلْجُوعُ ،فَٱستأسروا . وٱفتتحها أبو عبد الله عَنْوَةً . فقتل من بها من ٱلْمُقَاتِلَةِ ، ولم يَعْرَضْ لامرأةٍ حرّةٍ . وغنم العسكرُ ما وجدوا بها من الأثاثِ والأمتعةِ وغير ذلك . وأمر أبو عبد الله بهدم سورها ، فَهُدِمَ . وٱنصرف الى إيكْجَان .

---

(1) كذا فيها و ب ؛ ولعلّ الاصوب هنا : قتل .

(2) أ : نفد ؛ ب : نفذ .

XXII ـ ذِكْرُ وقعــةِ دَارِ مَلْوَّل (1)

166 واَتّصلت بزيادة الله الأخبارُ بأخذ أبي عبد الله طُبْنَة وَبِلِزْمَة، فعظم ذلك عليه، وأخذ في حشد النّاس، وبذل الاموال فاَجتمع له عسكر حصّله عند العطاء، فبلغ اَثْنَيْ عشر ألفا بين فارس وراجل. فأوسع عليهم العطاء، وحمّل. وكسا وجوههم وقوّادهم، وأمّر عليهم هَارُون الطُّبْنِي (2)، وكان أخوهُ زيادةُ اللهِ (3) عَامِلَهُ على بَاغَايَة، ـ فأنفذه اليه وأمره بضبطها. فوصل إليها، وأقام بها، وبعث معه زيادة الله باحمال الاموال والخِلع، وأمره بِاَلعَطَاءِ لمن أتاه من القبائل. فتسامعَ النّاس به، فَأَتَوْهُ، وأعطاهم وأجزل لهم العطاء. فَاَجْتَمَعَتْ له بِبَاغَايَة عساكرُ كثيرةٌ، واَتّصل به

---

(1) كذا في ا و ب ؛ وفي ابن حوقل 85 ؛ وفي المقدسي 6 و 66 ؛ وفي الادريسي : 57 و 93 و 94 . ـ وقد رسمناها هكذا : دار مَلُوَّل، لا : دار مَلُّول. اعتمادا على تحقيق الاستاذ بـلاّت في ترجمته للمقدسي . ـ في العبر 35 : ازمول (التحريف بيّن هنا) ؛ الكامل 130 : دار ملوك (التحريف بين ايضا) .

(2) كذا اسمه في ا واتّعاظ 85 ؛ ب : هـاروت الطبني (كـذا) ؛ في الكامل 130 هرون بن الطبني ، في العبر 35 : هرون الطبنى ؛ في البيان 142 : ابن الطُّبْنِي ؛ وفي أعمال 446 : هارون بن الطين (التحريف بيّن) .

(3) أي : أخو هارون . فاسمه إذن زيادة الله الطّبني ، وهذا ينافي صيغة العبر 35 : « وجهز زيادة الله العساكر مع هرون الطبني عامل بَاغَايَة . . . »

أنّ أهل دار مَلُوَّل قد دخلوا في طاعة أبي عبد الله ، فخرج إليهم بجميع من كان معه ، فقتلهم وهدم حصنهم، وآنصرف.

167 ـ فلمّا صار بفَحْص الرّماح ، أشرف غَزْوِيّة من جبل بِلَزْمَة ـ وكان أبُو عَبْدِ الله قد بعثه في ألفِ فارسٍ إلى ناحية بِلَزْمَة، لمّا آتّصلت به أخبارُ هارونَ بِبَاغَايَة ولم يكن عند غزوية وأصحابه علم من خروج هارون إلى دار مَلُوَّل ـ . فلمّا رأوا العساكرَ في فحص الرّماح وَقفُوا وَصَفُّوا [1] على الخيل ، ونظر اليهم هارون وأصحابهُ فوقعت فيهم نفْرَةٌ وَتصايحوا : ٱلجَبلَ ٱلجَبلَ ! ـ يعنون أوْرَاسَ ـ نَجْعَلْهُ خلف ظهورنا ، فإن كان علينا أمرٌ تَحَصَّنَّا به، وإن كان لنا آتّبعنا ٱلْعَدُوَّ بطول ٱلْفَحْص . فما هو إلاّ أنْ عطفوا يريدون الجبلَ إذ صَاحَ فيهم صَائحٌ: ٱلْبَلَدَ ! ٱلْبَلَدَ ! فَقَصَدَ كُلُّ قومٍ إلى جهةِ بلدِهِم .ونظر غزويّة وأصْحَابُه إلى الغَبْرَةِ قد قامَتْ والعسكرِ قد آفترق ، فَشَدُّوا عليهم وهم خيلٌ جرِيدَةٌ فما يُحْصَى ما قُتِلَ منهم.وقُتِلَ هارونصاحبُ العَسْكَرِ [2].وَغَنمُوا جميعَ ما كان، معه ، وآنصرفوا إلى أبي عبد الله بِفَتْحٍ لم يُرَ مِثْلُه.ومن الغنائم والأموال ما لا يُحْصَى عَدَدُهُ . ولم يَصِلْ إلى باغايةَ من أهل إفْرِيقْيَة إلّا أقلّهم ،

---

(1) صَفَوا : أصْطَفُّوا .

(2) كذا في ا و ب ؛ الكامل 130 : وقتل هرون أمير العسكر ؛ اتعاظ 65 : فقتل هارون في خلائق لا تحصى .

وقُتِل أكثرهم ، ولحِقَ من كان من أهل القبائل بقبائلهم . وكَتَبَ زِيادةُ الله عامِلُ بَاغَايَة إلى زِيَادةِ الله بذلك وبِقَتْل أخيه . فجَاءهُ من ذلك غَمٌ عظـيم .

XXIII ـ ذِكْرُ اَفْتِتَاحِ مَدِينَةِ تِيجِس [1] .

168 ـ وكان قد صار إلَى أَبِي عَبْدِ الله جماعةٌ من هُوَّارَة [2] وَرَأْس الفَحْصَيْنِ [3] مِنْ بَنِي مَعَاد [4] ، وكان فيهم تَشَيُّعٌ قَديمٌ ، وكانَ منهم إسماعيلُ بنُ نَصْر المَعَادِيّ لحِق بالحُلْوَانِيِّ وأخذ عن أصحابه ، وأتى الى أَبِي عبد الله ودعَاه ، هو وجماعةٌ من أهل بيته ، وجاء من أهل تلك النَّاحية إلى أَبِي عبد الله ، وكان فيهم حمزةُ اَلْمَلَزِّي ، ـ وكان فيهم فارساً جَلِداً جَسُوراً ـ ، فاَجتمع مع قوم من أصحابه،فأداروا بينهم رأياً أن

---

(1) كذا في ا و ب : تيجس ؛ وكذلك في اليعقوبي 11 ، والمقدسي 6 ، وابن حوقل 84 ، والادريسي 57 و 118 ، وأعمال 446 ، والكامل 130 ؛ أما في العبر 35 : مدينة يتجبت (كذا ، والتحريف بيّن) .

(2) ا و ب : هوازة ؛ اليعقوبي 11 : « . . . حولها (اي : باغاية) قوم من البربر من هوارة بجبل جليل يقال له أوْراس يقع عليه الثلج ومدينة يقال لها تيجس . . . » . فالاصوب إذن هُوَّارَة كما أثبتناه .

(3) ب : الفحصين ؛ ا : الفحصيني .

(4) ا : معاد ؛ ب : المعاد .

يخرجوا في جريدةِ خيلٍ يُغيرُون على نَوَاحي بـــلدهم حيث يعرفـون. وأستاذن حمزةْ في ذلك أبا عبدِ الله ، فاذِنَ له فاحجم عنه أصحابُهُ ، وبدا لهم ما عقدوا عليه معه، وخافوا. فمضى حمزةُ وحدَه مع غلامٍ لَهُ مُتَسَلِّلَيْنِ ، فوافيا بفَجِّ العَرْعَـار[1] رِفْقَةً قَدِمَت من القَيْرَوان الى بَاغَايَـة ـ وفيهم فَرَانِق معه كُتُبٌ[2] من زيادة الله ـ لَيْلًا . فهجما فيها ، وقَتَلَا جماعةً من أهْلهَا وأخذا ما أصابا مع مَنْ قَتَلَاهُ مِنَ المال ومَا قَدَرَا عليه مِنَ ٱلْمَتَاعِ ، وَقَتَلَا[3] الفَرَانِقَ فيمن قَتَلَا، وأَخَذَا[4] كتبَهُ ، وقدما على أبي عبد الله فسَرَّه ذلك وكان سُرُورُهُ بالكُتُبِ وعِلْمِ ما فيها أكثر. فلمّا نظر الى ذلك أصحابُه الذين كانوا تَخَلَّفُوا عنه ، فَسَارَعُوا في ذلك. فكانوا يضربون على نواحي بَاغَايَة الى تِيجِس. وكانت لزيادة الله بِتِيجِس رابطة خمسِ مائة فارس مع عبد من عبيدِهِ يُقَالُ له يَحْفُورُ. وكَانَ ابنُ رِكَابٍ رئيسُها قد سأل ذلك فَأُعْطِيه .

---

(1) كذا في ا و ب والكامل 131 :فج العرعار؛العبر 35 : فج العرعر . والعَرْعَرُ شجر قصير ينبت بجبال المغرب . الا ان العامّة تقول : العَرْعار .

(2) ب : كتب ؛ ا : كيف ،

(3) ب : قتلا ، ا : قتل .

(4) ب : احذا ، ا : اخذ .

169 ـ فلما رأى أهلُ تِيجِس أنَّ الغاراتِ صَارَتْ[1] تُجَاوِز بلدهم وتضرب في نواحيهم ، وأنّ المدائِنَ كلَّها التي تليها قد ٱفْتُتِحَتْ خافوا على نفوسهم. فكاتب ٱبنُ رِكَابٍ أبَا عَبْدِ الله ، وسَأَله إخراج عسكر اليه يجد السَّبيل به من أجل الرَّابطةِ التي عندهم . فَأَنفَذَ إليه أبو عبد الله عَسْكَراً قدّم عليه مَكْتَدَاس[2] الجيمليّ. فنزل عليهم . فلم تَجْرُؤْ[3] خيل الرابطة أن تخرج إليهم. وٱحتصروا في الحصن ـ وهو منيع[4] ولم يُمْكِن ٱبنَ ركاب فيهم شيءٌ . فأقام مكتداس أيّامًا ، وٱنصرف . ثمّ أرسل أبو عبد الله عسكراً ثانياً وقدّم عليه يوسف بن سَكْلَبٍ ٱلْغَشَمِيّ[5]. فنزل على تِيجِس ، فحاصرها . وصالحه أهلها على أن يدع ٱلْعَرْضَ للرّابطة التي عندهم ، وقالوا : هم أضْيَافُنَا ، ولا يُمْكِنُنَا أن نَغْبَنَ[6] بهم . فأجابهم يوسفُ على ذلك . وخرجت خيلُ الرّابطَة بجَميع مالها فَنَفَذت الى زيادة

---

(1) ب : صارت ؛ صدرة .

(2) ا : مكتداس ؛ ب : مكداس .

(3) ا : تجـ (كذا) ؛ ب : تجبس .. والارجح : تجرو.

(4) كذا في ا، ب : تقص .

(5) ا : يوسف بن سكاب الغشمي ؛ ب : يوسف بن ركله الغشمي ؛ العبر 35 : يوسف الغساني.

(6) ا : تخبن ؛ ب : تحيس .. فالتحريف بيّن والارجح : نغبن كما ابتناه اذ الغَبْنُ هو الخديعة .

الله لم يعترض أحدٌ منهم فى قليلٍ ولا كثيرٍ . ودخل الأولياء تيجس صُلْحًا . فلم يَعْرِضُوا لأحد من أهلها بمكروه ، وانصرفوا . ومضى الى أبي عبد الله إبْنُ رِكَابٍ وجماعةٌ من وجوهها. فدخلوا الدّعوةَ وانصرفوا الى بَلَدهم . ووصلت خيل الرّابطة الى زيادة الله وأَخبَرُوا بِمَا كَانَ من خبرهم وبِمَا وُفِيَ لَهُمْ من الأمان. وشاع ذلك في أهل إفْرِيقيَة. وقد كان تُشُنِّعَ عندهم على أبي عبد الله وأصحابه الغُرُورُ والقتلُ ، وأنّهم يؤمّنُونَ النَّاسَ ثمّ يقتلون ، ويُعْطُونَهُمُ العهودَ ثمّ يَخفِرُونَهُمْ . فأكذب ما كان من فعلهم فى الرّابطة الذين كانوا بتيجس ما شُنِّعَ من ذلك عليهم ، وأخبروا بذلك من أذاعوه [1] فكانت من ذلك عن أبي عبد الله وأصحابه عند العامّة بإفريقية أخبارٌ صالحة ، وسكنت أنفسهم إليه ، ومَالَتْ نحوه قُلُوبُهم بعد أن كانت القلوب منهم نافرةً لما كانوا يصفون عنهم . واضطربت إفْرِيقيَةُ وكثُرَ خوض النّاس بها وتوقّعوا قدومَ أبي عَبْدِ اللهِ إليهم .

XXIV ـ ذكرُ كِتَابِ زيادة الله إلى البُلدان بِتَسْكِينِها وتَهْدِئَةِ ما اتّصل به أنه اسْتَفَاض من الرّعب فيها .

170 ـ ولما اتّصلت الأخبارُ بزيادة الله عن البلدان بنواحي إفريقية ، وما خامر أهلَها من الخوفِ ، وَوَقَعَ فيهم من الإرْجَافِ وخاف أن ينفتق

---

(1) ا : اذاعوه ؛ ب : اذاعه .

عليه من ذلك فتق ، أمر بكتاب فكتب نُسَخًا وبعث الى كلّ ناحيـة من نواحي إفريقية بنسخةٍ منها ، وأمـــر أن تُقْرَأ على المنابر لِيُهْدَى بها النّاسَ. وكانت نُسْخَتُه : بسم الله الرحمان الرّحيم. من الأمير زيادة اللهِ بنِ عبد الله النّاصِرِ لدين الله القائم بسنّةِ رسولِ الله (صلى الله عليه وآله) المجاهدِ لأعداءِ اللهِ ، الى جماعة المسلمين بمدينةِ كذا و بَوَادِيها ، سلامٌ عليكم ! فإنّ الأمير يَحْمَدُ الله الذي لا اله الاّ هو ويسأله أنْ يُصَلِّيَ على محمّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُوله (صلّى الله عليه وعلى آله) . أمّا بعدُ فإنّ الله تبارك وتعالى اسمُه ، وعزّ وجلّ آله ، قد تكفّل بالفتح والإعـزاز لأهل دينـه ، والذّابّين عن سنّة رسوله ، على من نَاوَاهُمْ [1] والتّمكينِ ممّن انتصب لهم وعاداهم ومِمَّن [2] شاقّه ونصب له وبدّل دينـه وغيّر سُنَنَ أنبيائه .

171 ـ وقد انتهى معشر المسلمين عن هـذا الكافر الصَّنْعَانِي المبـدِّل لدين الله المُحَرِّفِ لكتابه، المُسْتَحِلِّ دمـاءَ المسلمين بغير حقّهـا المُبيحِ للفروج بخـلاف حلّها ، مرتكباً للمحارم فيهـا ، الآكلِ أموالَهم مُسْتلباً لها ، قد عرفتموه فيها انتهى إليكم عنه . فإنـه أوى الى كُتَامَـة بَرَابِر [3]

---

(1) ا : ناواهم ؛ ب : ناولهم .

(2) ا : ممن ؛ ب : نقص .

(3) ا : برابر ؛ ب : بربر .. وبرابر أحسن لما في الجمع من الاحتقار .

أغتام (1) ، وجُهَّالٍ طَغَام (2) ، فاَسْتزَلَّهم . وآسْتَهوَاهم ، واَسْتغواهم : فدعاهم الى تبديل دين الله ، فاجابوه ، وتحريفِ سنّةِ رسوله (3) (صلى الله عليه وآله) فاطاعوه لجهلهم بالدّين والسّنّة (3) ، وما أراده الله (ع و ج) بهم من الشَّقْوَةِ و اَلْمِحْنَةِ ولِأنَّهم بمنزلة الحُمُر (4) النَّافِرَة ، والأنْعَامِ السَّائمة فما زَخْرَفَ لهم قبلوه ، وما زيّنه لهم اَتَّبعوه ، وكلّ من كانت لهم منهم مسكةٌ (5) أو علم شيئا من الكتاب والسّنة (3) لم يجد غير الهرب إلينا منه بدينه ، واَلْمُقام على حربه ، منتجزا وعدَ اللهِ في هَلَاكِهِ وقطع شَأْفَتِهِ (6) كعادتِه في أمثاله .

172 ـ ومن أيسر مَا ظهر من كفره واَنْتَشَرَ من قبيح اَنتِحَالِهِ

---

(1) أغْتَامٌ وغُتْمٌ : لا يفصحون في الكلام .

(2) الطَّغام مفرد وجمع : أوغادُ النّاس .

(3) انظر : 245 ، « حديث الثقلين » وإحلال الشيعة محل « السنة » بعد الكتاب « العترة » ، أي اهل البيت ، في خطبة الوداع ؛ فلعل زيادة الله قصد بهذا التحريف « حديث الثقلين » ؛ انظر في هذا الموضوع الفصل « أهل البيت » في : 6 - 265 ، EI^2

(4) ب : الحمر ؛ ا : الحمر . ـ وجمع حِمَار : أَحْمِرةٌ وحُمُرٌ ، وحَمِير وحُمُور ، وحُمُرات .

(5) كذا في ا و ب ؛ والمُسْكُ هو العقل الوافر .

(6) ا و ب : شافتة . ـ قطع الله شَأْفَتَهُ : قطع عداوته وأذاه.

وأمره وفشا عنه ، وعُرِفَ وأطبق عليه من اتّبعه إظهار لعنةِ أبي بكر وعُمَر (1) صَاحِبَيْ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وصهريه وخليفتيه وَضَجِيعَيْه وعُثْمَان ذي النُّورَيْن (2)، زَوْجِ ابْنَتَيْه ، وطَلْحة والزُّبَيْر حوَارِيَّيْه (3) وجماعة من أخيار صَحَابَتِه (رحمة الله عليهم) . ويَزعمُ أنَّ عليًّا (رحمة الله عليه) كان يرى ذلك فيهم ، ويذهب إليه من أمرهم. وقد برّأه الله من ذلك بِحُسْنِ الصَّحَابة (4) لهم وجميلِ العِشرة أيّام حياته وحياتهم ، واتِّفَاقِه معهم على ما أرضى اللهَ عنهم . ثمّ زعم الفاسِقُ أنَّ مَنْ لَمْ يَدِن بذلك وَيَرَهُ ويَقُلْهُ (5) وَيَعْتَقِدْهُ ويتبرّأْ من أصحاب رسول الله (صلعم) السَّابقين فهو خارجٌ من جملة المُسلمين، حلالٌ دمُه ومالُه وسَبْيُ ذَرَارِيه .

---

(1) أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ضجيعا الرسول لأنهما قبرا الى جنبيه .

(2) عثمان بن عفان ذو النورين لانه تزوج ابنتي رسول الله .

(3) الزبير بن العوّام وطلحة بن عبيد الله . انظر الاصابة ج 1 : 527 وابن سعد ج 105:3 : فقال النبي (صلعم) : « إن لكل نبي حواريا وحواريّ الزبير ! »

(4) كذا في ا و ب . - و الصَّحَابَةُ : الصُّحْبَةُ .

(5) ا : يسره ويتله ، ب : يسراه ويقوله .

173 ـ ثُمَّ شرَّع شريعةً غيرَ شَريعةِ الاسلام وأسنَّ سنّةً غير سنّةِ محمّد (صلى الله عليه وآله) كَتَمَها ، وأسَرَّ أمرَها . وأخذ العُهودَ والمواثيق على من أطلعه عليها في كتمانها ، وترك التَّفَوُّهَ بها . وما يَدُلّ عليها لئلا تظهر الى المسلمين فيستَحِلُّوا جِهادَهُمْ عليها ـ وافترض لله على كلّ امرىء دخل في أمره ديناراً سَمّاهُ دينارَ الهجرة ودرهما زعم أنه درهمَ الفِطْرَةِ [1]، وجعل لنفسه حقًّا واجباً في أموال الأُمّةِ [2] ؛ وهدم المساجد وقطع الصلاة واستخفَّ بحرمة الدين وبان من جَماعَةِ المُسْلِمينَ .

174 ـ وقد رأى الأميرُ زيادة الله بن عبد الله رغبةً في ثواب الله ربّه جهادَ الفاسقِ بنفسه ، والقصدَ إليه بِحُماةِ رجالِهِ وأنصارِ دولتِهِ ، وانتهازَ الفرصةِ فيه قَبْلَ أن يُسْبَقَ إليه ـ فقد انتهى الى الأمير أنَّ

---

(1) كذا في ا و ب : انظر اتعاظ 210 (في شأن حَمْدان قرمط) : « فابتدأ يفرض عليهم ان يؤدوا درهما عن كل واحد وسمى ذلك « الفطرة » على كل احد من الرجال والنساء . . . ثم فرض « الهجرة » وهو دينار على كل رأس أدرك ... » . ـ انظر سيرة جوذر 56 و 167 ، كيف يحث المنصور الناس على أداء الفطرة في معناها المعروف عند أهل السنة وعند الشيعة معا : فتقرّبوا الى الله في يومكم بأداء فطرتكم التي هي زكاة صومكم . . . »

(2) انظر 121 : الحقّ في الاموال يؤخذ للامام ولا يمسّ الداعي منه شيئا .

أمير المُؤمنين المُكْتَفِي بالله ـ أطال الله بقاءه ـ لمّا آنْتَهى إليه خبرُه أمر بإخراجِ العساكرِ إليه من قِبَلِهِ مادّةً للأمير زيادة الله بن عبد الله ، وتقويةً له ـ . والأميرُ يَرْجو أن يُظْفِرَهُ اللهُ بالفاسقِ من دون ذلكَ ويَجْعَلَ له سبباً لِلظَّفَرِ به ،، وفخرَه وثوابَه،ويَجعَلَ ذلك ما سرَّهُ ويَجْمع ذِكرَهُ مع فخْرِهِ لأميرِ المؤمنين بِحُسْنِ نِيَّتِهِ ، والأميرُ زيادةُ الله بن عبد الله سَهْمٌ مِنْ سِهامِهِ وشِهابٌ من شُهُبِهِ ، وما أظهرَهُ اللهُ (ع و ج) عليه ، وأظفره به فهو منسوبٌ الى أمير المؤمنين ، وسَبَبٌ من سَبَبِه .

175 ـ وقد آنْتَهى إلى الأمير ما آنتشر قِبَلُكُمْ ، وفَشا فيكم من الأشانيعِ عن أقوالِ المُرجِفين وزَخارف [1] المُشَنِّعينَ ، وتهويلِ المُهَوِّلينَ أمرَ اللَّعينِ الفاسقِ لمّا بَلغَهُمْ آنصرافُ الجيوشِ عنه وتَغَلُّبَهُ على ما دَنَا [2] وقَرُبَ منه . وزادَ في ذلك المُرجِفُ والمُهَوِّلُ ، وشَنَّعَ به الكَذُوبُ المُبْطِلُ . ولم يكنْ [3] أكثرُ ما قالوه ولا بعضُ ما أرْجَفُوا به، وهوَّلُوهُ.ولا بُدَّ في الحروب من الكرّاتِ والإقدامِ والهزائمِ والاحجامِ ، فقد قيل : الحربُ سِجَالٌ مرّةً لكَ ومرّةً عليك . وقد آنهزم أصحاب

---

(1) أ : زخارف ؛ ب : زخايف ، ولعله تحريف لسخائف .

(2) أ : دنا ؛ ب : دنى .

(3) أ : يكن ؛ ب : يلن ، والتحريف فيه بين كما هو كثير في كلمات عديدة قبلها وبعدها .

رسولُ الله (صلعم) في غير مَشْهَدٍ وأَحجَمُوا في غير مَوْقِفٍ، ثُمّ كانت [1] العاقبةُ للمؤمنين كما وعدَهُمُ اللهُ (ع و ج) في كِتَابه المُبِين . فَلْيحسُنْ بِالله ظَنُّكم، وتطمئنَّ بما وعدكم قُلوبُكم، ولْيَظْهَرْ من قلّة اكتراثكم بِأمر هذا الفاسقِ مَا يكون دليلا على ثقتكم بِربِّكُمْ ! وانفروا إليه خِفافاً وثِقالاً كما أمركم الله [2] وجَاهِدُوا بِأَموالِكُمْ وأَنْفُسِكُمْ كما افْتُرِضَ [3] عليكم ! وادفعوا عن إباحة مُهَجِكُمْ وانتهاكِ حَرِيمِكُمْ ! وأن لا تَفْتَتِنُوا [4] في دينكم، وكافِحُوا عنه مَنْ بَدَّلَهُ، وتبرّؤوا [5] مِمَّنْ أحدث فيه وغَيَّرَهُ ! وفَّقَكُمُ اللهُ لِمَا يَجِبُ [6] ويُرْضِيه ويُزْدَلَفُ بِه إليه [7] ! والسَّلام عليكم وبركاته .

176 ـ فَقُرِئت هذه النسخة على مِنْبَرِ القَيْرَوَان، وقُرِئت في سائر البُلدان. فما زادالنّاسَ ذلك إلاّ خوفاً، وإرجافاً، وتهاوناً، بامره، واستِخْفَافاً. وجَعَلُوا

---

(1) ب : كانت ؛ ا : كان .

(2) ا : الله ؛ ب : ربكم .

(3) ا : افترض عليكم ؛ ب : افترض الله عليكم .

(4) ا : وان لا تفتتنوا ؛ ب : ولا تفتنوا .

(5) ا : وتبراوا ؛ ب : وتبر ، (تحريف) .

(6) ا : لما يجب ويرضيه ؛ ب : لا يحبه ويرضاه .

(7) ا : ويزدلف به اليه ؛ ب : ويرد اليه .

يَذْكُرُونَ أحواله، ويُعَدِّدُونَ أفعالَه، وسَفْكَهُ دمَ أبيه وإخوته وعُمومته، وٱرتِكابَه المحارمَ، وشُربه الخُمُورَ، وٱشتغالَه باللّهو وٱلمعازِفِ. ويذكرون ويتفاوضون فيما يَنْتَهِي إليهم ويَتَّصِلُ بهم عن أبي عبد الله وأصحابه من الورع والدِّين وٱلْعَفَافِ والأمانة والصِّيانة، وإقبالهم على الصّلاة والصِّيام وٱنتِهائهم عن ٱلْمَحَارِم، وتَحَرُّجِهِمْ من ٱلمآثِم. فعاد ما ما شَنَّعه [1] عن أبِي عبد الله وأصحابه منسوباً إليه [1] وما عدّده عليهم معدودا عليه. وٱتَّصَلَ ذلك به وأنّ النَّاسَ قد عَلِمُوا أنّ ذلك تَمْويهٌ منه ومَخْرَقَةٌ [2] أراد بها قطعَ ما قيل فيه. فعظُم ذلك عليه، وٱسْتَعْمَلَ رسولاً أظهر أنّه جاء إليه من بَغْدَاد بِخِلَعٍ وأعْلامٍ وبِسُيُوفٍ وبدروعٍ [3] وبكتاب كتبه نُسَخًا وفرَّقه، فقُرِئَتْ أيضاً على المنابر. وكانت نُسْخَةُ الكتاب:

177 ـ بسم الله الرحمن الرّحيم من عبد الله أبي محمّد ٱلْمُكْتَفِي بالله أمير المؤمنين، إلى أهل إفْرِيقْيَة من المسلمين، سَلَامٌ عليكم! فإنّ أمير المؤمنين يَحْمَدُ إليكم الله الّذِي لا إلَهَ إلّا هو ويسألُه أنْ يُصَلِّيَ على محمّدٍ عبده ورسوله (صلى الله عليه وعلى آله). أمّا بَعْدُ فإنّ الله (تع) جعل

(1) اي: زيادة الله.

(2) المَخْرَقة الكذبة المبالغ في صنعها.

(3) ا: كذا؛ ب: وسيوف ودروع.

الإسلام مَحَجَّةً هادية الى مرضَاتِهِ ، وجنَّةً واقيــةً من سخطه ، وعصمــةً ومثابةً لمن لجأ إليه ، ووسيلةً الى النَّجاة لَدَيْــهِ . وجعـل المسلمين إخوةً أَلَّفَ بين قلوبهم ، وأوْجبَ التَّرَافُدَ [1] والتَّعَـــاوُنَ عليهم ، وجَعَلَ من فارق جَمَـاعتهم ، وخرج عن جُملتهم ، ومَرَقَ عن مِلَّتِهم واَختَـار غَيْرَ دينهم مُنْقَطِعَ العِصْمَةِ بَرِيئاً [2] من الذِّمَّةِ مُبَدَّلاً بالكفر النِّعمة ،وأَلْزَمَهُمْ أَن يَكُونوا يـداً على سِواهم ، وأعـداءً لمن عَـادَاهم ، وإلْبًا على من بَغَاهُمْ ، وَحرْباً لمن نَاوَاهُمْ [3] ، وسِلْماً لمن وَالاَهُمْ ، يجتمِع على ذلـــك أَلْسِنَتُهُمْ وأهْوَاؤُهُمْ، ويَتَّفِقُ فيه أيديهم وآراؤُهُمْ حتَّى يكونَ عَدُوُّ الله عَدُوَّهُم المقصودَ بكيدهم ، المقهـورَ بأيديهم ، المكبُوبَ بتَظاهرهم ، المغلوبَ بتآزُرِهم ، ولا يَجِـدُوا وَلِيجَةً بينهم ولا سبيلًا الى المخالفة بين قلوبهم . فَمَنْ فعـل ذلك فقد سلك الطَّرِيقَ ، المُثْلَى وتمسَّك بالعُرْوَةِ الوُثْقَى [4] واَسْتَحَقَّ خير الآخرة والأولى وجَرَى مع طاعةِ اللهِ (ع وج) وأمْرِهِ . ومَنْ جَانَبَهُ

---

(1) أ : الترافد ؛ ب : التوازر .

(2) أ : بريا ؛ ب : بريرا .

(3) أ : ناواهم ؛ ب : واهم . (والتحريف بين) . ابتناه هكذا تخفيفا للسجع ، والصواب : نَاوَءَهُمْ .

(4) انظر : 245 كيف يستعمل الداعي هذه المعاني في كتابه وكذلك المهدي في كتابه في : 269 .

مُخَالِفًا له ، حائِدًا عنه ، نَاكِبًا عن سبيله ، أوتَغَ [1] دينه ،وخانَ أمانته[2] وخَتَرَ [3] عَهْدَهُ وباءَ بغَضَبٍ من رَبِّهِ ، وكان الحاطبَ على ظهره والجاني على نفسه ، يقولُ اللهُ (ج ذ) « لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ باللهِ واليَومِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ [4] » واللهُ يُؤَيِّدُ من أَحبَّ بإرشاده وبتوفيقه ويَكِلُ من بَرِئَ منه إلى نفسه واخْتِيَارِهِ [5] « ومَنْ يضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ومَنْ يَهْدِ [6] اللهُ فَمَا لَهُ من مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ [7] .

178 ـ وانْتَهَى إلى أمير المؤمنين خبرُ عدوّ الله الخَارِجي النَّاجم بأطراف نواحي المغرب واسْتِهْوَائِهِ من اسْتَهْوَاهُ من أشياع الضَّلال وأوباش

---

(1) ا : اوتغ ؛ ب : اوقع ـ أوْتَغَ الرَّجلَ : بلغ منه .

(2) كذا في ا ؛ ب : وجانبه مخالفا امانته .

(3) كذا في ا ؛ ب : سقط ـ خَتَرَ عَهْدهُ : غدر أقبح الغدر .

(4) سورة المجادلة جزء من الآية الاخيرة (22) .

(5) كذا وردت الجملة في ا ؛ ب : من يرى إلى نفسه واختياره .

(6) ب : كذا ؛ ا : يهدى .

(7) ومَنْ يُضْلِلِ اللهُ فما لهُ مِنْ هادٍ : في سورة الرعد ، من الآية 33 وفي سورة الزمر ، من الآية 36 ـ ومَنْ يَهْدِ اللهُ فماله من مضلّ أليس الله بعزيز ذي انتقام : سورة الزمر ، آية 37 .

الجهّال المُوضِعِينَ في الفِتَنِ وماهم مُعْتَقِدُونَ من خَلْعِ رِبْقَةِ الاسلامِ، وَتَدَرُّعِ جِلْبَابِ الكفرِ، وإظهار الشّقاق والنّفاق والمروق عن الدّين والمِلّة، وبَسْطِ الأَيــدي بالعظائمِ، وسَفك الدّماء وانتهاك المحارمِ، وارتكاب المآثم، مما قد فشا من الفَسَادِ في ذلك الصّقع بهم، ووصل الى أهله من معرفتهم، وأنَّ زيادة الله بن عبد الله أنفَذَ إليهم الجيوشَ عدّة دفعاتٍ وأنَّ هؤلاء الكفرةَ مقيمون على مُنَاوَءَتِهِ [1] والطّمع في نواحيه، مُغْتَرُّونَ بالمُهْلَةِ الّتي جعلها اللهُ حُجّةً عليهم، وأمْلَى لَهُمْ، لِيَزْدَادُوا إثْماً إلى إثمهم ولِيَحْمِلُوا أوزارهم وأوزاراً مع أوزارهم. وليس يَخْفَى على أهل الحزم والرّأي والنّظرِ والتّمييز موقع الطّاعة ومقدار فضلها، وما تَعُودُ به على أهلها من صلاحِ الدّين والدّنيا وسَلَامَةِ [2] البَدْءِ والعُقْبَى، إذ كان اللهُ جلّ ثَنَاؤُهُ قد جعل طاعة سُلطانه وخُلفائه في أرضه معقودةً بطاعتِهِ وطاعةِ رَسُولِهِ وفرضها على المؤمنين من عباده، فقال: «يا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [3]» فالسّعيدُ الوافر حظًّا الرّشيد أمرًا، الفائزُ يوماً من تمسّك بحبلها وأوى

---

(1) او ب: مناواته.

(2) ب: سلامة؛ ا: نقص.

(3) سورة النساء، جزء من الآية 59.

إلى ظِلِّهَا ، والشَّقِيُّ الخَاسِرُ ذو الجِدِّ العاثِرِ مَنْ عَنِدَ عنها وابتغى غَيْرَ سبيلها .

179 ـ وقد علمتم حالَ زيادة الله بن عبدالله من المُوالاةِ والإخلاص والمشايعةِ لأمير المؤمنين ، والانتهاج بسبيلِهِ والاقتفاء لأثره ، والعملِ بعهدِهِ والوقوفِ عند أمرِهِ، وحُسن السِّيرة ، والرِّفق بالرَّعيَّة وإقامِ المَعْدَلَةِ[1] والذَّبِّ عن الثّغور الَّتي هو بسبيلها ، ومقارعةِ المتطرِّفينَ لَهَا، والبَاغِين بها ، والمحَاوِلِينَ انتهازَ الفُرَصِ فيها ، وما دَرَجَ عليه سَلَفُهُ من ذلك واحداً بعد واحدٍ . وانَّ من كان مذهبُه مذهبَ زيادة الله كانت وسيلَتُهُ الوَكِيدة وقَرِيبَتُهُ القَرِيبَة [2] عند أمير المؤمنين ، وكان حَقيقاً بالاجتِبَاءِ لَهُ والإحسان إليه والسُّكون إلى ناحيتِهِ . وأميرُ المؤمنين مُرْتَضٍ أمْرهُ حامدٌ لطريقته،واثقٌ بِمُنَاصَحَتِهِ، مُعتمدٌ عليه في الصَّقع الذي هو به، وقد واجه من هؤلاء الكفرةِ وتجرّد من أمرهم ما الله مُعينُه عليه ومُتَوحِّدٌ [3] بالصّنع فيه ومُجير [4] أمير المؤمنين على أفضل

---

(1) كذا في ا ؛ ب : واقامته العدل .

(2) كذا في ب ؛ ا : وسيلة الوكيدة وقريبة القريبة .

(3) كذا في ا ؛ ب : متواحد .

(4) في ا و ب : مجرى.

عاداته في أمثاله. وأميرُ المؤمنين على إنقاذ الجيوش ومواصلة الإمداد إليه معونةً له وتقويةً لأمره وشدًّا عليه فيما هو بسبيله.

180 - ورأى أمير المؤمنين أن يكتب إليكم لِتَعْلَمُوا حال زيادة الله عنده وموقعه من رأيه وما يرعاه من حُرْمَتِه ويحافظ عليه من وسيلته بنفسه وسَلَفِه وتُؤْثِرُوا بِالتَّمَسُّكِ بطاعته. وترك الخلافِ عليه والتَّصَرُّفِ مع أميره ونهيِه ومُكَاتَمَتِهِ على مُحاربة أعـــداء الله الكفرة ومجاهدتهم، وإجابة دعوته متى ٱسْتَدْعَاكُمْ واللُّحُوقِ إليه وترك التَّثَاقُلِ عنه والإجلال له لِتَرِدَ كُتُبُه بوصف ذلك منكم، والإخبار به عنكم، فَيَحْسُن موقعُ شهادته لكم وتَحُلُّوا مَحَلَّ الأولياء وأهل السّمع والطّاعة الذين يجب حياطتهم ويُرْكَنُ إليهم، ويعودَ عليكم من عوائد ذلك ما تغتبطون به وتَحْمَدُون ٱختياركم معه. فاعلموا ذلك من رأْي أمير المؤمنين واعملوا به. وَقِفُوا عنده ولا تخالفوه إلى غيره، وأجيبوا عن كتاب أمير المؤمنين بوصوله وٱمتثال ما حدّ لكم منه إن شاء الله [1] (تـم) والسّلام!

181 - فلمّا قُرِئت أيضا نُسخةُ هذا الكتاب على مِنْبَرِ مدينة القيروان وسائر البُلدان، زاد كلامُهم في زيادة الله وأشانيعُهُمْ عليه، وقالوا:

(1) في ا و ب: انشاء.

لم يَحْصُلْ من أمره إلّا على ٱلْمَخَارِيق [1] ! وما عسى أن يصنعَ الرّعِيّة له ؟ إنّما الرَّعِيَّةُ لِمَنْ غَلَبَ : فإنْ كانت له قوّةٌ وعنده غِنًى فَلْيُقَاتِلْ ؛ فأمّا الرّعِيَّةُ فما تعرف مُدَافَعَةً ولا ٱعتادت مُحَارَبَةً . وجعل النّاسَ يتكلّمون بهذا ونحوه من الكلام في أسواقهم وشوارع سِكَكِهِمْ ، وحاضرهم وبادِيهِم عَلَانِيَةً . وٱستدعى ٱلْجَواب منهم في ذلك وأمر من يَتَقَاضَاهُ من شيوخ القيروان [2] وغيرهم من البلدان ، فَسَوَّفُوهُ ، وتثاقلوا عنه ، ولم يتّفقوا عليه . فأمسك عنهم فيه ، ولم ير فائدةً فيما أبرمه في ذلك وأداره ، بل رأى أنّه صار سبباً إلى الشّناعة [3] وذريعةً إلى كشف ما عند العامّة . فندم عليه وأُسْقِطَ فِي يَدَيْه .

XXV ـ ذِكْرُ خُرُوجِ زيادة الله بالعساكر إلى مدينة الأُرْبُس وٱنصرافه منها :

182 ـ ولَمَّا [4] نظر زيادةُ الله إلى ٱختلال أهل البلد عليه ، وكثرةِ

---

(1) ا : المخاريف ؛ ب : الخاريق ،والتحريف بيّن كما في كثير من الكلمات السابقة . ـ والصواب : المخاريق وهي ما يلعب به الصبيان من الخرق .

(2) كذا في ا ؛ ب : شيوخ اهل قيروان .

(3) ا : الى الشناعة ؛ ب : للتشنيع .

(4) ا : لما ؛ ب : لا .

الأشانيع فيه ، أظهر الخروج بنفسه إلى أبي عبد الله وتقدّم في ٱلاستعداد لآلات[1] الحرب ، وشدّ السّلاح والأموال. فنادى في البلدان بِتَوْسِعَةِ العطاء للرّجال والفُرسان ، وأخرج الحُشّادَ الى الأمصار والأَجْنَاد[2] ؛ وتقدّم إلى أهل بيته ، وجميع خاصّته ، ورجاله في الخروج معه . فاّجتمعت له عَساكِرُ عَظِيمَةٌ ، وتَسارَبَ النّاس إليه لطلب العطاء وجعل يجلس في قُبَّةٍ بِرَقَّادَة - يقال لها قُبَّة العَرْضِ - وتُصَبُّ الدّنانير بين يديه، ويُعْتَرَضُ أهلُ البُلدان عليه ويعطيهم ٱلعطاء ، فإذا[3] مرّ به من يرتضيه غرف غرفة من الدّنانير بصحفة بين يديه تَسَعُ نَحْواً من[4] خَمْسِين دينَاراً ، فَيُعطِيه إيّاها . وٱتّصلت[5] الأَخبارُ عنه أنّه[6] يُعطي بِالصَّحْفَةِ ، فاقبل[7] إليه النَّاسُ من كلّ الجهات ، ووَافَتْهُ ٱلحُشُودُ .

---

(1) ا : في الاستعداد لآلات ؛ ب : باستعداد الة .

(2) الأَجنَادُ جمع جُنْد ، وهي : البلدان .

(3) ا : اذا ؛ ب : اذ .

(4) ا : نحوا من ؛ ب : مثل .

(5) ا : واتصلت ؛ ب : فاتصلت .

(6) ب : انه ؛ ا : ان .

(7) ا : فاقبل ؛ ب : واقبل .

وقطع ذلك خَوْضَ النّاس فيه وَإرْجافَهُمْ بـه ، وكان أكثَرُما يقولون هذه ضَرْبَةُ الفَيْصَلِ [1] تكون لمن تكون . وكان قـوّاد أهل بيته قديما يَفْخَرُونَ[2] بالنّجدة والسَّخاء ومَنْ لم يكن ذلك فيه منهم، تَقَصُوهُ وَأَزْرَوْا به. فتهيّا كلّ واحدٍ منهم في هَيْأةٍ حسنةٍ وجمع حولَه من عَبيدِهِ ومَوالِيه والمُنْقَطِعِينَ إليه جماعةً قام بما يحتاجون إليه من حِمْلانٍ ،وهياةٍ ،وسلاحٍ وغير ذلك. وأخرج زيادةُ الله مَصُونَ ما كان في خزائنه من ذخائره وذخائر آبائه من العُدَّة والحَلْيِ والخِلَعِ ، فاظهر ذلك ، وأعطى منه قوّادَه وَوُجوهَ رجاله وأهل بيته ، لكلّ واحدٍ منهم حسب ما رأى أنه يستحقُّه عنده . فَظَهَرَ لذلك زِيٌّ لم ير مثله أهلُ ذلك العصر . وعمل بُنُوداً كباراً مَنْقُوشَةً لم يُعْمَلْ قبل ذلك مثلها ، ومضارب منقوشة [3] .

183 ـ وخرج الى الأُرْبُس أوّلَ سَنَةِ خَمْسٍ وتِسْعِينَ ومِائَتَيْنِ [4]

---

(1) الفَيْصَلُ هوالحاكم،وضَرْبة الفَيصلِ هي التي تَفصِلُ بين القِرنين

(2) أ : يفخرون ؛ب: يفتخرون .

(3) ب : منقوشة ؛ أ : منقشة .

(4) كذا في اوب،وفي الكامل 131 ، وفي اتعاظ 86 ؛ وفي العبر 35 : سنة خمس وتسعين (اي : 295) ، وفي البيان 140 : وفيها (سنة 293) خرج زيادة الله [بن عبد الله] الى [مدينة] الاربس . ـ وسنة 295 أصوب من سنة 293 اذ الاربس سقطت في يد الشيعي سنة 296 .

وأخرج معه جماعةً [1] من شيوخ أهل [2] القيروان . فلمّا وصل إلى الأُرْبُس ولّى أبا العبّاس محمّد بن عبد الله بن جِيمَال [3] ٱلْقضاء ـ وكان مِمَّنْ [4] يذهب الى مذهب العراقيِّين ـ ، فَسَرَّ ذلك أهلَ بَيْتِهِ وَوُجوه رجالِه ، وذاك لَمّا لم ير في مداراة أهل ٱلْقيروان فائدة . وجعل له أن يرفع إليه من شاء من ٱلْخصوم من القيروان ومن سائر البلدان ويُوَلِّي مَنْ شَاء الحكومةَ ، وقرّبهُ وأدناه ورفع من شأْنِهِ وأعرض عن حِمَاسٍ [5] ، ورفض به . وأقام بمدينة الأُرْبُس ، وتَوَافَدَتْ بها العساكرُ ، وكان على أنْ يتقدّم بها إلى أبي عبد الله ، وشَاوَرَ في ذلك خاصّته ، ورِجَالَهُ ، فقالوا : هذا تغريرٌ ! إنْ لَقِيتَهُ بنفسك وجميع عُدَّتِكَ كان ٱلْفَيْصَلُ ، وما نَدْرِي ما يكون من الأمر ، وقد أوْقَع قبل هذا بغير عسكر فلم يُضَعْضِعْ ذلك المملكةَ إذ كُنْتَ رِدْءَهَا وفَيْئَهَا [6] والذي نرى من الرأي أن تكون

---

(1) ب : جماعة ؛ ا : نقص .

(2) ا : اهل ؛ ب : نقص .

(3) كذا اسمه في ا و ب ؛ طبقات 196 و 239 : ابن جيمال . البيان 140 : محمد بن عبد الله المعروف بابن جيمال .

(4) ا : كذا ؛ ب : وكل كان فيمن . (التحريف ظاهر) .

(5) أي : حماس بن مروان . انظر : 148 ـ ب : عرض عن حماس : ا : عرض عن جماس .

(6) كذا في ا ؛ ب : ردها وفيها . (فيهما تحريف ظاهر) .

في دار مُلككَ ، ـ فإنّا لا نأمنُ أنْ يَحْدُثَ بعدك حدثٌ ـ و تُبْقِيَ هَا هُنَا عَسْكَراً مع رجلٍ من رجالك ، فان قصد الشِّيعِيّ موضعاً قصدفيه إليـه ، وتكون أنت ردْءا له . فَاَسْتَحْسَنَ ذلك من رَأْيِهِمْ .

184 ـ وقدَّمَ إبراهيم بن أبي الأغلب [1] على العساكر وكانت له شجاعة وهو من وُجوهِ أهـل بيتهِ ، وترك معه عامَّة العسكر ، وٱنْصرف إلى رقَّادة في أهل بيته وخاصَّة رجـاله . فلمَّا وَصَلَ ، شَـدَّ أَمْرَ ابن جِيهَال ونَادَى مُناديه بِالقَيْرَوانِ : إنّه إذا تَدَاعَى الخصمان إليـه وإلى حِمَاس كان على مَنْ دَعَا [2] إليه أن يُجِيبَه فمال النَّاسُ بالخصوم إليه . فلمَّا رأى ذلك حِمَاسٌ ، رَفَعَ دِيوَانَه وأغلقَ بابَه وتركه [3] وخَلَصَ القضاءُ

---

(1) كذا اسمه في ا و ب وفي العبر 35 ،وفي الكامل 131 ، وفي اتعاظ 86 (وقد أخطأ الناشر في إصلاح ما وجد في الاصل) ؛ أما في البيان 143 فورد اسمه هكذا : ابراهيم بن احمد بن أبي عقـال ـ وابراهيم هذا هو ابن عمّ زيادة الله ، وأبوه هو أبو الاغلب بن إبراهيم بن أحمد ، انظر في شأنه : 146 ، كيف تنازل عن قيادة الجيش بصقلية لزيادة الله ، وقد تزهد ابو الاغلب بسوسة حيث قتله زيادة الله . انظر ،أعمال 445 .

(2) ا : دعا : ب : دعى .

(3) ب : وتركه ؛ ا : نقص .

لابن جيال . ثمّ أخذ أهل القيروان بشراء الأَخْبِيَةِ وضربها جهة باب سَلْم [1] والْكَوْنِ بها ليلاً ونهاراً بالسّلاح والعُدَّةِ ، وكَتَبَ من كُلّ مَحْرِس من مَحَارِسِهِ عِدَّة معلومة من شبابهم ، فاخرجهم لذلك كَرْهاً ، لِيُذِيعَ أن أهل القَيْرَوَانِ تَقَدَّموا معه للحرب . وحشد أهل البلدان وأقامَ برقّادة، وأقام ابن أبي الأَغلب بالأُرْبُس .

XXVI ـ ذكر افتتاح مدينة بَاغاية .

185 ـ واتّصلت هذه الأخبار بأبي عبدالله على حقّها وصدقِها . وكان قد صار إليه جماعةٌ من أهل بَاغَايَة منهم إبراهيم المعروف بابن المزيلي وعبد الله الرَّدْمُ وحَمُّودُ القصيرُ وغيرُهم . فكاتبوا أهلها ، وحرّكوا أبا عبد الله على المصير إليها ، وأتوهُ بكُتُبِ مَنْ كَاتَبُوهُ من أصحابهم فيما أنّهم يُريدون مَجِيئَهُ ، وإن جاء سلّموا لأمره . فزحف في عساكرَ كثيرةٍ . فلمّا قَرُبَ منها اتّصل بالعامل مكاتبةُ مَنْ فيها من أصحابهم ، وخاف أنْ يَقْبِضُوا عليه ، فهرب الى الأُرْبُس . وخرج جماعةٌ من وجوه أهل بَاغَايَة فَتَلَقَّوْا أبا عبد الله ، وسألوه الأمان . فأمّنهم ونَزَلَ عليها ، ودخل عسكرُهُ، فَتَسَوَّقُوا بها،وأقاموا أيّاماً . واستعمل عليها أبا يُوسُف

---

(1) هكذا في اوب ، وفي طبقات 6 و 18 و 49 و 61 ، : البيان174 : باب سالم .

ماكُيُون بن ضُبَارَة الأَجَانِيّ [1] عَمّ أَبِي زَاكِي ، وترك معه بها رَابِطَةً وَٱنصرف إلى إيكْجَان .

186 ـ وأقام أبو يوسف بِبَاغَايَة ومعه بها خَمْسُمِائة فارس. وٱتّصل الخبرُ بزيادة الله فَٱغْتَمّ وخاض أهل إفْرِيقْيَة فيه ، وكثرت الأَشانيع. وجمع زيادةُ الله إليه من يُشَاوِرُهُ من رجاله، فشاورهم في العمل في ذلك. فقال له بعضُهم : ٱكْتُبْ إلى ابن أَبِي الأَغلب بالنّزول على بَاغَايَة ومحاصرتهم، فَلَعَلَّهُمْ يُسَلِّمُونَ من بها إليه ، قال عبدُ اللهِ بن الصَّانِع [2] ـ وكان صاحب أمره وأمثل رِجاله : ما هذا وجه الرّأْي ! ولو نزل ابن أبي الأَغلب على بَاغَايَة لَيَنْفُرَنّ إليه أبو عبد الله في جميع كُتَامَة فإن قاومه لم يُؤْمَنْ عليه وان تنحّى من بين يديه كانت هزيمةً ولم يُؤْمَنْ أن يتبعه ، وإن ٱتبعه لم يؤْمَنْ أن يَنْحَلَّ العسكرُ . ولكنّ الرّأْيَ مُقَامُ ابن أبي الأغلب مَكَانَهُ:

---

(1) كذا في ب ؛ ا : ماكنون ـ انظر 46 كيف حققنا اسمه ، وفي 135 أن الداعي استعمله على أول مدينة فتحها ، ميلة .

(2) كذا في ا و ب : عبد الله بن الصانع : إلا أن رسم اسمه في شتى المراجع التي استعملناهاهكذا : ابن الصائغ. مثلا في البيان 145 وصفحات أخرى، وفي طبقات 196 و 233 و 239 وفي أعمال 444 ـ وله ذكر في رياض 262 : وحدث أبو محمّد عبد الله بن سعيد الصائغ ؟ ؟ ـ وقد أثبتنا هنا اسمه كما ورد في الافتتاح لان هذا الكتاب أقدم المراجع التي تذكره ولان القاضي النعمان قيرواني النشأة لا يخطئ في اسماء من يذكر من أعلام بلده .

فإن زَحفَ الشِّيعيُّ يعني أبا عبد الله ـ إلى غير بَاغَايَة عاجله قبل أن يَصِلَ الى الموضع الذي يريد إليه. ولو فَعَلَ هذا قبل أن يَصِلَ الى بَاغَايَة، أو سبقه إليها، لكان ذلك رأياً؛ ولكن لمّا صار أهلُ باغاية معه، وفيها عَامِلُه وعسكرُه، وهي حصنٌ حصينٌ، وهو منها بالْقرب، فليس لِزَحفِ ابن أبي الأغلب إليها وَجْهٌ.

187 ـ قال ابن الشَّنِيم ـ وكان أحد مَن يُنادِمُهُ ويَجْرِي معه في الْعَبَثِ والْخَلاعةِ التي كان يجري فيها ـ: وما بَاغَايَة؟ ـ أعزَّ الله الأميرَ ـ ومَنْ أهلُ بَاغَايَة؟ والله! ما كَانُوا عليك الاّ كَلاّ، يَرْتَزِقُونَ [1] أموالَكَ ويأخُذُون لأطفَالِهم الرُّضع وما نَفَعُوكَ ولا قَاتَلوا عَدُوَّكَ، ولا كان لهم عَنَاءٌ ولا معهم فائِدَةٌ. ولقد أراحك الله منهم، وحَمَلَ عنك مَؤُونَتَهُمْ. وقد قلتُ بيتَ شِعْرٍ فإن رأى الأمير أن يَأْمُرَ السَّنَدَ [2] أن يَأْخُذُوا عليه طَرِيقَةً [2] من الغِنَاءِ ويُرِيحَ نفسه من هَذَا الغَمّ

(1) ا: يرتزقون اموالك؛ ب: يرتعون اموالكم.

(2 - 2) السَّنَدُ جماعة الضَّاربين والزَّامرين والمغنّين على طريقة السَّنَادِ خاصّة وعلى طرق الغناء الاخرى عامّة؛ انظر المقدّمة 427: « وربما ناسبوا في غنائهم بين النغمات مناسبة بسيطة كما ذكره ابن رشيق آخر كتاب العمدة وغيره وكانوا يسمونه السَّنَادَ ...» و 423: «... وهي قصبة جوفاء بأبخاش في جوانبها معدودة ينفخ فيها فتصوّت فيخرج الصوت من جوفها على سدادة من تلك الابخاش ويقطّع الصوت بوضع الأصابع من اليدين جميعا على تلك الابخاش وضعا متعارفا حتى تحدث النِّسَب بين الاصوات فيه وتتصل كذلك متناسبة...» ـ انظر ايضا دوزي ج 1، 692 السندي = Ménestral, Musicien jongleur (أخذا عن ابن بطوطة ج 4، 412: كما يفعل السندي).

وهذا الشُّغْلِ الذي قد خامر قلبه ، فَلْيَفْعَلْ ! ـ وذلك أنّه إذا جمعهم أحضَرَ المائدة وأكَلُوا ثمّ أحضَرَ النّبيذ فاذا شَرِبوا وأخذ الشّراب منهم خاطبهم بما يُرِيدُ ـ ، فكان هذا وقد شَرِبوا أقْدَاحا ، واللُّهَاةُ والمُغَنُّونَ فى البعد منهم في المجلس بخارجه . ـ قال زيادة الله : وما هـذا البيت ؟ قال : نقوله للسند فيأخذوا عليه ، فيكون الأميرُ يسمعه منهم غناءً ، فهو أجْوَدُ . قال : افعل ! فقام الى السّند ، فقال لهم : غَنُّوا وأَزْمِرُوا وحرّكُوا مَلَاعِبَكُمْ ، وقولوا بعد فراغ كلّ بيت تُغَنُّونَ به من كُلّ قَصِيدةٍ :

اَشْرَبْ واَسْقِينَـا مِنَ القُرْبِ يَكْفِينَا [1]

واَجْعَلُوا لَهُ حلَّةً ففعلوا . فلمّا سَمِعَ ذلك زيادة الله وتناول كأساً فشَرِبَهَا ، وقال لابن الشّنِيم : القَوْلُ كَما قُلْتَ يا عَبْدَ اللهِ ومِنْ دون

---

(1) ا : اشرب واسقينا من القرب يكفينا ؛ ب : اشرب واسقنا من القراب يكفينا (كذا) ـ انظر صيغة ما في الكامل 131 : « فقال له انسان كان يضحكه : يا مولانا لقد عملت شعرا فعسى تجعل (كذا) من يلحنه وتشرب عليه واترك هذا الحزن فقال : ما هو ؟ فقال المضحك للمغنين : غنّوا شعر كذا وقولوا بعد فراغ كل بيت :

اشرب واسقينا من القرن يكفينا »

. ـ وهذا البيت ليس على عروض الخليل وهو على وزن يشبه ما يوجد من أوزان في أقفال الموشحات .

ٱلقُرْبِ كفايةٌ . قال : يا سيّدي ! أوَلَيْسَ مِنَ القَيْرَوَانِ هَزَمْنَا عَسْكَر مُدْلِجٍ [1] وقتلناه ؟ قال : نعم قال : فأين بَاغَايَــة من القَيْرَوان ! وما يضْطَرّك إلى استعجال الغَمّ ؟ قال : لَا شَيْء .

188 فلمّا نَظَرَ ابنُ الصّانع ومن كان يتكلّم في ذلك من طريق النَّظَـرِ والتَدْبيـرِ إعجاب زيادة الله بقول ابن الشَّنِيم وقبوله منه هــذا المحال ومَيْلَهُ إليه ، أَخَذُوا له في معناه ، وأَقبلوا على شَرَابهم إلى أن سكروا ، وتفرّقوا . وكان ذلك يُسْتَعْمَلُ عند كلّ حادثٍ يَطْرَأُ عليه من أَبي عَبْدِ اللهِ . وانهمك زِيَادةُ الله في الشُّرْبِ، والعَزْفِ والمَلاهي كأنّه يَغْتَنِمُ أيّامَهُ، ويقضي شَهَوَاتِهِ . غير أَنّـهُ كان يَمُدُّ ابن أبي الأَغلب [2] بالأَموال والرّجال وأمره بإسباغ العطاء على عسكره وأن لا يتحرّك من مكانه إلاّ لأَمرٍ مُهِمٍّ لا بُدَّ له منه . وأقبل على لذّاته .

XXVII ـ ذكرُ وقائع أَبي عَبْدِالله بمَجّانَة [3] ونواحيها ممّا يلي الأرْبُس:

189 ـ ولمّا اتّصل بأبي عبد الله ما عَقَدَهُ زيادةُ الله من إقامة العسكر

---

(1) ا : عسكر مدلج ؛ ب : عسكرا مدججا (وهو تحريف) . ـ ومدلج هذا هو مدلج بن زكريّاء أخرجه زيادة الله مع احمد بن مسرور المحال لقتال الداعي فخالفا عليه انظر البيان 139 .

(2) ب : ابن ابي الاغلب ؛ ا : ابن الاغلب .

(3) كذا في ا و ب ؛ في العبر 35 : قرطاجنة، (وهو خطأ او تحريف).

بالأُرْبس أراد أن يزوره. وكان خفاجةُ العَبْشِيّ[1] عاملًا لزيادة الله على مجّانة، وكان من الفُرسان المعدودين من أصحابه، وكان قد تجذّم، وكانت معه رابطةٌ بمَجّانة - فأخرج أبو عبد الله خيلًا مجرّدةً تنقّاها نحوَ ألف فارسٍ. وقدّم عليهم أبا مُدَيْنِي، وأمرهم بالوصول إلى مجّانة فاخذوا على بَاغَايَة، وخرجوا منها يُريدون مَجَّانَة. فلمّا قرُبُوا منها خرج عليهم خَفَاجَةُ فيمن معه من الرّابطة مع أهل مَجَّانَة، فقاتلهم بقُرب المدينة الى أن حَجَزَ بينهم اللّيلُ، فدخل المدينة. ونزل الأولياء على وادي مَجَّانَة[2] فباتوا. فلمّا أصبحوا أتوْا المدينةَ فاحتصر خَفَاجَة ولم يَخْرُجْ إليهم. فسَارُوا إلى ناحيةِ قلعةِ مجّانَة[3] فانْتَهَبُوا تلك المنازِلَ وانصرفوا إلى أبي عبد الله بإيكجَان.

190 - فأقام مُدَّةً. ثمّ جرّد خيلًا أيضًا وقدّم عليهم أبا مُدَيْنِي وأمَرَهُ أن يَقصِدَ مَجّانَة. فلمّا انتَهوْا الى بَاغَايَة اتّصل بهم أنّ أهل

---

(1) كذا اسمه في ا و ب: خفاجة العبشى؛ البيان 140: خفاجة العبسيّ، (كان بطبنة قبل ان يفتحها الشيعي).

(2) كذا في ا و ب؛ لاذكر لهذا الوادي في مراجعنا. والسياق يدلّ على انه وادي مَلاّق المعروف اليوم «بِوَادْ مَلاّقْ».

(3) انظر قلعة بُسْر 190.

مجّانة تقلّعوا إلى قَلْعَة بُسْر[1] فأخذ أبو مُدَيْني بالعساكر على تَبَسَّا[2] ثُمّ ناحية مجّانة، وكان خفاجة بِمَجّانة في الخيل التي معه بمجّانة، ورجال مجّانة على خيولهم. فأخذ على جبل المطاحن[3]، وقَصَدَ مَلْزُوزة[4] بيتاً من نَفْزَة[5] بقرب مجّانة ـ وكانوا على خيولهم ورَفَعُوا الأموالَ والعيالاتِ والضّعفاء إلى القَلْعَةِ[6]. فاتّصلت بهم الصّيحة. فخرج بِمَنْ مَعَه. فوافاهم

---

(1) ا و ب: قسر ـ والصواب: بُسْر، كما أثبتناه اذ ان ياقوت ج: 5، 56، يذكر مجانة ويعرّفها بأنها قد فتحها بسر بن أرطاة فسمّيت قلعة بسر باسم فاتحها ـ أما الإدريسي 96 فيسميها قلعة بشر ويميّز بينها وبين مجّانة؛ وكذلك ذكرها في فتوح 229: قلعة بشر، وفي هذا الرسم لا شكّ تحريف. ويستنتج من هذا كله أن قلعة بُسر غير مجانة وأنها قريبة منها على جبل المطاحن أو المعادن المعروف اليوم «بالونزة».

(2) ا: تبسا؛ ب: تبسى؛ الإدريسي 91: تبسة؛ المقدّسي 18: تبسا و66: تبسة؛ انظر أيضا، لاويكي؛ لغة 447 ـ 448 والنطق بها: تَبَسَّا ـ في العبر 35 والكامل 131، واتعاظ 86: تبسة

(3) ا و ب المطاحق ـ والصواب: المطاحن، لان هذا الجبل يعرف بالمطاحن للحجر الذي يقطع منه لذلك، ومجانة أيضا تعرف لذلك بمجانة المطاحن.

(4) ا: ملزورة؛ ب: ملزورة ـ والصواب: ملزوزة كما عند ابن حزم 462.

(5) ا: نفرة؛ ب: قفرة؛ والصواب: نفزة، إذ أن اليعقوبي 11، يذكر نفزة حول تيجس التي لا تبعد كثيرا عن مجّانة؛ وكذلك في العبر 35: نفزة.

(6) أي: الى قلعة بُسر.

أَبُو مُدَيْنِي بالجبل . فاقتتلوا قتالا شديداً . فقُتِلَ خفاجةُ العَبْثِي وجماعةٌ معه ، ولَجأَ البَاقُونَ إلى القلعة [1]، وقتل منهم دونها بَشَرٌ كثيرٌ ، وٱحتُزّت [2] رؤوسهُم مع رأس خفاجة . وٱنصرف العسكرُ إلى أبي عبد الله فوَصَلُوا إلى إيكْجَان .

191 ـ ووقعت بين كَرْنَايَة [3] وأهل قصر الإفْرِيقِيّ [4] وقعة قُتِلَ فيها رجلٌ من وُجُوهِهم يُقَال له : عَبَّلُو [5] . وكان له أخٌ يقال له : فُونَاس [6]، فأتى إلى أبي عبد الله يَسْتَنْصِرُهُ على أصحابه، ووصف له عُدَّتَهم فأمر بإخراج عسكر قدّم عليه أبا جَعْفَر السَّكْتَانِي أحْمَد بن سُلَيْمَان [7].

---

(1) أي : الى قلعة بُسر .

(2) ا : واجتزت ؛ ب : واجارت .

(3) ا و ب : كرنايه ؛ ابن حوقل 106 : كرتايه (من القبائل الخارجة عن صلب زناته) .

(4) ا : قصر افريقي؛ ب : تحريف ؛ ابن حوقل 87 والادريسي 120 والمقدّسي 6 و 66 : قصر الافريقي .

(5) ا : عبْلُوا (كذا بهذه الحركات) ؛ ب : عبلو .

(6) كذا في ا و ب ؛ ولعله فِرْنَاس .

(7) كذا اسمه في ا و ب ـ الارجح أنه هو أحمد بن سليم السكتاني الذي يقال له الجرارة المذكور في : 142 .

فوصلوا إلى قصر الإفريقي"[1]. فقاتلهم، فانهزموا بين يديه، فاتّبعهم بالقتل حتّى وصلوا إلى طُبْرَاشق[2] فانتهب منازلَ مكلاتة[3] وبني عمرو، وقتل منهم بشراً كثيراً، وانصرفَ إلى إيكجان.

192 ـ وكان إسحاقُ بنُ سَلَاس[4] عاملاً لزيادة الله على تيفاش. فلمّا رأى عسكرَ أبي عبد الله وصل إليه ولم يتحرّك ابنُ أبي الأغلب من مكانه. خاف أن يَعُود عليه. فلحق بأبي عبد الله، وخلّى تيفّاش. واتّصل الخبر بزيادة الله، فَنَدَبَ إلى الخروج إليها جماعة ليولّيهم إيّاها، فتعافَوْا. وذُكِرَ له رجلٌ من أهلها، يقال له: حبيبُ بنُ ليفة[5]، فكتب إليه بالولاية، وبعث إليه[6] بصِلَةٍ وخِلْعَة[7]. فقبل وتولّى أمر تيفاش. وكان بها رجلٌ من أهل مجّانة، يُقال له: عَبْد الله بن كُلَيْب[8]، شيعيٌّ قديمٌ

---

(1) كذا في ا و ب.

(2) ا: طبراشق؛ ب: طبرسيف.

(3) ا و ب: مكلانة. والصواب: مكلاتة، انظر ابن حوقل 106.

(4) ا: كذا؛ ب: اسحاف بن سلاس.

(5) ا: كذا؛ ب: ليقه.

(6) ا: كذا؛ ب: زيادة قبل اليه مكروه. ولعله: وبعث اليه مكرها.

(7) ا: خلعة؛ ب: خلع.

(8) ب: كليب؛ ا: كلب.

التَّشَيُّع وكان قد صار إلى أبي عبد الله ، ودعَّاه ، وكان يرسله إلى النّاحية، فيأتيه بالأخبار، وكانت له أمٌّ بتيفاش فاسْتَأْذَنَ أبا عبْد الله في أن يأتي بها إلى إيكجان ، فاذن له ، فاتى بها وَبِرَجُلَيْنِ من أهل تيفـاش من وُجـوه أهلها ، يُقَال لأحدهما : مُحَمَّد بن زَنْبور ،والثّاني : أبُوزَعْبَل [1]. فدعّاهم أبُو عَبْد الله فأخْبَرَاه بأخبار البلد،وسالاه تَوْجِيهَ عسكرٍ ليأْخذَ تيفاش. فبعث معهما عسكراً وقدَّمَ عليهم صُولَات بن القَاسِم السَّكْتَانِي[2]، وكان من الدُّعاة ، وكان عدّةُ مَنْ خرج معه خَمْسُمِائَة فـارِسٍ . فاتّصل الخبر بحبيبِ بن لِيفَةَ ، فخرج هارباً إلى الأُرْبُس إلى ابن أبي الأغلب . ووصل صُولاتُ إلى تيفَاش . فتلقّاه أهْلُهَـا واسْتَأْمَنُوا إليه . فَأَمَّنَهُمْ ودخلها وأَقَامَ[3] بِهَا .

193 – ثمّ أتاهُ خَلْفُونُ بنُ مهديّ من أهـلِ قالمَـة ، فساله الدّعـوة فدَعَّاهُ ، ـ وكان مُقدَّم قَالَمَةَ ـ ، وساله الأمان لأهلها ، فأمَّنَهُمْ وأمره أن يَرْفَعَ رجالاً منهم : مُرَابِطُ بنُ عِيسَى وعبدُ الله بنُ مَيْمُون وإبْرَاهيم

---

(1) ا : كذا ؛ ب : زعيد .

(2) ا : كذا ؛ ب : تحـريف : لفـيـر : العبـر 35 : صـواب بن أبي القاسم السكتاني .

(3) ب : وأقام ؛ ا : فاقام .

البُرُوج [1] الذي كان يَضربُ [2] له السِّكَّةَ بها . فمضى لذلك . وبعث معه صُولَات وأَكْلِيد بن سُنْبُل [3] في ثلاثمائة فارس، وأقام صُولَات بِتِيفَاش في مائتي فـارس . ثمّ أتى إلى صولات جَابِرُ بن موسى و فَرَحُ بن حَيَّة ويُوسُف بن أيُّوب من بَنِي وُرْدِيم في جماعة منهم يسألونه الدَّعوةَ والأمانَ ، فَدَعَاهُمْ وأَمَّنَهُمْ . وأتاه من بَنِي هُرَاش [4] صُولَات بن نَازِل وعَدِيُّ بن ذِكْر [5] وحَبِيبُ بنُ بَكْر و مَحْمُود بن حَفْص فسألوه مثل ذلـك ، ففعله لهم ، وأمر جَمِيعَهُمْ بِرَفْعِ بُيُوتَاتِهِمْ إلى إيكجان . فاستقام له أمرُ النَّاحية .

194 ـ واتّصل بإبراهيم بن أبي الأَغْلَب [6] أنّه لم يبق بِتِيفَاش غيرُ مِائَتَيْ فارِسٍ فَزَحَفَ إليها في إثْنَيْ عَشَرَ ألف فارس وما لا يحصى من الرَّجَّالَةِ ـ وكان الذي حرّكه على ذلك حبيبُ بنُ لِيفَة وجماعةٌ ـ فلم يَشْعُرْ صُولَات ومن معه من الأولياء بتيفاش حتّى أَظَلَّتْهُم العَسَاكِرُ .

---

(1) ا : كذا ؛ ب : وابراهيم بن الروح .

(2) ا : يضرب ؛ ب : تضرب .

(3) ا : سنبل ؛ ب : سنبله.

(4) ا : هراش ؛ ب : هرش .

(5) ا : ذكر ؛ ب : الذكر .

(6) ب : ابراهيم بن أبي الأغلب ؛ ا : ابراهيم بن الأغلب .

فأمرهم صُولَات بالخروج من المدينة ، ـ وخاف من أهلها ـ . فخرجوا غيْرَ نَفَرٍ قليل لم يكن لهم دوابٌّ ، فَأقاموا بالمدينة . ووقف صُولَات بمن معه على باب المدينة ، حتّى وَافَتْهُمْ طلائع ابن أبي الأغلب . فقاتلوهم . فهزموا الطّلائع [1] حتّى ألحقوهم بمعظم العسكر ، وقتلوا منهم جماعةً . ثمّ انصرفوا وقدّموا ضعفاء الخيل أمامهم ، وأمسك الباقون سَاقَتَهُمْ حتّى أتَوْا المدينة ، فجاوزوها ولما وصل عسكر ابن أبي الأغلب إلى المدينة أقام ولم يَطْلُب الأولياء.ومضى صُولَات بمن معه إلى قَالَمَة.فاجتمع مع وَاكْلِيد ومن معه من الخيل التي كان وَجّه بها ، وأرسلوا إلى أبي عبد الله بالخبر . فأمرهم بالانصرافِ. فانصرفوا إلى إيكجان.ودخل عسكرُ بن أبي الأغلب إلى تيفاش ، فقتلوا من كان بها ممّن بَقِيَ من الأولياء وقتلوا عبدَ الله بن كُلَيْب فيمَنْ قَتَلُوا ، قتله حَبيبُ بن لِيفَة . فلمّا وصل أبو عبد الله إلى رَقّادَة أتته أمّ عبد الله بن كليب ـ وكانت مؤمنةً صالحةً ـ ، فقالت له : أقْدِنِي بابني من حَبِيبِ بنِ لِيفَة . فأمر بدفعه إليها . فقالت : ما أريد أن أقتله بسيفٍ ولا رُمحٍ ،ولكن يُقَيَّدْ ويغَلّلْ ويترَكْ حتّى يموت . فَفُعِلَ ذلك به لها .

195 ـ ثمّ أتى إلى أبي عبد الله منصور بن خليل الأوْرَابِي [2] ، فذكر

---

(1) ا : الطلائع ؛ ب : الطوالع .
(2) كذا اسمه في ا ؛ ب : الاوربى . ـ يذكر الادريسي 85 ، بني أبي خليل إثر أوربة .

أنّ أوْرَبَةَ [1] قتلوا أباه ، وناققوا . وكان أبوه قد دُعِّيَ قَبْلُ [2] وقُدِّمَ عليهم. فامر أبو عبد الله بإخراج عسكر ، وقدّم على كلّ قبيلةٍ فيه رجلا منهم. فخرجوا مع مَنْصُورٍ حتّى أتَوْا بُونَة ، فنزلوا على مَجَازِ المَرَاكِبِ وقسموا العسكرَ على ثلاثـــةِ أثْلَاثٍ . فأخذ الثُّلُث على ساحل البحر ، والثّلث على سَنْدِيينِي وإيزّان [3] ، والثّلث في وسط الفَحْص ، وشنُّوا الغارات على أوْرَبَةَ فقتلوا كُلّ من مرّوا بـه ، وغنموا أموالَهم ، وٱجتمعوا بباب زَانَة [4] وٱنصرفوا بالغنائم إلى إيكْجَان .

XXVIII ـ ذِكْرُ وَقْعَةِ دَارِ مَدْيَن [5]

196 وخرج أبو عبد الله بنفسه في ٱحتفال من العساكر ، فوصل إلى با غَايَة ، وسار حتّى أتى مِسْكِيَانَة [6] . ثُمّ مال إلى تبسّا [7] .وخرج منها،

---

(1) ا : اوربة ؛ ب : اوربة .
(2) ا : قبل ؛ ب : قبله .
(3) ا : ايران ؛ ب : ايرون ـ والارجح : إيزّان .
(4) ا : باب زانة ؛ ب : باب زنة .
(5) ا و ب : دار مدين ؛ الادريسي 57 و 91 : دور مدين ، و 96 : دور مدين ، ودار مدين ؛ الكامل 131 : دردمين (وفيه تحريف) ـ تعرف اليوم بالمدّينة بلدة بتونس على مقربة من لُرْبُس .
(6) كذا في ا و ب : والكامل 131 ، واتعاظ 86 ، وابن حوقل 84 ، والادريسي 103 ، أما في العبر 85 : سكتانة ، (وهو تحريف).
(7) ا : تبشى ؛ ب : تبسي .

فأتى مَيْدَرَة [1] ـ وهي حصْنٌ حصين ـ . فأصاب بها بقايا أهْلِ قَصْر الإفْرِيقِيّ [2] وأهل مَجَّانَة والقَلْعَة [3] ، وتَبسًّا [4] ، مَرْمَاجَنَّة [5] ، وأخلاط من النَّاس قد أوَوْا إليها ، وتَحَصَّنُوا بها ، فنزل عليها . وأصابته عِلّةٌ شديدة من الحَصَاة التي كانت تَعْتَرِيهِ [6] ، فأشتغل بنفسه . وأغلق أهلُ مَيْدَرَة أبوابهم ، ووقفوا على السُّور ، ـ فَأَحَاطَ [7] العسكر بهم من كلّ جانب ـ ، يسألون الأمَانَ . فأعطام الأمَانَ بعضُ العَسْكَرِ مِنْ قِبَلِ نفسه ، ففتحوا لهم الباب . فلمّا دخلوا عليهم وتوسّطوا المدينة وضعوا السّيوف على من فيها ، وأنتهبوها . فبلغ ذلك أبا عبد الله ، فأغْتَمّ لذلك وخرج

---

(1) ا و ب : ميدرة ـ اسمها باللاّطينية : أميدَرَا ـ تعرف اليوم بحِيدْرَة وهي بتونس على مقربة من تالة وحدود الجزائر . وفي الكامل 131 : مدبرة ، وهو تحريف ميدرة لا شك فيه .

(2) كذا في ب ؛ في ا : سقطت قصر .

(3) أي : قلعة مجانة أو قلعة بُسر . انظر : 190 .

(4) كذا في ا و ب .

(5) ب : مرماجنة؛ ا : مرماجانة؛ الكامل 131 : مرمجنة ـ وهي مرماجنة كما في شتى المراجع : انظر : 28 ـ والناحية تسمى اليوم « بَرّمَاجْنَه »

(6) انظر : 47 .

(7) بعض : وقد أحاط بهم العسكر .

بنفسه،وَهُوَ لِمَا بِهِ (1) . فَاجتمع المَشَايِخُ إليه بِمَا (2) وَجدُوه ، فَخَلَّصَ كُلَّ ما قَدَرَ عليه، وٱستنقذ كلَّ من لَحِقَه . وردَّ ما قدر عليه مِمَّا وجده بأيدي العسكر . وٱغتمَّ لذلك غَمًّا شديدًا وطَلَبَ مَنْ فَعَلَ ذلك ، فلمْ يُوجَد . واتّصل خبر مَيْدَرَة بزيادة الله ، وشُنِّعَتْ منه على أبي عبد الله شَنَاعَاتٌ من الغدر وترك العهد والوفاء .

197 ـ وٱرتحل أبو عبد الله من مَيْدَرَة ، فنزل على القَصْرَيْن (3) من قَمُودَة (4) . وٱحتَصَرَ أهلها ، وسألوه الأَمَانَ ، فَأَمَّنَهُمْ ، وأمرهم أن لا يَفْتَحُوا باب مدينتهم لما كان من أمر مَيْدَرَة . فكانوا يُبايعون العسكرَ من فَوْقِ الحِصْنِ . وأظهر أبو عبد الله الغضبَ على أصحابه ، وإنكارَ ما كان منهم إلى أهل مَيْدَرَة ، وكَثُرَ ٱغتِمَامُهُ به . وٱتّصل به ما كان من الكلام في ذلك بإفْرِيقيَة وبأنّ زيادة الله كتب كُتُبًا (5) ، فَقُرِئَتْ على

---

(1) أي : وهو يتألم من مرض الحصاة .

(2) ا و ب : مما ؛ والصواب : بما .

(3) ب : القصرين ؛ ا : قصرين . ـ تعرف اليوم « بالقَصْرِينْ » وهي بالبلاد التونسية على مقربة من حدود الجزائر .

(4) ا : قمودة : ب : حمودة . (والتحريف ظاهر) ـ وهي قمودة كما في مراجعنا . والنطق بها اليوم هكذا : قَمُودَه ـ انظر أيضا لاويكي ، لغة 464-465

(5) ب : كتبا ؛ ا : كتابا .

المنابر بذلك . فجمع مَشَايِخَ كُتَامَة وعَرَّفَهُمْ ذلك وبَكَّتَهُمْ به.فاْعتذروا من ذلك إليه بِأَنَّهم لم يعلموا مَنْ فعل ذلك وأنَّهم قد بذلوا مجهودَهم في ردّ ما [1] قدروا عليه ، وأنّهم قد قتلوا جماعةً مِمَّنْ أصابوا النَّهْبَ في يديه ممّن علموا أنّه قد تعدَّى فيه ، واْستَرْضَوْهُ مِمَّا نَقِمَهُ من ذلك عليهم ، فرضي عنهم .

198 ـ واْتّصلت الأَخبار باْبن أبي الأَغلب أنّ أبا عبد الله يريد أن يضرب على زيادة الله بِرَقَّادَة ، وأنّه اْنتهى إلى القَصْرَيْن . ـ ولم يكن مع زيادة الله عسكرٌ كثيرٌ ـ . فخرج اْبنُ أبي الأَغلب من الأُرْبُس بجميع عسكره فنزل دَارَ مَدْيَن . فاْتّصل بأبي عبد الله ذلك ـ وهو بِالقَصْرَيْن ـ ، فامر بإخراج أَلْفَيْ فارسٍ إلى ناحية دَارِ مَدْيَن لاختبار أمر اْبنِ أبي الأَغْلَب . فَاْنْتَهَوْا إليها [2] ، فَوَافَوْهُا ، ونَاشَبُوهُ القِتالَ ، وقُتِلَ جماعةٌ مِنَ الأَولياءِ واْسْتَبْطَأَ أبو عبد الله خبرَهم ، فركب في جميع العساكر يريد إليهم . فوافاه رسولهم يُخبره [3] بأنّهمْ قد نَاشَبُوا القتال . فَعَبَّأَ [4] العساكر ، وسار نَحْوَهُمْ . فبينما هو يسير إذْ وَافَاهُمْ ، وقد اْنْهَزَمُوا

---

(1) ب : ما ؛ ا : من .

(2) ا : إليها ؛ ب : إليه .

(3) ا : يخبره ؛ ب : يخبر .

(4) ا و ب : فعبي .

متفرّقين في الوَعْـرِ والشَّعْرَاءِ [1] ، وقد قرب اللّيل ، ـ فلمّا رأوه كَرُّوا وكَرَّتْ معهم الطَّلَائِعُ فأنهزم ٱبنُ أبي الأغلب بين أيديهم ، وقتلوا جماعةً من أصحابه ، وحجز بينهم اللّيل .

199 ـ وٱنصرف أبو عبد الله من القَصْرَيْن. وٱنصرف ٱبنُ أبي الأغلب إلى دَارِ مَدْيَن ، وكتب إلى زيادة الله بالخبر ، وأنّه قد هزم أبا عبد الله ، وقتل عسكره، وزاد في القول . فزاد في ذلك زيادة الله وكتب السِّجِلَّات إلى البلدان بذلك،وقُـرِئَتْ على المَنَابِـرِ . وكان ذلك هَدًّا من الشَّنَاعَةِ [2] عليه وقطع كثيرا من قول النّاس فيه. وٱنصرف أبو عبد الله إلى إيكْجَان. وعاد ابنُ أبي الأغلب إلى الأُرْبُس ـ فصار إليه بَنُو وشْنُو وبَنُو صَدْغَايَان [3] من بَنِي هُرَاش [4] ، بعـد أن كانوا دخلوا طاعةَ أبي عبد الله . وٱتَّصلَ ذلك بأبي عبد الله فأخرج إليهم عسكرا ، وقدّم عليهم غَزْوِيَّة بن يُوسُف

---

(1) وهي الارض الكثيرة الاشجار .

(2) ا : الشناعة ؛ ب : الشناعات .

(3) كذا في ا ؛ ب : فصار إليه وشنو وبنو صدغات .

(4) ا : هراش ؛ ب : هراس . ولعل أرضهم هي التي تعرف اليوم بجهة سوق أهراس وهي بلدة بالجزائر لا تبعد عن حدود تونس .

وأبَا مَكْدُول [1] . فَتَسَلَّلا[2] بالعسكر، حتّى وصلا إلى قصر الإفريقي. فاصاباه خاليًا، فأنتهيا إلى طُبْرَاشِق[3] فباتَا بها، وبَنُو وُشْنُو يقرُبهم فَكَمِنُوا دونهم، ولم يُوقِدُوا نَاراً ثمّ أصبحوهم مع الصَّبَاح، فقتلوهم قتلا ذريعا، وأحرقوا أموالهم، وأنصرفوا إلى المَنَاخِ الذي كانوا فيه فنزلوا به.

200 ـ وكان أبن أبي الأغلب قد خرج يريد قَتْلَ بَنِي وُرْدِيم لدخولهم في طاعة أبي عبد الله. وأتّصل خبر خروجه بأبي عبد الله، فأرسل إلى غَزْوِيَّة وأبِي مَكْدُول يُنْذِرُهُمَا به، فأتاهما رسوله وقد قَرُبَ أبن أبي الأغلب منهما، وليس فيما بينهم وبينه إلاّ مَقِيلٌ ولم يعلمْ بعضهم ببعض حتّى جاءهم رسولُ أبي عبد الله، فقاموا من وقتهم فَمَشَوْا نهارَهم وليلَهم حتّى نزلوا قَالَمَة. فأرسل أبو عبد الله خمسمائة فارس إلى ناحية بني وُرْدِيم وأمرهم أن يأتوهم، فإنْ أصابوهم قد ناصبوا أبن أبي الأغلب، أعانوهم، وإن أصابوهم أستسلموا إليه، أنصرفوا عنهم. فَوَافَوْا

---

(1) ا و ب : ابا مكدول ؛ العبر 35 : « .. مع ابي مكدولة الجيلي ». ـ والصواب : ابي مكدول الجيملي . انظر الفقرات التالية .

(2) ا : فسللا ؛ ب : فسارا .. لعله : فَتسللا كما أثبتناه .

(3) ا : طبرشيق ؛ ب : طرشق .. وهي طبراشق كما في : 191 .

غَزْوِيَّة ومَنْ معه جماعة [1] بِقَالَمَة . وانصرف غَزْوِيَّة وأبُو مَكْدُول . بن معها إلى إيكجان وسارت الخَمْسُمِائَةُ فارس إلى حيث وَجَّهَهُمْ أبو عبد الله . وانصرف معهم جماعةٌ من أصحاب غزويَّة بن يُوسف ، فأتوا إلى جبل بَانُورَات [2] ، ونزلوا عليه . فَأَلْفَوْا [3] عسكرَ ابن أبي الأغلب قد نزل بجبل السَّاطُور ، وبنو وُرْدِيم بين الجبلين . وكان عسكرُ ابن أبي الأغلب عسكرا ثقيلا كثير العدد، والمُقَدَّمُ عليه ابنُ الهَمْدَانِيّ [4] . فلمّا أصبحوا زَحفوا إلى بَنِي وُرْدِيم ، ووقف الخَمْسُمِائَةُ فَارِس مع مَنْ رَاجِلَهَا [5] ومن زاد إليها من عسكر غَزْوِيَّة على الجبل ينظرون ما يكون من بَنِي وُرْدِيم بمكانهم . فَقَوِيَتْ قُلُوبُهُمْ ، وخافوا إن سَلَّمُوا لعسكر ابن أبي الأغلب أنْ يأتيهم من أبي عبد الله ما يَكْرَهُون . فناصبوا عسكر ابن أبي الأغلب فهزموه ، وقتلوا جماعةً منه . ونزلت [6] خَيْلُ

---

(1) كذا في ا ؛ وقد وردت هذه الجملة في ب هكذا : فوافوا غزوية من معه بقالمة .

(2) ا : بانورات ؛ ب : بامروات .. ولعله : تَامَرْوَت .

(3) ا : الفوا ؛ ب : القوا .

(4) كذا اسمه في ا و ب .. انظر في شأنه : 214 .

(5) ب : مع من راجلها ؛ ا : مع راجلها .. والمعنى : مع من اصطف معها من الرَّجالة .

(6) ا : تنزل ؛ ب : تحريف .

أبي عبد الله فأعانوهم،وأقاموا عندهم أيّاما . ثمّ آنصرفوا إلى أبي عبد الله.

201 ـ ثمّ نَافَقَ إلى آبن أبي الأغلب بَنُو مَاجِن من هُوَّارَة كَادْرَان[1]. فاتّصل خبرهم بأبي عبد الله ، فاخرج إليهم عسكرا من جِيمْلَة وأَجَّانَة وقدّم على الجيمْلِيّين أبَا مَكْدُول وعلى الأَجَّانِيّين أبا يُوسُف مَاكُيُون بن ضُبَارَة[2] فوصل العسكر إليهم ، فقتلوهم ، وغنموا أموالهم .

XXIX ـ ذكر آفتِتَاح قَسْطِيلْيَة وقَفْصَة :

202 ـ ثمّ إنّ أبا عبد الله جمع الأَولياء ، وآحتفل في عساكرَ عظيمةٍ، وخرج يريد قَسْطِيلْيَة . فلمّا آنتهى إلى بَاغَايَة، وافاه بها يَحْيَى بنُ سُلَيْمَان عامل طُبْنَة يخبره عن رجال من الأَولياء[3] كان أبو عبد الله أرسلهم بأموال إلى المهدي (ع م) إلى سِجِلْمَاسَة ، فأَوْصَلُوها وآنصرفوا إليه بالجواب ـ وهم أربعة عشر رجلا ـ فلمّا أن جَاوَزُوهَا[4] قطع عليهم الطّريق جماعةٌ مِنْ زَنَاتَة . فلمّا رأوهم قد أقبلوا إليهم في جمعٍ عظيمٍ ،

---

(1) ا و ب : هوازة كادران ـ والارجح : هوارة .

(2) في ا : ماكيون بن ضبارة ؛ ب : ماكيوه بن ضبارة ـ انظر تحقيقا لاسمه في: 46 .

(3) انظر : 160 ، فلعلّهم هم الرّجال الذين أرسلهم الدّاعي اي المهدي بعد انتصاره على ابن حبشي .

(4) أي : جاوزوا سجلماسة في طريق عودتهم ،

اجتمعوا فدفنوا الكُتُبَ التي كانت معهم في موضع ، وقالوا : إنْ عَاشَ مِنّا أحدٌ استخرجها ، ووقفوا للقوم حتّى أتَوْهُم . فقاتلوهم ، فلم يزالوا يُقَاتلونهم ويقتلون منهم ويُقْتَلُ مِنهم الواحد بعد الواحد حتّى صُرِعُوا عن آخرهم . واحتمل زناتة قتلاهُم ، وانصرفوا ، وتركوهم مجدّلين . فأصابهم مطرٌ وابلٌ فدخل الماء في جراح رجل منهم . وكان فيه رَمَقٌ فتحامَلَ وقام بقوّة نفسه . فلم يزل يسير حتّى انتهى إلى طُبْنَة . فأخبر يحيى بن سليمان الخبر ، ووصف له موضع الكتب . فلمّا فرغ من ذلك مات ـ رحمة الله عليه وعلى أصحابه ! ـ لما أراد الله (ع و ج) من إبْلَاغِ رسالة وَلِيِّهِ [1] ، وكان قد كتب إلى أبي عبد الله في تلك الكتب بأمور مُهِمَّةٍ . فمضى يحيى بن سليمان إلى المكان الذي وصف له الرَّجل . فأصاب القوم مُصَرَّعِينَ فدفنهم ، واستخرج الكتبَ . فوافى بها أبا عبد الله بِبَاغَايَة . فَعَظُمَ عليه أمرُ قَتْلِهِمْ ـ وكانوا من أخَايِرِ المؤمنين ـ . فَأَزْمَعَ على الانصراف إلى زناتة والإيقاع بهم، وجمع المشائخ وشاورهم في ذلك. فقالوا: البلد بعيدٌ وهذا العسكر مِنّا بالقرب ، ولا نأمَنُ أن يخالفنا إلى بلدنا ، وأمرُ زَنَاتَة لا يفوتنا ـ إن شاء الله ـ، ومن قُتِلَ منّا فهو في الجنَّة ،وقد قضى نَحْبَهُ على طاعة ربِّه . وعَزَّوْهُ عنهم وهَوَّنوا عليه أمرَهم . واغتبط بوصول كتاب المهديّ إليه فحمد الله (تع) أنْ لم يُطْلِعْ زَنَاتَة على ما فيه.

---

(1) اي : المهدي .

203 ـ وسار بالعسكر الى قَسْطِيلِيَة [1]. فخرجوا إليه فقاتلوا ساعةً من النّهار قتالا خفيفا ، ثمّ ٱسْتَسْلَمُوا إليه ، وسألوه الأمانَ ، فَأَمَّنَهُمْ . وأصاب الأولياء منهم في وقت القتال قبل الأمان غنائم كثيرة . فأخذ أبو عبد الله ما كان بها من الأموال لزيادة الله ورجاله .

204 ـ وسار فنزل على قَفصَة ، وسألوه الأمان ، فَأَمَّنَهُمْ . وأخذ أيضا ما كان لزيادة الله من الأموال عندهم . وٱنصرف فأتى إلى باغاية . فخلّف بها أبَا مَكْدُول في خمسمائةِ فارس و حُضِرَ[2] مُحَمَّد بن غَزْوِيّة بها ، فتخلّف عليه أبوه غزويّة، وتخلّف معه خمسون فارس من مَلُوسَة. ومضى أبو عبد الله بالعساكر حتّى وصل إلى إيكجان .

205 ـ وكان ٱبن أبي الأغلب قد خاف أن يكون أبو عبد الله أراد إفْرِيقيَة [3] لمّا توجّه إلى قَسْطِيلِيَة ، وكان مُتَوقّعًا لذلك عازما على أنّه إن بلغه ذلك ، سار إلى إفْرِيقْيَة . فلمّا بلغه رجوعُه إلى إيكْجَان وأنّه لم يبق ببَاغَايَة إلاّ خمسمائة فارس زَحَفَ بجميع عساكره من الأُرْبُس حتّى نَزَلَ على باَغايَة . وأرسل أبو مَكْدُول رُسُلًا إلى أبي عبد الله فلمّا وصلوا

---

(1) ا : قسطيلية : ب : تحريف . الكامل 131 : قسطيلة العبر: 35 : قسنطينة ، وهو خطأ أو تحريف .

(2) اي : تُوُفِّيَ .

(3) اي : أمّ البلاد . القيروان وما حوالها .

إليه أمَرَ في الوقت بِضَربِ الطُّبُولِ . وتَصَايَحَ كُتَامَة فَفَاضُوا من كلّ جَانِبٍ وعَلَوْا السَّهْلَ والْوَعْرَ مُبَادِرِينَ إلَى بَاغَايَة . فلمّا رأى ذلك أبو عبد الله سبقهم إلى سَكْتَان[1]، فَحَبَسَ النَّاسَ، وتَخَيَّر اثني عشر ألف فارس وقدّم عليهم أبَا مُدَيْنِي[2] وقال له : إن لَحِقْتَ ببَاغَايَة، فَقَاتَلُوكَ دُونَهَا فاحْمِلْ نفْسَكَ عليهم ولَوْ حَمَلْتَهَا على الأَسِنَّةِ ، وَلَا يَرُدُّكَ رَادٌّ عن الوصول إلى بَاغَايَة ، وإن أَصَبْتَهُمْ قد انصرفوا ، أو قاتلتَهم فانْهزموا ، فلا تُجَاوِزْ فَجَّ العَرْعَار[3].

206 ـ فمضى أبُو مُدَيْنِي نحو بَاغَايَة . وانصرف أبُو عبد الله بالجمع إلى إيكْجَان . وكان بِبَاغَايَة يومئذٍ جماعةٌ من أهلها ، وكان بها حارثٌ المُدْغِري في ثلاثمائة فارسٍ من مَدْغَرَة[4]. فلمّا نزل بهم ابن أبي الأغْلب خرجوا إليه وقاتلوا قتالاً شديداً. وكان لِغَزْوِيَّة ذلك اليوم مَقَامٌ عجيبٌ،

---

(1) أي منازل بني سكتان بفجّ الاخيار ، انظر : 43 .

(2) كذا في ا و ب ، العبر 35 : أبو مديني بن فرّوخ اللهيعي، الا ان في اللهيعي تحريفا ، والصواب : اللّهيصي .

(3) ب : العرعار ؛ ا : الاوعار ، وفوق السطر : العرعار ، العبر 35 : العرعر . ـ انظر : 168 .

(4) ا : مدغرة ، ب: غرة (التحريف ظاهر)،ابن حزم 462 :مدغرة الادريسي 85 : مطغرة . واليعقوبي 13 و 17 يذكر مدينة مدكرة التي تسمى أيضا مدغرة .

وقاتَلَ حارثٌ المَدْغيري قتالا شديدًا. فقال له ابن أبي الأغلب : يا حارث! أخذَكَ اللهُ بإحساننا إليك ! وكان قد وصله زيادةُ الله وأحسن إليه. فقال حارث : إحسَانُ أبي عبد الله إليّ أكثرُ من إحسانكم ، بَصَّرَني من العَمَى واستنقذني من الجهل . وكان من الأولياء يومئذ بباغاية رَجاء ابن أبي قِتّه [1] ، فقاتل قتالاً شديدًا وأبلى بلاء عظيماً . ونظر أصحاب ابن أبي الأغلب من قِيَامِ الأولياء بباغاية على قِلّةِ عددِهِمْ ما عَلِمُوا أنّه لا طاقةَ لهم به،وخافوا من مجيء المَدَدِ إليهم ، فهاجوا وكان القتالُ ذلك اليوم من أوّلِ النّهار إلى آخره . فلمّا قَرُبَ المساء ، انهزمَ أصحاب ابن أبي الأغلب ، فلم يَتْبَعْهُمْ الأولياء لِقِلّتِهِمْ [2] . وكان مناخُ عسكرِهم بالقِرْبَاتِ [3] . فباتوا به. وباتَ أبو مُدَيْنِي تلك الليلة بكُرْشَة. فلمّا أصبح عَبّأ العساكرَ وزَحفَ بها . فلمّا قَرُبُوا من بَاغَايَة خرج إليهم مَنْ بها فمَشَوْا كذلك على تعبِيَتِهِمْ نحو مَنَاخِ ابن أبي الأغلب فاصابوه قد رَحَلَ

---

(1) كذا في ا و ب : رجاء بن أبي قتـه ؛ العبر 35 : رجاء بن أبي قنـة ـ والقتّة باللغة العامية التونسية هي الحزمة من الخضر كالّلفت (ولعلها عربية القدّة اي : القطعة) ـ اما القُنّة فهو الجبل ، وقد يكنى الرجل بالجبل فيقال له « بوجبل » وهذا معروف بتونس فيحتمل ايضا ان يقال : بو قُنّة .

(2) ب : لقلتهم ؛ ا : لقتلهم .

(3) كذا في ا و ب : القربات ـ و « القِرْبه » وعاء معروف بالبوادي من جلد (المعز خاصة) يحمل فيه الماء .

في اللّيل ووجدوا بَقَايَا من العسكر وأمتعة فَقَتلُوا من وَجَدُوه، وَانْتَهَبُوا ما أصابوه ، واتبعوا العسكرَ حتّى انْتَهَوْا إلى فَجِّ العَرْعَارِ . فوقف أبو مُدَيْنِي وقال : هذا الذي حَدَّهُ لنا الشَّيْخُ[1]، وأَمَرَنا أنْ لا نَتَجَاوَزَهُ. وانصرف إلى بَاغَايَة. ولَحِقَ ابن أبي الأَغلب بالأُرْبُس. وانصرف أبو مُدَيْنِي إلى إيكْجَان بالعساكر التي قَدِمَ بها ، وانصرف معه أُبو مَكْدُول وغَزْوِيَّة وأقامَ أبُو يُوسُف[2] بِبَاغَايَة بالخيل التي كانت معه .

XXX ـ ذكر افتتاح مدينة الأُربس وانهزام ابن أبي الأَغلب

207 ـ ولَمَّا دخل فَصْلُ الرَّبيع وطَابَ الزَّمان جَمَعَ أبو عبد الله العساكرَ ، واحْتَفَلَ واستَعَدَّ . ثمّ زَحَفَ يُريد ابن أبي الأَغلب بالأُرْبُس . فخرج من إيكْجَان أوّلَ جُمادَى الآخِرة سنة سِتٍّ وتسعينَ ومِائَتَيْنِ[3] فنزل مدينة باغاية وعرض من معه وحصلهم فبلغوا مِائَتَيْ أَلْفٍ[3] بين

---

(1) أي : الداعي .

(2) كذا في ا : وهو أبو يوسف ماكنون بن ضبارة الذي كان بها (انظر : 186) على خمسمائة فارس ؛ ب : وغزوية يوسف ؛ فان اعتبرنا ما في ب ، صارت الجملة هكذا : « وانصرف معه أبو مكدول وغزوية بن يوسف بباغاية » ، والآن هذا لا يستقيم به المعنى في سياق الكلام .

(3) كذا في ا و ب ؛ وفي الكامل 131 ، وفي اتعاظ 86 والعبر 35 ـ 36 .

فارسٍ وراجلٍ . وكان زيادة الله قد حشَدَ ، وبَذَلَ العطاء ، وأوعب ، وأرسل إلى ابن أبي الأغلب عساكرَ ، فاجتمع بالأُرْبُس من العساكرِ ما لا يُحصى عدده إلاّ الله . وسار أبو عبد الله من باغاية ، حتّى انتهى إلى مِسْكيانَة . فأخذ مع الوادِي [1] حتّى خرج إلى وادِي مجّانَة [2] . ثمّ خرج على مَرْمَاجَنَّة إلى وادي الرّمْلِ ونزل عليه . وأخرج خيلًا إلى مَنْيُولَة يوم الخميس لثمانٍ بَقِينَ من جُمادَى الأُخْرى [3] ، فانتهبوا مَنْيُولَة ثُمّ أصبح من غدٍ يَوْمَ الجمعة فأخرج خيلًا إلى شَقْبَنَارِيّة [4] ، فَوَافَتْهَا قبل نِصْفِ النَّهَارِ فقاتلوهم إلى وقت العَصْرِ . ثمّ نَزَلُوا إليهم على الأمان . وأتَوْا برجالٍ من وُجوهِهِمْ إلى أبي عبد الله .

208 ـ وكان أبو عبد الله قد أخرج ذلك اليوم جَرائِدَ الخيلِ فضربتْ جريدةٌ منها إلى بَنِي جُودَان فوافتها خيلٌ كثيرةٌ

---

(1) أي : وادي مسكيانة ؛ وهو يعرف اليوم بهذا الاسم وينتهل من الجانب الشرقي من الاوراس ويصب في « واد مَلاّق » .

(2) يعني : وادي ملاق الذي يعرف اليوم « بواد ملاّق » ، انظر : 189

(3) في ا و ب : الاخرى .

(4) كذا في ا و ب ؛ وفي ا : فوق السطر : سقنارية ـ وهي تسمى اليوم الكاف وتعرف أيضا « بشكْبَنَارْيَة » ـ واسمها باللاطينية الافريقية ـ « سكة فنَارْيه » انظر لاويكي ، لغة 453 .

لابن أبي الأغلب ، فقاتلوهم . فَأُسِرَ رجل من الكُتَامِيِّين ، فَأتَوْا بِه إلى ابن أبي الأغلب ، وعنده مَحْبُوب بن عَبْدُون [1] فساله فيه . فأبى ابن أبي الأغلب عليه إلّاأن يَقْتُلَهُ . فَغَضِبَ محبوب . وقام عنه . وأمر ابن أبي الأغلب بقَتِل الرَّجل . فَقُتِلَ .

209 ـ ثمّ أصبح أبو عبد الله لِستٍّ بَقِينَ من جُمادى الأُخرى . فَمَيَّزَ العساكر وَعَبَّأَهَا : فجعل في الْمَيْمَنَةِ بني نَبْطَاش [2] ، وفي الْمَيْسَرَة بني يُنَاوَة ، وفي القلب مَلُوسَة ، ومَسَالْتَة ، وانتقى عَشَرَ آلاف [3] فارسٍ من الدُّعاة ووُجوه القبائل،وأهل النِّكايةِ فَجَعَلَهُمْ معه،وزحف إلى الأُرْبُس.فأصاب ابن أبي الأغلب قد عَبَّأَ عسكره ، فَالْتَحَمَ القتالُ. ووقف أبو عبد الله بعشر آلاف فارِس [3] على كُدْيَةٍ [4] مُطِلَّةٍ على المدينة. وانتشر القتالُ في الفَحْصِ ، وأخذ النّاسُ بعضُهم بعضاً ، وكانت معاركُ عظيمةٌ مُوَاقَفَةٌ شديدةٌ،وقُتِلَ منالفريقين خلقٌ كثيرٌ.وأقام القتال بينهم من أوّلِ النّهار إلى وقت صلاة العَصْر وكَلَحَ [5] أصحاب ابن أبي الأغلب

---

(1) كذا اسمه في ا و ب ؛ وفي البيان 149 : محبوب بن عبد ربه الهوّاري

(2) ا : نبطاش ؛ ب : نعطاش (كذا)

(3) ا : عشرة آلاف ؛ ب : عشرة الف .

(4) من يمر بلُرْبُس اليوم يشاهد هذه الكدية .

(5) كذا في ا و ب . وكَلَحَ الوَجه إذا عبَّسَ واكفهرَّ وتقطّب .

ولم يكن بَقِيَ بإفْرِيقيَة ونواحِيها وأطرافها من عَرَبِها وبَرْبَرِها ورجالِ زيادة الله أحدٌ مذكورٌ إلاّ وكان مع ابن أبي الأغلب .

210 ـ فنظر أبو عبد الله إليهم قد شَقُّوا على أصحابه وأَحسَّ من أصحابه بعضَ الفَشَل وخاف عليهم الهزيمةَ، فقال لمن حوله من المشائخ : تَنَقَّوْا من الرَّجالَةِ من قَدَرْتُمْ عليه من خيارهم وابعثوهم يأخُذون في هذه المَسِيلَة ـ مَسِيلَة تُعْرَفُ بالْمَضَارَة [1] ـ يستترون فيها حتّى يضربوا في الخيل لعلّهم أن يُحَرِّكُوهُمْ . فانْتَقَوْا من الرَّجالة خمسمائة وسبعين رجلا من أشدّ مَنْ قَدَرُوا عليه. فتَعَرَّوْا عُرَاةً وأخذَ كلُّ واحدٍ منهم رُمْحَيْنِ ودِرْقَةً ومَشَوْا في تلك المَسِيلَة . واتَّفَقَ أن كان ابن أبي الأغلب قد رأى مِثْلَ ذلك الرَّأي ، ودَبَّرَ مِثْل ذلك التَّدبير ، وأخرج رجّالةً من قِبَلِهِ في تلك المَسِيلَة . فَوَافَقَ بعضُهم بعضاً في موضع يُعْرَفُ بِالغُرَّةِ البيضاء بِقُرْبِ جِنَان لَوْرْز [2] على طريق الأُرْبُس إلى شَقْبَنَارِيَّة . . فَوَافَقَ أوّلُ رجلٍ طَلَعَ من الكُتَامِيِّين أوّل [3] رجلٍ طَلَعَ من أصحاب ابن أبِي الأغلب وتقايسا بالرّماح ، وحمل كلٌّ واحدٍ منهما على صَاحِبِه

---

(1) من يأخذ الطريق اليوم بين لربس والكاف يشاهد هذه المسيلة .

(2) لم يبق ذكر اليوم لهذه الغرة البيضاء على أن الاجنة لم تزل كثيرة في هذه الطريق .

(3) ا : اول ؛ ب : واول .

فَقَتَلَ ألكُتَامِيُّ الخارج إليه من أصحاب ابن أبي الأَغلب فَانْهَزَمُوا. وقامت الصَّيْحَةُ فيهم فانهزمت عساكرُ ابن أبي الأَغلب وداخلت خَيْلُها رَجَّالَة أبي عبد الله وحَمَلَتْ خَيْلُهُ عليهم فوَلَّوْا مُنْهَزِمِينَ. وقصد كلُّ قومٍ منهم إلى جهةِ بلدهم.

211 ـ وأخذ ابن أبي الأَغلب ومَنْ مَعَهُ من رجال زيادة الله وأهل إفْرِيقْيَة على جبل الحَرَّاقِين [1]، وأَخَذَتْ [2] لوَاتَة [3] وكَرْنَايَة [4] ومَكْلَاتَة [5] على طريق حَشِير مَمّسْ [6]. وأخذ عامّةُ العَبِيدِ وخِلْط النّاسِ من أهل إفْرِيقْيَة طريق القيروان، وأخذ محبوب بن عَبْدُون

---

(1) أي: الذين يحرّقون الحطب لصنع الفحم وهم كثيرون اليوم في هذه الجهة وجلّهم من أولاد عيّار.

(2) ب: اخذت؛ ا: اخذ.

(3) ا: لواتة؛ ب: لوانة؛ وعند ابن حوقل 106، والحاج صادق 13 و 155، والادريسي 51 و 57، واليعقوبي 2 و 3 و 4 و 6 و 7: لواتة.

(4) ا: كربانة؛ ب: كرتاية؛ ـ والصواب: كرناية في 191.

(5) ا و ب: مكلانة؛ والصواب: مكلاتة كما عند ابن حوقل 106.

(6) ا: حسير مس؛ ب: وان حشير ـ والارجح: مَمّنْ؛ انظر البيان 149: ساقية مَمّس.

مع هُوَّارَة [1] و نَفزَة [2] على بَني بَشِير [3] واتّبعهم الأولياء بكلّ ناحية يقتلونهم ويأسِرُونَهُمْ ويغنَمُون ما معهم . وقَصَدَ [4] قوم منهم إلى المدينة فَقَتَلُوا بِها مَنْ وجدوه وانتهبوا ما قَدَرُوا عليه إلى أن غَرُبَت الشّمس ودخل اللّيلُ ، فانصرفوا إلى مَنَاخِهم فباتوا فيه . وأصبح أبو عبد الله فامر بقصد مدينة الأُرْبُس وذلك أنّ أهلها أضرَمُوا ناراً وأَصرُّوا مع ابن أبي الأغلب ، فدخلها الأولياء بالسّيْفِ فقتلوا بها من الخَلْق ما لا يُحصى [5] وانْتَهَبُوا ما بها.وأقاموا يوم الأحدوانصرف أبو عبد الله بجميع العساكر يوم الإثنين فاخذ على دُقّة يريد الى قَمُودَة [6] والنّاس يقولون يريد قَسْطِيلْيَة [7] .

---

(1) ا و ب : هوازة ؛ والصواب : هُوَّارَة .

(2) ب : نفـزة ؛ ا : نفـرة .

(3) ا : بشير ؛ ب : يسير .

(4) ب : وقصد قوم : ا : وقصد كل قوم .

(5) كذا في ا و ب ؛ في الكامل 132 : « ودخل كثير من أهلها الجامع فقتل فيه أكثر من ثلاثة آلاف ... » ؛ في البيان 146 و 147 : وقيل انه قتل (داخل المسجد) ثلاثين الف رجل .

(6) ا : قمودة ؛ ب : قبودة . والصواب ؛ قمودة .

(7) في ا و ب : قسطيلية ؛ في الكامل 132 : « وانصرف ابو عبد الله الى قمودة »؛ العبر 36 : « ثم سار فنزل قمودة » البيان 147 : « وانصرف الى (مدينة) باغاية (اذ خاف ان يحاشد عليه اهل افريقية) » .

XXXI ـ ذكر هروب زيادة الله منْ رقَّادَة

212 ـ ووصل خبرُ الهزيمة إلى زيادة الله يوم الأحد بعد صلاة الظُّهر وكان قد عَلِمَ وأيْقنَ أنّه لا يقوم له أمرُ إن انْهزَمَ عسكرُ الأرْبُس لأنّه آخرُ ما قَدرَ عليه من الحيلة واسْتِفرَاغِ المجهودِ . وكان قد تقدّم في شدِّ جميع أمْتِعَتِهِ واستعدّ للهرب . فلمّا أتاه خبرُ الهزيمة أظهر أنّه جاءه الفتْحُ، وأرسل إلى السّجن فجاء برجالٍ منه فضرب أعناقهم واحْترّ[1] رُؤُوسَهم وأمر أن يُطَافَ بها بالقيروان وبالقصر القديم . وأخذ في ضَمّ حوائِجه ورفع ثِقَلهُ وأمواله وأرسل إلى خاصّةِ رِجالِه وأهل بيته فأنذرهم بالخروج معه وعرّفَهمْ ما جاءه من الخبر ،فأشار عليه ابنُ الصّائِغ بالْمُقَامِ، وقال له : العساكر تجتمع إليك فأظهِرِ العَطَاءَ يأْتِكَ[2] النّاسُ ، وليس يجسُرُ الشّيعِيُّ أن يَقْتَحِمَ عليك فلا تَدَعْ مُلْكَكَ فقد حارب زيادةُ الله جَدّك[3] إفريقية كلّها وقد أجْمَعَ أهلها من القصر القديم اثْنَتَيْ عشرة سنة[3]

---

(1) في ا و ب : احتز .

(2) ا و ب : يـاتيك .

(3) يعني زيادة الله الاول الذي ثـار عليه الجنـد سنة 207 مع زياد بن سهل ؛ ثم سنة 208 مع عمر وبن معاوية . ثم منصور الطنبـذي من سنة 209 الى سنة 212 التي ارسل فيها زيادة الله الجند لغزو صقلية . فهذه الثورات لم تتجاوز مدتها خمس سنوات . وقوله : اثنتي عشرة سنة لا يصحّ الا باعتبار ان زيـادة الله الاول ولي الامر سنة 201 ولم يستقرّ به الملك إلا سنة 212 .

وأنت في قُوَّةٍ من أهل بيتك وخاصّتك فـلا تُفَرِّقْ جماعتك ولا تَخْسَرْ مُلْكَكَ ، وتَثَبَّتْ [1] فلم يَقْبَلْ منه فالحّ عليه في ذلك فقال زيادة الله : هذا تَصْدِيقْ ما قِيل فيك أنّك كاتَبْتَ الشِّيعيَّ فأردت أن تمكّنه مِنّي . فاعتذر إليه وتبَرَّأَ مّما قِيل فيه ، وأَمْسَكَ عنه .

213 ـ وأخذ زيادة الله في شَدِّ الأَموالِ ونَفِيسِ الخِلع والجوهر والسِّلاح وما خَفَّ من الأَمْتِعَةِ وَوَاعَدَ مَنْ حَضَرَهُ من رجاله اللّيل. وانصرف كلٌّ واحد منهم يحمل ما يريد حَمْلَهُ ، وخافوا على أنفسهم القَتْل إن تَخَلَّفُوا بعده . وحمل مَنْ يَعِزُّ عليه من الجَوَارِي وأمّهات الأَولاد وبَنِيهِ وبناته وانتخب من عبيده الخَدم الصَّقَالِبَةِ ألف خادمٍ ، وجعل على وسطِ كلّ واحدٍ منهم مِنْطَقَةً فيها ألف دينار خوفاً من أن يُلْحَقَ أحمال أمواله وشَدَّ باقِي الأَموال أحمالاً فلمّا أذَّنَ المؤذِّن بصلاة العِشاءِ الآخرة ، خرج من رَقّادَة،واتّبعه النَّاس قومٌ بعد قومٍ يهتدون بالمشاعل ويَتْبَعُونَه . فأخذ إلى قَلْشَانَة [2] جَادَّة طريقِ مِصْر .

---

(1) في البيان 144 نسبت هذه النصيحة لابراهيم بن حبشي : ونسبت في أعمال 446 لوزيره : « فأشار عليه وزيره بالمقام وقال . . » وكان وزيره هو ابن الصانع (او الصائغ) ؛ وفي الكامل 123 : فأشار عليه بعض أهل دولته بأن لا يفعل ولا يترك ملكه . . . . »

(2) او ب : قلساية؛ اليعقوبي 8 : قلشانة ؛ الحاج صادق 6 : قلسانة؛ انظر ايضاً لاويكي ؛ لغة 464 : قلشانة وقلسانة.

214 ـ وخرج ابن الصّانع بعد ساعة بِثَقَلِهِ وحِمْلِهِ وحَشَمِهِ ، فقصد قصرَ سُوسَة [1] وكان قد أعدَّ مَركَباً لنفسه ليركب إلى صِقِلّية ويفارق زيادةَ الله . وذلك أنّه كان يخاف على نفسه رِجالَه الذين كانوا معه أن يَحمِلوه على قَتْلِه، وذلك أنّه كان مُعادِيًا لأكثرهم وكانوا يُعادُونه لِتَقَدُّمِهِ عند زيادة الله وغَلَبَتِهِ عليهم ، فلم يأْمَنْهُمْ أن يَسْعَوْا به إليه ، وسَمِعَ ما كانوا رَمَوْهُ به من مكاتبته أبي عبد الله، وما قال له زيادة الله لمّا نَصَحَهُ في المُقَامِ . وخرج ابنُ الصّانع لمّا خرج من رَقّادَة ومعه مَشَاعِلُ ، فأخذ على القصر القديم . وخرجت ثلاثون حِمْلًا من المال تخلّفت عن جُمْلَةِ المال فنظر الذين خرجوا بها إلى مشاعل ابن الصّانع فَظَنُّوا أنّها مشاعلُ زيادة الله فاتّبعوها. وَوَصَلَ ابنُ الصّانع إلى سُوسَة فدخل البَحْرَ من سَاعَتِهِ ووصلت أحمال المال بعده ، إلى سوسة فأخذها ابنُ الهَمْدَانِيِّ ، فَاخْتَزَنَها [2] . فلمّا

---

(1) كذا في ا و ب ؛ وقصر سوسة هو الرّباطُ المعروف بها .

(2) تختلف صيغة ما في البيان بعض الاختلاف ؛ فكأنّ الوزير ابن الصانع حاول ان يأخذ هذا المال لنفسه ؛ انظر البيان 148 : « وكان عبد الله بن الصائغ . . . فواطأ خزان الاموال على اقتطاع ثلاثين حملا من المال، في كل حمل ستة عشر الف مثقال ؛ فواعدهم موضعا يجتمع فيه معهم، فأخطؤوه في الليل وخرجوا الى مدينة سوسة ، فقبض عليها ابن الهمدانيّ عاملها وخزنها (في قصر الرباط) بسوسة حتّى صارت الى الشيعة .

دخل أبو عبدالله إلى رَقَّادَة، أخذها[1]. وبَقِيَ مَنْ بَقِيَ بِرقّادة من سائر الناس فَهَرَبُوا على وجوههم إلى القصر القديم وإلى القيروان وإلى سوسة وإلى كلّ ناحيةٍ بِمَا خَفَّ من متاعهم وقَدَرُوا على حمله .

215 ـ فأصبح صباحُ يوم الإثنين فَفَاضَ أهلُ القيروان ، والنّاسُ من كلّ مكانٍ إلى رَقَّادَة يَنْتَهِبُونَ مَا بها ويحملونه ، فيَلْقَى بعضُهم بعضاً فَيَسْلُبُ القويُّ الضَّعيفَ وسَابَتْ أهلُ إفريقية وشُغِلَ أهلُ الدَّعارَةِ بِنَهْبِ رَقَّادَة ، فانتهبوا ما في قصورها مِمَّا خَلَّفَهُ زيادة الله وما في دُورِ رِجَالِه ودُورِ سائر النَّاس الأَنفَسَ فالأَنفَسَ ، والأَعْلَى فالأَعْلَى إلى أن لم يبـق شيءٌ ممّا على وجـه الأَرْض إلاّ انتهبوه. وصاروا إلى البحث عن المَطَامِير وانْتِزَاع حديد الأبواب وحمل الأَسِرَّةِ وتَقِيلِ الخُرْثِيّ[2] وأقامـوا كذلك ينتهبون إلى أن دَخَلَتْ خَيْلُ أَبِي عبد الله . ثمّ خالط الخـوفُ من تَخَلَّفَ من بني الأغلب وكانوا خَلْقًا كثيراً أكثرهم في حال الفقر والمَسْكَنَةِ . وتخلّف كثيرٌ من وجوههم عن زيادة الله وجماعةٌ من عبيـده وَرِجَالِهِ وأهل الحرب وأصحاب الدَّواوين، وكان أكثرهم برقّادة: فتفرّقوا على حسب ما ذكرنا ليلة هرب زيادة الله ..

---

(1) انظر ذلك ايضا في البيـان 150 : ... وبعث (أي : الـداعي) عَرَوَيْه بن يوسف (وهو عَزْوِيَّة) إلى مدينة سوسة، فأمن أهلها وأتاه بالثمانية والعشرين الحمل من المال التي (كانت مخزونة بقصر الرباط المتقدم ذكرها...) »

(2) ا : الخـرتي ؛ ب : الخـرشي (وفيـه تحريـف) والخُرْثِيُّ اردأ المتاع وسقطه .

216 ـ وكان مُعْظَمُهُمْ أيضا بالقصر القديم وما حوله من الأرْبَاضِ ، فَانْضَمَّ من كان حوله إليه . ثمّ خاف الوُجوه الذين كانوا فيه فكسروا أقفالَ أبوابه ليلة الثُلاثاء. وخرج عَامَّتُهم إلى القيروان وإلى نواحي البُلدان فَاخْتَفَوْا بها . فلمّا رأى ذلك البَاقُونَ مِنْ غدٍ تَرَحَّلُوا إلى القيروان بإجمعهم ، فلم يبق بالقصر القديم أَحَــدٌ ونقلوا أمتعتهم منه وافترقوا بالقَيْرَوَان والبَوَادِي وسُوسَة وحيث رأى كلُّ واحدٍ منهم أن يَصْرِفَ بِوَجْهِهِ. وشغل نهبُ رَقَّــادَة كُلَّ مُفْسِدٍ ، ولم يتعرّض أَحَدٌ في الطريق ولا في غيره ، ولا كان في النّـاس قتـل ولا شيء إلاّ ما كان بِرَقَّادة ، وانْتِهَابُ (1) بَعْضِهِمْ ذلك النَّهْبَ من أيْدِي البَعْضِ .

XXXII ـ ذكر وصول إبراهيم بن أبي الأغلب إلى مدينـة القيروان وما أراد من العَقْدِ بها .

217 ـ(2) وَوَافَى إبراهيمُ بن أبي الأغلب مدينـة القيروان صَبِيحَةَ(3) يوم الثلاثاء في جماعةٍ ممّن انْضَمَّ إليه في وقت الهزيمة مِمّنْ كان معـه. فلمّا عَلِمُوا هَرَبَ زيادةُ الله ، تَفَرَّقُوا عنه، وقصد كلُّ قومٍ إلى نَاحِيةِ بلدهم .

---

(1) ا : انتهبوا ؛ ب : انتهب ـ والصواب : انتهاب .

(2) كذا في ا ؛ ب : نقص من أول هذه الفقرة إلى حد قوله « خرجوا من المدينة في 218 .

(3) ا : صبحة : والصواب : صبيحة .

فدخل إبراهيم بن أبي الأغلب إلى مدينة القيروان ، وقصد دارَ الإمَارَةِ ، فنزل بها. ونَادَى مُنَادِيهِ بالأمر في تَسْكِينِ النَّاس وأرسل إلى جماعة الفُقَهَاء وَوُجوهِ أهْلِ القيروان فَأتَوْهُ . وتسامع النـاس بسيرهم إليه فَأتَوْا دارَ الإمارةِ ، فاجتمع على بَابِهَا خَلْقٌ وحضر وقت صلاة الظُّهر فأذَّنَ الْمُؤَذِّنُ وسلّموا عليه بِالإمْرَةِ (1) وأدْخَلَ الفقهاءَ والشّيوخَ إليه فَذَكَرَ لهم أحوال زيادة الله وما كان عليه من سُوءِ الحال ، وأنّ ذلك هو الذي أَخلَّ بدولته وقَوَّى عليه عَدُوَّهُ ، وسَلَبَهُ مُلْكَهُ ، وذكر أبا عبد الله وكُتَامَة ، وشنَّعَ عليهم أقْبَحَ الأَشَانِيع وخَوَّفَ من ناحيتهم ، وقال إنّما قصدتُ إليكُمْ وجئتُكُمْ لِأُجَاهِدَهُمْ عن حَرِيمِكُمْ ودِمَائِكُم وأموالِكم فَأَعِينُونِي على ذلك بالسَّمْعِ والطَّاعَةِ وأَمِدُّونِي بأَمْوَالِكم ورجالِكم ودَافِعُوا عَنْ مُهَجِكُمْ وحَرَمِكُمْ وأَمْوَالِكُمْ ، فقالوا : أَمَّا السَّمْعُ والطَّاعَةُ فهما عَلَيْنَا لَكَ ، ولكلّ مَنْ وَلِيَنَا وأمّا عونُكَ بِأموالِنا وأيْدِينَا فنحن سُوقَةٌ تُجَّارٌ وبَاعَةٌ ، لا تَبْلُغُ (2) ما تريده ، والقتال ، فَمَا لنَا بِهِ من قُوَّةٍ ولا نُطِيقُهُ ، وأنت فقد نَاصَبْتَ هؤلاء القومَ ومعك صَنَادِيدُ أهل الحرب ووجوه رجالك ووراءك بيت المال تَسْتَمِدُّ منه فلم

---

(1) ا : الامرة : والإمرة والإمارة سيان .

(2) ا : يبلغ .

تُطِيقُهُمْ ! أَفَتُطِيقُ ذلك بنا ، نحن وأموالنا [1] ؟ فَرَاجَعَهُمْ في ذلك وراجعوه حتّى قال لهم : فانظروا ما كان في أيديكم من أموال الأحباس والوَدَائع ، فأعطوني ذلك سَلَفًا لِيُنَادَى بالعَطَاءِ وَيَجْتَمِعَ النّاسُ إليّ ! فقالوا له : وما عسى أن يكون في الأحباس والودائع ؟ ولو مَدَدْتَ يدَكَ إليها لأَنْكَرَ النّاسُ ذلك وقَامُوا فيه .

218 ـ فلمَّا يَئِسَ منهم ، صَرَفَهُمْ فَخَرَجُوا ، والنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ على بابِ دَارِ الإمَارَةِ لا يَعْلَمُونَ ما كان مِنَ الكَلَامِ ، فَلَمَّا خَرَجُوا وأَخْبَرُوهم بما كان منه صَاحُوا به : اُخْرُجْ عَنّا لا نَبْتَـلِ [2] من أجلك ! وجَلَبَ الغَوْغَاء وصاحُوا : تؤْخَذْ وتُكَبَّلْ ! و شَتَمُوه . فلمّا سَمِعَ ذلك ركِبَ ومَنْ كان معه في سِلَاحِهم ، واقْتَحَمُوا الباب. فَهَرَبَ من كان على الباب بين أَيْدِيهِمْ ، وأَفرجوا لهم ، وأَخذتهم الحجارة من فوق البيوت وهم يتَّقُونَ ويركُضُونَ دوابَّهم حتّى خرجوا من المَدِينَة [3] . ومضى ابنُ أبي الأَغلب ومن كان معه وانضمَّ إليهم من بَقِيَ بعد زيادة الله من رِجالِه

---

(1) اختصر هذا كله في الكامل 132 وفي اتعاظ 87 وفي العبر 36 اختصارا قد يدل على ان الافتتاح كان اصلا لهذه المراجع عن طريق « تاريخ الرّقيق » . انظر صيغة اخرى في البيان 148 .

(2) ا : لا نبتلي .

(3) راجع الخبر من هذا الحد في ب ؛ بعد ان انقطع في أول 217

مّن خاف على نفسه . فلَحِقَ بزيادة الله . وكان يُؤثَرُ في أخبار ما يَكُونُ أنَّ أوّلَ أمرَاء بَنِي الأغْلَب إبْرَاهِيم وآخرهم إبْرَاهِيم . فلمّا وَلِيَ إبراهيمُ ذلكَ اليوم القيروان قال النَّاسُ : هذَا الذِي كَانَ يُقَال : « آخِرُهُم إبْرَاهِيم » . وكان يُؤثَرُ في بَنِي مَرْوَان : « وآخِرُهُم مروان » . فكان ذلك كَمَا قِيلَ . وكذلك يُؤثَرُ أنَّ أوَّلَهُمْ بالأندلس عبد الرّحمن وآخِرُهُمْ عَبْدُ الرحمن [1].

---

(1) ان صحّ هذا الحدثـان في بني الاغلب باعتبـار ان ابراهيـم بن ابي الاغلب كان آخر امرائهم وكذلك في بني مروان بالمشرق باعتبار ان اولهـم مروان بن الحكم فمثل هذا الحدثان لا يصـح في بني مروان (بنوامية) بالاندلس إذ ان آخرهم لم يكن عبد الرحمان. فهذا الحدثان ملفـّق في شأنهم إذ ان النعمان يكتب الافتتاح في عهد المعزّ بينما كان النزاع شديدا بينه وبين عبد الرحمان الناصر لدين الله .

القسم الرابع

17 ـ افتتاح الدعوة



XXXIII ـ ذِكْرُ دُخــول أبي عبد الله إفريقية ونُزُوله برقّادة واسْتِقَامَةِ الأُمور له [1] :

219 ـ وَوَافَى أبا عبد الله الخبرُ بِهَرَب زيادة الله ، وقد خرج من دُقّة من قَبْلِ أن يَصِلَ إلى سَبِيبَة ، فأخذ على سِلْيانَة [2] ونَزَل وَادِي الرّمل [3] فبات به . فلمّا أصبح قــدّم غَزْوِيّة وحَسَن بن أبي خِنْزِير [4] في ألفِ فارسٍ إلى رَقّادة وأمرهم أنْ لا يَتعرّضوا أحداً بمكروهٍ. فوصلوا إلى رقّادة وأصابوا النّاس بها يَنْتَهِبُون الطّعامَ ومَا بَقِيَ مِنْ خَسِيسِ الخُرْثِيّ . فَلَمّا رَأَوْهم تَفَرّقُوا ، وخافُوا منهم . فَأَمّنُوهُم ولم يَتَعَرّضُوا لهم وتركوا لكلّ واحدٍ منهم ما كان معه قد حَمَلَهُ، ومَنَعُوا مَا بَقِيَ فأتى من كان برقّادة إلى القيروان فأخبرُوا بالخبر فَٱبْتَهَجَ النّاسُ بذلك وسُرّوا به .

220 ـ وخرج شُيُوخُ القيروان وفُقَهاؤُهم لِتَلَقّي أبي عبد الله ،

---

(1) أ : له : ب : نقص .

(2) أ : سكتانة ؛ ب : سكيانة (كذا) – والصواب : سِلْيانة وهي تعرف اليوم بهذا الاسم ويمرّ بها وادي سِلْيَانَة .

(3) أ : الرمل : ب : الومل ؛ الكامل : (وادى) النمل : (والتحريف ظاهر) .

(4) انظر : 134 .

فَلَقُوهُ ، وسلَّمُوا عَليه ، وهَنَّؤُوه بالفَتْحِ . فأقْبَلَ عليهم بوجهه وردَّ عليهم أحْسَنَ رَدٍّ [1] ، وأمَرَهم فركِبُوا دوابّهم ، ودَعَا بِهِمْ ، فاستصحبهم ، وحدَّثَهم وأمَّنَهُم في أنفسِهِم وأمْوالِهِمْ . فأعْجَبَهُمْ ما رَأوْهُ من تواضُعِه وحُسْنِ عِشْرَتِه ، وأخبروه بخبر ابنِ أبي الأغلب وَمَا كَانَ منه إليهم ووَصَفُوا له رغبتهم فِيه وميْلَهُم نحوه . فقال لهم : قد أخَذْتُم بِحَظِّكُمْ ونَظَرْتُمْ لأنفسكم وعملتم لما فيه نجاتكم وصلاح حالكم ومايعودُ بالنَّفْعِ لكُمْ في عاجلكم وآجِلِكُمْ . ثمّ أخذوا يذكرون له أخْبَارَ زيادة الله، ويَصِفُونَ سُوءَ حاله ومساويه، وأبو عبد الله سَاكِتٌ عن ذلك حتّى إذا أكْثَرُوا فيه ، قال لَهُم : أئِمَّتُهُ الذين وَلَّوْهُ وقدَّمُوهُ وآباؤه مِنْ قَبْلِه [2] وآباؤُهُمْ من قَبْلهم أسْوَءُ حالاً مِنْهُ ، فلو علِمْتُمْ ورأيتم أحوال بني العبّاس وَمَا هُمْ عليْهِ من الفِسْقِ وسوء الحال لَمَا تَعَاظَمْتُمْ ما رأيتموه من هذا وما وَصَفْتُمُوهُ مِنْ وَهْنِهِ وضَعْفِ أمْرِه ، فما أبقى في المُدَافَعَة والاجتهاد بما قدر عليه وأمْكَنَهُ ولقد كان له من القُوَّةِ والْمَنَعَةِ ما رأيتموه ولكِنَّ أمرَ اللهِ لا يُدافع ولا يُغَالِبُه مُغَالِبٌ ، وأوْلِيَاءُ الله المنصورونَ وجُنْدُهُ الغالبون ومن حَزْمِهِ وشِدَّةِ أمْرِهِ هَرَبُه بين أيدينا إذ لم يَرَ أنَّ له [3] بنا طَاقَةً .

---

(1) ب : رد : ا : الرد .

(2) كذا في ا : ب : تحريف في الجملة .

(3) ا : بنا : ب نقص ، وتحريف كثير في هذه الجملة وما قبلها.

221 ـ فَعَلِمَ القومُ أنَّهُمْ قد أخطَؤُوا فيما وصفـوه من وَهَن زيادة الله لأنَّهُ كان يُقال مَنْ صَغَّرَ أمْرَ مقتولٍ صَغَّرَ أمْـرَ قاتِلِه ، فأمسكوا عن ذلك وأخذُوا في شُكْـرِ أبي عبد الله والثّناء عليه ، والدُّعاء له ، والرَّغبَة إليـه في حُسن السّيرة فيهم والصَّفـح عن مُسيئِهِمْ ، وكُلُّ ذلـك يُسْمِعُهُم خيراً ويَعِدُهُمْ به إلى أن وصل إلى رقّادة، وكذلك هم يمشون حولَه، فنزل بها . وأذِنَ في الانصراف، فانصرفوا إلى مدينة القيروان ، واستعمل عليهم حَسَنَ بنَ أحمد بن أبي خِنْـزِير [1] . وكان دخـول أبي عبـد الله يوم السّبت غُرَّة رجب سنة 296 [2] سِتٍّ وتسعين ومائـتين وهي السّنـة والشّهر اللّذان تقدّمت الرّواياتُ والأخبارُ عمَّا يكون فيهما وقـد ذكرنا ذلك في أوّل الكتاب. ونزل أبو عبد الله ببَعْضِ قُصُورِ رقّادة [3] وفرّق دُورها على كُتَامـة ، ولم يكن بقي بها أحدٌ من أهلهـا ، فنَزَلَ بها جميعُ كُتَامَة، ونَزَلُوا أيضاً بالقصر القديم في دُورِ الهاربين مع زيادةالله وفيما حوله

---

(1) في ا و ب : حسن بن أحمد أبي خنزير .

(2) كذا في ا ؛ ب : تحريف ـ . في الكامل 132 : « مستهل رجب ...»، العبر 36 : « في رجب سنة ست وتسعين ... » البيان 150 : غرة رجب .

(3) كذا في ا و ب : والكامل 132 ، واتعاظ 87 ، والعبر 36 : ونزل قصرها ؛ البيان 150 ؛ ونزل بالقصر المعروف بقصر الصحن، وعند ابن حماد 8 : ما في البيان .

من الأَرْبَاض وحول رقّادة فكانوا كالجرادِ المُنْتَشِرِ . ورأى النّـاسُ من جمعهم ما لم يَظُنُّوا أنّه يجتمـع مثله لأحدٍ من النّـاس . ونظر النّاس منهم من حسن السّمع والطّاعة والعفاف والسّكينة إلى ما صدّق عندهم ما كان يُحْكَى عنهم لهم . ولم يَبْسُط أحدٌ منهم يَـدَهُ إلى شيء ولم يتعدّما قِيلَ له ولا خَالَفَ ما أُمِرَ به كأنّهم قيامٌ في الصّلاة أو عليهم مِنْ غيرهم حَفَظَة يأخذون عليهم ويمنعونهم .

XXXIV ـ ذِكْرُ مَا أَمَرَ بِهِ أبو عَبْدِ الله من أمان العامّة وما أجـراهُ فيها من وُجوهِ الضَّبْطِ والسِّيَاسَة .

222 ـ ولما اسْتَقَرَّ أبو عبد الله برقَّادَة أمر مُنَادِياً فنـادى بالقـيروان بالأمان التَّامّ لِلْعَامَّةِ ورُجوع من كان تنحّى عن وطنه إليه فرجع النَّاسُ إلى أوطانهم وقَرُّوا في قرارهم . وأخرج العُمَّالَ إلى البُلدان ونادى فيها بالأَمَان وبطَلَبِ أهل الدَّعَـارَةِ (1) والفَسَاد فَأَنْكَاهُمْ عُقوبَـةً فسكنت الدَّهماء وأمِنَت السُّبُـلُ ومَشَتِ السَّيَّـارَةُ وخـاف أهْلُ الأَذَى (2) والدَّعارة (3) وقتلوا حيث ما ثُقِفُوا (4) وطُلِبُوا أين توجّهوا وأَمَرَ بقطع

---

(1) كذا في ب : الدعارة ؛ ب : الذعارة .

(2) ا : الأذَى ؛ ب : الادي ؛ (وفيه تحريف)

(3) في ا و ب : الذعارة .

(4) ا : ثقفوا ؛ ب : تحريف ـ وثَقِفَ . المجرم : أُدْرِكَ .

شرب المسكر وكلّ ما ظهر من المُنْكَرِ ونَشَرَ العدلَ وأذاعه ، واستوت الأُمور واعتدلت، واشتدّت المَمْلَكَةُ وقَوِيَتْ ، وأمِنَ كلُّ خائفٍ كان يتولّى شيئا من خدمة زيادة الله ومَنْ بَقِيَ من أهل بيته وعبيده ومَوَالِيه ومَوَالِي آبائه ، ومَنْ كان يتّصل بأسبابهم ، فَأَمِنُوا وظَهَرُوا وانتشروا واتّصلوا به وبرجاله ودخلوا في خدمته وأعماله .

223 ـ وولّى قضاء مدينة القيروان مُحَمَّدَ بْنَ عُمَرَ المَرْوَرُّوذِي[1] وكان له تَشَيُّعٌ قديمٌ ونظرٌ في الفقه من قول الأئمّة (ع م) وجعل إليه تولية القُضَاةِ والحكّام بسائر البُلدان ، وكان يكتب في كُتُبِهِ وسجلّاته : «مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ قَاضِي القُضاة»، وكانت توليته إيّاهُ في أوّل شَهْرِ رَمَضَان من سَنَةِ سِتٍّ وتِسْعِينَ ومِائَتَيْنِ [2] . وأمر بجمع ما ظهر من أموال زيادة الله وعَبِيدِهِ وسلاحه ودَوَابِّهِ ومَنْ بَقِيَ له من الجَوَارِي فجمع ذلك على ماظهَرَ مِنْهُ من غير أن يُطَالِبَ فيه أحداً .

---

(1) ا : المروذي ؛ ب : المرودي (وفيه تحريف) ، البيان 151 : محمد (بن عمر) بن يحيى (بن عبد الأعلى) المروزيّ (من جند خراسان ...)؛ طبقات 175 و 226 و 239 : محمد بن عمر المروذي ـ وعرف بالقاضي المرّوذي : والأصل: المروَرُّذي نسبة الى مَرْوَرُّوذ خراسان.

(2) كذا في ا و ب ؛ البيان 151 : « ... يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان » .

224 ـ واجتمع له من الجواري اللاتي كنّ لزيادة الله جماعةٌ لهنّ جمالٌ ومقدارٌ . فسأل عمّن يكفلهنّ ويحوطهنّ . فذكرت له امرأة [1] كانت عند زيادة الله تقوم عليهنّ يقال لها رَوَنْدُ [2] . فأحضرها إليه وأعطاها وأحسن إليها وأمرها بحفظهنّ والقيام عليهنّ وإقامة ما يجب لهنّ وأن ترفع إليه ذلك ليأمر لهنّ بكلّ ما يصلحهنّ . فقالت : أيّها السيّدُ ـ أعزّك الله ـ أمرتَ بأمرٍ وشرطت القيام عليهنّ ورفع ما يحتجن إليه . والذي يصلحهنّ ما عوّدنَه وجرينَ عليه وغُذينَ ونشأن فيه ، قال : وما هو ؟ قالت : الطّعام الطيّب . قال : يُقام [3] لهنّ من ذلك أفضل ما كنّ يعرفنَ منه . قالت : واللّباسُ الحسَن والفُرُشُ والدّثار الوطيءُ الليّن . قال : يُقام لهنّ من ذلك ما يعرفن وفوقه . قالت : وشيئان آخران إن أذنَ السيّدُ فيهما ذكرتُهما . قال : اذكري ما بدا لكِ ! قالت : عوّدنَ الشّرابَ . قال : هذا شيءٌ لا يجدنَهُ عندنا ، فاجعلي لهنّ من التوسعةِ عليهنّ ما يكون لهنّ عوضًا منهُ . قالت . ويُردنَ من الرّجال ما يريدهُ الرّجالُ منهنّ قال : هذا لمولاهنّ وهو عن

---

(1) كذا في ا و ب ؛ الكامل 132 واتعاظ 88 : « . . . فسأل عمن كان يكفلهن فذكر له امرأة صالحة . . . »

(2) ا : رونـد ؛ ب : رويلا (كذا) .

(3) ا : يقام ؛ ب : نعمل .

قريب ياتي إليهنّ إن شاء الله ، وأحسِني القَوْلَ في ذلك والوَعْدَ به وَقُومِي عَلَيْهِنّ[1] . وأمر لها بكلّ ما أرادته لهُنّ مِنْ طعام ولِبَاس وفُرُش ودِثَار ونَفَقَةٍ على أفضل ما عَرَفْنَ من ذلك . وما نظر إلى وَاحِدَةٍ[2] منهنّ ولاَ عَرَفَ لها صِفَةً إلّا[3] بالخبر إلى أنْ قَدِمَ المَهْدِيُّ (عم) فصِرْنَ إليه وَوَجَدَهُنّ على أفْضَلِ حالٍ من القِيَامِ عَلَيْهِنّ .

225 ـ ولمّا حضرت الجمعة أَمَرَ بإقامتها وقَدَّمَ خطيبًا بجامع رقّادة وخطيباً بجامع القَيْرَوَان[4] وكتب بذلك إلى البُلدان . وأمر في الخُطْبَةِ بالصّلاة على مُحَمَّدٍ وعلى آله وعلى أمير المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ وعلى الحَسَنِ والحُسَيْن

---

(1) اختصر هذا الحوار في الكامل 132 واتعاظ 88 ،اختصارا كثيرا فلم تبق من نص الافتتاح الا بعض الجمل ـ وفي البيان 151 : « وضم عبيد زيادة الله ووقف جواريه وولّى النظر في ذلك أحمد بن فرّوخ الطّبني (الاحدب) ».

(2) ب : واحدة ؛ ا : واحد .

(3) ا : الا ؛ ب : نقص .

(4) كذا في ا و ب ؛ الكامل 132 : « ولما حضرت الجمعة أمر الخطباء بالقيروان ورقادة فخطبوا ولم يذكروا أحدا » . اتعاظ 88 : « فلما كان يوم الجمعة أمر الخطباء بالقيروان ورقادة ولم يذكروا أحدا » . العبر 36 : واستأذنه الخطباء لمن يخطبون فلم يعين أحدا » .

وعلى فَاطِمَةَ الزَّهْرَاء صلوات الله عليهم أجْمَعِينَ[1] وأمر يَوْمَ دخـل بِالأذان بـ « حيّ على خير العمل[2]» وأمر بِضَرْبِ السِّكَّة ولم ينقُش فيها اسْماً لِأحدٍ ، ولكنّه جعل مكان الأسماء من وَجْهٍ « بَلَغَتْ حُجَّة الله » وَمِنْ وَجْهٍ آخر « تَفَرَّقَ أعداءُ الله[3]» ، ونَقَشَ سِكَّةً جَعَلَ فيها مَكَانَ ذلك « الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ[4] » ؛ ونقش على السّلاح « عُدَّةٌ فِي

---

(1) كذا في ا و ب ؛ البيان 151 : « وأمر بالصلاة على عليّ بن أبي طالب في الخطب بـإثر الصلاة على النبـيّ - صلعم - (وعلى فاطمـة ، والحسن ، والحسين . . .) .

(2) كذا في ا و ب ؛ البيان 151 : وأمر بأن يزاد في الأذان (بعد حيّ على الصلاة) « حيّ على خير العمـل » ، وأسقط من أذان الفجر « الصلاة خير من النوم » .

(3) كذا في ا و ب : الكامل 132 واتعاظ 88 : « وأمر بضرب السكة وان لا ينقش عليها اسم ولكنه جعل مكان الاسم من وجه بلغت حجة الله ومن الوجه الآخر تفرق اعداء الله . . . » ، العبر 36 : « ونقش على السكة من احد الوجهين بلغت حجة الله ومن الآخر تفرق اعداء الله . . . » - انظر صورة هذا الدينار : من وجه : بلغت حجة الله ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ ومن وجه : تفرّق اعداء الله محمد رسول الله .

(4) كذا في ا و ب : البيان 151 : « وولّى (على) السكة أبا بكر (الفيلسوف) المعروف بابن القمّودي ، ونقش فيها : « الحمد لله ربّ العالمين ، (وسمّيت السّيّدية) » .

سَبِيلِ الله » ، وَوَسَمَ الخَيْلَ [1] « المُلْكُ لِلّهِ » ، ونقش في فصّ خاتَمِهِ « فَتَوَكَّلْ على الله إنَّكَ عَلَى الحَقِّ المُبِين [2] » وفي الخاتم الذي يَطْبَعُ به كُتُبَه « وتَمَّتْ كَلِمَتُ [3] رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وهو السَّمِيعُ العَلِيمُ » [4].

226 ـ وأقام على ما كان عليه مِنْ لِبَاسِ الدُّون من الثِّيَابِ والخشن لم يُغَيِّرْ ذلك ولا غيّره أحدٌ مِنْ رِجَالِهِ . وكانوا إذا قيل لهم ألْبِسُوا ، قالوا : ما نَلْبَس لباس الجبّارين . وبَقُوا على ما أجراهم عليه واعتادوه . وهم على ذلك في سَعَةٍ مِنْ دُنْيَاهُمْ وقد ملكوا وأفادوا ممّا أفاء الله عليهم نِعَمًا كَثِيرَةً ودُنيا وَاسِعَةً عريضةً ، وهم في ذلك على حالِهِمْ من التّواضع

---

(1) كذا في ا و ب ؛ وزيادة في الكامل 132 واتعاظ 88 : على افخاذها العبر : 96 وفي « وسم الخيل ... » ، البيان 151 : « ووسم في افخاذ الخيل ... » ، ابن حماد : « وكتب على افخاذ الخيل ... »

(2) سورة النمل ، الآية 79 .

(3) كذا في المصحف كلمت ؛ ا و ب : كلمة .

(4) صيغة البيان 151 : « وكان نقش خاتم أبي عبد الله : «فتوكّلْ..» و « في الخاتم الذي يطبع به السجلات : » وتمّت كلمات (كذا) ... » ، صيغة ابن حماد 8 : م وقش في خاتمه الذي يتختّم به « فتوكّلْ ... » وفي خاتمه الذي يختم به على السّجلاّت : « وتمّت كلمات (كذا) ... » ـ سورة الانعام ، آية 115 .

والكَفَافِ إلاّ فيما يَقوَوْنَ به على الجِهَاد من الخيل والسِّلَاح والعُدَّةِ فـإنّهم كان لهم مِنْ ذلك مَا لَمْ يكُنْ لأحدٍ مثله . وذلك أنّ جميع مَا كَانَ في خزائن بَنِي الأغْلَبِ من ذلك وعند جميع رجالهم أنتـقل إليهم وَصَارَ في أيديهم مّما أفَاءهُ الله عليهم . وكان عندهم خيولٌ لم يرَ النَّاسُ مِثْلَهَا (1) فيما رأوْهُ جَوْدَةً وعِتْقًا وفَرَاهَـةً وسِلَاحٌ ليس فيه سَاقِطٌ ولا مِنْه ضَعِيفٌ .

227 ـ وكان قد خلّف المعروف بأبِي المُقَارِع أبا القاسم (2) الحسن بن أحمد بن نافذ والقوم الذين كانوا معه، بطُبْنَة ، بإيكجان فكتب إليه بالقدوم . فلمّا قَدِمَ إليه ودخل عليه قام إليه فَسَلَّمَ عليه وكان ذلك عادته فيمن يدخل إليه مِمّن بَعُدَ عَهْده عنه وإذا سَلَّم عليه المُسْلِّم مِمّن يدخل إليه فقبّـل يده قبّل هو أيضا يده ، وأقام كذلك على ما أجْرَاهُ بِكُتَامَة . وكان أبو المُقَارِع يقول له، وهو بإيكجان إذا رآه يفعل ذلك قال : إذا فتح الله عليك إفريقية وصِرْتَ إليها قطَعْتَ هَذِهِ العَادَةَ ولم تَسْتَعْمِلْهَا، فإنّ أهل إفريقية لايعرفون ذلك من أمرائهم ولا يَصْلُحُونَ عليه ؛ فيقول له : إذا كان ذلـك أستعملنا ما يصلحهم إن شَاء الله . فلمّا دخـل عليـه وقام إليه قال له : يَا سَيِّـدي

---

(1) ب : مثلها ؛ ا : مثله .

(2) ا و ب : بن ، وهي زائدة هنا فانظر اسمه في : 161 .

أَلَمْ يَكُنْ بَيْنِي وبينك تَرْكُ هذا وأنّه لا يصلح في هذا المكان ؟ قال : الحَقُّ [1] يَصْلُحُ فِي كُلِّ مكان .

228 ـ وكان نسخةُ الكِتَابِ الذي كَتب إلى البُلدان بِالأمان : « بسم الله الرحمٰن الرّحيم الحمد لله رَبِّ العَالَمِين وصلَّى الله على رسوله محمَّد النّبيّ وعلى أهل بَيْتِه الطَّاهرين . أمَّا بَعْـدُ فالحمد لِله النَّاصر لِأَوْلِيَائِـه لما سَبَقَ لهم من وَعْدِهِ [2] وَخَاذِل أعدائه بعد الإعـذار إليهم بوعيده ، الذي [3] لم يجمع بين أنصار الحـقّ وأتباع الباطل في مَوْطِنٍ من مواطن التّحاكم إلا وهب لأنصار دِينِهِ النّصر وأيَّدَهُم بالعِزّ وأنزل بِأعْدَائِه البَأْسَ والنَّقمَةَ والدَّمَارَ والهَلَكَةَ إِظْهَاراً لفضلِ منزلة الحقّ عنده وإذْلَالاً لمن عَنِدَ عن سبيله وصَدَفَ عن حقّه حَمْداً يرضَاهُ ويتقبّله ويَحْسُنُ المَزِيـدُ عليه مِنْ فَضْلِهِ .

229 ـ وإنّي لم أزلْ بحمد الله ونعمته مُذْ قمت لله بواجب حقّه ذَابًّا عن دِينِهِ طَالِبًا ثَأْر أَوْلِيَائِهِ آمُـرُ بالمعروف وأدعو إليه وأنْهَى عن

---

(1) كذا في ا ؛ ب : قال له ابا القاسم الحق . . .

(2) ا : وعده ؛ ب : وعد .

(3) ا : الذي ؛ ب : نقص .

المُنْكَـرِ[1] وأَحذِّرُ منه أُحيِي ما أماته الظّالمون من مَعَالِمِ الحقّ وأجاهِدُ أعداءَ الله المارِقِينَ المغتصبين حقّ آل رسولِ الله (صلعم) أقدّمُ الموعظة إلى بني الأغلب ، والإنـذار بانتقاص أطرافهم وتَطرّق مـدائنهم ، طَمَعاً[2] في إنابتِهم إلى الحقّ ، ورجوعهم إليه ، وإقرارهم به ودخولهم تحت لوائه ، متوقّفاً عن التَقَحُّم عليه رَجاءَ حَقْنِ دماء المسلمين . فكلّما ازددت في الرِّفْق بهم بصيرة ازدادوا في الضّلال تَمَادِياً وعلى ظُلم عبادالله تَعَاوُناً وعلى المَعَاصِي جراءة وفي الغَيّ إقْدَامًا وبالإمـلاء لهم اغترارا قد اتّخذوا مالَ اللهِ دو لاً وعباده بينهم خولا لا يرجعون إلى تقيّـة ولا يَرْعَوْنَ لله آلاً ولا ذِمَّةً .

230 ـ و لَمَّا يئست من إنابتهم ، و انقطع طمعي من توبتهم ،رأيت أنّه لا يَسَعُنِي ترك مُنَاجَزَتِهِم فقصـــدت ببعض جيوشي المَنْصُورَة وعسـاكري المؤيّـدة مجتمع جيوشهم بالأُرْبُس واثِقـاً بالله متوكّلا عليه

---

(1) هو أصل الحسبة الشرعي وأبو عبد الله كان عند دخوله في الدعـوة محتسبا ، انظر : ابن حماد 8 : « وفي خلال هذا أقـام أبو عبد الله هو و (كذا ، وهو خطأ) الحسين بن احمد بن محمد ويعرف بالمحتسب يقال انه كان محتسبا بسوق الغـزل بالبصرة ويقال ان المعروف بالمحتسب هو أخـوه أبو العبـاس ...» ، العبر 31 : « ... المعروف بالمحتسب وكان محتسبا بالبصرة وقيل إنمـا المحتسب أخوه أبو العباس المخطوم ... »

(2) ب : في ؛ أ : الى .

مُنْتَجِزاً بما وعد أولياءه فِيمَنْ نَصَبَ لهم وعَادَاهُم وتولّى سِوَاهُمْ فَمَنَحَ الله أولياء دينه أكتافهم فقتلوهم أبْرَحَ القَتْل في كل وادٍ ومغاراتٍ[1] وَمَدْغَلٍ[2] . وتفرّق مَنْ سَلِمَ منهم شذوذا قد آستَأْصَلَ الله شأْفَتَهُمْ وكَسَر شوكتهم واَجتاح نَاجِمَهم ووصل فلّهم إلى المخذول زيادة الله فأسْلَمَ مُلْكَه وخرج هاربا ـ[3] قد أوْبَقَتْهُ ذنوبه ومعصيته وأسلم أهْلَهُ ومَالَهُ وَوُلْدَهُ وأهْلَ بيته وكان في فراره أعظمُ الخير[4] للمسلمين من حَقْن دِمَائِهم ، وقطع ظُلْمِهِ وَجَوْرِهِ عَنْهُم .

231 ـ فَسَدَلت على حرمه سِتْرَ العفاف وحفظت مِنْهُنّ ما لم يحفظه من ذِمَارِهِنّ آحتسابا لثواب الله واَتباعا لقوله (جلّ ذكره) ـ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى[5] بعد أن كنت عزمت على الانصراف لِأُخَفِّفَ الوَطْأَ

---

(1) كذا في ا ، ب : تحريف . والمَغارة (ج : مغارات) هي الكهف والمكان الذي تقع فيه الغارة .

(2) ا و ب : مدخل ؛ والارجح : مدغل كما أثبتناه .

(3) ا : كذا ، ب : حتّى قد .

(4) ب : الخير ، ا : الخيرة .

(5) سورة الأنعام ، جزء من الآية : 164 ؛ وسورة الإسراء ، من الآية : 15 ؛ وسورة فاطر ، من الآية 18 ؛ وسورة الزّمر ، من الآية : 7 . ـ أما في سورة النجم ، الآية : 38 ، فقد وردت الآية هكذا : « ألاّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى » .

على أهل القيروان رِفْقاً بهم وإعْـــذَاراً إليهم حتّى أتاني رسولهم و تلقّاني علماؤهم وشيُوخهم يسألونني الأمان لهم والحَوْطَةَ عليهم ويَرْغبُون في ذلك إليّ . فأجبت سُؤالهم وحقّقت آمالهم وسكّنت دَهْمَاءهُمْ وشَمِلْت بالأَمَـانِ البَرِيء والنّطِفَ [1] والبرّ والفَاجِرَ منهم ومن غيرهم بعد أن أحاطت بهم العساكرُ المنصورةُ والجيوشُ المؤيّدة وتلافيتُ نفْرَةَ النّافر وقبلت فيئة الرّاجع وأقَلْتُ المستقِيلَ طلباً لعظيم ثواب الله الجزيـل . وأنتم ـ معشر أهل بلد كذا ـ داخلون فيما أدخلتهم فيه وصائرون من الأمـان والحفظ والحوطة إلى ما أمرتهم إليه ما قبلتم ذلك، وما أقبلتم عليه، وعرفتم فضل النّعمـة عليكم به [2] . فاسْمَعُوا ، وأطِيعُـوا ، واثبتوا ، وأجِيبُـوا ، واحْمَدُوا ربّكم على ما وهَبَ لكم ودافع عنكم،وكُونُوا في الحقّ أعواناً وعلى إمَاتَةِ الباطل أنصاراً ، تظفَرُوا بحظِّكُمْ ! واشكروا الله على إنْعَامِـه عليكم يُدِمْ لكم ذَلِكُـمْ ويَزِدْكُـمْ ! ولا تكْفُرُوا فيُوقِـعْ باسَهُ بكم فإنّه يقول وهو أصدق القـائلين ـ لئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنّكُمْ ولئن كَفَرْتُم إنّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ـ [3] .

223 ـ وزاد في نسخة هذا الكتاب إلى أهل صِقِلّيّة : « وأنتم ـ مَعشر

---

(1) كذا في ا و ب ، والنّطف ذو العيوب الكثيرة.

(2) ا : بها ؛ ب : نقص .

(3) سورة ابراهيم ، من الآية ، 7 .

أهل جزيرة صِقِلّية ـ أَحَقُّ بما أَوْلَيْتُهُ من المعروف والإحسان وأَزْدَدْتُهُ ، وأولى به وأقرب إليه ، لقرب داركم من دار المُشرِكِينَ وجِهادِكم الكفرة الظّالمين وسوف أَمـلأُ إن شاء اللهُ جزيرتكم خَيْـلًا ورِجالا من المُؤْمِنِينَ الذين يُجاهدون في الله حقَّ جهادة فَيُعِزَّ اللهُ الدِّينَ والمسلمين ويُذِلُّ بهم الشِّرْكَ والمُشركين ، والحَوْلُ والقُوَّةُ لله العظيم ، وهو حَسْبُنَا ونِعْمَ الوكيل . فلما قُـرِئت كـتُبه في البلاد أَمِنَ أهلها واطمأَنّوا وسَكَنُوا [1] وشَكَـرُوا وهـدَأَتْ رَوْعَاتُهُمْ وأَتَوْهُ وُفوداً من كُلِّ بلدٍ يشكرُون له ويُهَنِّئُونَهُ ورَأَوْا من عدلِه ورِفْقِه وحُسن سياستِهِ [2] ما زادهم غبطةً وسروراً به .

XXXV ـ ذِكْرُ مَسِير زيادة الله ووُصُولِه إلى المَشْرِقِ وأخباره إلى أَنْ هَلَكَ .

233 ـ ولَمّا خرج زيادةُ اللهِ من رَقّادَةَ خرج معه وُجُوه رِجالِه وعَبِيدِه وحماتهم [3] مِمَّنْ كان قد حَضَرَ في وَقْتِ خُرُوجِه وتقدّم إليه في الخروج معه ، ولَحِقَ به من لم يكن في الحضرة بعد ذلك مِمَّنْ عُرِفَ به وخاف على نفسه ، ولَحِق به أيضا ابن أبي الأغلب فيمن أنضمّ إليه مِمَّنْ أنهزم معه من

---

(1) ا : كذا ؛ ب : نقص .

(2) ا : كذا ؛ ب : سياسة .

(3) ا : حماتهم ؛ ب : حماته .

مدينة الأُرْبُس فاجتمع معه خلقٌ عظيمٌ. فسار بهم حتّى أتى مدينة طَرابُلْس فدخلها، وقصد دار الإمَارَةِ فنزلها، وافترق رجاله في المدينة. وعامله عليها يومئذٍ ابْنُ قُرْهُب.

234 ـ ولم ير عبد الله بن الصّانع خرج معه فَتَحَقَّقَ عنده ما كان يُرْمَى به من مُكَاتَبَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ. وكان ابنُ الصَّانِع قد وَتَرَ جميع جماعة رجال زيادة الله، وعاداهم، وحسدوه لِقُرْبه منه وغَلَبَتِه[1] على أمرِه. فأَطْبَقُوا باجمعهم عليه وحقّقوا عند زيادة الله مكاتبته لأبي عبد الله، ولم يكن كاتبه إلاّ أنّهم شَنَّعُوا ذلك عليه لِيَقْتُلُوهُ، فلم يَقْبَلْ ذلك منهم فيه، وَأَتَوْهُ برجلٍ مِمَّنْ كان صار إلى أبي عبد الله، فَشَهِدَ عليه بذلك فردّ شهادَته ودفعه إليه فقتله، فَيَئِسُوا من بَغْيِهِ عنده، إلاّ أنّهم كانوا قد انْطَوَوْا على عداوَتِهِ وبِغْضَتِهِ[2]. وكان ذلك سبب تخلُّفِه عن الخروج مع زيادة الله ولأنّه خافهم على نفسه. فلمّا لم يخرج معه أكثروا القولَ فيه عنده وحَقَّقُوهُ، وصَدَّقَهُمْ وندم على تركه إيّاه. وكان عبدُ الله بن الصّانع قد رَكِبَ[3] البحر من سُوسَة في مركب كان له هناك يريد

(1) أ: غلبته؛ ب: غلبت (والتحريف فيه ظاهر).

(2) أ: بعضته؛ ب: بغضه ـ والبغضة: البغض الشديد.

(3) انظر صيغة ما في البيان 149: «وركب عبد الله بن الصائغ في البحر يريد المشرق فألقاه البحر بمدينة إطرابلس، وبها زيادة الله، فأتي اليه به. فقربه وأدناه ... فأمر راشدا الاسود بضرب عنقه فقتله ...»

صقِلّيَة ، فصرَفَتْهُ الرّيحُ إلى طرَابُلس . فبَيْنَا زيادة الله بها إذ حطّ المركب وأرْسَى مراسيه . فنزل ابن الصّانع لمّا عَلِمَ أنّ زيادة الله هناك ، وأتاه ، وأراه أنّه قَصَدَ إليه . فأدخله إليه فأدْنَاهُ ، وقرّبَهُ ، وعاتبَهُ في تخلّفِهِ ، فاعتذر إليه بأنّه كانت معه ثِقْلَةٌ ولم يُطِقْ [1] حَمْلَهَا في البَرّ : فكان ذلك قد أذهب عنه كثيراً مِمّا ظَنَّ بِهِ . فاغْتَمَّ رجالُه لذلك وساءهُمْ تقريبُه إيّاه وأكذبوا قوله وأتَوْهُ ببعض مَنْ في المركب فأخبره أنّه لم يكن يريد إلاّ صِقِلّيَة . فعلم أنّه لم يكن كاتَبَ أبا عبد الله وأنّه لو كان كاتبه لأقام بإفريقيَة ، وعَلِمَ أنّ قَصْدَهُ إلى صِقِلّيَة إنّما كان خوفاً على نفسه من رجاله ورأى تَغَيُّرَهُمْ عليه [2] وعَلِمَ أنّهم لا يَصْلُحون معه له ، وخاف أن يَنْفَتِقَ عليه منهم من أجْلِ ذلك فَتْقٌ ، فانقبض عنه بعض الانقباض ، وقال له : أرَدْتَ أن تُلْقِيَنِي في يَدِ الشّيعِيّ وعَمِلْتَ عَلَيَّ قال : وكيف ذلك يا سيدي؟ قال : ألم تَقُلْ لِي وأشَرْتَ عَلَيَّ يوم أردتُ الخروجَ بالمُقَام وقد انْحَلّتْ عساكري وتفرّق أصحابي ، فما أرَدْتُ إلاّ أن تُوحِلَنِي [3] . قال : معاذ الله ! ما أردتُ إلاّ تسديدَ حالِكَ وأن تَقْفُوَ أثَرَ سَلَفِكَ فقد حُوصِرَ جَدُّكَ زيادة الله بالقصر القديم اثْنَتَيْ عشرة سنة [4]

---

(1) كذا في ب ؛ ا : على حملها .

(2) ب : فيه عليه ؛ ا : فيه .

(3) ا : توحلني ؛ ب : يوحلني .

(4) انظر : 212 .

ثمّ كان الفتحُ له . فلم يَقْبَلْ ذلك منه وأَقصاه وأَبعده . فألحّ عليه فيه مَنْ كان مَعَهُ مِنْ رجاله حتّى خاف أَن يَفْسُدَ أَمرهم عليه من أَجله فأمر به فَقُتِلَ .

235 ـ وأقام زيادةُ الله بِطَرَابلس أيّامًا كثيرةً [1] . وكان أَبو العبّاس أَخو أَبي عبد الله لمّا هَرَبَ من الحَبْسِ تَسَلَّلَ [1] فصار إلى طرابُلس فَلَحِقَه زيادة الله بها . وكان زيادةُ الله لما أُتِيَ به بِرَقّادَة حَبَسَهُ . فلمّا زَحفَ إليه مُدْلِجْ [2] خرج يومئذٍ جماعةُ أهل السّجن . فَاسْتَخْفَى بمدينة القَيْرَوَان ، وطُلِبَ وجُعِلَ عليه الرُّصْدُ ، فخاف إنْ خرج [3] إلى ناحية أَبي عبد الله أنْ يُظْفَرَ بِه . فتسلّل إلى أَن وصل إلى طَرَابُلس . فلمّا وصل إليها زيادةُ الله أخبر بخبره وأُتِيَ به إليه. فقال له : قد أَمْكَنَنا اللهُ منك ، وقَرَّرَهُ هل هو أُخو أَبي عبد الله . فأنكر ذلك وقال : أَصْلَحَ اللهُ الأَميرَ ! إنّما أنا رجلٌ تاجرٌ قدمت من المَشْرِقِ بِبِضَاعَةٍ فبقيت عندك فَأُخِذْتُ واعْتُقِلْتُ وحِيلَ بِيْنِي وبَيْنَ نعْمَتِي ولو كنت

(1 - 1) انظر الكامل 123 : « فلم يزل سائرا حتى وصل طرابلس فدخلها فأقام بها تسعة عشر يوما ورأى بها أبا العباس أخا أبي عبد الله الشيعي وكان محبوسا بالقيروان حبسه زيادة الله فهرب الى طرابس. فلما رآه أحضره... »

(2) مدلج بن زكريا الذي إنتفض بالجيش على زيادة الله ، انظر : 187

(3) ب : ان خرج ، ا : ان يخرج .

من الرّجل ٱلّذي نُسِبْتُ إليه بسبيلٍ لكنتُ قصدتُ إليه وسِرْتُ نَحْوَهُ ، ولكن لَمّا تَخَلَّصْتُ [1] من السِّجن قصدتُ إلى بلدي . قال له : فإذا كان هذا هكذا فَسِرْ مَعَنَا حتّى نوصلَك إلى بَلَدِكَ ونعرف صِدْقَ ما قلت وما قيل فيك من كذبه . قال : أعزَّ اللهُ الأميرَ ! إنّك قد وَسَمْتَنِي بهذه الوَسْمَةِ ونُسِبْتُ عندك إلى ما نُسِبْتُ إليه ، وأنت تصل إلى موضع يحكُم فيه غيرُك فأخاف أن أُوخَذَ فأُحبَسَ فأَهْلَكَ دون أن يتبيّن أمري وأمرُ المشرق بعيدٌ وبلدي مُنْقَطِعٌ ، فاتّقِ الله فِيَّ ولا تُعَرِّضْ بِي إلى الهلاكِ فقال له : لايخلو أمرُك من أن يكون كما قيل فيك أو كما قُلت ونحن نُبْقِيك فإن كان الأمرُ على ما قيل فيك كُنْتَ لِلصَّنِيعَةِ مَوْضِعًا فَسَتَحْفَظُنَا فِيمَنْ خلَّفْنَاه وإن كُنتَ كما قلت لم نَتَعَرَّض لإثمِكَ . وخلّى سبيلَه [2] .

236 ـ وكان المهديُّ (ع م) قد أمر بمن خلّفه من الحَرَمِ والخدم أن يأتوه.فأتى بهم شَيْخٌ من ثِقَاتِهِ وأوليائه يقال له : أَبُو جَعْفَرٍ الخَزَرِي [3]

---

(1) ا : تخلصت ؛ ب : تخلص (وفيه تحريف بسقوط التاء) .

(2) اختصر هذا في الكامل 124 : « انا أطلقك فان كنت صادقا في أنك تاجر فلا نأثم فيك وان كنت كاذبا وانت اخو ابي عبد الله فليكن للصنيعة عندك موضع تحفظنا فيمن خلفناه وأطلقه » .

(3) ا : ابو جعفر الخزري ؛ ب : ابو جعفر الخدري ؛ البيان 150 : الخزري (والجزري في نسخة أخرى منه) و 159 :الخزرى؛ سيرة جعفر 111 و 132 : الجزرى ؛ ابن حماد 9 : « وبأمّ أبي عبيد الله وكانت هناك مع الحوازن (كذا والصواب : الخزرى) » .

فوَافَى أيْضاً زيـاة الله بطرَابُلْس وهم معه وكان يجتمع مـع أبي العبّاس قَبْلَ قُدوم زيادة الله وبعد قُدومه بالمسجد الجـامع فيتـناظران في العـلم بحضرة أهل المسجدِ ويُظـهِر كلٌّ واحـدٍ منهما خِلاف صاحبـه والطَّعنَ عليه بالبَراءةِ منه ويُكَفِّرُه فلم يكن يُظَنُّ بالجَزَري مِمّا هو عليه، ولا أنَّـه إليه . ودخل زِيادة الله ، وسلَّم عليه وكان يُظهِرُ الغمَّ به والتَّوجُّـعَ لأمره . وخرج زيادة الله يوم خرج من مدينـــة طَرَابُـلْس فمشى تحت ركابِه وهـو يبكي ويَسيلُ دمـوعَه على لِحْيَتِهِ ، ويقولُ : لمن خلَّفتنا يا سَيِّدَ العرب !! وزيادةُ الله يُسْمِعُهُ خيراً ويُقْبِـلُ عليه . فقيل له بعد ذلك قـد يكون الكلام تَصَنُّـعاً فمـن أيْنَ كانت لك الدّمـوعُ وكيف تهيّـأ لك البكاء ؟ قال والله إنْ كان ذلك إلاّ غمّـا بخلاصِه ونجاتِه .

237 ـ ولّما [(1)] خرج زيادةُ الله من مدينـــة طَرَابُلْس مشى معه شيوخُها ووُجوهُها . فلمّا خرج من باب المدينةِ صَرَفَـهُمْ وقال أغلِقـوا بابَ مدينتكم على أنفسكم ولا تفتَحوها لأحـدٍ إنْ رجع من ورائِي إليكم ، وسار . فلمّا أبعد بَدَا له في أمر أبِي العبّاس فَـرَدَّ ابن قُرْهُب في طلبـه لِيأْتِيَهُ به . فاتى ابن قُرْهُب مدينةَ طرابلس . وهو كان عاملها فلم يفتَحوا له، وقالوا قد أمرنا الأمير أنْ لا نفتحَ لأحدٍ قال : فَأخْـرجُوا لِي الرَّجل

---

(1) ا : لما ، ب : لا . (وفيه تحريف كما في كلمات كثيرة من الجمـل السابقة) .

قـالوا : ما نعرف أين هو . فَلَمَّا يئـس منهم مضى فَلَحِـقَ بزيـادة الله ، فأخبره الخبر . فاعرض عنه وسار [1] .

238 ـ وكان زِيادةُ الله قد نَقِمَ على إبراهيم بن أبي الأغلب ما أراده من العَقْدِ بمدينة القيروان واتَّصل به قوله لأهلها فيه . فَاطَّرَحَهُ وأعرض عنه . وكان أبو المُصْعَبِ بن زرارة مائلًا إلى ابن أبي الأغْلَب فـأعرض عنه أيضا زيادةُ الله . واتصل به [2] أنّهما يَقَعَان فيه ويَنَالاَنِ منه ، وسُعِيَ بهما عنده ، وقِيلَ : هذا قولُها فيك وهما معك وفي قبضتك فكيف بهما إنْ وَصَلَا إلى مِصْرَ ؟ سَيَنالاَن [3] منك ويَشْهَرَانِكَ بِسُوءٍ ويَنْسِبَانِ لك كلَّ قبيحٍ . فعزم على قتلهما [4] ، وكان ذلك وقـد قرُب من مِصْر واتّصل بهما الخبرُ ، فَهَـرَبَا في اللّيل إلى الإسكندرية واستجارا بعاملها . فأجارهما وَوَجَّـهَ بهما في الوقت إلى مصْرَ . فدخلاها قبل زيادة الله . وانتهى ذلك إليه ـ وعلم أنّهما سَيَقَعَانِ فيه عند عامل مِصْرَ ـ وكان العامل يومئذ عليها عِيسَى النُّوشَرِي ـ فوصلا إليه فَنَـالاَ من زيادة الله

---

(1) سقط كلّ هذا في صيغة الكامل 123 ـ 124 .

(2) ب : به ؛ ا : نقص .

(3) ا : سينالان ؛ : ب ينالان .

(4) انظر صيغة ما في الكامل 124 : « . . . فأراد قتله وقتل رجل آخر كان قد عرضا أنفسهما على ولاية القيروان . . . »

عنده وأخبراه بسُوء حاله و بأنَّ ذلك كان سَبَبَ زواله من إفْرِيقْيَة و أنّه يُمَنِّي نَفْسَهُ بِمِصْرَ .

239 ـ فوقع ذلك من النُّوشَرِي مَوْقِعاً وعَزَمَ على أنْ يَحُولَ بينه وبين الدُّخول إلى مصر إلى أنْ يَكْتُبَ فيه إلى بغداد ويَأْتِيَ جوابُه . وكان زيادة الله قد بعث إلى من كاتبه بِمِصْرَ سرًّا يُستخبِر حال ابن أبي الأغلب وأبي المُصْعَب فجاءه الخبرُ بما كان منهما وما عزم عليه النُّوشَري من منعه دخول مصر فأرسل ابن القديم [1] بكتاب إلى النُّوشَري يُجِلُّهُ فيه ويسأله النَّظر في دار ينزل بها ويُخبره أنَّه مقيم إلى أنْ ينصرفَ إليه رسُوله فلمّا أَنفذَ ابن القديم بالكتاب سار في إثره . فوصل ابنُ القَديم في آخر النّهار . فلمّا قرأ النُّوشَري الكتاب رأى أنَّهُ يستقيم حتّى يرجع إليه رسولُه وعزم على أن يُرسل من غدٍ إليه بالْمُقام ويخبره أنّه لا يمكنه إدخاله إلّا عن أمر يأْتيه [2].

240 ـ فلمَّا كانْ في [3] آخِر اللَّيل ، وافى زيادةُ الله الجسرَ ، فقام في

---

(1) البيان 159 و 167 : أبو القاسم عبد الله بن محمد المعروف بابن القديم ، سيرة جعفر 132 : عبد الله بن القديم .

(2) في الكامل 124 : « ... وأراد منعه من دخول مصر الا بأمر الخليفة من بغداد ... »

(3) أ : في ؛ ب : من .

وجهِهِ الحرسُ ، فَحَمَلَ عليهم فكشفهم عن الجِسْرِ ودخل الجزيرةَ [1] بجميع عسكره ، وقامتْ الصّيحة بالجزيرة ، فَقُطِعَ دونه الجسرُ الثّاني واتّصل الخبر بالنُّوشَري ، فتغيَّر على ابن القديم فحَلَفَ له ما عنده علمٌ من ذلك ولا فارقَه إلّا على المُقَامِ إلى أنْ يَرِدَ إليه بكتابه . فاصبح الصُّبح وزيادةُ الله قائمٌ بعسكره على الجسر الثّاني وقد قُطِعَ دُونَهُ [2]. واجتمع النُّوشَري مع أبي العبَّاس بن بِسْطَام صاحِبِ خَرَاج مصر يومئذٍ،فشاوره فيما يعمل فقال له ابنُ بِسطام : هذا رجل قد غلب على الجزيرة ، وصار فيها ، ومعه عسكرٌ ضخمٌ ، وإنْ بَايَنْتَهُ حَارَبَكَ منها وصرتَ معه محصوراً وحازَ الجزيرةَ [2] دُونَك،ولكن أنا أتلطَّف لك في هذا. فركب قَارَباً وأتى زيادة الله فعاتبه فيما صَنَعَ وقال بينما أنت تَبْغِي رِضاء أمير المؤمنين عنك ونُصرته إيّاك إلى أن أخذت تتغلَّب على أطرافه ويَتَّصلُ به مِثْلُ هذا عنك ! وأرَاهُ في ذلك النَّصيحةَ أنّه قد صرف عنه النُّوشَري

---

(1) كذا في ا و ب ؛ الكامل 124 : « ... فوصل زيادة الله ليلا وعبر الجسر الى الجيزة قهرا ... » .

(2 - 2) انظر صيغة ما في ولاة 286 : « فأقبل الى مصر ، فنزل الجيزة في شهر رمضان سنة ستّ وتسعين ومئتين ومنعه النوشري من العبور الى الفسطاط إلاّ أن يعبر وحده، وكانت بينه وبين أصحاب النوشري مناوشة بالجيزة على الجسر ثم أذن له ، فدخل الفسطاط ليلا » .

فاعتذر زيادةُ الله إليه وقال : ما كان ذلك شيئاً قصدتُه ولكن قمْتُ من الموضع ليلاً لِأَقْرُبَ من المدينة ويكون دخولي أوّلَ النّهار فسبقتني مقدّمة العسكر فكان من أمرهم ما قد كان فانصرف عنه إلى أنْ يُصْلِحَ له ذلك وأنزل عامّة رجاله بالجزيرة وردَّ الجِسْرُ ، وأُدْخِلَ [1] ، فأنزل في دارِ ابن الجصّاصِ [2] . وَافْتَرَقَ رجالُه بِمِصْرَ فنزلُوا بنواحيها .

241 ـ ثُمَّ خرج منها بعد مُقَامِ ثمانية أيّام يُرِيدُ بغداد [3] . فتخلّف عنه عامّةُ مَنْ كان معه. فلمّا انتهى إلى [4] الرّملة كتب إلى بغداد فيهم فورد الكتابُ إلى النّوشري بإلحاقهم به فأُلحقوا به [5]. وكان معه خِصْيان لهم وَضَاءَةٌ فرَغِب فيهم رجالٌ من رجالِ بَنِي العبّاس وسألوه بَيْعَهُمْ منهم ، فامتنع

---

(1) ا : ادخل ؛ ب : دخل .

(2) في ا و ب : الحصاص ؛ والصواب : الجصاص ، كما في الكامل 124 ، والنويري 446 .

(3) انظر صيغة الكامل 124 : « . . . ونزل أصحابه في مواضع كثيرة فأقام ثمانية أيام ورحل يريد بغداد . . . »

(4) في ا و ب : انتهى الرملة ؛ والصواب : الى الرملة .

(5) في الكامل 124 : « . . . فهرب عنه بعض أصحابه وفيهم غلام له وأخذ منه مائة الف دينار فأقام عند النوشري ، وأرسل النوشري الى الخليفة – وهو المقتدر بالله – يعرفه حال زيادة الله وحال من تخلّف عنه بمصر فامره برد من تخلّف عنه إليه مع المال ففعل . . . »

من ذلك، ووصل إلى الرقّة، فكتب فيه أولئك الذين امتنع عليهم من بَيْعِ الخَدَمِ منهم فالزم الرقّة ولم يُؤْذن له في الوصول إلى بغداد [1] فأقام بها وتَخَلّلَ عنه رجاله وتفرّقوا وأدْمَنَ شُرب الخمرِ وارتكاب [2] الملاهي فَدَسّوا عليه محتسبا احتسب عليه عند قاضي الرقّة في أولئك الخدم الذين سُئِلُوا منه، وشَهِدُوا عليه أنّه يَفْجُرُ بهم فباعهم عليه قاضي الرقّة واتّضَعَتْ أحوَالُهُ • وكان ابنُ القَدِيمِ قَيِّمَهُ على أمواله وصاحب نَفقاتِه فاقتعد بأموالٍ كثيرةٍ له وانتزَعَ منه وتَنَحّى عنه • وطالبه بما اقْتَعَدَ به فلجأ ابن القديم إلى من مَنَعَهُ منه، وقال: إنْ يَكُنْ له عليه حقٌّ فَيُخَاصِمْهُ إلى القَاضي • فاقام بالرّقة مدّة يتلطّفُ في الوصول إلى بغداد فلم يمكنه ذلك وسَعَى قَومٌ به، وَاحْتَالُوا في صرفه وقِيلَ: يُرَدُّ إلى المغرب فَيَطْلُب بِثَأْرِ نفسه ويقوم على مَنْ قام عليه. فَكُتِبَ له بذلك وصُرِفَ. وأُمِرَ النُّوشَري وابنُ بِسْطام بتقويته بالرّجال والأموال [3] •

---

(1) في الكامل 124 : « . . . وكتب الى الوزير – وهو ابن الفرات – يسأله في الاذن له لدخول بغداد فأمره بالتوقف فبقي على ذلك سنة ... »

(2) في ا و ب على الملاهي والصواب بدون على .

(3) انظر صيغة الكامل 124 وصيغة النويري 445-446 ، وبينهما وبين صيغة الافتتاح شبه كثير ، إلا ان رواية النويري اكثر شبها بها فكأنّه نقل مباشرة عن النعمان ، والارجح انه نسخ « الرقيق او » ابن شداد » ، انظر ما كتبنا في هذا الموضوع في المقدمة باللغة الفرنسية .

242 ـ فلمّا وصل إلى مِصْرَ أخرجه النُّوشَرِي إلى ذاتِ الحُمَامِ. وقال له : تكون مُبْرَزاً حتّى يأتيك الأَموال والرِّجال وأخرج له رِجالاً من عنده. فَاْجْتَمَعَ إليه مِمَّنْ كان قد قَدِمَ معه من أهل إفْرِيقْيَة جماعةٌ . وجعل النُّوشَرِي يَمْطُلُه بالأموال ويُسَوِّفُه بالرِّجال ويُتْحِفُه بالتُّحَفِ ويُرسلُ إليه الهَدَايَا ويَحْمِلُ إليه أحمال الخمر . فَعَكَفَ عليها وأدمن شُربها وأنفق ما كان معه إلى أن فَرَغَ من يَدَيْهِ، وتَخَلَّلَ عنه مَنْ قَدِمَ مِنَ الرِّجال إليه. وكتب النُّوشَرِيُّ إلى بغداد بسوءِ حاله وتَهَتُّكِهِ فكتب إليه أنْ يَصْرِفَهُ . فلم يأت الجوابُ بذلك حتَّى باع أكثر ما كان معه وأنفقه . وكان في حين قدومه من الرَّقَّة قد قدم بهيأة وعُدَّةٍ وشقَّ مِصْرَ وتقلَّد بسيفين وأظهر ما كان بقي معه من السِّلاح والعُدَّة . فباع ذلك كلَّه في مُقامه بِذَاتِ الحُمَامِ ، وآعتلَّ عِلَّةً قيل انَّها من سُمٍّ دُسَّ إليه فَأُسْقِيَهُ . هَزِلَ [1] لها بدنُه وتساقط أكثرُ شَعَرِ رَأْسِهِ ولحيته . وانصرف إلى مِصْرَ . وخرج منها إلى بيت المَقْدِسِ [2] فمات بها .

---

(1) أ : رهل ؛ ب : دهل ، والارجح : هزل.

(2) كذا في أ و ب ؛ الكامل 124 : « . . . وقصد البيت المقدس فتوفي بالرملة ودفن بها ؛ البيان 167 : وفيها (اي سنة 299) مات زيادة الله (بن عبد الله بن ابراهيم بن احمد بن الاغلب) الهارب (من افريقية) الى مصر ، (ودفن بيت المقدس) . أمّا في 173 ، فرواية أخرى : وفي سنة 303 (مات زيادة الله بن عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب بالرملة . . .)

فَيُقَالُ إِنَّه لَمّا دُفِنَ انهار به لَحْدُهُ : وذلك أنّه وافق مكان مِرْحاضٍ قديمٍ فسقط به، فلم يمكن إخراجه فترك كذلك ودُفِنَ .

XXXVI ـ ذكرُ انْصِرَافِ أَبِي عبد الله إلى سجلماسة وخروجِ المَهْدِيِّ بالله (ع م) منها .

243 ـ ولَمّا استقرَّ أمرُ أبي عبد الله برقّادة أتـــاهُ [1] أخوه محمّد أبو العبّاس بن أحمد فسَرَّ أبا عبد الله قدومه . وكان محمّد أسَنَّ منه وأنفذ وأحدَّ ذهناً وأكثر تَفَنُّناً في العلوم وأسبقَ منه سابقةً ، وأبو عبد الله أرجح وَزْناً وأوْرَع من أبي العبّاس . وكان أبو عبد الله يُعَظِّمُهُ وإذا دخل عليه قام إليه على قَدَمَيْهِ ومكث قائماً حتّى يأْذنَ له في الجلوسِ وإذا دخل هو عليه قَبَّلَ يده ووقف حتى يأْمُرَهُ فَيَجْلِسَ . فلمّا وصل أبو العبّاس أتاه شيوخُ أهل القيروان فسلّموا عليه وهنّؤوا أبا عبد الله بقدومه . وَرَأَوْا تعظيمه له ، فَعَظُمَ في أعينهم ، وانتصب يَدْعو النّاس وجمع فقهاء أهل القيروان فناظرهم في الإمامة وفيما خالفوا فيه أهل

---

(1) ا : اتاه ؛ ب : واتاه . البيان 150 وابن حماد 9 : وبعث ابو عبد الله (ووجه) الى طرابلس فاتى منها بأخيه ابي العباس المخطوم وكان بها محبوسا . . . ، الكامل 133 واتعاظ : 88 : . . . أتاه أخوه أبو العباس محمد (احمد) المخطوم ففرح به . . . . العبر 36 : وأطلق أخاه أبا العباس من الاعتقال .

البيت (عم) مِنْ عِلْمِ الفُتْيَا . فَقَطَعَهُمْ في ذلــك وعَجِبُـوا من نَفَاذِهِ [1] . وأخذ أبو عبد الله في هيأة الخروج إلى سِجِلْمَاسة فلمّا تهيّأت أُمورُه وفرغَ من حوائجه كتب كتاباً جعله نُسَخاً وبعث كُلَّ نسخة منه إلى كُلِّ منبر بإفْرِيقيَة فَقُرِئَتْ عليه .

244 ـ وكانت [2] نسخةُ ما فيها : أمَّا بعد [3] فإنّ الله ـ وله الحمد ـ قد شرَّفَ منزلةَ العدلِ وأعْلَى قَدْرَهُ ، وأسْنَى ذِكْرَهُ ، واختاره لنفسه ، وَرَضِيَهُ وصيَّره ذريعةً إلى الهُدَى وسبباً إلى التَّقوى وأقامه ميزاناً بين خلقه ، وجَعَلَ به صلاحاً لكلِّ شيء ونظامَه وقوامَهُ وتمامه ، فكان من عدلِه أنّه أوجب الثّواب لمن أطاعه والعقابَ لمن عصاه ، ولم يُوجِبْ لِلْمُسِيءِ ثوابَ المحسنِ ، ولا للمحسنِ عقابَ المسيءِ ، بل جازى كلَّ ساعٍ على قدْر سعيه وأعطى كُلَّ عاملٍ أجر عمله ، عدلاً منه كما قال (جلّ ثناؤه) في مُحْكَمِ كتابه ـ الذي « لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ

---

(1) انظر ما ينافي هذا في مناظرته لابي عثمان سعيد بن محمد الحداد في طبقات 168 - 210 (لا سيما 210 : فلما سمعت كلام رجل يباهت العيان ويزول عن الحق رايت الصواب في الاعراض عن معارضته ... وجعل يدخل عليّ كثرة الاستفهام وكثرة التكرار بلا حجة حاسمة ولا برهان مبين ...)

(2) ب : كانت ، ا : كان .

(3) ا : كذا ؛ ب : وكانت نسخة بسم الله الرحمن الرحيم ما فيها اما بعد ـ وتقديم « ما فيها » أصوب .

ولاَ مِنْ خَلْفِهِ» [1] «وأَنْ لَيسَ لِلإنْسَانِ إلَّا مَا سَعَى» «وأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى» «ثُمَّ يُجْزَ لَهُ الجَزَاءَ الأَوْفَى» [2] وأَوْجبَ إظهار منهاج الحقّ وإبطال سُنَنِ الجَوْرِ والغَشَمِ على مَنْ مكَّنه الله في بلادِهِ وعبادِهِ، ومَنَحَهُ ما مَنَحَنِي من النُّصرة والتَّأييد والعـزِّ والتَّمكين على أعدائه وأعداء رسول اللهِ (صلى الله عليه وعلى آله) حتّى اَنقادت إليَّ الأُمور بِأَزْمَتِهَا [3] وسَلِسَتْ أَعِنَّتُهَا .

245 ـ وإنَّ أَوْلَى النّاس بنُصرة الحقِّ والذَّبِّ عنه من فهّمه [4] الله ما فهّمني مِنْ علم كتابه ومواقع وَعْدِهِ ووَعِيدِهِ [5] وعَلِمَ أَنَّهُ مسؤُولٌ عن رعيّته ومأمور بالعَـدْلِ فيها والإحْسَانِ إليهـا، قال الله (تكَ وتـع) : «إنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ والإحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى ويَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ والبَغْيِ يَعِظُكُمْ لعلّكُمْ تَذَكَّرُونَ [6]» فجعل (تبارك وتعالى) الحُكْمَ بالعـدلِ أَمْراً عامًّا دَخل فيـه الشَّريـفُ والوضيـعُ والصَّغيرُ

---

(1) سورة فصّلت : جزء من الآية : 41 .

(2) سورة النّجم ، الآيات : 39 , 40 , 41 .

(3) أزمة الامور : شدّتها وضيقها .

(4) أ : فهمه ؛ ب : فهم .

(5) ب : ووعيده ؛ أ : ووعيد .

(6) سورة النّحل : الآية : 90 .

والكبيرُ . ثُمّ دلَّ رسولُه (صلعم) أُمّتَهُ على الشيئَيْنِ المُنجِيَيْنِ من الضَّلال والهَادِيَيْنِ إلى الرّشاد وأمر (صلى الله عليه وآله) أُمّتَهُ بالتَّمَسُّكِ بهما فقال: « إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ ما أن تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ البَيْتِ[1] » فَمَنْ تَعَلَّقَ بكتاب الله وعمل به وتصرّف مع أوامره وزواجره فقد تعلّق بالحُجّة العُظمى ومن تمسَّك بسنَّة رسول (صلعم) وسيرة أهل بيته وسَلَكَ سبيلهم فقد آستمسك

---

(1) هذا « حديث الثّقلين » الذي يختلف في روايته أهل السنة والشيعة : هل الثقل الثاني هو « العترة » كما تقول الشيعة أو « السنة » كما يقول أهل السنة؟ انظر، فصل « أهل البيت في : 6-265 E-1 ـ انظر في الازهار 215-217 رواية الشيعة لحجة الوداع ، لا سيّما في 216 : « ايّها الناس ، ان الله عز وجلّ لم يبعث نبيا الا عاش نصف ما عاش الذي قبله. واني اوشك ان أدعى فأجيب. واني تارك فيكم الثقلين بعدي ما ان تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي اهل بيتي ، فانّهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض كهاتين ، » وضم اصبعيه المسبحتين من يديه ، « ولا اقول كهاتين » ، وضم اصبعيه المسبحة والوسطى من يده اليمنى لان احداهما تسبق الاخرى . ثم اخذ بيد عليّ عليه السلام واقامه ورفع يده بيده . . . . » ــ انظر ايضا رواية أهل السنة لحجة الوداع في ابن هشام ج 4، 276 : « . . . وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلّوا أبدا أمرا بيّنا كتاب الله وسنّة نبيّه . . . » عند الجاحظ ج 2، 29 : . . . فاني قد تركت فيكم ما ان أخذتم به لم تضلّوا بعده : كتاب الله . »

بالعُرْوَةِ الوُثْقَى [1] » وقَادَاهُ معا إلى النَّجاة ووَقَفا به على مَحَجَّة الحق الَّذي أمر اللهُ به دَاوُودَ (ع م) أن يحكم به فقال : « يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ ولا تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ [2] » . فامر نبيَّه داوُود (ع م) بالحكم بالحقّ الَّذي هو أزْكَى الأعمالِ وأشرفُ الذَّخائر وأرْجحُ كُلِّ موزونٍ وأفضلُ مخزونٍ لديه . ثُمَّ أخبر رسول الله (صلعم) بمنازل أهل العدلِ والحقّ في الآخرة فقال : المُقْسِطُونَ على مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَوْمَ القِيَامَةِ » .

246 ـ وقد عَلِمَ الله ـ وكَفَى به مُسْتَشْهدًا وعليمًا ـ أنَّ نيَّتي وطَوِيَّتي وإرادتي إقامةُ العدلِ في الرَّعيَّة والإحسانُ إليها والرِّفقُ بها، وإنْ تَكَأَّدَ [3] إظهارُ ذلك وحملُه باضطرابِ الحيل وانتقالِ الأمر وجنايات فَرَطَتْ من السُّفهاء و الغوغاء فلم استجزْ [4] في ذلك كلّه وإنْ عَظُمَ موقع

---

(1) اقتباس من سورة البقرة : الآية 256 : « لا إكراه في الدِّين قد تَبيَّنَ الرُّشدُ من الغيّ فمن يكفر بالطاغوت ويُؤمنْ بالله فقد استمسكَ بالعُروَةِ الوُثقى لا انفصامَ لها والله سميعٌ عليمٌ » .

(2) سورة ص : الآية : 26 .

(3) تكأَّد الامر : شَقَّ .

(4) ا : استجز ؛ ب : يستجز

فعلهم مِنّي لا آخُذُ [1] البَرِيءَ بالنَّطِفِ ولا الحلِيمَ بالسَّفيه لقول الله (تبك تع) «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» [2] فلا تستكثروا ـ رحمكم الله ـ ما تكأَّدَ من ذلك فإنّ لكلّ بادرةٍ وهنةً ولكلّ سائلةٍ قرارةً ولكلّ داخلٍ دهشةً ولكلّ موقِدِ نارٍ دخانًا ولكلّ هدمٍ غباراً ، ثمّ تَسْكُنُ الأُمورُ وتستقرُّ في قرارِها وتثبتُ في نِظامها. ولاَ تَسْتَوْحِشُوا من سرعةِ خُروجِي مِنْ بلدكم وأنْقِشَاعِي عنكم فإنّي إنّما آثرتُ تركَ الدَّعة والسَّعة وهجرتُ مِهاد الخفضِ ورفاهةَ العيشِ ابتغاء ثوابِ الله وطَلَبَ الزُّلفَى لَدَيْهِ ، ثُمَّ لَمَّ شَعَثِكُمْ وَضَمَّ نَشَرِكُم يَعود نَفعه عليكم في يومِكم وغدِكمْ وعاجلِكم وآجلكم. فاسكنوا إلى ذلك واطْمَئِنّوا إليه وكونوا على إحياءِ الحقِّ أنصاراً وعلى إِمَاتَةِ الباطل أعوَاناً. فأنا أرجو من الله أن يُبْلِغَنِي إظْهَار العَدْلِ وإِحْيَاءَ الحقِّ إلى غايةٍ يَشرَبُ لها الذِّئبُ والشَّاةُ من منهلٍ ويجتمعُ العدوُّ مع عدوِّه في منزلٍ رِضًى بالحقِّ واصطلاحاً عليه ويَسْلُكُ السَّفْرُ والسَّيَّارَةُ بلا خفيرٍ ولا سفيرٍ [3] مِنْ لَدُنِ أرض مِصْرَ إلى أقْصَى البَحْرِ إنْ شاءَ اللهُ (تع).

---

(1) في ا و ب : لاخذ : والصواب : لا آخذ .

(2) انظر : 231 .

(3) انظر في سيرة جعفر : 117 - 118 ، خبر المزيّن القيرواني الذي شهد لدى المهدي عما رآه من استقامة الاحوال واستتباب الامن بسطيف بعد أن فتحها الداعي .

247 ـ وقد أَمَرْتُ تَمّامَ بْنَ مُعَارِكٍ بالرِّفقِ بالرَّعِيَّةِ والإحسان إليها وإفَاضَةِ العَدْلِ والعُرْفِ فيها وقَبْضِ يد الجور وإزالة الغَشَمِ منها وإنفاذِ نسخة كتابي هذا إلى جميع العُمَّالِ في جميع أعمال إفريقية لِيأْتَمُّوا به ويَنْتَهُوا إلى أمري فيه ويَقِفُوا عنده ولا يَتَجَاوَزُوهُ إن شاء الله. والسّلام»

248 ـ واسْتَخْلَفَ على إفْرِيقْيَة أبا زَاكِي تَمَّام بن مُعَارِكٍ وقام[1] معه أخوه أبو العبّاس • وخرج أبُو عَبْد اللهِ في عامّة عسكره وسائر أهل الحرب من رجال إفْرِيقْيَة وأَقَامَ مع أبي زاكي روابط وفي سائر البلدان

(1) ب : وقام ؛ أ : واقام ؛ الكامل 133 : واستخلف على إفريقية أخاه أبا العباس وأبا زاكي اتعاظ 89 : وقد استخلف أخاه أبا العباس على إفريقية ، العبر 36 : واستخلف على إفريقية أخاه أبا العباس وترك معه أبا زاكي تمّام بن معارك الالجابي (كذا ، وهو خطأ ، والصواب : الأجّاني نسبة الى أجّانة) ، البيان 152 : ... فلما كمل ... استخلف على إفريقية اخاه ابا العباس ، وابا زاكي تمّام بن معارك (الاجّاني) . ابن حماد 9 : واستخلف على إفريقية اخاه ابارك (كذا ، وفيه تحريف ظاهر) تمام بن معارك ؛ سيرة جعفر 123 : واستخلف على إفريقية ابا زاكي تمام بن معارك الاسجاني النّائلي • ومحمد بن احمد بن زكرياء أبا العباس أخاه ـ يستنتج من هذه المقارنات ان الامر بإفريقية كان مشتركا بين ابي زاكي وابي العباس بعد ذهاب الداعي الى سجلماسة ، وقد ذُكِرَ ابو العباس في طبقات بما يدل على ان ابا العباس كان له نصيب من الحكم ـ وان كان ابو زاكي هو خليفة الداعي الرسمي انظر طبقات 208 : « ثم قلت اعزّ الله الامير ، 209 : نعم ايها الامير ، 210 : اعز الله السيد ،

كـذلك . وخـرج إلى سِجِلْمَاسَـة في شَهْرِ رمضان سنـة سِتٍّ وتِسْعِينَ ومائَتَيْن [1] ، فأَخذَ الجَادَّةَ ولم يَعْدِلْ إلى كُتامة . واهتزَّ المغرب لخروجه وارتفعت القبائلُ وزالت عن طريقه وخافت زَنَاتَة أن يقع بها لما كان تَوَاعَدَهَا به لقتـلِ مَنْ قتلوه مِنْ رجاله. فأتاه مُحَمَّدُ بنُ خَزَرَ وهو يومئذ أميرُ زَنَاتَة كُلِّهَا وقبائلِ البربر بأَسْرِهَا ، فوافاه بطُبْنَة يسألُهُ الأمَان مُتَطارِحًا عليـه وملقياً نحـوه بيديه فأمَّنَهُ وقَوَّمَهُ وأَخَـذَ عليه العهدَ ، وٱسْتَحْلَفَهُ أَنْ لا يَفْتِـكَ ولا يغـدر ولا يتعـدَّى على أحدٍ من الأَوليـاء في حياته ولا بعدوفاته و أطْلَقَ سَبِيلَهُ .

249 ـ وسار قَاصِـداً إلى سِجِلْمَاسَة وأوْقَـعَ [2] بقبائل عرضت في طريقه وٱتَّصَلَ به عنها سُوءُ حَـالٍ حَتَّى إذا قَرُبَ من سِجِلْمَاسَة وانتهى خبرُهُ إلى الْيَسَـعِ [3] بنِ مِـدْرَار صاحِبِ أمْرِهَا أَنَّهُ قَصَدَ إلَيْهِ [4].

---

(1) كذا في ا و ب . الكامل 133 : فسار ابو عبد الله في رمضان من السنة من رقادة . اتعاظ 89 : . . . لما دخل شهر رمضان سنة ستّ وتسعين ومائتين ، سار من رقادة . البيان 152 : ثم خرج من رقادة يوم الخميس للنصف (من شهر) رمضان . ابن حماد 9 : ثم توجه . . . في سنة 296 المذكورة .

(2) ب : واوقع . ا : وواقع .

(3) ب : اليسع : ا : يسع .

(4) يفهم من السياق ان الهـاء تعود على اليسع لا على المهدي الذي لم يذكر بعد .

وقد كان زِيادةُ الله كتب إليه بخبر المَهْدِيِّ (ع . م) و صِفَتِه وأَنَّهُ الذي يَدّعو إليه أبو عبد الله فلم يكن في ذلك إليه مكروه ـ فلما قَربَ منه أبو عبد الله أرسل إليه فسأله عن نَسَبِه وحَالِه و هَلْ إليه قَصَدَ أبو عبدالله فاعترف بالنَّسب (ع م) إذلم يَسَعْه إنكَارهُ ، ولَغَزَ لَهُ في ذكر أبي عبد الله ، فقال : مارَأَيْتهُ ولا أَعْرِفهُ ـ وكذلك كان لم يَرَهُ [1]، وقد ذكرنا كيف ابتداء أمرهِ ـ ، وقال له : إنَّما أنا رَجُل تاجرٌ . وذلك أنَّهُ خَافَهُ على نفسه ورأى منه إنكاراً لقدوم أبي عبد الله وأَنَفَةً من دُخولِه بلده . فغَلَّظَ له في القَوْلِ [2] فلزِمَ كَلاَمَهُ الأَوَّل . فأنزل الله (ع وج) له الهيْبَة في قلبه والجلالَة في عينه فلم يمتَحنْه بأكثر مِنْ أنْ جعله في دارٍ وجعل عليه حَرَساً[3] وجعل ابْنَهُ القائِمَ بامر الله (ع م) كذلك في دارٍ أخرى ليُفَرّقَ بينهما ويختبر كلَّ واحدٍ منهما ، وكان قولهما واحداً . وتَعَاظَمَ بأن يَنَالَهُمَا بمكروهٍ لمكانهما من رسول الله (صلعم) الّذي قيل له

---

(1) انظر ما يؤكد هذا في سيرة جعفر : 121 - 122 .

(2) أ : في القـول ؛ ب : بالقول - والافصح : أغلَظَ له في القول أو غلّظ عليه في القول .

(3) انظر صيغة الكامل 133 واتعاظ 89 وما بينهما وبين صيغة الافتتاح من شبه كبير . ـ البيان 153 : وأخرج منها (اي من:سجلماسة) عبيد الله الشيعي وابنه أبا القاسم ، وكانا محبوسين في غرفة عند مَرْيَم بنت مِدْرار .

وأقرَّا به. وخَذَلَهُ الله وحرَمهُ خيرَهما ـ أحوج ما كان إليه وأقربَ ما هو منه! ـ وامْتحَنَ رجالاً[1] كانوا معهما بالعَذاب لِيُقرُّوا عليهما فلم يكن منهم إلاّ ما قالاه. واتّصل الخبر بأبي عبد الله، فعظُم ذلك عليه وكان يقول لمن يدعوه من النّاس: إنَّ المهديَّ[2] سيُظهِرُ اللهُ أمْرَهُ ويُعِزُّ نَصْرَهُ.

250 ـ وأرسل رُسُلًا من الخدم إلى اليَسَعِ بن مِدْرار وكتب إليه كتاباً يُؤَمِّنُه جانبه ويتلطّف له فيه ويذكر أنّه إنَّما قَدِمَ لحاجةٍ ولم يقدم لحربٍ ووعده الجميل من نفسه والبِرَّ والإكرامَ، وأكّد ذلك له، وبالغ فيه فلمّا وصلت الرُّسُلُ بكتابه رَمَى به بعد أن عَلِمَ ما فيه وأمر بقتلهم فقُتِلُوا، واتّصل ذلك بأبي عبد الله، فعَاوَدَهُ ولاَطفَهُ خوفاً من أن يكونَ منه إلى المهديّ (ع م) ما يكْرَهُهُ، وأعْرَضَ له عن ذِكْرِهِ تَقِيَّة عليه، وكان منه آخِراً مِثْلُ ما كان منه أوّلاً ولَجَّ في طُغيانه. فعاوده ثالثةً، فأَصرَّ[3] وتَمادَى على غَيِّه فاستعان بالله وعبَّأ عساكرَه ودنا من المدينة. فخرج إليه اليسعُ بنُ مِدْرار فيمن معه فما لَبِثَ أن اقتحمته

---

(1) امتُحن جعفرُ الحاجبُ وأبو يعقوب القَهْرَمان والطَّيّبُ المعروف بِبُرْكان. أما أبو يعقوب فأقرّ بعد أيّامٍ قليلة. انظر سيرة جعفر 122 - 123.

(2) ا: كذا. ب: صلوات الله عليه.

(3) ا و ب: اصر؛ رايز 45: احر، وهو تحريف.

الخيل في المدينة بعد أن ناوَشَها ساعة ، وقتلوا من أصحابه جماعة وكان ذلك قُرْبَ المَساء فاختلط الظَّلَامُ ، ورَجَعَ[1] العسكرُ فنزل حيث كان .

251 ـ فلمّا [2] جَنَّ اللّيلُ هَرِبَ ابنُ مِدْرَار في بني عمّه وأهل بيته وبَاتَ أبو عبد الله ومَنْ مَعَهُ تلك اللّيلة في غَمٍّ عظيمٍ لا يعلمون ما صَنَعَ بالمهديّ (ع م) ولم يمكنهم دخول المدينة في اللّيل ، ولم يَعْلَمُوا بهرب الفَاسِقِ حتّى أصبحوا . فخرج إليهم وُجوهُ أهل المدينة فأعلموهم بذلك ودخلوا معهم إلى المكان الذي كان فيه المهديّ (ع م) فاستخرجوه واستخرجوا القائمَ فكانتْ في النّاسِ مَسَرّةٌ عظيمةٌ استَفَزّتْهُمْ وكادت تطيشُ لها عقولُهم . وقُرِّبَ لهما (ع م) فَرَسَانِ فركباهما ، وحفّ المؤمنون بهما والدُّعاة يمشون حولهما . وأبو عبد الله يمشي بين يدي الإمَامِ ويقول : « هذا مولاي ومولاكم أيّها المؤمنون [3] » ! ويَحْمَدُ الله (ع ج)

---

(1) ا : العسكر ؛ ب : العساكر .

(2) انظر صيغة سيرة جعفر 125 - 131 فهي أدق وأكثر تفصيلا من صيغة الافتتاح .

(3) في الكامل 133 واتعاظ 90 : وأبو عبد الله يقول للناس : « هذا مولاكم وهو يبكي من شدة الفرح .... البيان 153 : هذا هو مولاي ومولاكم ! قد انجز الله وعلاه وأعطاه حقه وأظهر أمره !»؛ العبر 36 : وهو يبكي من الفرح ويقول هذا مولاكم .. هذه المقارنات تؤكد ان صيغة الافتتاح هي الاصل وانها اختصرت لاسيما في الكامل واتعاظ .

ويَشكُرُه ويبكي من شدّة الفَرَح حتّى وصل الإمام الى فَازَة[1] قد فُرِشت له فَدَخلَ ، وأمر بطلب اليَسَع بن مِدْرَار فخرجت العساكرُ في طلبه وأقام (صلوات الله عليه) الى أنْ راح النَّهارُ فخرج إلى المؤمنين، وفُرِشَ له أَمامَ الفَازَةِ [1] وحفّوا به يَسْمَعُونَ قوله ، ويَبْكون ، ويَحْمَدون الله على ما بلَّغَهم [2] أيّاهُ من رُؤْيته [3] وهو في ذلك يُثْنِي عليهم ويَذْكُرُ فَضْلَهم وما أَعَدّ الله لهم من جَزِيل ثَوَابِه[4] ويَعِدُهم بالفضل ويُبَشِّرهم بِدَرَكِ خير الدُّنيا والآخرة إلى أنْ أَذَّنَ المؤذِّنْ بِصَلَاةِ المَغْرِبِ [5] فَقَامَ فَصَلَّى [6] بهم فقَرَأَ في الأُولَى بِفَاتِحَة الكتاب وسورةِ القَدْرِ وفي الثَّانية بفاتحة الكتاب وسورةِ «قُلْ هُوَ الله أَحدٌ» ، وأتمَّ الصَّلَاةَ ودَخل الفَازَةَ وانصرف النَّاس .

(1-1) كذا في ا و ب والبيان 153 : ، الكامل 133 واتعاظ 91 : فسطاط العبر 36 : مخيّم .

(2) انظر صيغة سيرة جعفر 125 - 131 فهي أدق واكثر تفصيلا من صيغة الافتتاح .

(3) كذا في ا و ب ، والتركيب المعروف هو : ما بلغهم الله من رؤيتهم اياه

(4) ا و ب : ثوابه ، رايز 46 : ثراه ، وهو تحريف ثراه .

(5) وهذا اليوم الذي تمّ فيه الفتح وظهور المهدي هو الاحد لسبع خلَوْنَ من ذي الحجة ، انظر البيان 153 واتعاظ 90 .

(6) ا : فصلى ؛ ب : وصلى .

252 ـ وأدْرَكَتِ العساكرُ اليَسَعَ بنَ مِدْرَار ومَنْ هَرَبَ معه من أهل بيته، وأخذوهم وأتَوْا بهم إليه (صلعم). وأمر بضرب اليَسَع بن مِدْرار بالسَّوْط فضرب أربعين سوطاً[1]، وطِيفَ به في العسكر وفي مدِينَةِ سِجِلْمَاسَة، واستصفى أموالَهُ وأموالَ مَنْ أعان عليه وهَرِبَ معه من أهل بيته، وقتَلَهُ بعد ذاك وقَتَلَهُم. وأَمَّنَ سائر النَّاس وأهل البلدان، واستعمل عليهم عاملاً، وأتَتْه القبائلُ من نواحِيه ففعل مثل ذلك فيهم. وأقام بسِجِلْماسة أربعينَ يومًا، ثمّ نَهَضَ بجميع العساكر يريدُ إفْرِيقْيَة. وكانت أخبار أبي عبد الله قد انقطعت على إفريقية وأرْجفُوا به وكَثُرَتْ الأَشانيع عليه. فلم يكن بأَوْشَكَ من أنْ قد قدم عليهم البريدُ بفَتْحِ سِجِلْمَاسَة وبما كان من أمر المهديّ (ع م) وبكتاب من أبي عبد الله نُسْخَةُ ما فيه[2].

259 أَمَّا بَعْدُ فالحَمْدُ لِلّهِ الهَادِي إلى تَوْحِيدِهِ بِآثَارِ صَنْعَتِهِ والدَّاعِي إلى معرفته ببراهينِ حُجّتِهِ الذي سبقت مشيئَتُه وجرى حكمه بإعزاز

---

(1) كذا في ا ؛ ب : فضرب به الكامل 133 : وضرب بالسياط ثمّ قتل : اتعاظ 91 : فضرب بالسياط وقتل، العبر 36 : وجيء به فقتل. ـ انظر سيرة جعفر 131 : كيف شفع فيه القائم بعد أن ضرب بالسياط فعاش اياما ثم مات من جراحه.

(2) ا و ب : فيها.

أوليائه الذين نَصَرُوا دِينَهُ وقاموا بحقّه وإذلال أعدائه الذين أَعْتَدَوْا عليه وكَفَرُوا نِعْمَتَه ، فلم يَنْصِبْ لأوليائه ناصِباً إلّا كان طاعِناً في الدِّين الذي نصروا دِينَهُ[1] وعَدُوًّا للحقّ الّذي أقاموه لأنّهم يقدّمون الحجّة أمام سُيُوفهم والدُّعاء قبل مُنَاجَزَتِهِم والأَناة دون مُعاجلتهم ثِقَةً منهم بأنّ المحجوجَ مَنْ فارق سبيلهم والمضلولَ مَنْ خرج مِنْ جماعتهم ، فالأَنَاةُ تُظهر حقّهم وتكشف بَاطِلَ أعدائهم ، فمن عاد إلى الحقّ تلَقَّوْا بالقبول إنَابَتَهُ ومن أقام على باطِلِهِ نَاجَزُوهُ بعد إقَامَةِ الحُجَّة ولم يجعل الله لِمُصِرٍّ إقالةً ولا لمعانِدٍ مُقيمٍ على الذَّنبِ تَوْبَةً ، بل يُحِلُّ بَأسَهُ ونَقْمَتَهُ به « والله أَشَدُّ بأساً وأشدُّ تَنْكِيلًا [2] » .

254 ـ وقد كنتُ قصدتُ سجلماسة على بعد شُقّتِهَا وتراخِي مزارها ووَعْرِ سبيلِها لأَقْضِيَ حقّ الله (ع و ج) [3] وأُؤَدّيَ فَرِيضَةً من فَرَائِضه وأُظْهِرَ حُجّةً من حُجَجِهِ في أرضه وأَسْتَنْقذ ابن رسول الله [4] من بين أوبَاشٍ و طَغَامٍ طلَباً لرُضوانِه وزُلْفَى لديه . فلمّا دَنَوْتُ منها قدّمت

---

(1) كذا وردت الجملة في ا ؛ ب: في الدين نصروه - والارجح انها هكذا: ... في الدّين الذي نصروه .

(2) سورة النساء ، من الآية 84 .

(3) ا : عزّ وجلّ ؛ ب : جلّ ذكره .

(4) ا : كذا ؛ ب : صلى الله عليه وعلى آله .

الأَمانَ إلى الخائن اليَسَعِ بن مِدْرار كعادتي في البُلدان ونَوَيْتُ أخذحاجتي منها والانصرافَ عنها من غير أنْ أهيج فِتْنَةً أو أثيرَ غبارا . وكتبتُ إليه كتابَ الأخ إلى أخيه أستعظمه فيه وأُؤَمِّنُهُ وأدْعُوهُ إلى عقد الإخاء بيني وبينه في إخراج ابن رسول الله (صلّى الله عليه وعلى آله) رغبةً في الإبقاء عليه وعلى مُوَازِرِيهِ . وحفظاً لِمَا ضَيَّعُوهُ . فمَنَع الخائن جانبه وقطَّبَ حاجِبَهُ وأظهر الأَنَفَةَ من دُخول رُسُلِي عليه وأمر بقتلهم خلافاً منه لِسُنَّةِ رسول الله (صلعم) وما جرت به العاداتُ [1] في جميع المِلَلِ من تَرْكِ العرض بالمكروه لِلرُّسُلِ .

255 ـ ثمّ استظهرتُ الحجّة عليه فأعدتُ رُسُلًا إليه طَمَعاً في إجابته ورُجوعه إلى ما هو أسْلَمُ له وأعْوَدُ عليه . فاعتقل الرُّسُلَ في المَطابِق وثقّلهُمْ بالحديد ، و حَبَسَ ابْنَ [2] رسول الله (صلعم) في أضيق المحابس ووكّل به الحَرَسَ ومنع من إدخال الطّعام إليه فَبَقِيَ ـ بِأبِي هو وأمّي في المَحْبس أيّاماً مواصِلًا للصِّيام لعدم الطّعام [3] . ثمّ اسْتَصْغَر [4] فِعْلَ

(1) ا : العادات ؛ ب : العادات ، كذا) ـ والارجح : العادة .

(2) ا : كذا ؛ ب : وحبس ابن ابن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله .

(3) يظهر من سيرة جعفر 122 و 124 ان اليسع عامل المهدي والقائم معاملة حسنة فلم يعذبهما ولم يمنع عنهما الطعام .

(4) ا : استشفر ، وفي الطرة بازاء الكلمة : استصغر ؛ ب: استشعر ـ وقد يجوز استشعر ، ومعناه : أحس بالشيء بعد الغفلة عنه .

نفسه في حبسه إيّاه في تلك المحابس فنقلَه الى أضيق منه . وتواعده بالقتل طلباً منه لدخلِ [1] رسول الله (صلعم) . فبعث إليه رسلًا أعِدُه الإمساك عن الحرب والانصراف عنه من غير أن أشْرَبَ ماءً من مدينته فكلمّا أزددتُ عليه إلحاحاً في طلبه زاد إلْحَاحاً في الامتناع مِمَّا حاولته منه عُتُوّاً على الله وإصْرَاراً على الكبائر واستكباراً وجهلاً وخساراً « خَسِرَ الدُّنْيَا والآخِرَةَ » « ذلك هو الخُسْرَانُ المُبِينُ » [2] .

256 ـ فلمّا رأيت ما عزَم عليه الخائنُ من محاربة الله (ع و ج) في ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمِل فيه أملاً كاذباً ـ ولله فيه وعــدٌ صادقٌ وظنٌّ فيه ظناً خائباً ، ـ ولله فيـه قضاءٌ نافـذٌ ـ وأبى إلاّ التكسُّع [+] في جهالته والتتابع في ضلالته وآثر إطلاق الحرب من عقالها وإثارة غبارها فهـزَزْتُ أنصار الحقِّ على مُنَاجزَتِهِ فوجدت نِيَّتَهُمْ بالله

---

(1) ب : لدخل ؛ ا : لذخل ـ والدَّخلُ : العيب في النسب والحسب ، والمعنى : لانتسابه الى رسول الله وهو ما يعيبه اليسع بن مدرار على المهدي. ولاشك ان اصرار اليسع كان لانتحال بني مدرار نحلة الصُّفريّة الخوارج . انظر البيان 156 - 157 .

(2) في الآية : خَسِرَ . . . ، سورة الحج ، من الآية 11 ، وفي سورة الزّمر الآية 15 : . . « ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ » .

(+) ا : تكسع اي ذهب في ضلالته .

مستحكمةً وبصائرهم نافــذةً في محاربته فَدَلَفتُ (+) بهم إليه مستنجزاً ما وعد الله أولياءه في أعدائـه وجالتْ جَوْلَةً وعاودتْ كـرَّةً بعد كـرَّةٍ عليهم طَعْنًا بالرِّماح وضرباً بالسُّيوف . ورَشْقاً بالسِّهام . فلمَّا مَسَّ الفَسَقَـةَ أَلَمُ القتـلِ والجراح وأَدَارَتِ الحربُ عليهم رحاها وكلمتهم أنيابُها وعلموا أنْ ليس لهم من الله عاصمٌ ولامن أوليائه مَوْئِل وَلَّوْا منهزمين على أعقابهم. فأخرج الفاسقُ الخـائنُ راغمًا ما كنتُ طلبت منـه راغباً وحجز الظَّـلام بيـننـا وبيـنهم . . ثمّ عاودهم أنصارُ الحـقّ من غَـدٍ فأخرجوهم وتَحَكَّمَ الأَوليـاء في مديـنـتهـم فاضرموا نارَ الحربِ فيها وجَاسُوا ديَارَها [1] ، واتّخذ الخائنُ اللَّيلَ سجفاً فهرب تحت ظلامه على وجهه إلى بلدالسُّودَانِ لا يلـوي على أهـلٍ ولا وَلَدٍ، فمنعت حُرمته وصُنْتُهَا وأسْدَلتُ سترالعافية عليها أحتسـاباً لثواب الله (جلّ ذكره) .

257 ـ ثمّ قفوتُ إثر الخائن بنفسي في طلبه عشرة أيّام حتّى أَمْكَنَ الله منه بلا عقدٍ ولا عهـدٍ فأتيت بـه في وِثَاقٍ إلى وليّ الله ليكون عِظَةً

(×) ا : دلف اي مشى مشيا فـوق الدبيب كما تـدلف الكتيبة نحو الكتيبة . -

(1) ا : ديارها ؛ ب : ديارهم .

لأهل الشِّقَاقِ والنِّفاق وعبرةً للعالمين [1] . والحمدُ لله المعزِّ لدينه والمكرِّم لأهل حقّه الّذي وصل أسباب السّعادة بطاعته وجعل عاجِلَ الفَلَحِ [2] والظّفر وآجِلَ الثّواب والفوز لأوليائه . فإن جادلوا كانت الحُجَّةُ لهم ، وإنْ حاربوا كان النَّصر معهم حمداً قاضياً لحقّه موجبا لمزيده . وأمير المؤمنين وليّ الله وابن رسوله على أفضل ما جرت به عادةُ الله الجميلة عنده في نفسه ، وولده ، وأنصار دولته ، وهو قَادِمٌ على بركة الله وسعادته ونصره وتاييده والسَّلام [3] » .

258 ـ فلمّا وصل كتابه هذا إلى أبي زَاكِي وقَرَأَهُ أَمَرَ به فقُرِئَ على المِنْبَرِ . وسُرَّ الأولياء سُرُوراً عظيماً ، وأبطل الله شَنَاعَاتِ المُشَنِّعين

---

(1) انظر البيان 153 : وهرب منها اليسع (صاحبُها) في جماعة من بني عمه ليلا ، فطلبه (ابو عبد الله) (الشيعي) ، فلم يقدر عليه ؛ و 154 : وفي سنة 297 غدر قوم من البربر يعرفون ببني خالد (باليسع بن مدرار) واستأمنوا به الى ابي عبد الله الشيعي ، فأمّنهم ،(وذلك في مستهلّ المحرّم) وفيها ... و155 - 156 وتوجّه عبيد الله وابو عبد الله نحو افريقية ... وامر عبيد الله بقتل اليسع بن مدرار ، فقتل ، وهو مريض .

(2) أ : الفلح ؛ ب : الفلجَ ، وهو خطأ .

(3) اسلوب هذا الكتاب أمتن من أسلوب الكتاب الذي أمّن به ابو عبدالله أهل افريقية . فلعل الذي كتبه هو أبو اليسر (انظر : 63) الذي صحبه في خروجه الى سجلماسة والذي استكتبه المهدي البيان 152 — 153 و 159 .

وأكذب أقوال المُرْجِفين. وسارت به الأَخبارُ في البُلدان ، وبشّرت [1] بظهور المهدي (عليه السّلام) فسُرَّ بذلك الوَلِيُّ وكُبِتَ العَدُوُّ واستشرف [2] له عامّةُ النّاس وانتظروا قُدومه وتطلّعت أعينُهم إليه .

XXXVII ـ قُدوم المهدي (عليه الصلاة والسلام) من سِجِلْمَاسَة وَوُصولِهِ إلى إفْرِيقيَة.

259 ـ وقدم المهديُّ (ع م) والقائم (ع م) معه (ع م) والمهديُّ يومئذ حين كَمُلَ شبابه [3] لم تَبْدُ به طالعةٌ من الشَّيْبِ ، والقائم حين طرَّ شاربه [3] . وقفل أبو عبد الله معه بجميع العساكر قد سلَّمَ الأَمْرَ لَهُ ، وأوقفَ الدّعاةَ على أنه الإمام الّذي دعا إليه وعرَّفَ جميع المُؤْمِنِينَ به وقال : هذا مَوْلَاي ومولاكم وولِيّ أمركم وإمام هَدْيكُم [4] ومَهْدِيكُمْ المُنْتَظَرُ الذي كنت به أُبَشِّر قد أظهر الله (ع و ج) أمرَه كما وعده وأيّد حِزْبه وجُنْده .

---

(1) ب : وبشرت ؛ ا : ونشرت .

(2) ا : استشرف ؛ ب : واستشرق .

(3 - 3) ا : كذا ؛ ب : نقص من قوله « طالعة » الى قوله « بجميع » أعمال 448 : وكان سنه يوم استقلاله بالامر سبعا وثلاثين سنة وولده ابو القاسم كما (كذا ؛ والصواب : لما) طرّ شاربه ؛ البيان 158 ، ودخل (مدينة) رقادة ، (وعليه ثوب خـزّ أدكنُ ، وعمامة مثله ، وتحته فَرَسٌ وَرْدٌ . وأبو القاسم ابنه خلفه ، عليه ثوبُ خـزٍ خَلُوقيٌّ ، وعمامته مثله ، وتحته فرسٌ أشقر ؛ وأبو عبد الله أمام عُبَيْد الله ، وعليه ثوبٌ توزيٌّ وظِهارةُ كتّان ، وعمامة ، ومنديل إسكندراني ، وتحته فرسٌ كُمَيْتٌ وبيده سبنيّةٌ يمسح بها العرق والغبار عن وجهه ؛ والناس حواليه ...)

(4) ا : هـديكم (كذا) وفي الطرة اصلحت الكلمة هكذا : دهركم ؛ ب : هدايكم ـ والصواب : هديكم .

260 ـ وكان من أوّل ما عاينه الأولياءُ من براهينه ودلائله ما شاهدوه ممّا أراده الله (ع و ج) من إتْمام أمره ، أنّ ٱلله (تبارك و تعالى) حَمَاهُ من عدوّه ، وقَذَفَ الرُّعب له في قلبه وهو في موضع حُكْمِهِ والسّيوف شَاحِذَةٌ [1] عليه وحزبه وأنصاره يقتلون فيه فما ٱستطاع أن يناله بمكْرُوهٍ ولا أن تمتدَّ يدُه بسوء ولقد أشار عليه بعضُ من كان معه بقتله وقال له : « هؤلاء إنّما أتوْا إلَيْهِ فإذا يَئِسُوا منه تَفَرَّقُوا ، وقَتْلُكَ إيّاه يكذّب عندهم قولَ صاحبهم فيه إنّه سيملك ويَظْهَرُ أمرُه فَٱقْتُلْهُ فإنّ ذلك يُكذّب عندهم قولَ صاحبه ، ويُفَرِّقُ كلمتهم وجَمْعَهم. فَخَذَلَهُ الله (ع و ج) من أن يقبَل هـذا الرّأي من قائله والمُشير به عليه. وقتل الله صاحب هذا الرّأي على يَدَيْ وليّهِ وأمْكَنَهُ من ذمّة عَدُوّه .

261 ـ وأقبل المهديّ (ع م) . فلمّا حَاذَى بلَدَ كُتَامَة مَـال إلَيْهِ ووصل إلَى إيكْجَان . وأمر بإحْضَارِ الأموال [2] التي كانت على أيـدي

---

(1) ب : شاحذة ؛ ا : تاخذه (كذا) ؛ وهو خطأ .

(2) اموال المغـانم ، انظر : 123 : الكامل 133 : وأحضر الامـوال من انكجان فجعلها احمالا واخذها معه ؛ اتعـاظ 91 : واحضر الاموال من ايكجان فجعلها احمالا وصار بها الى رقادة ... ؛ العبر 36 : ومروا بايكجان فسلم الشيعي من كان بها من الاموال للمهدي .

الدُّعاة والمشائخ ـ وكانو قد دفنوها هناك ـ فأحضروها إليه . وأمر بقَبْضِها منهم وشدِّها أحمالاً ، وقَدِمَ بها. فكان ذلك من أوّل ما أحال القُلُوب الفاسدةَ (1) ، وتَوَهَّموا أنّهم يكونون كما عوّدهم أبو عبد الله يأمُرُون ويَنْهَوْن ويَقْبِضُون ويَبْسُطُون .

262 ـ ولّما وصل المهديّ (ع م) إلى إيكْجَان أمر أبا عبد الله أن يكتب كتاباً إلى أبي زاكِي بِوُصوله ، فكتبه ، وأنفذ به فَرَانِقاً. فقُرِئ على المنبر وكانت نسخته : « أمّا بعد فالحمد لله ناصِر دينه ومعزّ وليّه الذي أظهر دينه على سائر الأديان، ووَلِيِّه على مَنْ ناصبه مِنْ أهل الظُّلم والعُدوان.وكتابي هذا إليك من إيكجان دارِ الهجرة ومُسْتَقَرّ الإيمان(2). وقد وصل الإمامُ مولانا وسيّدنا المهديُّ بالله (صلوات الله عليه) ووَلَدُه ـ بلّغ الله به أفضَلَ آماله ـ في جميع أولياء (3) الدّين و كافّة من معه من المؤمنين ، أحسَنَ وُصولٍ وأهنَأهُ وأسَرَّهُ وأرْضَاهُ ، فاضاء بقدومه دارَ هِجرَةِ أوليائِه وسرَّ المؤمنين والمؤمناتِ الّذين خلّفهم العذرُ عن الجِهادِ

---

(1) يعني المنافقين الذين ائتمروا على المهدي مع ابي العباس اخي الداعي وابي زاكي ، انظر : 124 ، وخاصة : 280 .

(2) انظر : 142 .

(3) ب : أولياء ؛ ا : اوليائه .

والعدوّ [1] ومَنْ كنّا أقمنـاه لِضَبْطِ المكان به ، وأقبلوا من كلّ حدَب يَنْسُلُونَ إليه ومِنْ كلّ أفـق يَسْعَوْنَ نحـوه يَتَبَرَّكُونَ بالنَّظر إليـه ويتشفَّوْنَ برؤْيته ويحمدون الله على أنْ بلّغهم إنجاز وعده وظهورَ أمره، وبادروا إليه بأمانات الله الّتي في أيديهم[2] وخرجوا من حقوق الله عليهم له . ووضعت بحمد الله الحربُ أوزارهـا وأطفـأ الله نارَها وأهلك من أثارها وبَدَّدَ من سعى نحو دين الله بها وفرَّق أنصارها . ، وأمير المؤمنين على النّهوض إلى إفريقية يُقَدِّرُ بتوفيق الله وتقديره وعونِهِ وتيسيـره أن يكون وُصوله يوم الخميس لِعِشْرِين[3] من شهر ربيـع الآخر من سنة سبـع وتسعين ومائتين إن شاء الله[4]. فاعلَمْ ذلك وكُنْ على أُهْبَةٍ منه ومَنْ قِبَلَكَ ، واحمدوا الله على ما أولاكم من ذلك وأنْ فَسَحَ في آجالكم إلى أنْ بَلَغْتُمُوهُ ، وارْغَبُوا إليه في تمام ذلك لكم بالنَّظر إلى مولاكم ورِضَاه عنكم والسَّلام ! » .

---

(1) ا : كذا ؛ ب : نقص .

(2) اي : أموال المغانم ، انظر : 261 .

(3) ا : لعشرين ؛ ب : العشرين ـ أما صيغة الكامل 133 ، فهي : العشر الاخير من ربيع الآخر من سنة سبع وتسعين ومائتين. العبـر 36 : في ربيع سنة سبع وتسعين .

(4) في ا و ب : انشاء الله .

263 ـ فلمّا وصل الكِتَابُ بذلك [1] ، وقُرِئَ وٱنتشر الخبرُ به تضاعفَ سرور الأولياء وٱنقطعت الشّناعاتُ ، وذهب الإرجاف ، وٱستعدَّ النَّاس وتأهّبوا للقائه وتطلّعتْ أعينهم نحوه وٱستَشْرَفَت [2] أنفسهم إليه وإلى قدومه . ووصل (صلوات الله عليه) في يوم الخميس الّذي ذكر في كتابه أنّهُ يصل فيه ، ولَقِيَهُ النّاس على قَدْرِ إمكانهم وتلقّاه أهل القَيْرَوَان بٱحتفالهم وكان فيهم يومئذ شيوخٌ وَوُجوه وفُقَهاء لهم مناظر وعقولٌ ورجاحةٌ ، وألسنةٌ . وكذلك كان مَنْ قبلهم مِنْ قبل ذلك الزّمان فانقطع ذلك منهم بظهور أولياء الله فيهم ، ومِنْ كلِّ من خالفَ أمرهم من أمثالهم ، وكَسَفَ الله نورَهم وأمات بَهاءَهُمْ وأذهب بَهجتهم لئلاّ يكون ذلك [3] إلاّ في أولياء الله ومَن ٱتّبعهم ولا يكون الفخر والثّناء والجمالُ والكمالُ والبهاءُ إلاّ لهم ، كما تُذْهِبُ الشّمس إذا طلعتْ ضَوْءَ الكواكب وإشخاصها [4] وتَغْلُبُ [5] على نورِ المصابيح

---

(1) كذا في ا ، ب : بعد « ذلك » يأتي النص الذي سقط في الفقرتين : 8- 217 واول هذا النص : ووافى ابراهيم بن ابي الاغلب ... وآخره : ويركضون دوابهم حتى بذلك .

(2) ا : استشرفت : ب : اشترفت .

(3) ب : ذاك ؛ ا : نقص .

(4) شَخَصَ الكَوْكَبُ : طَلَعَ .

(5) ب : وتغلب ؛ ا : تغلب .

وتَكْسِفُ شُعَاعَهَا ، ولئلَّا يكون مع الحقِّ شُبْهَةٌ ولا لِأَهْلِهِ إِشْكَالٌ تَقَعُ من أَجْلِه[1] الرِّيبَةُ .

264 ـ وأَقْبَلَ المهديُّ (ع م) في أَنْصارِ دولتِه واحتفال عساكر أوليائه كبدْرِ التَّمام وسِرَاجِ الظَّلَامِ ، وأبو عبد الله في جماعة الدُّعاةِ والشُّيُوخ[2] والأَوْلياء يَسْعَوْنَ بين يديه ، والقَائِمُ (ع م) خلف ظهره والمواكبُ والعساكرُ قد أخذت طولَ فحصِ القَيْرَوانِ وعَرْضه . فسلَّم عليه شيوخُ أهل القيروان بالخلافةِ والإمَامَة ، وهنَّؤوه بالفتح والسَّلامة . فردَّ عليهم ردًّا جميلًا وقال لهم خيراً ، وأمرهم بالانصراف فانصرفوا، وقال لأبي عبد الله ومن كان بين يديه : كأنَّا رأَيْنَاقوماً يُشبهون أهل مدائنِ المَشْرِقِ ، فأمَّا مَنْ رأَيْنَاهُ من أهلِ المغربِ ، فما هُمْ إلاَّ كالبَوَادِي . ونزل بقَصْرِ رقَّادة[3] ونزل الأَولياءُ دورهم وافترقُوا إلى مَواضعهم ، وسَارَ كلُّ قومٍ من أهل إِفْرِيقْيَةَ إلى مكانهم وتوجَّهوا عَنْ أمره وإذنِه إلى بُلدانهم .

---

(1) ب : اجله ؛ ا : اجل .

(2) ا : كذا ؛ ب : وشيوخ الأولياء - اي مشائخ كتامة ، انظر 123 .

(3) ا : بقصر رقادة ؛ ب : بقصره برقادة، الكامل 133 واتعاظ 92 : بقصر من قصور رقادة ؛ البيان 158 : في القصر المعروف بالصحن .

XXXVIII ـ ذكر ما أجراه المهدي (ع م) من سياسة الإمامة في النّاس .

265 ـ ولمّا أصبح صباح يوم الجمعة [1] من غَدِ يَوْمِ وصوله أخرج تَوْقِيعاً أَمَر أنْ يُدعى به على المنابر وأَنْفَذَه الى خطيبَيْ رقّادة والقيروان بالدُّعاء بعد الصَّلاة على محمّد (صلعم) وعلى عَلِيّ (ع م) وفاطمة والحَسَن والحُسَيْن وعلى الأَئمّة من وُلْدِه الّذى كان أمر أبو عبد الله به [2]. وكان ذلك التَّوقيعُ [3] بالدُّعاء : « اللَّهُمَّ فصَلِّ [4] على عَبْدِك وخليفَتِكَ القَائِمِ بِأَمْرِ عِبَادِكَ فِي بِلَادِكَ عَبْدِ الله [5] أَبِي مُحَمَّد الإمام المهديِّ بالله أَمِير المُؤمنين كما صلّيت على آبَائِه خُلَفَائِكَ الرّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ الذين كَانُوا يَقْضُونَ بالحَقِّ وبه يَعْدِلُون [6] ! اللَّهُمَّ وكما أصْطَفَيْتَهُ لِوِلَايَتِكَ وأخْتَرْتَهُ لِخَلَافَتِكَ وجَعَلْتَه لدينك عِصْمَةً وعِمَاداً ولبريَّتِكَ

---

(1) اي الجمعة الحادي والعشرين لربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين كما ورد في اعمال 448 .

(2) انظر : 225 .

(3) ورد نص هذا التوقيع في اعمال 448 ـ 449 : « وامر ان يدعى له ... بمرسوم ... » ، مع الفروق الآتية :

(4) صـل .

(5) ابي محمد عبيد الله الامام المهدي بالله .

(6) قضوا بالحق وكانوا به يعدلون .

مَوْئِلًا وَمَلَاذاً ، فانْصُرْهُ على أعْدَائكَ المَـــارِقِينَ [1] واشْفِ به صُدُورَ المُؤمنين[1]، وافْتَحْ به مَشَارِقَ الأَرْضِ ومَغَارِبَهَا كما وَعَدْتَه وأَيِّدْهُ[2] على العُصَاة الظَّالمين[3] إلَـهَ الخَلْقِ رَبَّ العَالَمين ! »[3].

266 ـ وَأَمَرَ بكتابٍ آخر ، فَكُتِبَ وَقُرِئَ على المنبر بالقَيْرَوان ، وَوَجَّه بــه نُسخـاً إلى البُلدان ، وقُرِئَ على المنـابر نسخته : « بسم الله الرَّحمـن الرَّحيم وبه نَسْتَعِين من عَبْدِ الله أبِي مُحَمَّد الإمـام المهديّ بالله أمير المؤمنين إلى أشْيَاعه من المؤمنين وجميع المسلمين ، سلامٌ عليكم! فإنّ أمير المؤمنين يَحْمَدُ إليكم الله الذي لا إلـهَ إلَّا هُوَ ويَسْأَلُه أن يُصَلِّيَ على مُحَمَّدٍ عبده وَرسوله (صلى الله عليه وعلى آله) .

267 ـ أمَّا بعد فالحمد لله الَّذِي رفع عَلَمَ الحَقِّ و وأَعَزَّ أهله ، ونكَسَ ألْوِيَةَ البَاطِل وأذلَّ حزْبَهُ ، القادر فلا يُعَارَضُ في قدرته ، العزيز فلا يُغالَبُ في أمره. النَّاصر لدينه الذي رِضِيَهُ لنفسه، وشَرَّفَـه [4] بأكْرم

(1 - 1) نقص ،

(2) ايده كذا في أعمال ، وليس في ا ، ولا في ب .

(3 - 3) انك أنت الحق المبين ، وقد اثبتنا الجملة كما هي في ا ، وقد وردت في ب هكذا ايا إله الخلق يا رب العالمين .

(4) ا : وشرفه : ب : وشرف ، وهو خطأ .

أَنْبِيَائه عليه [1] وأعْلاَهُم درجةً عنده ، وأشرفَهُم منزلةً ، وأقْرَبَهم وسيلةً لديه ، محمّد (صلعم) حامل حكمته ومُسْتَوْدَع غَيْبِه وما يكون بعده مِنْ كَيْدِ الكائدين وخِيَانة الخائنين وظُلْمِ الظّالمين لأهل بيته ، إلى ما سبق من وَعْدِه له فيهم بالنّصر والتّأييد والعزّ والتّمكين كما قال : في مُحْكَمِ كتابه وتنزيله : ٱلّذي « لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بين يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ[2] » « و نُرِيدُ أن نَمُنَّ على ٱلّذِينَ اسْتُضْعِفُوا في الأَرْض ونَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً ونَجْعَلَهُمْ الوارِثِينَ[3] » « ونُمَكِّنَ لَهُمْ في الأَرْض ونُرِي فِرْعَوْنَ وهَامَانَ وجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانوا يَحْذَرُونَ[3] » ، وقال : « ولقد كَتَبْنَا في الزَّبورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ[4] » « إنَّ في هذا لَبَلاَغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ[4] » .

268 ـ وأَنْجَزَ (جَلَّ ثَنَاؤُهُ) وتَقَدَّسَتْ أسماؤه وَعْده لرسوله (صلى الله عليه وعلى آله) بِرَدِّ إرْثِ النّبوّةِ ومقاليدِ الإمَامَة إلى عِتْرَة نَبِيِّهِ ، وأعزَّ الدِّينَ والمؤمنين ، وأنقذهم من الهَلَكَة ، في كلّ سُكُونٍ وحَرَكة ، بعبد الله أبي محمّد الإمام المهديّ بالله أمير المؤمنين ، وأظهر

---

(1) ا : عليه ؛ ب : عليه السلام ، وهو خطأ .

(2) سورة فصّلت ، من الآية : 42 .

(3 - 3) سورة القصص ، الآية : 5 والآية 6 .

(4-4) سورة الانبياء ، الآيتان : 105 و 106 .

بَهْجَةَ الإسلام وجَمالَه بِقيَامِهِ . وأخذ تُراث جَدِّه النَّبيّ وأبيه الوَصِيّ (صلوات الله عليهما) ، وجعل أولياءه وأنصارَ حقّه أولي البصائر النّافذةِ من سادات العرب وأنجادِ كُتَامة ، فألْقَت الإمامةُ عَصَاها [1] في دَارِهَا ، وقَرّتْ عينُها ، وأنست وحشتُها ، واستقرّ قرارُها ، وصار أمير المؤمنين طَوْداً مُنيفاً وجبلا رَاسِياً على الأرض ، وظِلاًّ ظليلًا لأهْلِهَا ، فثَبَتَتْ [2] به وطاة الهُدَى وسكن إليه نُفُور التّقوى ، وتَقَوّمَ به ما كان متأوّداً من عُودِهَا وتوطّد ما كان [3] بها مُتَخَلْخِلًا [4] من قواعدها ، وانبرم ما كان سَحِيلًا من حَبْلها ، واجتمع [4] ما كان مُتَفَرّقًا [5] من شملها وتلاءمَ ما كان مُتَشَعّثاً منها ببركة أمير المؤمنين ويُمْن نقيبتِه [6] ، وسَعْدِ نجمه وهُبوب ريحه ، فداوى الإسلام من الدّاء العُضَالِ ورَتَقَ من فُتُوقِهِ ما كان مُنْخَرِقاً ، وجَبَرَ مِنْ كَسْرِه ما كان لا يُجْبَرُ ، ولَاءمَ مِنْ صَدْعِهِ ما كان لا يُلَاءمُ ، فهو مفتاحُ الرّحمةِ ودليلُ

---

(1) اقتباس من قول الشاعر :

فألْقَتْ عَصَاهَا واستَقَرَّ بها النّوى ★ كما قرّ عَيْناً بالإياب المسافر

(2) في ا و ب : فثبت .

(3) ا : بها ؛ ب : نقص .

(4 - 4) ا : كذا ؛ ب : سقط هذا السطر .

(5) ب : متفرقا ؛ ا : مفترقا .

(6) ا : نقيبته : ب : نفسيته ، وهو يجوز ، إذ النقيبة هي النفس .

الخَيْرِ ، ذبًّا عن الحقّ وحيَاطَةً للدِّين وعنايةً بأمر المسلمين وبُعد نظرٍ فيما يُقْطع به أماني المُبْطِلِينَ ، والحمد لله ربّ العالمين [1] .

269 ـ فلم يحاوِل أمير المؤمنين ـ بحمد الله كثيرا ـ عسيراً إلاّ يسَّره الله ، ولا صعباً إلاّ ذَلَّلَهُ،ولا وعْراً إلاّ سهَّله ، فاصبحت الكلمةُ به مجتمعة والألْفَة متّصلة ، والدَّهماء ساكنةً ، وقَوَاصِي الأرض وأدانيها منه آمنةً ووليّه عزيزا ممنوعا ، وعدوّه ذليلا مقموعاً ، فكلُّ من قدح بِزَنْدِه واحتطب في حَبْلِهِ فمحكوم له بالنَّصر ومَقْضِيٌّ له بالظفر،وكلُّ من نكث عليه وخان أمانته ونَقَضَ عهدَه وخَفَر ذِمَّتَه فقد باءَ بغضب من الله في الخلاف عليه وإطلاقِ الفتنة من عقالها ، وكلّ من أوقد عليه نارَ الحرب أحرقته بنارها،وكَلَمَتْه باظفارِها ، وكلُّ من تمسّك بالعُرْوَةِ الوُثْقَى [2]، وفاز في الآخرةِ ، والأُولَى وكلُّ من الْتَمَسَ وَلِيجَةً غيرها فقد « خَسِرَ الدُّنْيَا والآخِرَةَ ، ذلك هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ [3] » .

270 ـ فاحْمَدُوا الله الذي بلغكم زمان أمير المؤمنين واُختصّكم ببركة أيّامه وسعادةِ دولتِه ، فلْتَنْبَسِطْ أعمالكم ، ويكثر بالثّقة بعدله استبشاركم ولْيَنْفَسِحْ للمعرفة بحسن نظره رجاؤكم ، ويشتدّ تمسّككم بحبلِ طاعته

---

(1) كذا وردت هذه الفقرة في ا ؛ وقد وردت بتحريف كثير في ب .

(2) انظر : 245 .

(3) سورة الحجّ ، آية : 11 وسورة الزّمر ، آية : 15 ، انظر : 255 .

وأسباب ولايته ، فإنَّهُ لا يتّصل بين الله وبين عباده سببٌ إلاّ بمحبّتهم لآلِ محمّد (صلعم) قال الله (جلّ ذكره) « قُلْ لا أسأَلُكُمْ عليه أجراً إلاّ الْمَوَدَّةَ فِي القُرْبَى »[1] وقال رسول الله (صلعم) « مَثَلُ أهلِ بيتي فيكم كَمَثَلِ سفينةِ نوحٍ مَنْ رَكِبَها نَجَا ومن تخلَّف عنها غَرِقَ » . وجدِّدُوا الشُّكرَ لله على ما مَنَحكم من رأفةِ أمير المؤمنين ورَحْمَتِه ، وتَعاهُدِهِ لأُمورِكُمْ وتغمُّدِهِ لكم فإنَّ الشُّكرَ أحرَسُ حفيظةٍ لِمَلابسِ نِعَمِهِ وأحفظُ مؤتمنٍ لفواضلِ مِنَنِه وأبعَثُ مستمدٍّ لِمُؤتَنِفِ صُنعه[2] ومُوَادُّ مزيده .

271 ـ وأميرُ المؤمنين يسأل الله وليَّ الإحسان والنِّعم ، والإفضال والمَنِ أن يصلِّي على محمّد مفتاحِ رحمتِه ، والمبلّغ لرسالته الّذي حَبَاه بجميع فواضله ومَزِيدِ كرامتِه ، وأن يُشعره خِشْيَتَهُ ومراقبتَه ، وأن ينفذ بالتّوفيق عزائمَهُ وأن يُلهِمَه فيما استرعاه ، وناط به من أمر عباده ، أفضل ما ألْهَمَ[3] راشداً من خُلفائه ، وأن يُعينَهُ على صالح نِيَّته ، وأن يبتليَه أحسن بلائِه ، ويوفِّقه للعمل بطاعتِه والقيامِ بحقِّه حتّى يَقْمَعَ الكُفرَ والإلْحَاد ، ويدوِّخ أطرافَ البلادِ ، وأن يجعله خيرَ إمامٍ أحْسَنَ

---

(1) سورة الشورى ، جزء من الآية : 23 .

(2) كذا في ا ، في ب : زيادة غير مفهومة : صنعه اصان ومواد ...

(3) كذا في ا ؛ ب : تحريف ليهم .

إلى رعيّته، ورعيّته خير رعيّةٍ [1] أدّت حقّ إمامها، فإنّ التّوفيقَ به و المزيدَ من عنده والسّلام!».

272 ـ فدُعِيَ له بالخلافة يومَ الجمعة لتِسْعٍ ليالٍ بَقِينَ من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين [2] برقّادَة والقيروان وبالقصر القديم. وقُرِئَ هذا الكتاب على مِنْبَرِ القيروان، وأُنفِذَ إلى الأمْصار مع الدُّعاة، فدُعِيَ له في مستقبل ذلك وقُرِئَ على المنابر بعد الوصول إليها، فابتهج النَّاسُ وسُرُّوا بذلك وأكثروا الدُّعاء له. وجاءت وفودُ البُلدان من كلّ جهةٍ ومكانٍ على قَدْرِ قربِ منازلهم، وواصل الجلوس للنّاس. ووصل أبو جَعْفَر الخَزَري بالحرم من مَدِينةِ طَرَابُلْس أحسن وُصولٍ [3]. وكان

---

(1) كذا في ا؛ ب: تحريف: دليل عيـة.

(2) كذا في ا و ب؛ اعمال 448: بُويع برقادة يوم الجمعة الحادي والعشرين لربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين.

(3) كذا في ا و ب، البيان 150: وبعث ابو عبد الله (الشيعيّ) الى طرابلس، فأُتِيَ منها بأخيه أبي العباس المخطوم، وكان بها محبوسا وبأبي جعفر الخزري، وبأم عبد الله الشيعي، هذه الرواية وان اكدها ابن حماد: 9 خاطئة؛ امّا جعفر فقد نسي هل قدم الخزري بالحرم اثر دخول الداعي الى رقادة سنة 296 ام اثر قدوم المهدي من سجلماسه سنة 297 (انظر سيرة جعفر: 123) إلاّ انه اتّفق ايضا مع القاضي النعمان فأثبت وصول الخزري بعد قدوم المهدي الى رقادة (انظر سيرة جعفر: 132 ـ 133) راجع، ايضا: 236، خبر الجزري مع زيادة الله بطرابلس.

إذاجلس(عم)فيمجلسهأذِن لخَاصَّة أو لِيَائِهِفدخلوا إليه،فإذا قَضَىحوائِجَهْم أذِنَ لمن هُوَ دُونَهم ، وَرُبَّمَا أذِنَ للعامّة فيَدْخُلُونَ إليه ويُسَلِّمُون عليْهِ .

273 ـ وقال الشُّعراء ، فيه ومَدَحُوه . وكان أوّل مَنْ مدحه منهم ، وأنشده من شُعـرَاءِ إفْرِيقيَة سَعْدُونُ الْوَرْجِينِيُّ [1] ـ وكان شاعـرا يمدح بني الأغلب ويَـلِي أعمالهم ، وكان قد أُسِرَ ببلد الرّوم وفُدِيَ ـ . واُستُؤْذن له في الدُّخول عليه وأنشده ما قال فيه ـ وكان ذلك بِعَقِب وُصُولِ الحَـرَم ، وقـد جلس وهنّــأه الأولياء بسَلَامتهم ، فدخل إليه وأنشده الشّعرَ اَلَّذي يقول فيه:

قِفْ بِالَمطِيِّ على مَرَابِعِ دُورِ	لَيْسَتْ مَعَالِمُهُنَّ ثَوْبَ دُثُورِ [2]
لَعِبَتْ بِها حتّى مَحَتْ آثارَهــا	رِيحَان ريحُ صَبَا ورِيحُ دَبُورِ [3]

---

(1) ا : سعـدون الورجيني ؛ ب : مسعدون الورجيني : رياض 404 : تحريف في الاصل اصلح عن معالم ج 2 ، 164 ،اتعاظ 106 : سعدونالورّجيلي؛ المدارك : سعدون الورجيني ولعله بربري الاصل نسبة الى بعض القبائل البربرية التي قد يكون اسمها : أورّجين ؟ وتدل جودة شعره انه من فحول شعراء العهد الاغلبي ، ويحتمل ان يكون من اهل بلاد الجريد ؟ ـ .

(2) هكذا كتبت هذه الابيات في ا ؛ اما في ب ، فقد وردت متّصلة الالفاظ كأنها نثر لا شعر ـ . والشعر من الكامل .

(3) ريح الدّبور هي التي تهبّ من الغرب ، اذ هي تقابل الصّبا وهي ريح شرقية .

فلمّا انتهى إلى قوله :

وسَفِيهَةٍ هَبَّتْ تَصُدُّ عن النَّوى ... ويَدُ النَّوى مَلَكَتْ عِنانَ مَسِيري

خافَتْ عَلَيَّ من الخُطُوب لأنّني ... من قَبْلِ غِبْتُ فأُبتُ بَعْدَ دُهُورِ

ثمّ اجتَمَعْنا بَعْدَ ذاكَ فَيا لَها ... مَأْسُورَةٌ جُمِعَتْ على مأْسُورِ

فلمّا قال هذا استعبر المهديُّ (ع م) وتلقّى دموعه بِكُمِّهِ . فسكت سَعْدُون ، وأومأ إليه : أنْ قُلْ ، فَمَرَّ فيها حتّى انتهى إلى قوله :

أَعَنِ ابنِ فاطمةَ تَصُدِّينَ امْرأً ... بِنْتِ النَّبيِّ وعِتْرَةِ التَّطْهيرِ

كُفِّي عَن التَّخْبِيطِ إنِّي زائِرٌ ... من أهلِ بَيتِ الوَحْيِ خَيْرَ مَزُورِ [1]

فقال له أبو عبد الله ـ وكان قائماً بين يَدَيْ المهديِّ : صَدَقْتَ ! هو أَفْضَلُ العالَمِينَ ! فقبّل سعدون الأرْضَ بين يَدَيْ المهديّ (ع م) ومرَّ فيها حتّى انتهى إلى قوله :

هذا أميرُ المؤمنين تَضَعْضَعَتْ ... لِقُدُومِه أركانُ كُلِّ اميرِ [2]

هذا الإمامُ الفاطِمِيُّ ومَنْ بِهِ ... أَمِنَتْ مَغارِبُها مِنَ المَحْذُورِ

والشَّرقُ ليس لِشامِهِ وعِراقِهِ ... مِنْ مَهْرَبٍ مِنْ جَيْشِهِ المَنْصُورِ

حتَّى يفوزَ مِنَ الخِلافَةِ بالمُنَى ... ويُفازَ مِنْهُ بعَدْلِهِ المَنْشُورِ [2]

---

(1) وردهذا البيت مسترسلا مع الابيات التالية في اتعاظ 106 ـ أثبتنا الابيات عن ا : اما في ب ، فقد وردت بتحريف كثير اغفلنا ذكره .

(2 - 2) كذا وردت هذه الابيات وحققت في اتعاظ 106 ـ وهو مما يؤكد أنّ المقريزي نسخ الافتتاح مباشرة .

فقال أمير المؤمنين : ما شاء الله ! ومرّ فيها إلى أن ذكر أبا عبد الله فقال :

يَا مَنْ تُخُيِّرَ من خِيَارِ دُعَاتِه   أَرجاهُمْ لِلْعُسْرِ والمَيْسُورِ
حتّى أُسْتَهَالَ إليه كُلَّ قبيلةٍ   ورمى إليه قِيَادَ كُلِّ عَثُورِ
أَشْبَهْتَ مُوسَى وهو حَيَّتُكَ التي   تُلْقَى فَتَلْقَفُ كلّ إفْكٍ سَحُورِ

فنظر المهديُّ إلى أبي عبدالله وتبسَّمَ. فقبّل أبو عبد الله الأَرضَ وقال للوَرْجِينِي أنا دُونَ ذلك ! بُعْدَ ما بين السَّماء والأَرْض ! فأمر له أَمير المؤمنين بصِلَةٍ جزيلةٍ وبأن يُجْرَى له عليه لِكُلِّ عامٍ. ووصله أبو عبد الله أَيضا . ومدح المَهْدِيَّ من الشُّعراء ما يخرج ذكرهم . وما مدحوه به، عن حدّ هذا الكتاب [1] .

274 ـ واستقرَّ بـه (ع م) قـرَار الملك، وسكنت به الدَّهماء، وأَمِنَت السُّبل، وأَعْتَدلت الأُمور، وأَطمأنَّتْ وأستقامتْ . ولما عُرِض عليه أولئك الجواري، أصطفى بعضهنّ، وأَعطى القائمَ (ع م) منهنّ وفرّق أكثرهنّ على وجوه رجالِ كُتَامة وقَسَم عليهم أَعمال إفريقية، وجعل لِكُلِّ عسكرٍ من كتامة [2] ناحيةً منها ومن غيرها من البُلدان

---

(1) انظر بعض هذا الشعر الذي مدح به في البيان 160 .

(2) انظر : 123 : كيف قسم ابو عبد الله كتامة اسباعا وجعل لكل سُبُع منها عسكرا .

حيث انتهت طاعته وبلغ أمره . وٱستعمل وجوههم على مدائنها ، وأمرهم بالتزيّن والتجمّل فلبسوا خير الثياب وحلّوا سروجهم ولجمهم وأظهروا زيًّا حسناً[1] .

فخرجوا من الحِلْية التي كانوا عليها، وٱتّسعت أموالهم، وكثرت نعمهم لما أصابوا من الأعمال ، وملكوا من البُلدان ، وأجرى عليهم مع ذلك الصِّلات وأصبغ عليهم العَطاء .

275 ـ ودوّن الدّواوين[2] . وأمر بٱقتضاء واجب الأموال . وكان ديوانُ الخراج قد أُحرِق لمَّا هرب زيادة الله فأمر به فأُحيِيَ. ونصب ديوانا للكشف[2] ، وديوانا للضّياع ، وديوانا لِأموال الهاربين مع زيادة الله، وٱستصفى أموالهم وترك ما كان لنسائهم لهنَّ وأمر بِستْرِهِنّ وحِفْظِهِنَّ . وٱتّخذَ العبيدَ من السّودان والرّوم[3] ، ونصب ديوانًا

---

(1) انظر في الهمة 103 ، ما ينبغي لمن يراه الائمة من اتباعهم من التجمل واظهار النعمة بين ايديهم .

(2 - 2) انظر في البيان 159 : اسماء الدواوين ومن ولاة اياها : « وولّى على ديوان الخراج (ابا القاسم) بن القديم » ، و 162 : « وفيها ولي ابو جعفر البغدادي ديوان الكشف مشتركا مع عمران بن ابي خالد بن ابي سلام .»

(3) انظر سيرة جوذر : 35 ، كيف اتخذ المهدي العبيد بعد دخوله رقادة : « وحصّلت بين يديه مع جملة من حصّل من الصقالبة وغيرهم، ففرقنا في خدمة خزائنه . . . »

للعَطَاء [1] ، وأَمر بإثبات المَوَالِي ، وأَبناء العبيد فيه ، ومَنْ سَارَعَ إلى الرِّزق ، واَكتتب به ، فاجتمع من ذلك عَرَائِس كثيرةٌ ، وأَمر بطلب نَهْبِ رقَّــادة ، فاَسترجع كثير منه من أَيْدِي النَّاس وطُلِبوا فيه ، واَجتمعت منه أَمْوَال كثيرة . وجعل بيتا للمال وأَقام له دِيوَاناً [2] .
فقيل إنّ صاحِبَ بيت المال رفع إليـه بتحصيل ما أخرجـه من الصِّلَاتِ فى شهر رمضان ، فبلغ ذلك مائة ألف دينارٍ ، وكان صاحبُ بيت المال اَستكثر ذلك . فقال المهديّ (ع م) لو بَلَّغَنِي الله (ع و ج) إلى حقِّـي ونِلتُ أَملي ما رَضِيتُ مثلَ هذا العطاء بأسره لرجـلٍ واحدٍ من أوليائي.
وكان (ع م) جواداً بالمال ـ وذلك فيما يؤثرُ قديماً من صفة المهدي (عم) ـ ، وكان مع ذلك لا يضيّع أَقل شيءٍ من المال ولا يستهين به أنْ يذهبَ ، ولا يَتْرُكُ منه واجباً أَن يُصْرَفَ في غيرِ حَقٍّ .

276 ـ وتلك شِيمُ الأَئِمَّةِ (ع م) . فقد رُوِيَ أَنَّ رجلا أَتَى الحَسَنَ بن عَلِيٍّ (ع م) يستَجْدِيه ، ولم يكُن عرفه إلاّ أَنَّهُ دُلَّ عليه فرآه يطْلُبُ شيئاً طَفِيفاً كان له من حقِّه ، فأحجم عن سُؤَالِه وداخله اليَأْسُ منـه . ثمّ تجاسَرَ عليه فساله (ع م) فوق أَمله أَضعافا . فقال له : والله ما أَدري ممّا أَعجب ؟ أَمِنْ إعطائك هذا ، أَمِنْ طلبك ما رأَيتك آنِفاً طَلَبْتَـهُ ؟

(1) انظر البيان 159 : وولـّى ... على (العطاء عبدون بن حباسة ...) .
(2) البيان 159 : وولـّى على بيت المال ابا جعفر الخزَريّ .

ـ وأخبره بما اعترض عليه من اليأس منه ـ. فقال له : يا هذا ! إنَّ الَّذِي رأيتنا طلبناه في الحقير الَّذي رأيت، أراد أن يَغْبُنَنَا[1] عقولنا فأَبَيْنَا، وأنت سألتنا كَرَمَنَا، فأعطيْنَاك .

277 ـ وكان مَنْ بَقِيَ مِنْ بني الأغلب ومواليهم ورجالهم وأتباعهم قد خافوا جانِبَه مع ما أعطاهم أبو عبد الله من الأمان ـ وأكَّدَ[2] لهم ذلك المهديُّ (صلوات الله عليه) . وكان وُجُوهُهُم وأكابرهم يدخلون فيمن يدخل إليه إذا جلس فيقرّبهم ويُدْنِيهم، ويُؤْنسهم، ويحسن إليهم. واستعمل جماعةً منهم، وأخرج في البُعُوثِ والعَسَاكر من كان يَصْلُح لذلك من جميعهم وأحلَّهم محلّ الأولياء. فأمنوا لذلك، واطمأنّوا، وسَكَنَتْ رَوْعَاتُهُمْ. فنظرَ النَّاس من ضبطِهِ وحزْمه، وحُسْنِ سياسته، وفضله، وكرمه، إلى ما لم يَظُنُّوا أنَّهم يَرَوْنَهُ منه. ونشر العَدْلَ وأقامه، وأمَرَبه فيما بَعُدَ وقَرُبَ ودَنَا ونَأَى منه، وأنصف من المظالم، وكان يُبَاشِرُ سَمَاعَهَا بنفسه ويأخذُ رِقَاعَ أهلها إذا ركب وإذا جلس ويَسْمَعُ منهم

---

(1) يغبننا : ب : تقص .

(2) رواية البيان 158 تخالف هذا : « وسألوه تجديد الامان . فقال لهم : « أنتم آمنون في أنفسكم (وذراريكم) ! » ولم يذكر الاموال : (فعاوده بعضهم، وسألوه التأمين لهم في الاموال ، فاعرض عنهم) . فخافه أهل العقل في ذلك الوقت » .

شكواهم ويُنْصِفُهم من ظلاَمَاتهم بوجه الحقّ وسَبِيلِ العدلِ. فمالت إليه قلوب الخَاصَّة والعامَّةِ، وعظمُ في عُيونهم وقُلوبهم ونُسِيَ أبو عبد الله وَانْكَسَفَ(+) ما كان ظهر من نُوره لنور المهديّ (عم) ومال النَّاس عنه إليه. وهو في ذلك يُظْهِرُ من التَّوَاضُع، والتَّذَلُّلِ، والخشوع، والخُضوع والقول بفضله، والتَّأكيد لأمره، والدُّعاء له، أضعاف مَا كان يقول فيه قبل ذلك ويفعله ممّا يدلّ على صدق النِّيَّةِ وصفاء الطَّوِيَّةِ وَاعتقاد الواجب إلى أن كان من أمره ما سنذكره في الباب الذي بعد هذا الباب إن شاء الله[1] (تع)

XXXIX ـ ذكر أخبار المُنَافِقين على المهديّ (ع م) وما آلت أمورهم إليه :

278 ـ ولمّا هيَّأ الله لِوَلِيِّه ما ذكرناه، وأيَّده مِنْ توفيقه وعونه بما وَصَفْنَاهُ تداخل من ذلك أبا العبَّاس أخا أبي عبد الله فسادٌ: وذلك أنّه تطعَّم (+) بحضرة أبي عبد الله، لمّا قدم من طرابلس عليه، رئاسته لتقديمه إيَّاه وتعظيمه له، وما كان يُظْهِر من إجلاله، ـ ممّا قدّمنا ذكره، لِمَا كان عليه أبو عبد الله من صالح الأَدَبِ وحُسْنِ النِّيَّةِ،

(+) تحت السطر في ا : اي احتجب .

(1) كذا في ا : ان شاء ؛ في ب : انشاء .

(+) زيادة في ا : اي ذاق .

إذ كان أكبر سِنًّا [1] منه وأقدم سابقة ، فرعى له ذلك ، وحفِظَه ، وأوجب له من أجْلِه ما يُوجبه . ثمّ سار إلى سِجِلْمَاسة فكانت أمور النّاس إليه ، وأعيُنُهُمْ نحوه ، والأمْرُ من ذلك أمره والنّهي نهيه [2]. فلمّا عـدِم ذلك، فسُدت نِيّتُه ، وتـداخله الحسد ، واستفـزّهُ [+] الشّيطان ، فاغـواه ، وزيّن له فاستهواه ، فجعل يُنكر ذلـك ويزري على المهـديّ (ع م) عند أبي عبد الله أخيه ، ويقع فيه ، وأبو عبد الله يتعاظم ذلك ويَنكِرُهُ عليه إنكارَ مَنْ يُجِلُّه ولا يأتي مكروهاً إليـه ، وأبو العبّـاس يَـزيدُ في ذلـك ويَستَطِيلُ و يُؤكّدُ أسبـاب النّفاق ويَرْمُـزُ ويقـول [3]. ثمّ واجـه أبا عبد الله بالبيان ، وفاوَضه في الإعْلَانِ وقال له : مَلَكْتَ أمْراً وأنطَاعَ لك،فجِئْتَ بمن أزالك عنه فأخْرَجكَ منـه ، وتنقّصك ، واضطَهدَك ، وكان أقلّ الواجبِ لك أن يَدَعك وما كنت عليه فتكونُ الآمِرَ والنّاهي ويشتغـلَ إن شاء بشغل نفسه دون أن يَهْتَضِمَـك من الذُّلّ في مثل هـذا المقام فلم يزل يبكته بمثل هذا الكلام ويُكَرِّرُهُ ويقرعه إلى أن أثّرَ فيه ، وحمله على أن يُشَافِهَ المهديَّ ببعضه .

---

(1) بسنةٍ واحدةٍ : انظر سيرة جعفر 121 .

(2) انظر : 243 و 248 .

(+) في ا : في الطرة : اي استخفه واستدعاه .

(3) انظر صيغة الكامل 134 ؛ واتعاظ ، 93-96 والعبر 37 ؛ لعله كان يرمز ويقول في نسب المهدي وفي استحقاقه للامامة ؟؟ انظر ايضا التعليق باللغة الفرنسية في : 282 .

279 ـ وجعله على طريقِ النَّصيحَةِ له . فقال : يا مَوْلاَ نَا إنَّ كُتَامَةَ قَوْمٌ قد قوَّمْتُهم بتقويمٍ ، وأجريتهم على ترتيبٍ وتعليمٍ ، و تَمَّ لِيَ منهم بذلك ما أرَدْتُ ، و بَلَغْتُ بذلك منهم ما قَصَدْتُ ، وهذا الَّذِي فَعَلْتَهُ أنتَ بهم من إعطائهم الأموالَ وتوليتهم الأعمالَ وما أمرتهم به من اللِّبَاس والحَلْيِ فَسَادٌ لهم لِلْخُرُوجِ من عادَتِهم، فلو تَرَكْتَهُمْ كما كانُوا إلى أن أُبَاشِرَهُمْ دونك ، آمُرُهُمْ وأَنْهَاهُمْ وأُقِيمُهُمْ على ما عَوَّدْتُهُمْ ، وأُجْرِيهم على دأْبِي لهم وأَلِي حُرُوبَكَ بهم ، دُونَكَ فيهم ، وفي غيرهم ، فَتَكُونَ وَادِعًا في قَصْرِكَ لَا يَصِلُ أحدٌ منهم ولا مِنْ غيرهم إليك ، ليكونَ ذلك أَهْيَبَ لك ، وأشَدَّ لأمْرِك ، وأزْجَى [1] لِمَا ترجوه من تمامه و كمَالِه وانْتِظَامِه . فلَمَّا سَمِعَ ذلك منه المهديُّ (ع م) أيْقَنَ بما تَداخله ، وعلِمَ من حيثُ أتَى . فرَدَّ عليه في ذلك رَدًّا لَطِيفًا ، ولَمْ يُرِهِ أنَّهُ عَلِمَ بحَالِه وَلَا [2] أوْقَفَهُ على اليأْسِ مِمَّا مَنَّتْه نَفْسُهُ .

280 ـ فَلَمَّا عَلِمَ ذلك أبو العبَّاس زاد في فساده وأصْغَى هو إليه وعمل سحره فيه ثُمَّ دَاخَل الدُّعاة والمشائخ وكانوا يُعَظِّمونه لما رَأَوْهُ من تعظيمِ أبي عبد الله لَهُ ، وسَمِعُوه مِنْ بلاغتِه وعِلمه وتَفَنُّنِه ، فأخْلَدَ كثيرٌ

---

(1) في ا : ازحى : أو : ارجى . في ب ، تحريف : واجى لا ترجوه . والصواب : أزْجى كما ابتناه ، وزجا الشيء : ساقه .

(2) في ا و ب : واوقفه ، ـ والصواب : ولا أوقفه .

منهم إليه وجعل يَرْمُزُ لهم بَعْدَ الرَّمْزِ إلى أن صَرَّحَ لمن رأى أنَّ كَلَامَهُ وَقَعَ فيه مَوْقِعًا ، فَطَعَنَ لهم في الإمَامَةِ وأدْخَلَ فيها الشُّبْهَةَ [1] وجاءهم من موضع مَحْبُوبِهِمْ وَدَخَلَ إليهم من جِهَةِ مُرَادِهِم بِأَنَّ الّذي كَانَ يَجِبُ لَهُمْ وَيَسْتَحِقُّونَهُ وَيَنْبَغِي أَنْ يُسْمَعَ لَهُمْ أَضْعَافُ مَا صُنِعَ بهم؛ وَذَكَّرَهُمْ انْتِزَاعَ الأَمْوالِ [2] من أَيْدِيهِم ، وإدْخال مَنْ أدْخِلَ في جُمْلَةِ الرِّجَالِ معهم مِنَ العَبِيدِ ومن أَهْلِ إفْرِيقية ، وغيرهم ، وجاءهم من ذلك بضروبٍ يطول ذكرُها ومعانٍ يقصُر الكتابُ عن نهايتها .

281 ـ وَكُلُّ ذلك يَتَّصِلُ بِالمَهْدِيِّ (ع م) ، وهو يُعرض عنه ، وأبو عبد الله مع ذلك مُتَمَاثِلٌ لم يَبْلُغْ مَبْلَغَ الجُحُودِ وَلَا صَارَ إِلَى حَدِّ النِّفَاقِ إلى أنْ فَشَا أَنَّ أميرَ المؤمنين قد انتهى ذلك إليه . فَقَصَدَ أبو العبَّاس إلَى أبي عبد الله وإلَى من اسْتَفْسَدَهُ مِنْ أصحابه من طريق التَّحذِير

---

(1) لعله طعن في إمامة المهدي واستحقاقه لها ، انظر سيرة جعفر 122 كيف ان أبا عبد الله لم ير المهدي قبل فتح سجلماسة وكيف أخذ الامام (الحسين بن احمد) قبل المهدي على ابي العباس أخي ابي عبد الله ، والى جانبه اذاك المهدي والقائم وهو طفل . فان لم يكن القائم ابن المهدي فلا شك ان أبا العباس كان يعلم ذلك ، ولعله ما أشار إليه النعمان هنا دون التصريح به .

(2) كذا في ا : من ايديهم ؛ ب : من بين ايديهم ـ أخذ المهدي هذه الاموال من أيدي المشائخ بإيكجان في طريقه من سجلماسة الى رقادة، انظر: 261.

والتَّخويفِ على أنفسهم وأنّهم إن لم يُبادروا لأمرٍ بُودِرَ إليهم . فأستحكم ذلك من قُلوبهم . وزاد في سُوءِ أعتقادهم ، وكلّ ذلك يُؤَكِّدُ مَرَاءَهُ ويَشُدُّ أمره بضروبٍ من الحِيَل ووُجوهٍ من الكَيْد إلى أنْ حَمَل من أستَفَزَّهُ من الدُّعاة على المباينةِ بالنِّفَاقِ والإعلان بالشِّقَاقِ .

282 ـ فاسْتَخَفَّ هارونَ بنَ يونس الّذي كان يُقَال له : شَيْخ المَشَائِخ الأَرْبَاِبي [1] إلى أنْ وَاجَهَ المهديَّ بالقول الّذي زَيَّنَه له وأستَفسده من أجله ، فقال للمهديّ مُواجَهَةً إنّا قد شَكَكْنَا في أمرك ، فَأْتِنَا بآيةٍ انْ كُنتَ المَهْدِيَّ كما قُلْتَ . فتَعَاظَمَ [2] (ع م) ما أتاه من ذلك. فَأوْقَفَهُ على فَسَادِ قوله من كتاب الله (ج ذ) وما أتى فيه من ذَمِّ الأُمَمِ عِنْدَ سُؤَالِهِمْ أنبياءهم الآيات ، وقال له في ذلك من القول ما يطولُ ذكرُه . وقد كان للشَّقِيِّ ولمن حَمَلَه على ذلك من البُرهان في المهديّ ما لو تَدَبَّرُوه لاكْتَفَوْا

---

(1) ا : الاربابي ؛ ب : للربابي ـ هو أبو موسى هارون بن يونس من أزاية بطن من مسالته ، انظر : 109 .

(2) ا : تعاظم ؛ ب : تعاظمه : وهو خطأ .

به [1] لأنَّ اللهَ (ع ج) يقــول فيه لِمِثْـل سَألَ نَبيِّـهُ (صلعم) « وَقَالُوالَوْ لَا يَأْتِينَا بآيَةٍ من رَبّـهِ،أو لَمْ تأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى » [1] وقـال (ج ث) « أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكتابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ » [2] فجعل تنزيلَه (ج ث) مُعجزَةَ نَبِيِّه (ع م) ، وتأْويلَه مُعجزةَ الأَئِمَّة مِنْ وُلْدِهِ فأَخبر عن ذلك في كتابه وعلى لسان رسوله (صلعم) بما يَخْرُجُ عن حدِّ هـذا الكتاب مَعانيـه ، وليس إيَّاه قَصَدْنَا فَنَسْتَقْصِيه . وقال المهديُّ لهارون في قوله شَكَكْنَا في أمرك : « وَيْحَكَ ! إنَّكُمْ كُنْتُمْ أيْقَنْتُمْ واليَقِينُ لا يُزِيله الشَّكُّ » . وهـذا الَّذي ذكره (عليه السَّلام) أَصلٌ من أصول الدِّين . فَغَفَلَ الشَّقِيُّ هَارُونُ عنه ، وقَصَّرَ دُونَه ، وَجَعَلَ يُصِرُّ على الكفر والنِّفاق إلى أَن اَستحقَّ القَتْا وحُقَّتْ عليه كلمةُ العذاب بِلُزُوم الحُجَّةِ والإصْرار على الكفر والمعصيّةِ، فصار إلى غضبِ الله ولعنتِه [3] .

283 ـ فلمَّا أيقن أَبُو العبَّاس والقوم الَّذِين اَسْتزَلَّهُمْ بِمَوْتِه جعل ذلك

(1-1) سورة طه،الآية 133 ـ هكذا وردت الآية وما قبلها في ا ؛ اما في ب، فقد وقع خلط غريب : لان الله عز وجل يقول في كتابه كمثل من سأل نبيه ما في الصحف الاولى .

(2) العنكبوت ، من الآية : 51 .

(3) في ا و ب : لعنه ، والافصح : لعنته .

سبباً لِلْمُبَايَنَةِ ، وجاءهم من أجله الخوفُ ، فأغراهم بترك المداهنة . وقَوِيَ أمر [1] ذلك على أبي عبد الله فَقَوِيَ وَاسْتَحْكَمَ سُوءظَنِّه بالمهديّ ، ودخلوا للعقد والإبرام . فاجْتَمَعُوا لذلك في دار أَبِي زَاكِي تَمَّامِ بن مُعَارِكٍ ، فَعَقَدُوا العُقُودَ وَأَجْمَعُوا [2] الآراء واحتالوا على أن يَفْتِكُوا بالمَهْدِيّ ويَنْتَزِعُوا حقّ الله مِنْ يَدِهِ ويُطْفِئُوا النُّورَ الّذي جعلهالله (عوج) فيه ، جراءةً على الله (عوج) وانسلاخاً من الإيمانِ وخروجا عن جملة المؤمنِينَ « والله مُتِمُّ نوره ولَوْ كَرِهَ الكافِرُون » [3] واجْتَمَعَت كُتَامة إلاّ القليلُ منهم على ما زَيَّنَ اللّعِينُ لهم . وكان مّمنْ خالفهم واعْتَصَم بحبلِ المهديّ (ع م) وكان ياتي بأَخْبَارِهم إليه غَزْوِيَّةُ بْنُ يُوسُف ، فقدَّمَهُ المهديُّ (ع م) على مَن استعبد [4] مِنَ العبيد وجمع إليه مَنْ سَلِمَ مِنَ النّفاق مِنَ المؤمنين . واستعدُّوا لِلْمُنَافِقِينَ على كثرتهم وقلّة عدد المؤمنين فيهم ، فكان أبو حليفة في ذلك مِّمنْ تَثَبَّتَ [5] في جماعةٍ من المشائخ .

284 ـ وبَايَنَ القومُ الباقون بالنّفاق وجمعوا الجموع وأحاطوا بقَصْر المهديّ ليَقَعُوا به وهو في ذلك منتصبٌ جالسٌ جَلِدٌ غيرُ مُكْتَرِثٍ ثِقَةًمنه

---

(1) ا : امر : ب : امور .

(2) في ا و ب : واجتمعوا .

(3) سورة الصف من الآية : 8 .

(4) في ا و ب : استعد : يجوز إلا أن الارجح ، استعبد .

(5) ا : تثبت : ب : ثبت .

بوَعْدِ الله (ع و ج) فأيَّده (ج ث) ونَصَرَهُ وَفَرَّقَ جمع مَنْ تَمَالأَ[1] عليه وَقَذَفَ الرُّعب في قُلوبهم فَتَفَرَّقوا. وكانت في ذلك أخبارٌ يَطُولُ بها الكتابُ وقد بَيَّنَّاه على الاختِصَارِ ورتَّبناه على الإيجازِ كَانَتْ فيها للمهديّ براهينُ ومُعجزات، ودلائلُ وآيات، بمَا أظهر اللهُ من نُصْرِه وتَأْيِيدِه، وألقَى[2] من الرُّعب في قُلوب أعدائه ومَنْ تَمَالأَ على الوُثوب عليه، على كثرة عددهم وقِلَّةِ مَنْ معه، كما نَصَر (ع و ج) بالرُّعبِ محمَّداً جدَّه وأيَّدَه بنصْرِه وأمَدَّهُ بملائكته .

285 ـ وكان الَّذين عَقَدُوا ذلك النِّفاق من رجال كُتَامة مَعَ أبي العبَّاس وأبْرموه وتعاونوا عليه تَتَّصِلُ أخبارهم بالمهديّ، وهم على ذلك يُدخلون عليه ويَعتقِدون في كلّ دَخْلَةٍ الفتك بـه والقبض عليه، فإذا صَارُوا بين يَدَيْه مُلِئَتْ قلوبُهم خوفاً وهيبةً ، وغلَّ اللهُ أيديهم عنـه ، وهُوَ مـع ذلك غيْرُ مُسْتَعِدٌّ لهم ، ولا مُلْـو[3] بما يتّصل به عنهم ، ثقةً منه بوعد الله (ع وج) له وتَوَكُّلًا منـه عليه ، وتفويضاً في أمره إليـه . فإذا أنصرفوا عنـه، ندِموا على تركهم إيَّاه ، وتَوَاعدُوا لِمَا عَقَدُوهُ في الَّتي يستقبلونه فـإذا

---

(1) ا : كذا ، في ب : تحريف : تما الى ، والتحريف كثير في الجمـل قبلها وبعدها .

(2) ا : القى ؛ ب : لقى .

(3) في ا و ب : ملوي ، والصواب : ملو .

صاروا إليه ، آل أمرهم إلى ما كان عليه ، فإذا كان اللَّيل ، اجْتَمَعُوا عند أَبِي زَاكِي ، ـ وأبو عبد الله كذلك يدخلُ معهم ، وأبو العبّاس . فَنَظَرَ المهديُّ إلى أَبِي عبد الله يوماً من تلك الأَيَّام ، وقد لبِسَ ثَوْبَهُ مقلوباً ثمّ دخل عليه [1] به كذلك ثلاثة أَيَّامٍ . فقال له فِي الثَّالثة : « يا أَبا عبد الله ! ما هذا الَّذِي أذهلك [2] وشغلك مِثل هـذا الشُّغل في أَمر نفسك ؟ قـال : وما هو يا مولاي ؟ قال أَرى قَمِيصَكَ مقلوباً عليك منذ ثلاثٍ ، ما اهتديت إليه ، ولا أَحْسَبُكَ نزعتـه عن نفسك. فنظر ، فقال : واللهِ يا مـولاي ! ما علِمْتُ به . قال : إنَّ هذا لشغلٌ عظيمٌ ! فـأين بِتَّ مُنْذُ كَذَا وكَذَا من اللَّيـالي ؟ فسكَتَ . قـال : أَلَيْسَ في دَارِ أَبِي زاكي ؟ قـال : نعـم يا مولاي. قال : ومَا أَخرجَكَ من دَارِكَ الَّتِي أَنْزَلْنَاك بها إلى دار أَبِي زاكي ؟ قـال : يَا مَوْلَايَ خِفْتُ على نفسي . قـال : مِمَّنْ ؟ فَسَكَت . قال : مِنِّي ؟ قال : خُوِّفْتُ يا مولاي فَخِفْتُ . قال : فهل يَخَافُ المرء إلاَّ مِنْ عَدُوِّه ؟ قال : أَعوذ بالله . قال المهديّ (ع م) : إنَّ الْمُؤْمِنَ لا يخـافُ وَلِيَّهُ. فسكت أَبو عبد الله وأَيقن أَنَّهُ قد بَدَت عَوْرَتُهُ لو لِيِّ الله ، وَوَجَبَتْ حُجَّتُهُ عليه ، وَبَرِئَ منه ، وحَلَّ قَتْـلُه لمحاربته إِيَّـاهُ وانْصَرَفَ [3] .

---

(1) أ : عليه ؛ ب : عليك ، وهو خطأ .

(2) ب : اذ هلك ؛ أ : ذهلك .

(3) انظر الحوار بين المهدي وابي عبد الله في صغية الكامل 134 وصيغة اتعـاظ 65 المتشابهتين واللتين لا تختلفان عما في الافتتاح إلا قليلا، اما في العبر 37 فقد اختصر ذلك كثيرا ، واما صيغة البيان 161 ـ 162 فتختلف تماما عن صيغـة الافتتـاح .

286 ـ وعلِمَ القـوم مـا فَاه أمير المؤمنين ، فأمسكوا عن الدُّخول إليه ، وخافوا على أنْفسهم منه . وكان ابنُ القَديم قد داخلـهم ، ووَسْوَسَ إليهم ،وأفسدهم وآستمالهم بأموال كانت في يديه من أموال زيادة الله [1]، وخاف من أمير المؤمنين مطالبته إيّاهُ بها . ـ وكان قد ولاّه ديوان البَريد[2] وأحسن إليه ، فكافاه بالخلافِ والعقْد عليه ، وكان ذلك قد آتّصل به عنه . فَذَكَرَ يوماً ـ وهو بين يديه ـ ـ تَخَلُّف القَـوْم عنه ، فقال : إنْ شئْتَ يا مـــولاي أتيتك بهم . قـال : وتقْـــدِرُ على ذلك ؟ قـال : نعـم ، السَّاعَةَ ! . ووَلّى فجاء بهم ـ فَعَلِمَ المهديّ (ع م) صحيحَ كَوْنِهِ معهم ، ودخوله في جُمْلتهم ـ . فأظهروا البَرَاءَةَ ممّا قيـل فيهـم وآعتذروا ممّا تأدّى إليه عنهم . فردّ في ذلك ردًّا جميلًا . وأخـــرج من وُجوههم إلى نواحي من البُلدان لِيُفَرِّقَ جمعَهـم : فأخـرج فِيمَنْ أخـرج أبا زاكي إلى طَرَابُلس ـ وكان عَمُّه أبُو يُوسُف [3] عاملًا عليها . فلمّا وصل إليـه كتب إليه بِقَتْـلِه . فقتله أبُو يُوسُف عَمُّه صَبْراً . وبَعَثَ برأسه إلى المهـديّ . وقُتِلَ جَمَاعَةٌ منهم كذلك بالبُلْدان وبرقّادة بِصُنُوفٍ من القتل ، وهَرب

---

(1) انظر ذلك في : 241 .

(2) في البيان 159 : ... وعلى ديـوان الخراج [أبا القاسم] ابن القديم ، وهذا أثبت اذ يؤكده جعفر الحاجب (انظر سيرة جعفر 132) ويلائم ماكان يتولاه ابن القديم من اعمال مع زيادة الله .

(3) أبو يوسف ماكنون بن ضبارة الأجاني .

ابن القـديم واستخفـى . فَظَهَـر عليه ، وقُتِـلَ . وخـرج أبو عبـد الله وأبو العبّاس يوماً يريدان قَصْرَ المهـديّ على عادتها . فحمل غَزْوِيّة بن يوسف على أبي عبد الله ، وحَبْرُ بْنُ تَمَاشِت [1] على أبي العبَّاس برمح في يد كلّ واحدٍ منهما فقتل غَزْوِيَّة أبا عبد الله ، وحَبْرُ أبا العبَّاس فيـما بين القصر [2] . وكان قتلهـما يوم الإثنين ضاحيـة النَّهـار يوم النّصف من جُمَادَى الآخرة [3] سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين . واتّفق أن كان قتـلُ أبي زَاكي فى ذلك اليوم . وأمر المهديّ (ع م) بدفنهـما في الجَـبان [4] وترحّم على أبي عبد الله وذكره بخير ولعن أبا العبَّاس وقال فيه سوءا [4] .

---

(1) ا : حبر تماشت ؛ ب : خبر بن تماشيت ، البيـان 164 : جبر بن نـماسب الميليّ ، العبـر 37 : ثم ان المهدي استدعى عروبة بن يوسف (هـو غزوية) واخـاه حباسة (وهو الذي غزا مصر وهزمـه مؤنس) وامرهمـا بقتل الشيعي واخيه .

(2) في البيان 164 : « . . . خلف قصر الصحن . . . ومكثا صريعـين على صفـّ (كذا والصواب : ضفـ) الحفير المعروف بالبحر » .

(3) كذا في ا و ب ، العبر 37 : في نصف جمادي؛البيان 164 : (وذلك يوم الثلاثـاء) غرة ذي الحجة (سنة 298) .

(4-4) كذا في ا و ب البيان 164 : « ثم أمر عبيد الله بدفنهما (فدفنـا في الجنان) (كذا ، وهو خطأ) وقال : رحمك الله ! ابا عبد الله ! وجازاك في الآخرة (بقديم سعيك) ؛ ولا رحمك (الله) ابا العباس فإنك صددته عن السبيل واوردته موارد الهلاك . . » في الكامل 135 واتعاظ 96 رحمك الله ابا عبد الله وجـازاك خيرا بجميل سعيك .

287 ـ فدمّر الله المنافقينَ وقطع آثارهم بعد الإعذار إليهم وَوُجوب الحُجّةِ عليه من الله وَوَليّه . ولقد قيل إنّه بعد مُشافَهَتِهم بالإعذار وما رأى منهم من التّمادي والإصرار دسّ إلى كلّ واحدٍ مَنْ يَنْصَحه ممّنْ كَان يثق به ويميل إليه . فأمّا أبو عبد الله فكان يترجّحُ ، ويُقْدِمُ ويُؤخّرُ وَيَطْوِي ويُظْهِرُ . وأمّا أبو العبّاس، فقال لِبَعْضٍ من عاتَبه في ذلك : واللهِ لا تَرَكْنَا بِناءً بَنَيْنَاه وأتعبنا فيه أبداننا وذهبت فيه أعمارنا ، يسكنُه غيرُنا ، ونحن من وراء أبوابه حتّى نَحُلَّ في أعاليه أو نلْحَقَه بأسافله . وقال آخر لأبي زاكي مثل ذلك ، فقال : لا والله لأَكُون [1] في قطع أيّام تقدّمني فيها وارتفع عليّ ابن راعي البَقَر! ـ يَعْنِي غَزْوِيّة بَن يُوسُف ـ . وقال آخر لبعضهم في ذلك ، فقال : والله لَا تَرَكْنَاه ! ـ يعني المهديّ (ع م) ـ حتّى يُقَاسِمَنَا هذه القُصور التي نزلها والأجنّة الّتي حولها بالاشبار ، ويَكُونَ الأمْر أمرَنا والحكم حكمنا كما كان ، ولا رَضِينا أن نأخذ من تحت يديه كما يأخذ العبيدُ ، بل يكون ما أخذناه بأسيافنا عندنا . وتحت أيدينا ، كما كان ، ولنا الفَضْلُ فيما نُعْطيه

---

(1) ا : لا اكون ؛ ب : تحريف ـ والصواب لأكُون ، فأبو زاكي يقسم انه مصر على النفاق .

منه ، في كلام كثير من الرَّقَاعة والحمق والكفر والنِّفاق كما رُوِيَ عنهم إلى أن حقَّت كلمةُ العذابِ عليهم ، حتّى دمَّرهم الله أجمعين ، وصيَّرهم حصيداً خامدين ، حَمَى الله (ع وج) وليَّه من بأسهم وأظفره بهم كما حَمَى جدَّه محمَّداً (صلعم) من بأس مشركي قريش لَّما تمالؤوا عليه ، وأعملوا فيه الآراء ليقتلوه على كثرتهم ، وقِلَّةِ عددِه ، وقوّتهم وضعف أنصاره . وكان ذلك كذلك في المهديّ حذوَ النَّعل بالنَّعل [1] .

288 ـ وعَصَمَ اللهُ مَنْ عَصَمَ مِنَ المؤمنين مَعَ وَليّهِ ، وثبتوا على ما كانوا عليه مِنْ وِلايته بعد أن نُدِبُوا إلى ما أجاب إليه غيرُهم من النِّفاق وقيل لهم في ذلك وشُبِّهَ عليم وخُيِّل إليهم . فكانوا يَقُولُون لأبي العبَّاس بحضرة أبي عبد الله إذا قال لهم في ذلك : قد عرَّفَنَا هذا الّذي دعانا بأنّهُ إمَامُنا ومَوْلانَا ، ونَصَّ عليه بحضرته ، ودعوتَ أنت إليه مُدَّة ، وقلت كما قال . فَنَحْنُ على ما أخذناه [2] ، وعَرَفْنَاه [3] فما الّذي يُزِيلُنا عنه؟ فإذا سَمِع ذلك أبو عبد الله صَوَّبَ رَأْسَه وَسَكَتَ ، وأمَّا أبو العباس فيناظِر بالباطل ، ويُنَوِّه ، ويكابر . فاستحقّ لذلك لعنةَ الله ولعنة أوليائه ، ونالت أبا عبد الله عقُوبةُ ما داخله من أجله عَجَّلها له

---

(1) كذا في ا ؛ في ب : اخذ والنعل بالنعل .

(2) كذا في ا ؛ في ب : تحريف : اخذ فاه .

(3) ا : وعرفناه ؛ ب : وعرَفنا .

الوَلِيُّ في الدُّنيا وأستغفرله في الآخرة لِمَا تَقَدَّمَ من صَالِحِ عَمَلِهِ وصَحِيحِ نِيَّتِهِ . وهذا مِنْ قَوْلِ الله (ع و ج) : « مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ به [1] ».
وقوله : « وَمَا أَصَابَكُمْ من مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ [2] » . وما تَدَاخَلَهُ الغِشُّ من الذّهب فلا بدّ له من الذّوبان ليحرقَ النّارُ مَا فِيهِ من الغِشِّ ويَصْفُوَ . وأيسر العُقُوبَةِ ما عُجِّلَ في الدُّنيا وأَشَــدُّهُ عُقُوبَةُ الآخِرَةِ نَعُوذُ بالله من عقابه وعذابه ونساله السّلام في العاجِل والآجِل والعصمة وهو الوهّابُ الكَرِيمُ !

XL ـ ذِكْرُ مَنْ نَكَثَ في ذلك الوقتِ من أهل إفْرِيقْيَة [3] مِمَّن أعْطَى الأمان وعقوبتهم على النّكث والعُدْوَان .

289 ـ وقد ذكرنا ما تقدَّم من أبي عبد الله ـ أوّلا في حين دخوله ـ من الأمَان لأهل القيروان ولسائر أهل البُلدان ولِمَنْ بَقِيَ بعد المخذول [4] من بني الأغلب ومِمَّنْ كان في خدمة المخذولِ ومَواليه وأتباعهم ، وما أعطاهم المهديُّ (ع م) بعد ذلك مَا لَزِمُوا الطّاعة وأقامـوا على الوفاء بالعهد وإحسان المهديّ إليهم وإفضاله عليهم. وكان أوّلُ ما بَدَا من

(1) سورة النساء ؛ من الآية : 123 .

(2) سورة الشورى من الآية 30 .

(3) ا : ممن ؛ ب : عن .

(4) اي : زيادة الله الثالث.

خلافهم ذلك أنّ جماعةً من بني الأغلب كانوا عند أبي الحَسَن بن أبي حجَر وكان من وُجوههم ومُقدّميهم وأسخيائهم، وقد حضر طعامه وهم يأكلون معه إلى أن دخل عليه بعض خاصّته فقال : قُتِلَ السّاعَةَ أبو عبد الله وأبو العبّاس . فرفعَ يَدَهُ من الطّعام ، وضَربَ المائدة برجله ، وقال لمن كان معه من أهل بيته : قُتِلتُمْ واللهِ كُلُّكُمْ ! قالوا : وما ذنبنا نحن ؟ قال : هذا الّذي أمّنكم قد قُتِلَ ، وهو صاحبُ هذا الأمر وسببُ هذا الملك فكيف بكم وأنتم تُعَدُّون في الأعداء ! ومَنْ قتَل وليّه كان إلى قَتْل عدوّه أسرَعَ . فَخَامَرَ (+) النّفاق قلوبهم ، وسَعَى بعضُهم إلى بعض به وتداخلهم الخوفُ من أجله .

290 ـ كان عَامّتُهُمْ بالقَصْر القَدِيم . فوقع يوما بين بعض السُّوقَةِ فيه وبين بعض الكُتَامِيّين شَرٌّ فقاموا على الكُتَاميّين فأخرجوهم من القَصْر وأغلقوا أبوابه وأصابوا جماعة من الأولياء ، وأظهروا الخلاف وذلك بعَقْد فتنة النّفاق التي ذكرنا جُمْلَةَ خبرها وتَصَايَحَ مَنْ كَانَ حول القَصْر القديم من كُتَامة ، فزَحفُوا إليه وأحاطوا به وأوقدوا النّار على الصَّوْمَعَة لِيَمُدَّهُمْ أهلُ القيروان . فجاءهم جماعةٌ منهم . فَمِنْ قَبْل أن يصلُوا إليهم أخرج بَنُو الأغلب ما كان عندهم من السّلاح والعُدّة وفرّقُوا ذلك على

(+) خامر داي داخله .

أهل النِّكَاية منهم [1] ، وركِبُوا خيلَهم و عَبَّوْا [2] الخيل والرِّجال في داخل القَصر بموضع يقال له المَيْدَان ، به رحبةٌ واسعةٌ ، وفتحوا باب السَّعَادة وهو بهذا الميدان ، وخرجوا على ما كان عليه من كُتَامَة بدفعةٍ واحدةٍ ، فَقَتَلُوا منهم جماعةً . ثمّ واقَفُوهم ساعةً ، فرفَعُوهُم وخرج يومئذٍ أُبو حَليفَة ، واتّصل الخبرُ بالمهديّ (ع م) فأرسل من ردَّ كُتَامَة عنهم ، وأَظْهَرَ الإنكارَ عليهم فانصرفوا [3] .

291 ـ وأَخرج بنو الأَغْلَبِ قَازَاتِهِم وأَخْبِيَتَهم ، فضربوها خارجاً من القصر القديم مِمّا يلي رَقّادة بموضعٍ يُقَالُ له الهَدَفُ ، وبرزوا فيها مُجَاهِرِين بالمعصية والحرب لوليّ الله فأعرض عنهم . وقاموا كذلك أيّاما ثم تخَلَّلُوا [4] ، وانصرفوا إلى دُورهم واسْتَحَقُّوا القتلَ بِنَكْثِهِمْ ومُبَايَنَتِهم. فتركهم المهديُّ (ع م) ثم أَمر بالقبض على جماعةٍ من وجوههم فقبض عليهم فقُتِلوا صبراً على باب رقّادة وجُعِلَتْ رؤوسهم عليه .

---

(1) ا : فيهم ؛ واصلحت في الطرة هكذا : منهم ؛ ب : نقص .

(2) كذا في ا و ب : عبوا ؛ ويجوز ايضا : عبؤوا .

(3) انظر صيغة الكامل 135 واتعاظ 96 : وثارت فتنة بسبب قتلهما وجرد اصحابهما السيوف فركب المهدي وامن الناس فسكنوا ، ثم تبعهم حتى قتلهم ، وصيغة العبر 37 وثارت فتنة بسبب قتلهما من اصحابهما فركب المهدي وسكنها .

(4) ا و ب : تحللوا ؛ والصواب : تخللوا .

وظنَّ الباقون أنَّ أولئك الَّذين قُتِلوا هم كانوا البُغْيَةَ . ثمّ قُبِضَ بعد ذلك بِمُدَّةٍ على طبقةٍ ثانيةٍ منهم فقُتِلُوا ثمّ أمر بطلبهم حيث كانوا من البُلدان، فقُتِلُوا بِكُلِّ مكانٍ . وتُتُبِّعَ مَنْ شذَّ منهم فحُبِسَ. فلم يزالوا مَحْبُوسِينَ [1] إلى أنْ أطْلَقَهُم المنصورُ (ع م) بعد الفتح مَنًّا عليهم ووَصَلَهُم وسَيَّرهم إلى مِصْرَ وذلك حِينَ أطلق أهل السُّجون [2] .

292 ـ ثُمَّ شجَرَ أيضاً بين بعضِ أهْلِ [3] القيروان وبَعْض الكُتَامِيِّين شَرٌّ بها . فقاموا على من كان بداخلها فقتلوا منهم في ساعةٍ واحدةٍ زُهَاءَ سَبْعمِائَة رجلٍ . فاتّصل الخبرُ في ذلك الوقت بالمهديِّ فَقَال : ألَهُمْ عَقْدٌ أوْ رَئِيسٌ فِي هَذَا الأَمْرِ ؟ قِيلَ : لا ، وإنَّمَا فعل ذلك الغوغاء ومَنْ لا يُعرف ولا يوجد لو طُلب ولا يُؤْبَهُ له . فتمثّل (ع م) بقول الشّاعر :

أحْثُو عَلَى دَيْثَمَ مِنْ جَعْدِ الثَّرَى   أبَى قَضَاءُ اللهِ إلاَّ مَا أرَى [4]

---

(1) ب : محبوسين ؛ ا : محبسين .

(2) انظر صيغة ابن حماد 37 واطلق من الحبس عشرين رجلا من بقايا بني الاغلب ووصل كلاً منهم بعشرين مثقالا ونفاهم الى مصر .

(3) في ا و ب : بعض القيروان ؛ وصيغة الكامل 135 واتعاظ 96 : وثارت فتنة ثانية بين كتامة وأهل القيروان قتل فيها خلق كثير ، فخرج المهديّ وسكّن الفتنة ؛ العبر 37 : ثم ثارت فتنة أخرى بين كتامة وأهل القيروان وفشا القتل فيهم فركب المهدي وسكنها .

(4) من الرجز .

وأتاه شُيوخُ القيروان مع المَرْوَرُّوذِي [1] القَاضي ، فاعتذروا من ذلك . فأعْرَضَ عنهم ولم يُعَجِّل بالعقوبة عليهم مُدَّة . ثمّ عَاقبهم بعد ذلك في أموالهم عقوبةَ مِثْلِهم إذ لم يُعْلَمِ الفَعَلَةُ منهم ، وقَتَل مَنْ قَتَل منهم في مِصْرِهِم وبين جماعتهم ولم يكن ذلك مِمّا عاقبهم صِرَاحاً أنّهُ عُقوبَةُ فِعْلِهِمْ ذلك ، ولكنّه قيل ذلك فيما قِيلَ والله أعلم به [2] .

293 ـ وقيل إنَّ قوماً عُرِفُوا مِمَّنْ قتل ذلك اليوم وأثخن في الأَولياء وكانوا يُعْرَفون بذلك . فلم يُعرض لهم إذْ لم يقم في ذلك بَيِّنَةٌ عليهم ولم يجِبْ في الحكم بالظّاهر قتلهم . فخرجوا بِأَسرهم مع اللّعِين الدّجال مَخْلَد بن كَيْدَاد في فتنته بالمهديّة لينْصُرُوه ، فقدّمهم في جماعة أهل القيروان في يوم يُعْرَفُ بيوم لُلْيَانَة [3] ، قد كان زحف فيه مِمّا يليها فهزمهم الله ، فَقُتِلُوا كُلُّهم عن آخرهم لم يبقَ أَحدٌ منهم إلاّ قُتِلَ في ذلك اليوم. وصيَّرهم الله إلى عذابه وعجَّل منهم انتقامه وأَحلَّ بهم بَأْسَهُ.

---

(1) أ : المروذي ؛ ب : المزروي ؛ ـ انظر اسمه : 228 .

(2) ما يذكره النعمان هنا يخالف ما جاء في كتب أهل السنة من أخبار شتى عن قتل الشيعة شيوخ القيروان المالكيين .

(3) أ : الليانة ؛ ب : اللبانة ؛ ـ والصواب : لليانة ، كما ذكرها التيجاني 371 وأصل الاسم لاطيني : جوليانة ؟ ؟

XLI ـ ذكرُ جُمَلٍ من أخبار المهديّ (عليه الصّلاة والسّلام) إلى أن أكرمه الله بقَبْضِهِ إليه .

294 ـ ولمّا فرّق الله (ع و ج) جمع الظّالمين وقَطَعَ شأفَة المُنافِقِينَ ، وأيّد الله أمرَ وليّه وأعزّه ، وأظهره ، عهِدَ إلى محمّدٍ أبي القاسم ابنِه القائم (صلوات الله عليه) ، وأجرى أمر كتبه باسمه ، وسمّاه وليَّ عهدِ المسلمين . وكان يُظهر السُّرُور به إذا رآه ويتمثّل كثيراً إذا طلع عليه فيقول شعراً :

مُبارَكُ الطَّلْعَةِ مَيْمُونُها يَصْلُحُ لِلدُّنْيا والدِّينِ [1]

وتَغَيَّبَ بَقِيَّةُ المُنافِقين ، فصَارُوا إلى بلدِ كُتَامة فأقاموا غُلامًا حدَثاً من أخسّ أهل بيت فيهم يُقال لهم [2] بَنُو مَا وَطَنَت مِنْ أورسّة [3] فزعموا أنّه المهديُّ [4] . ثمّ نحلوه النُّبوّةَ وزَعَمُوا أنّ الوحيَ يأتيه وأنّ

---

(1) مجزوء البسيط .

(2) ب : لهم ؛ ا : لها .

(3) ا : اورشية ؛ ب : اورسة . ـ انظر كيف حققنا هذا الاسم : 102 .

(4) لم يذكر اسمه في الكامل 130 ولا في اتعاظ 97 : « ... فأقاموا طفلا وقالوا : هذا هو المهدي ... » ، العبر 37 « ... ونصبوا طفلا لقبوه المهدي ... » ـ ورد اسمه في البيان 166 : « ... وقدموا على انفسهم حدثا يعرف بالملرطيّ (والماوطي) واسمه كادو بن معارك ... » وفي سيرة جعفر 122 : الماوطي ؛ ـ والصواب : الماوطني ، نسبة الى ما وطنت .

الكتبَ من الله تَنـزِلُ عليه،ونصبوا له دُعاةً كدُعَاةِ أبي عبد الله،يتكلمون بمثل ألسِنَتِهِم وعلى ترتيبهم ، وقالوا : أبُو عَبدالله حيٌّ لم يَمُتْ وأباحُوا الزّنَا والمحارِمَ وجاؤوا بتخليطٍ عظيمٍ. وأطبق عامَّةُ مَنْ بِبَلَدِ كُتَامَةَ[1] على ذلك وزحفوا إلى ميلة فاخذوها ، وذلك كلّه بمدّةٍ قريبةٍ . فأخرج إليهم المهديُّ القائم (صلى الله عليهما) في عساكرَ . فقاتلوه فهزمهم حتّى انتهى بهم إلى البحر ، وقَتَلَ منهم خلقًا عظيمًا ، وأناب إليه عامّتهم، فأمّنهم وأخذ الغلام الّذي نَصَبُوهُ ، فأُتِيَ به إلى المهديّ (ع م)، فَقَتَلَهُ .

295 ـ ثمّ خالف أهـــل مدينةِ طرابلس . فأخرج إليها القـائمَ ، فحاصرها مدّةً ثمّ افْتَتَحَهَا عَنْوَةً فعَفَا عن عامَّتِهَـا من أهلها وقَتَل الّذين عقدوا الخلاف بِهاَ مِنْ أكابرهـا . واسْتَصْفَى أموالهـم[2] . وبَعَثَ بعثًا

---

(1) ا : عامة من بلـد ؛ ب: عامة بلـد ، وهو يجوز ، الا ان الارجح ما ابتناه .

(2) انظر التيجاني 241 : « واغرمهم ما أنفق على الجيش وذلك اربعمائة ألف دينار وكان المتولّي لتغريمهم وتعذيبهم خليل بن اسحاق...» انظر ايضا خبرا مفصّلا تفصيلا اكثر مما في الافتتاح عن فتح القائم طرابلس، في البيان 168 ـ 169 انظـر ايضـا العبـر 38 : واغرمهم ثلاثمائة الف دينار .

إلى برقة فافتتحها [1] . ثمّ خالفوا عليه ، فأرْسَلَ إليها بعثاً فافتتحها ، وأمر بأكابِرِ أهلها الّذين عَقَدُوا الخِلَافَ فقتلهم: وفَعَلَ مثل ذلك بأهل صِقلِّيَّة بعد أن خالفوا أيضا وَعَقَدُوا لابنِ قُرْهُب [2] . وأُتِيَ بِهِ إليه ، فَقَتَلَه [2] . وغزا مِصْرَ القَائِمُ (ع م) غَزْوَتَيْن ، فملك الفَيُّومَ والصَّعِيدَ ولم يَحُلْ بينه وبين مصر إلاّ النّيل وما خَبَأَهُ الله [3] (ع و ج) لمن جعل

---

(1) انظر البيان 170 : « وفي سنة 301 أخرج عبيد الله الشيعي حُبَاسة بن يوسف بالجيوش إلى المشرق ... ودخل مدينة برقة ...» و175 : « وفي هذه السنة (اي : 304) فتحت مدينة برقة على يدي ابي مدين (كذا ، والصواب : أبُو مُدَيْنِي) الموجه اليهم بعد ان أفنت الحرب أكثر أهلها مدة ثمانية عشر شهرا ...»

(2 - 2) كذا في اوب ؛ في الكامل 135 واتعاظ : ابن وهب وهو خطأ ، في البيان 168 : احمد بن زيادة الله بن قرهب ؛ وفي 171 : محمد بن قرهب ؛ وفي 174 : ابن قرهب، ... « وامر بابن قرهب واصحابه فضربوا بالسياط، وقطعت أيديهم وأرجلهم على قبر الحسن بن أبي خنزير (بباب سالم ...) » .

(3) كذا في ا و ب : خبأه ، والمعنى : أجله ، فكأن النعمان يشير الى استعداد المعز لدين الله لفتح مصر .

ذلك له مِنْ وُلْدِهِ . واَفتتح مدائنَ كثيرةً من مدائن الرُّومِ [1] . وخالف أهل تاهرت عليه ، فَغزَاهم واَفْتتحَهَا وقتل من أكابرها من أثار الخلاف بها [2] .

296 ـ واَبْتَنَى المَهْدِيَّة المأثور ذكرُها في الكتب المعروفة بالبيضاء الّتي قيل إنّ الدَّجّال [3] لا يَصِلُ إليها ولا يَدْخُلُهَا . فكانت كَمَا جاءت الرّواياتُ فيها . وكانت من أعجب الآثار ، بَنَاها بالحِجَارَةِ [4] وبَوَّبَهَا

---

(1) انظر الكامل 182 : « وفي هذه السنة (اي : 313) سار جيش صقلية مع أميرهم سالم بن راشد وارسل إليهم المهدي جيشا من افريقية فسار الى ارض انكبردة، .وساروا الى ارض قلورية. . . » وانظر ايضا البيان 190 « وفي سنة 311 غزا ابو احمد جعفر بن عبيد الحاجب (وكان يعرف قبل وصول المهدي الى رقادة بصعلوك . كما في سيرة جعفر 110) بلد الروم من صقلية ، فافتتح اماكن كثيرة (منها مدينة واري) وقتل . . . » و 193 : « وفيها (اي : 216) غزا صابر من صقلية الى بلد الروم . . . » ؛و 194 : « وفيها (اي 217) غزا صابر الفتي غزوته الثالثة والتقى في البحر بالسردغوس . . . » .

(2) انظر صيغة البيان 165 « وفيها (اي : 299) فتحت مدينة تيهرْت . وكان أهلها ثاروا على دوّاس . . . »

(3) هو في الحدثان الاعور الدّجال الذي يقتل المهدي ويقتله عيسى بن مريم انظر : 69 ، وهو في التاريخ عند الشيعة أبو يزيد صاحب الحمار.انظر 293

(4) ب :بالحجارة ؛ ا : بالحجار .

بأبْوَابِ الحديد المحصن [1] وٱنتقل إليها في شَوَّال سنة ثمانٍ وثلاثمائةٍ، وَسَكنها . ورأى النَّاس مُعجزات ما هيَّأ الله (ع و ج) في بنائها ويَسَّرَ له من الصَّعْبِ منها وزاد إليها في البحر وٱحتفر في آخرها ميناء [1] خرَقَها بها وجعل لها مَخْرَجاً إلى البحر وقُفْلا [1] عليه . وكان إذا نظر إلى حصنها وأبْوَابِها وإعجَاب النَّاس بذلك يقول : « هذا كُلُّه عُدَّةٌ لساعةٍ واحدةٍ من نهارٍ ! » فكان ذلك كما قال لمّا ٱنتهى إليها مَخْلَدُ اللَّعين، وقف عليها ساعةً وكان آخر عهده بها إلى أن رُفِعَ مصلوباً على سُورها فَعَزَّ أمر المهديّ بها، وٱفتتح كثيراً من البُلْدَان منها . وأقام الدَّعْوَةَ بِهَا .

297 والْتَاثَ أمْرُ المَغْرِب [2] فاخرج إليه القائم، فاصلحه، ودمَّرَ من نَجَم فيه، وٱنصرف بعد بلوغه ما أراده . ورُفِعَ أنَّ قوْماً

(1-1-1) انظر التيجاني 321 ـ 322 : وامر بعمل باب الحديد للمدينة فجعل صفائح مصمتة . . . وامر بحفر مرسى المدينة . . . وأقام على فم هذا المرسى سلسلة من حديد . . . » .

(2) انظر صيغة الكامل 190 واتعاظ 104 ـ 105 : « وفي هذه السنة (فلما كان سنة خمس عشرة وثلاثمائة) سير المهدي ابنه أبا القاسم من المهديّة الى المغرب في جيش كثير في صفر لسبب محمد بن خزر الزناتي (بسبب خارجيّ خرج عليه) . . . » وصيغة البيان 191 ـ 192 : وفي سنة 315 خرج أبو القاسم ابن عبيد الله الشيعيّ من المهدية يريد المغرب . . . »

مِمَّنْ أجاب إلى دعوته مَرَقُوا عن الدِّين وٱسْتَحلُّوا المَحَارم ورَفَضُوا الظَّاهر.
فعاقبهم على قَدْرِ ذُنوبهم ، فَقَتَل قوماً منهم وسجن آخرين وخلَّدهم في
المحابس مصفدين إلى أن فَنَوْا عن آخرهم [1] . ومَحصَ المؤمنين
وأغلَقَ باب رحمته مُدَّةً من السِّنين . ثمّ عَطَفَ رحمةً على الطالبين ،
وبلَّغَ المطيعين منازلَ الصَّالحين . ولم يزل الله (ع وج) يُولِيهِ من
التَّوفيقِ والتَّسديدِ ويَمْنَحُه من النَّصْر والتَّاييد ما هو أهلُه لَدَيْهِ ومستحِقُّه
عِنْدَهُ ، وبحَسَب ما سَبَقَ له به وَعْدُهُ إلى أن قبضه الله إليه لما أعدَّ له من
الكرامة لَدَيْه (صلوات الله عليه أفضل صلاةٍ صلَّاها ، وأطهرها ،
وأزكاها وأعلاها !) فَنُعِيَ صبيحة [2] يوم الثُّلاثاء لِعَشر ليالٍ خَلَوْن
من جُمَادى الآخر سنه أثنين وعشرين وثلاثمائة . وكانت مُدَّةُ ظهور

---

(1) انظر صيغة البيان : 185 - 186 : « وفيها (اي : 309) أمر
عُبيد الله بحبس (نحو مائتي رجل أظهروا التشريق بالقيروان وباجة
وتونس . . . »

(2) في ا و ب : صبحة .

إِمَامَتِه (ع م) مُـــذْ وَصَلَ إلى رقّادة إلى اليوم الّذي نُعِيَ فيـه أرْبَعاً وعشرينَ سنةً وشَهراً واحداً وعشرين يوماً (1).

---

(1) كذا في ا و ب : الكامل 238 : في هذه السنة (أي : 322) في شهر ربيع الاول توفي المهدي .. في اتعاظ 105 : فلما كان يوم الاثنين الرابع عشر ، وقيل وقت صلاة المغرب ليلة الثلاثاء النصف من ربيع الاول سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة توفي أبو محمد عبيد الله المهدي . في البيان 208 : « بويع له اي للقائم يوم مات أبوه مُنتَصِف ربيع الاوّل سنة 322 ... » عند ابن حماد 15 : وتوفي عبيد الله يوم الاثنين الرابع عشر من شهر ربيع الاول سنة 322 . في اعمال 449 : وتوفي منتصف ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة . في العبر 40 : ثم توفي عبيد الله المهدي في ربيع سنة اثنتين وعشرين لاربع وعشرين سنة من خلافته . وفي الازهار 236 : وأيام أمامته ست وثلاثون سنة وخمسة أشهر وثلاثة ايام من يوم خروجه (ع م) من سلمية ... وتوفي (ص ع) بالمهدية في ليلة الثلاثاء للنصف من شهر ربيع الاول احد شهور سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة . وقبر بها وعمره حينئذ احدى وستون سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام (ص ع) -. لا شك ان سبب تخالف المصادر في تاريخ وفاته ما ذكره ابن الاثير من اخفاء القائم نعي أبيه عن العامة . انظر الكامل 238 : وأخفى ولده ابو القاسم موته سنة لتدبير كان له . وكان يخاف ان يختلف الناس عليه اذا علموا بموته ... » والافتتاح هو المصدر الوحيد الذي ضبط الوفاة في شهر جمادى الآخر لا في ربيع الاول .

XLII ـ ذكرُ جملٍ من القَوْلِ بعد المهديّ (عليه الصّلاة والسّلام) إلى حين الوقت الّذي أُلّفَ هذا الكتاب فيه .

298 ـ وقام القائم بأمر الله (صلوات الله عليه) بعد المهديّ مَقَامَهُ واْقتَفَى سيرته وآثـاره وأحكامه ، وأذِنَ في البُكَاء عليه ، ووَاصَل الحُزْنَ لفقده وأدَامَهُ ، مِنْ بعده أيّام حياته ، لَمْ يَرْقُدْ سريراً ولا رَكِبَ دابّة ولا توطـأ مِهَاداً ولا خرج من باب قصره أسَفاً عليه ، وتردّداً لذكره . وكان من صُنع الله له كَمِثْل ما كان للمهديّ أبيه (صلوات الله عليهما) أنّه اْفتتح مدائن الرُّوم وغزاهم بناحية الأنْدلس [1] وأُتِيَ بِفَيْئِهِم وسَبْيِهم ومَغْنَمِهم . وثار عليه غيرُ ثائرٍ فامكنه اللهُ (ع وج)

---

(1) انظر صيغة الكامل 249 : في هذه السنة (اي : 323) سير القائم العلوي جيشا من إفريقية في البحر الى ناحية الفرنج ففتحوا مدينة جنوة، ومروا بسردانية فاوقعوا بأهلها وأحرقوا مراكب كثيرة . ومروا بقرقيسيا فأحرقوا مراكبها وعادوا سالمين . وصيغة اتعاظ 108 : وسير ايضا جيشا في البحر وقدّم عليه رجلا اسمه يعقوب بن اسحاق الى بلد الروم فسبى وغنم في بلد جنوة، وفي العبر 40 : ثم جهز ابو القاسم اصطولا ضخما لغزو ساحل الافرنجة وعقد عليه ليقرب (كذا ، وهو تحريف يعقوب) بن اسحاق فأثخن في بلاد الافرنجة وسبى ونازل بلد جنوة وافتتحها وعظم صنع الله في شأنها ومر بسردانية من جزر الفرنج فأثخنوا فيها ثم مروا بقرقيسا من سواحل الشام (كذا ، والصواب : الاندلس) فأحرقوا مراكبها .

منه . وكان فيمن ثَار عليه فاسِقٌ يُعْرَف بابن طَالُوت [1] ويَنْتَهِي إلى قُرَيْش وكان من بعض كتَّاب العراق ، فصار إلى ناحية طَرَابُلس فزعم للبربر أنَّهُ ابنُ المهديّ [2] فقَامُوا معه ، واتَّبَعوه . فزحف إلى مدينة طرابُلس ليأخذها في عددٍ عظيمٍ. فقاتَلوه وهَزَمُوه وقتلوا جماعةً من أصحابه ثمّ تبيّن للبرابر أمره فقتَلُوه و أتَوْا برأسه إلى القائم (ع م) .

299 ـ ثم ثار عليه الدَّجّالُ الّذي كان ينتظره وجاءت فيه الرّوايات وأتى فيه الخبر ، مَخْلَدُ بن كَيْدَاد فخرج من جبل أوْرَاس فيمن تبعه فسار يَطْوِي البلادَ و يَزيدُ إليه أهل الفساد والعُدوان ، حتّى أخذ منه مدينة القيروان ، وقتل خَليل بن إسحاق وكان بها في عسكر [3] ثم قتل مَيْسُور الصَّقْلَبِي فيما بين المهديّة والقيروان ، وقد سار إليه بعسكر . ثمّ حلّ

---

(1) كذا في ا ، وفي ب : طالو ، وهو تحريف بسقوط التاء .

(2) كذا في ب : انه ابن المهدي ، اما في ا ، فقد سقطت ابن : أنه المهديّ . في الكامل 238 واتعاظ 108 : ويزعم انه ولد المهدي، في العبر 40 : وزعم انه ابن المهدي ، وكذلك في البيان 209 : وزعم انه ابن المهدي . . . » — هل في هذا دليل على ان الناس كانوا ينكرون بنوة القائم الجسدية من المهدي ؟؟.

(3) في العبر 41 : وعاملها يومئذ خليل بن اسحاق ، في الكامل 304 وعاملها خليل؛وفي الاموال 20 : خليل بن الورد ـ وهو خليل بن اسحاق بن الورد .

على المهديّة وانتهى إلى بابها ووقف ساعةً وقد أُغلِقَ البابُ دونه. ثمّ انهزم أصحابه ـ وكانوا يقاتلون كتامة من وَرَاء جَمّـة ـ فانصرف ، لمّا انتهى إليه ذلك . وهذه السّاعةُ هي السّاعةُ التي كان المهديُّ يذكُرُها ويذكر أنّه إنّما ابتنى المهديّةَ من أجلها [1] . ونَزَل اللّعِين بعساكره بالقُرب من سُوقِ الأَحدِ محاصراً لِلْمَهْدِيّة ومن حولها . وكان الأولياء من كتامة ومن غيرهم يُقاتلونه بلا نِظَامٍ ولا رئيسٍ عليهم . وكان القائمُ يُخْـبِر بأيّامه ومدّته ووَقْتِهِ . فانهزم من المكان الّذِي كان فيه . فانتهى إلى القيروان . ثمّ عاد إلى سوسة فحاصرها ، حتّى إذا رأى القائمُ أنّ وقتَ هَلَاكِـــه قد أزِفَ عَهِدَ إلى الإمـام المنصور (ع م) وأمـره بمحاربته فنهض إليه في قِـلّةٍ من العـدد والأنصار . فانهزم عن سوسة ، واتّبعه إلى القيروان ، فتردّد أياماً ثمّ انهزم منها . واتّبعه المنصور (ع م) وقد ولّى هارباً بين يديه. فكلما لحق بـه أوقَعَ بأصحابه وأفلت حتّى انتهى إلى كِيَّانَة [2] قلعةٍ بناحية الزّاب ، فاحتصرها ، وحاصره المنصـور بها ، حتّى أمكنه الله منه أسيراً ، وقـد

---

(1) انظر : 296 : « هذا كله عدة لساعة واحدة من نهار .

(2) كذا في ا : ب : كتامية ، وهو تحريف ، وفي العبر 44 والكامل 310 : واتعاظ 124 : قلعة كتامة ، وهو خطـأ . في سيرة جـوذر 48 : تعرف القلعـة بكفانة (كذا في الاصلين وأصلح اعتمادا على ابن عذاري) عند ابن حمـاد 30 ، 32 ، 33 : كيانة ، ولكن في الترجمة : كِيَّانة .

وقد أثبت جراحه [1] . ثمّ مات في الأسر وعجل الله به إلى النّار . وكانت مُدّتهُ مُذْ وصل إلى القيروان إلى أن خرج منها عِشْرِينَ شَهْراً وقد ذكرتُ أخباره واستقصيت ذكرها في كتابٍ ضخمٍ جمعت ذلك فيه .

300 ـ وقُبِضَ القائمُ (ع م) إلى ما أعدَّ الله من جَزِيل فَضْلِهِ فى شوّال [2] سنة أربع وثلاثين وثَلاثمائة . وأطفأ اللهُ بِالمَنْصُورِ الفِتْنَة وأَسْتَنْقَذَ به الأُمَّة وسار بِالعَفْوِ والصَّفح عَمّنْ قَدَرَ عليه مِمّنْ نَصَبَ الحَرْبَ لَهُ وسعى في الفِتْنَةِ إليه . وغَزَا بلادَ الرُّوم ففتح أكثرَ أرضِ قَلَوِرِيَّة وأتى بِفَيْئِهَا وسَبْيِهَا [3] ولم يكن أظهر وفاة القائم حتّى أمكنه الله (ع ج) من اللّعِينِ الدّجّالِ ، فنعاه حينئذ إلى النّاس [4] وأظهر الصّبرَ لِمُصَابِهِ والتّجلّدَ على الرَّزِيَّةِ رجاء ثواب الله على حمد فادح

---

(1) في ا و ب : اثبت جراحة .

(2) في ا و ب : في شوال : في الكامل 317 : في هذه السنة (أي: 234) توفي القائم . . . لثلاث عشرة مضت من شوال ؛ في اتعاظ 126 : لثلاث عشرة خلت من شوال سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ؛ في البيان 218 : وفي سنة 334 توفي ابو القاسم . . . يوم الاحد لثلاث عشرة خلت من شوال . في الازهار 237 : وفي (ص ع) يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة .

(3) انظر في الكامل 339 خبرا مفصلا عن ذلك .

(4) انظر خطبة المنصور يعلن موت ابيه في سيرة جوذر 57 .

ذلـك وألم مَضَضِهِ . ثمّ قُبِضَ (ع م) في آخـر شوال من سنة إحـدى وأربعين وثلاثمائة من بعد أن نَصَبَ للإمامة وأبان للخلافـة ابنَه المعـزّ لدين الله (ع م) .

301 ـ فقام بالإمَامَةِ من بعده يَقْفُو أثره وآثار مَنْ مضى من آبائه، وأظهر مثلَ ما أظهره المنصور من الصّبر على مُصَابِهِ والتّسْلِيمِ لِفَقْدِهِ. ولَزِمَ ذلك مِنْ بعده ، وقام بما حَمَلَ من أعْبَاءِ الخلافـة ، والنّاس بِعَقِبِ فِتْنَةٍ . وإطْرَافُ المَمْلَكَةِ على سبيلِ المعصيةِ ، والسّبلُ خَائِفَةٌ ، ولَمَّا تَنْجَلِ طَخْوَاءُ [1] الظّلْمَـةِ ولا خمد لهيبُ نار الفِتْنَـةِ ، ورُؤَسَاء القبائل الّذين كانوا أهَاجُوا الحربَ وأوقدوا نارها مُمْتَنِعُونَ في مَعَاقِلِهِمْ من الجبال والأطراف . فنهض إليهم المعزّ لدين الله (ع م) بِعَقِبِ ما أفْضَى الله بالخلافة إليه ، فانزلهم الله (ج ث) من صَيَاصِيهِم [2] ، وقذف الرّعبَ في قُلوبهم ، وأتَوْهُ مُحكّمين له في أنفسهم ومُلقين إليه . فسار سِيرَةَ أبيه بالعفـو عنهم وأتى بهم إلى قَـرَارِ مُلْكِـهِ عن آخـرهم . ووضعت الحربُ أوْزَارَهَا [3] وخَمَدَ دُخَانُهَا ، وطَفِئَتْ نارُها ، وأمنت السُّبل ، وهدأت الرَّوْعَاتُ وسَكَنَ النّاس واطمأنّوا ، وألّفَ الله به قلوبَ العبادِ ، وقطعَ

---

(1) ب : تنجل طخياء ؛ ا : تجل طخياء . ـ والطخواء افصح من الطخياء .

(2) الصياص هي الحصون وكل ما يمتنع به في الجبال .

(3) في ب : افزارها ؛ في ا : سقطت . والمعروف أوزارها .

به أسبابَ الفسادِ ، ودَانَتْ له الأطرافُ والقبائلُ بكلِّ دَانٍ وشَاسِعٍ ، وقريبٍ وناءٍ ، وأتاه مُحَمَّد بن خَزَر أميرُ البربر [1] مُسْتَسْلِمًا إليه ومُلْقِياً بيده ، طَالِباً لِلصَّفْحِ والعَفْوِ ، فمنحه ذلك تَفَضُّلا منه . وأقام ببابه رَغْبَةً منه في الُمقام به ، ونَقَلَ إليه عِيَالَهُ ، وأهلَ بيته ـ وهو قديما وآباؤُهُ رؤساء البربر وأمراؤهم إلى أن ألْقَى بيده ، وخرج إلى المعزّ مِمَّا كان فيه ، ولم يُلْقِ بيديه قبل ذلك لأحدٍ ولا مَنْ مَضَى من آبائه ، ولا انقطعت رئَاسَتُهُمْ عنه ، ولا خرجتْ طاعةُ البربر من أيديهم ، إلى أن أفَاءَ الله به ، وبَصَّرَهُ طريقَ رُشده ، وهداهُ [2] إلى صلاحِ نفسه .

302 ـ غَزَا المُعِزُّ (ع م) بَنِي أُمَيَّة بالأندلس فأحرق أَسَاطِيلَهُمْ ، ودارَ صناعة مَرَاكِبِهِم ، واحتوى على المَرِيَّة وما فيها بعددٍ قليلٍ من المراكب أخرجها لأمرٍ تَعَدَّوْا فيه وجَوْرٍ جارُوا في البحر إلى المَشْرِقِ من غيرِ أمْرِهِ .

303 ـ وغزا بلدَ الرُّوم فَسَبَى قَلُورِيَّة وهَدَمَ كنائِسَهَا وأخْرَبَ

---

(1) ا : محمد بن حزر ؛ ب : تحريف في الاسم ـ وهو محمد بن خزر المغراوي الزناتي ، انظر : 248 والمقصود بالبربر هنا زناتة ، انظر : 100 ، كيف اذا قال كلمة : البربر ، عنوا : مزاتة ، انظر ابن حوقل 106 : « ومن قبائل البربر الخارجة عن صلب زناتة ... مزاتة .

(2) ب : هداه ؛ ا : هديه .

مَدَائِنَهَا من بعد أن تَلَقَى أسطولُه أسطول الطَّاغِيَة دونها فقاتله فَهَزَمَهُ وحلّ ببلد الرُّومِ ، ثمّ بَذَلَ صاحبُ أسطول الطَّاغية [1] وقائِدُ عسكره له الجِزْيَةَ [2] عن أهل مِلَّتِهِ وأتاه رَاغِمًا إلى بابه نصراً من الله (ع وج) ونَعْمَةً أنعمها عليه كما أنعمها على مَنْ قَبْلَهُ من آبائه (ع م) فافتتح دولته بالسَّعد والإِقْبالِ [3] وذَلَّل له الصِّعاب وأمَدَّهُ بالنَّصر والتَّأييد ووَصَلَ له النِّعمة والتَّوفيق والتَّسديد .

304 ـ وقام بأمر دعوته بنفسه راجياً على ذلك ثواب الله ربّه غير مُسْتَكْبِرٍ ولا مُسْتَنْكِفٍ عن مُبَاشَرَةِ قَوِيٍّ مَنْ طَلَبَ ذلك ولا وضيعٍ ولا شريفٍ ولا مشروفٍ ، وأيّده الله بالحكمة والبيان والحجّة

(1) أي : امبراطور بيزنطة ، قسطنطين السابع .

(2) أ : الجزيلة ؛ ب : الجزيرة . والصواب : الجزية ؛ انظر سيرة جوذر 125 : ... « ان المشرك بعث بخمسة عشر مركبا فيها أسارى المسلمين وهدايا وغير ذلك ... » ؛ انظر ايضا المجالس 244 ـ 245 : « وقدم اليه (ص ع) بطريق من بطارقة الروم وأشرافهم رسولا عن طاغيتهم صاحب القسطنطينية بما أوجبه على نفسه من محرم الجزية عن أرض قلورية كما يبعث بذلك لكل سنة وجاء منه بهدايا كثيرة من آنية الذهب والفضة مرصعة بالجوهر وديباج وحرير وبرذون وغير ذلك . »

(3) قدم السفير الرومي الى المنصورية سنة 346 التي أنهى فيها الافتتاح والمعز ولي الامر منذ خمس سنوات في 341 .

والبرهان . وأقام صلاةَ[1] الأعياد وكثيرا من الجُمَعِ والخُطبة في ذلك بنفسه بِأَبْلَغِ بَلَاغَةٍ وأعظم خشيةٍ . وظهر منه من ذلك ما دلّ على تاييد الله (عوج) فيه إذ كان ذلك على قُرب عهده وقِلّةِ مُمارَسَتِهِ ودِرَاسته ، وإذْ لم يعلم النّاس أنّ مُعَلِّماً أفاده ولا مُلَقِّناً لَقَّنَهُ غير وليّ الله الّذي أفضى بما عنده من عِلْمِ الله إليه . وزاده الله (ع و ج) من ذلك ما أبان به فَضْلَهُ ودلّ به عليه مَادَّةً مِنْهُ له ، وإلْهامًا من قِبَلِهِ وتأييداً منه وفَوائِدَ من صُنْعِهِ ، حَبَاهُ بها ، وآثره بِمَكَارِمِهَا ، وأبانه بمعجزاتها ، ودلّ بذلك على توريثه إمامته ، وأنّ ذلك كذلك يَنْتَقِلُ في الخَلَفِ الصَّالِحِ من أبنائه فَضِيلَةً جعلها الله لهم ، وكرامة أبقاها في أعقابهم مِنْ لَدُنِ مُحَمَّدٍ خاتم النَّبيّين إلى انقضاء الدّنيا ، والحمد لله ربّ العالمين !.

305 ـ وقد أثْبَتُّ سِيرَةَ[2] المعزّ وما خصّهُ الله به من فضله ، وحباه من كرامته مُذْ أفضى إليه بخلافته إلى وقت بسْطِي هذا الكتاب ، وَقْتاً فَوقتاً ويوماً فَيَوْماً ، وأنا على ذلك أجمع فيه وأزيد إليه ما يَهَبُ اللهُ له ويَخُصُّهُ بِهِ إلى انقضاء عُمُرِهِ وبُلُوغِ أجلي ودوام مُدَّتِهِ وطول بَقائه وفي طاعته وبلوغ رضائه إن شاء الله (تع) وقد جمعنا من ذلك كُتُباً كثيرةً أشبعتُ معانيها وبالغتُ في ذكرها ما أردتُ ذِكْرَهُ فيها، فلم ينبغ لي

---

(1) ا : صلوة ؛ ب : صلوات الله عليه .

(2) ب : سيرة ؛ ا : سقطت ـ اي : كتاب المجالس والمسايرات .

أن أُخْلِيَ هذا الكتاب من النُّكَتِ[1] التي ذكرتها فيه ، وذلك على حسَبِ ما شرطتُ من الاختصار في أوله وبنيتُه من ذلك عليه . وكان بَسْطِي إيّاه في المحرم سنة 346 سِتٌّ وأَرْبَعِينَ وثلاثمائة[2] .والحمد لله حَمْداً يرضيه المبالغة فيه ويزْلفنا لَدَيْهِ وصلّى الله على نبيّه وعلى العترة الزّكيّة من آله وسلّم عليهم أجمعين .

---

[3] ـ تمّ الكتاب بعون الله وحسن توفيقه من تسويده ومن نساخته يوم الجمعة نهار السّابع من شهر شعبان الكريم سنة 1315 ألف وثلاثمائة وخمس عشر بعد هجرة النبي المختار عليه صلوات العزيز الواحد القهار ما أظلم اللَّيل وأضاء النَّهار[3] (+) .

---

(1) ب : النكت ؛ ا : نكت .

(2) كذا في ا : في ب : في المحرم سنة اربعين وثلاثمائة .

(3) كذا في ا ؛ اما في ب ، فقد كتب الناسخ ما يلي :

تمت (كذا ، والصواب : تم) كتاب افتتاح الدعوة بعو (كذا ، والصواب : بعون) الله تع وتوفيقه ومادة وليه عليه السلام في يوم الاثنين في تاريخ عشرين في شهر جماد آخر (كذا) من سنة 1350 من هجرة النبوية سلام الله عليه (كذا) في وقت سيدنا ومولانا ومالكنا وتاج ربنا ابي محمد طاهر سيف الدين طلو (كذا والصواب : أطال) الله عمره الشريف الى يوم الدين امين ورقنا (كذا ، والصواب : ورزقنا) شفاعة (والصواب الشفاعة) بحق محمد وآله .

(+) في ا : كتبت وقد ايقنت حين كتبتها بان يدي تفنى ويبقى كتابها

يا قارىء الخط قل بالله مجتهدا اغفر لكاتبه يا خير معبود

برسم خزانة سيدي محمد علي بن سيدي فيض الله بن همداني . سورت .

الفهـــــــــرسان

تنبيـــه : الأرقام « الرومانيـة » هي أرقـام الأبواب .

والأرقام « العربية » هي أرقـــام الفقرات .

فهـــــرس
أسماء الرجال والقبائل

ـ أ ـ

- ب -

- ح -

- خ -

- د -

- ذ -

- ر -

- س -

- ش -

- ص -

- ط -

- ع -

- غ -

- ف -

ـ ل ـ

- م -

- ن -

- هـ -

- و -

- ي -



فهـــــــرس
أسمـاء البلدان والمعالم

- أ -

- ب -

- ح -

- د -

ـ ذ ـ

ـ ر ـ

ـ ف ـ

ـ ق ـ

- ل -

- م -

- ن -

- هـ -

- و -

---

en montagnes. Action énergique d'al-Muʿizz pour rétablir l'ordre mais politique magnanime comme celle de son père· redressement de la situation dans tout le pays· soumission du chef des Zanāta (*amir al-barbar*) Muḥammad b. Ḫazar (1).

§ : 302

Expédition contre les Umaiyades d'Espagne et raid de la flotte fāṭimide à Alméria pour venger une action injuste entreprise en mer sur la route d'Orient (2).

§ : 303

Expédition en territoire chrétien; conquête de la Calabre: victoire de la flotte sur celle du « Potenta » (l'empereur de Byzance) et tribut offert par l'amiral de la flotte byzantine venu en abassadeur auprès d'al-Muʿizz.(3)

§ : 304

Mérite d'al-Muʿizz qui exerce lui-même le pouvoir et dirige la propagande doctrinale *'amr al-daʿwa* qualités éminentes d'al-Muʿizz dans l'accomplissement de sa tâche.

§ : 305

Indications relatives à la composition de la *Sīra* (4) d'al-Muʿizz commencée par l'auteur depuis l'accession de l'Imām au trône jusqu'en 346 date où fut achevé l'*Iftitāḥ*.

---

(1) Sur cette soumission du chef berbère après bien de retournements depuis l'avènement des Fāṭimides en Ifriqya et après sa rupture avec ʿAbd-al-Raḥmān III, v. *Lévi-Provençal*, *Espagne* II, 106-7.

(2) C'est le gouverneur de Sicile al-Ḥasan b. ʿAli al-kalbi qui opéra cette descente spec taculaire à Alméria en 344/955 pour venger l'attaque d'un bateau fatimide qui cinglait vers Mahdiya, v. *Lévi Provençal*, *Espagne* II, 106-7.

(3) Sur cette ambassade qui couronnait les succès militaires en Sicile et en Calabre remportés par les armes fatimides contre Byzance. v. *Stern*, *Embassy*. *Dachraoui*, *Conflit*, 26-7; *Canard*, *Vie*, 189-90, n. 422.

(4) Il s'agit de *Kitāb al-Maǧālis wal-Musāyarāt*.

l'y assiégea jusqu'au jour où Dieu le lui livra prisonnier, grièvement blessé. Il mourut en captivité et Dieu le fit trépasser rapidement en Enfer. Son époque dura 20 mois depuis entrée à Kairouan, jusqu'au jour où il en sortit. J'ai retracé son aventure dont j'ai donné un récit exhaustif, dans un ouvrage volumineux où j'ai tout recueilli (1).

§ : 300

Mort d'al-Qā'im durant la révolte au mois de Sawwāl 334/Mai 946 (2); rôle important d'al-Manṣūr dans la liquidation de cette révolte; conquête de la plus grande partie de la Calabre (3); politique de clémence à l'égard des fauteurs de troubles (4)· mort d'al-Qā'im garde ve secrète jusqu'à la fin de la rebellion (5)· désignation d'al-Muʿizz comme héritier présomptif pour l'imāmat et le califat (6)· mort d'al-Manṣūr, fin Sawwāl, 341/19 Mars 953 (7).

§ : 301

Situation défectueuses à l'avènement d'al-Muʿizz· séquelles de la *fitna* : insécurité des routes, zones frontières en état de révolte ; retranchement des chefs des tribus qui prirent part la à révolte dans leurs repaires

---

(1) Cet ouvrage devait contenir les mêmes matériaux que l'*Urǧūza* composée par l'auteur sur la révolte d'Abū Yazid, mais perdue, selon *kāmil Ḥusayn, Adab*, 47. Est-ce pourtant la chronique anonyme qu'itilise S.M. Stern. Des passages étendus s'en retrouvent en tout cas dans *kāmil*, 302-11; *Berbères*, II, 530-9; *Itti*ʿ*āz*, 109-25; cf. les remarques et les précisions bibliographiques de Stern, dans E I 2, 1, 168 (Abū Yazid)

(2) Plus précisément le dimanche 13 šawwāl 334/18 Mai 946, cf. *Bayān*, 218; *kāmil*, 317; *Itti*ʿ*āẓ*, 126.

(3) La flotte fatimide commandée par l'esclavon Faraḥ et secondée par les renforts fournis pour le gouverneur de Sicile al-Ḥasan b. ʿAli al-kalbi opéra victorieusement en Calabre en 340/951-2; v. *kāmil*, 339 *Berbères*, II, 540-1; *Canard, Vie*, 102-5, n.184.

(4) Cf. à ce sujet la lettre d'al-Manṣūr à Gawḏar dans *Canard*, op. cit., 100-1.

(5) Cf. Le sermon par lequel al-Manṣūr rendit publique la mort d'al-Qā'im dans *Canard*, op. cit., 80-7.

(6) Dans un chapitre de son *kitāb al-Azhār*, le dāʿī al-Hasan b. Nūḥ al-Hindi (v. ʿ*Adel* ʿ*Awa, Sélections*, 232-45) classe les 21 imāms en 3 groupes de 7 chacun : celui des ʾ*Atmal* celui des *Ḫulafā*ʾ dont le 7è est al-Muʿizz li dīn ʾAllah, celui des *Ašhād*. — A noter que dans l'*Iftitāḥ* aucun des 3 premiers souverains fatimides d'Ifriqya ne porte le titre de calife. — La désignation d'al-Muʿizz eut lieu en 340/952-3; cf. *Bayān*, 221; *Muʿizz*, 21-2.

(7) Cf. la lettre d'al-Muʿizz pour annoncer la mort de son père à Gawdar et lui demander d'en garder le secret ainsi que le sermon par lequel il la rendit publique dans *Canard*, op. cit., 106-7 et 111-22.

d'où il bloqua la ville et ses alentours. Les *'Awliyā'* parmi les Kutāma le combattaient dispersés et en désordre sans le commandement d'aucun chef. Al-Qā'im avait prédit ses jours, la durée de sa révolte et son avènement. Puis il battit en retraite de la région où il avait établit son camp vers Kairouan. Il revint plus tard vers Sousse qu'il investit. Lorsqu'al-Qā'im sentit que l'heure de sa fin avait sonné, il prit pour héritier présomptif son fils l'Imām al-Manṣūr (1) et le chargea de le combattre. Al-Manṣūr se mit en marche contre lui, à la tête de quelques troupes et d'une poignée d'Auxiliaires. Il leva le siège de Sousse. Al-Manṣūr le poursuivit à Kairouan d'où il battit en retraite après quelques jours d'indécision. Al-Manṣūr le pourchassa tandis qu'il s'enfuyait devant lui et battit ses troupes chaque fois qu'il le rattrapait. Mais il put échapper jusqu'à ce qu'il parvînt à la citadelle de Kiyāna (1), dans la région du Zāb, où il se retrancha. Al-Manṣūr

---

(1) Il s'agit ici de la proclamation officielle publique dont la cérémonie est décrite par le Dā'ī Idris (v. *Ivanow*, *Rise*, 79-80); cette proclamation selon *Bayān*, 218; *Ibn Ḥammād*, 21/37; *Berbères*, II, 535 eut lieu peu de temps avant la mort d'al-Qā'im en Ramaḍān 334/Avril 946. En fait elle fut précédée 12 ou 13 ans plus tôt d'une désignation secrète affirmée par al-Nu'mān dans deux passages des *Maǧālis* fos 466-7 et 424; lè passage : «j'ai accompagné al-Mū'izz li dīn Allah lors d'un de ses voyages; il évoqua al-Qā'im, la faveur, l'affection et l'intimité dont il bénéficiait auprès de lui; il parla aussi de la longue épreuve imposée par al-Qā'im à al-Manṣur en gardant sa désignation secrète et en s'abstenant de la rendre publique pendant longtemps jusqu'au jour où sa fin fut tout proche, et il dit : «je suis entré chez lui après qu'il eût manifesté al-Manṣūr et procédé publiquement à son installation après une période de 12 ans, depuis le jour où il lui transmit l'Imāmat (*'afḍā ilayhi bi ḏālika*), je suis entré chez-lui, trois jours avant sa mort...». 2è passage : «Lorsque par la volonté d'Allah, al-Mahdi mourut, — raconte al-Manṣūr, al-Qā'im avant même d'accomplir la prière funèbre, me prit par la main, s'isola avec moi et me désignant comme successeur, il me demanda d'en garder le secret et de ne point le divulguer; par Allah personne autre que lui ne le sut jamais et je passais sous son règne une période de 13 ans ...». Il ressort cependant d'un témoignage de Ǧawḏar (V. *Canard*, *Vie*, 5-6, n.35 et 40) attesté par le dā'ī Idris (v. *Ivanow*, op. cit., 72) qu'al-Qā'im avant d'inhumer le corps du Mahdi le désigna (lui Ǧawḏar) comme Dépositaire *mustawda'* de sa Preuve *ḥuǧǧa*, al-Manṣūr et que Gawdar garda le secret durant 7 ans. M. *Canard* (comme M. *kāmil Ḥusayn*) a relevé une contradiction entre le renseignement d'al-Nū'mān et le témoignage de Gawdar; l'examen des textes nous laisse penser qu'al-Qā'im ait pris deux mesures séparées mais complémentaires: la 1è en désignant al-Manṣūr—, en tête à tête avec lui —, la seconde en désignant Qawdar comme *Mustawda'* — en tête à tête avec lui aussi —; du reste le délai de 12 ou 13 ans indiqué par al-Nu'mān est plus exact que celui de 7 ans donné par Gawdar, puisque le Mahdi mourut le 10 Gumāda II 322/28 Mai 934 et qu'al-Qā'im mourut le dimanche 13 šawwāl 344/17 Mai 946 soit après au moins 12 ans et 4 mois; de notre côté nous sommes plus disposés à donner raison à al-Nu'mān en dépit du caractère officiel de son information historique, qu'à Gawdar dont la mémoire est souvent défaillante et l'autobiographie trop librement anecdotique et pas toujours absolument rigoureuse.

(1) Kiyāna désignait la citadelle et aussi la montagne qui dominait Msila v. *Ibn Ḥammād*, 30/50, 31/51, n.1, 32/52 sqq; *Brunschvig*, *Berbérie*, I, 294. — elle devint plus tard la Qal'at Abū'l-Ṭāwil, puis sur le même messif fut élevé la Qāl'a des banū Ḥammād, v. *Bakri*, 105, n.2; *Canard*, op. cit., 69, n.71.

Puis éclata contre al-Qā'im la révolte du *Daǧǧāl* dont il attendait l'avènement et qu'avaient annoncé prédictions et récits prophétiques, Mahlad b. Kaydād (1). Il surgit de la montagne de l'Aurès à la tête de ses fidèles et envahit le pays attirant à lui les partisans du désordre et de l'injustice jusqu'à ce qu'il s'emparât de Kairouan et mit à mort Ḥalil b. Isḥāq (2) qui s'y trouvait au commandement d'une armée. Puis il tua entre Mahdiya et Kairouan l'esclavon Maysūr (3) qui avait marché sur lui à la tête d'une armée. Il arriva avec ses troupes à Mahdiya, atteignit la porte de la ville et s'arrêta un moment devant la porte qui lui avait été fermée. Mais ses troupes furent défaites alors qu'elles livraient bataille aux Kutāma derrière Gamma (4); lorsque la nouvelle lui parvint il se replia. C'est le moment dont parlait la Mahdi et pour lequel uniquement. — dit-on il avait fondé al-Mahdiya. Le « *Maudit* » alla établir son camp non loin de Sūq al-Aḥad (5)

---

(1) Ce passage de l'*Iftitāḥ* sans doute un résumé très sommaire de l'ouvrage consacré par l'auteur à Abū Yazid (v. infra § 299, fin) esquisse les grandes lignes de cette révolte sur laquelle cf. *E I* 2, 1, 167-8 (Abū Yazid, par S.M.Stern); *Le Tourneau, Révolte*; *G. Marçais, Berbérie-Orient* 147-53. — Nos sources arabes fournissent des récits plus ou moins détaillés, cf. *kāmil*, 302-11, *Berbères* 11, 530-9, III, 206-9; *Itti'āẓ*, 109-25; *Ibn Ḥammād*, 18-37/33-57; *Bayān*, 216-8; *Tiǧānī*, 324-8 et passim. — Quelques données originales sont dans *Canard, Vie*, 44-6, 48-50, 63-5. — Signalons les informations complémentaires dans des documents inédits *Maǧālis*, fos, 10 sqq. 24 sqq. 409, 424 sqq, 203 sqq, 183 sqq, 159 sqq; *Manāqib*, fos 28-9, 63; *Abū zakariya*, fos 17-34.

(2) Ḫalil b. Isḥāq b. al-Ward, poète et général fāṭimide, était originaire de Tripoli e appartenait au *ǧund* aġlabide de cette ville où il se mit au service des Fāṭimides lors de sa conquête par al-Qā'im; celui-ci le chargea de lever la contribution de 400.000 dinars dont il frappa Tripoli après le soulèvement de 300/912-3 (v. supra § 295, n.1). Il prit part aux côtés d'al-Qā'im à la 2è expédition d'Egypte de 306/918. Il gouverna la Sicile où il se signala par ses excès de pouvoir, de 325/936 à 329/940. Il se laissa prendre par Abū Yazid presque sans combat cf. sur lui *Bayān*, 215; *kāmil*, 261-2; *Canard, Vie*, 104, n.194; *'Amwāl*, fos 20; *Tiǧānī*, 241, 246, 253-4.

(3) Cet eunuque d'origine slave commanda avec un autre esclavon ṣandal l'expédition punitive lancée par al-Qā'im en 323/935 contre Mūsā b. Abū'l-'Afiya à Fès; peut-être était-il venu en Ifriqya comme ṣandal dans la suite du Mahdi; Il fut battu et tué par Abū Yazid, victime de la *défection* des banū kamlān, ces huwwarites qu'al-Qā'im avait forcés en 315/927-8 à se transporter de la région où il fonda Msīla à celle de Kairouan : v. *kāmil*, 304; *Berbères*, II, 527, 531; *Itti'āẓ*, 112 *Bayān*, 209, 218 (il est aussi appelé *Maysara*); *Canard, Vie*, 143, n. 312; *Lévi-Provençal, Espagne*, II, 100-1.

(4) Plus précisément au Nord-Ouest de la presqu'île de Gamma (le Cap Africa), v. supra § 68, n.1.

(5) *Tiǧānī* 325, place le toponyme non loin de Mahdiya et y signale un engagement entre le fils d'Abū Yazid, al-Faḍl et des troupes d'al-Qā'im à leur faveur, cf. *Canard*, op. cit. 128, n.263.

§ : 297

Dissidence au Maġrib réprimée par al-Qā'im (1); mesures énergiques pour châtier un groupe de gens qui avaient adhéré à la *da'wā* mais s'écartèrent de la religion, accomplirent des actes illicites et renièrent l'exotérique (2); mort du Mahdi dans la matinée du mardi 10 Ǧumāda 11 322/28 Mai 934 (3); durée de son règne depuis son entrée à Raqqāda jusqu'à sa mort : 24 ans, 1 mois et 20 jours.

CHAPITRI XLII

Généralités sur l'époque qui s'étend de la mort du Mahdi jusqu'à la date où la composition de cet ouvrage a été achevée (4).

§ : 298

Détails sur le deuil porté par al-Qā'im jusqu'à sa mort; expéditions en territoire chrétien jusqu'en Espagne (5); soulèvement d'Ibn Ṭālut à Tripoli; renseignements sur ce rebelle (6)..

---

(1) Allusion à l'expédition menée par al-Qā'im en ṣafar 315/Avril-Mai 927 pour châtier le chef magrawa Muḥammad b. Ḫazar (Emir des Zanāta) pacifier le Magrib central et envahir la région du Rif; pour les détails v. *kāmil*, 190; *Berbères* 11, 527-8; *itti'āẓ*, 104-5; *Bayān*, 191-2. C'est à son retour de cette expédition qu'al-Qā'im posa les fondations de la ville d'al-Muḥammadiya, dite al-Msīla.

(2) Allusion à la situation trouble créée en 309/921-2 à Tunis, Béja, Kairouan, par des manifestations d'extrémisme ši'ite que le Mahdi réprima avec la plus grande vigueur; cet extrémisme ši'ite fut reproché à al-Qā'im et donna matière à des invectives lancées contre lui lors de sa conquête d'al-Fayūm, v. les détails dans *Bayān*, 186-7.

(3) Sa mort aurait en lieu 2 mois plus-tôt le 15 Rabī' 11/3 Mars, mais la date de *l'Iftitāḥ* est sans noute la plus sûre compte tenu du secret gardé plus ou moins longtemps de la mort de l'Imām et qui explique les dates contradictoires fournies généralement à ce sujet cf. *kāmil*, 238; *Berbères* 11, 528; *itti'āẓ*, 105; *Bayān*, 208; *Ibn Hammad*, 15/28.

(4) Il s'agit d'un aperçu général sur l'époque qui s'étend de 322/934 à 346/957.

(5) La flotte fāṭimide commandée par Ya'qūb b. Isḥāq entreprit en 324/925/6 une vaste expédition contre la Calabre, Gênes, la Sardaigne et les côtes de l'Espagne chrétienne; les navires fatimides auraient atteint ainsi le golfe de gascogne, qui est peut-être la Qarqisiya mentionnée dans *kāmil*, 249 ; *Berbères*, 11, 529 Gascogne (non pas Caesarée sur la côte syrienne.

(6) Sur l'aventure de ce pseudo-mahdi de lignée qurayšite et originaire d'Isaq, v. *Bayān*, 209; *kāmil*, 238; *itti'āẓ*, 108; *Berbères*, 11, 528.

Il envoya une armée conquérir cette ville et exécuter les notables qui y avaient allumé la révolte (6).

§ : 296

Le Mahdi fonda al-Mahdiya que les livres prophétiques avaient annoncée et surnommée « la Blanche» et dont il était dit que le *Daǧǧāl* ne pourra jamais y parvenir ni pénétrer. Ce fut une des réalisations les plus merveilleuses; il la fit construire en effet en pierre de taille et la dota de portes en fer massif. Il y emménagea en Šawwāl 308/920-1 et y établit sa demeure. On put alors contempler les miracles dont Allah permit l'accomplissement par la fondation de cette ville l'aplanissement des difficultés d'une telle entreprise. Le Mahdi fit avancer la construction dans la mer, creuser dans le roc un port artificiel qui pénètre dans la ville et communique avec la mer par une passe dotée d'une chaîne pour la fermer (1). Lorsqu'il en contemplait l'enceinte et les portes et observait l'émerveillement des gens devant une telle oeuvre, il s'exclamait : « Tout cela, c'est une réserve pour un seul moment d'un jour ». Et il en fut comme il l'avait prédit, car lorsque Mahlad le maudit atteignit Mahdiya, il s'arrêta un moment devant (ses remparts) et ce fut son dernier regard sur la ville jusqu'au jour où où son cadavre se balança du haut de son enceinte. Le régime du Mahdi fut renforcé par la fondation de cette ville qui servit de base à de nombreuses conquêtes et où il installa le centre de sa Prédication.

---

(6) *Canard*, *Chambellan*, 286, n.3.

(6) Pour les détails sur le soulèvement de Tāhart contre le gouverneur kuhāmite Dawwās b. ṣūlāt et la reconquête de la ville au début de ṣafar 299/Septembre 911, v. *Bayān*, 165-6; *kāmil*, 135; *Berbères*, 11, 523; *itti'āẓ*, 97.

1) Les données légendaires sur la fondation de Mahdiya se retrouvent dans plusieurs sources mais l'intérêt de ce document réside dans les précisions sur la construction de la ville et l'aménagement de son port artificiel qui semble une création purement fatimide et non un cothon phénicien; les travaux entrepris le Samedi 5 Ḏū'l-Qa'dā 303/ II Mai 916 furent achevés en 306/918-9; mais le Mahdi ne s'y installa que deux ans plus tard : v. *E I* III, 127-8 (al-Mahdiya, par G. Marçais); G. *Marçais*, *Architecture*, 89-92; *Bayān*, 169, 174, 184, 207; *Ibn Ḥammād*, 9-11/20-3; *kāmil*, 151-2; *Berbères*, 11, 525; *itti'āẓ*, 101-3. — Les géographes fournissent d'intéressants détails parallèles' cf. *Ibn Ḥawqal*, 71-2; *Bakri*, 65-8; *Idrisi*, 107-10/126-8; *Tiǧāni*, 320-4, citant *Bakri*, Mu'allim al-fityān qui peut être Muḥriz b. Ḫalaf et surtout al-Raqīq, fournit des détails complémentaires et des précisions originales sur la fabrication des fameuses portes, le creusement du port et l'aménagement de l'arsenal.

§ : 295

Puis les habitants de Tripoli se soulevèrent; le Mahdi envoya contre eux al-Qā'im qui après avoir assiégé la ville pendant quelque temps la conquit par la force; il accorda son pardon à l'ensemble de la population, mais il en exécuta les notables qui avaient organisé le soulèvement et saisait leurs biens (1). Le Mahdi envoya une armée pour conquérir Barqa puis la ville s'étant soulevée, il envoya une autre armée la reconquérir et donna l'ordre d'exécuter les notables qui y avaient organisé le soulèvement (2). Le Mahdi en fit de même avec les habitants de Sicile qui s'étaient également soulevés et avaient porté au pouvoir Ibn Qurhub; celui-ci fut amené devant lui et exécuté (3). Al-Qā'im mena deux expéditions contre l'Egypte : il s'empara d'al-Fayum et de la Haute Egypte et ne fut empêché d'atteindre Miṣr que par le Nil et la volonté d'Allah de faire réaliser cette conquête par l'un de ses descendants (4). Le Mahdi conquit de nombreuses villes chrétiennes (5). Les habitants de Tāhart se soulevèrent contre lui;

---

(1) Les habitants de Tripoli furent astreints en dépit de l' 'amān qui leur avait été accordé, à verser une lourde contribution; leur soulèvement contre le gouverneur kutāmite Abū Yūsuf Maknūn b. Dubāra, oncle d'Abū Zāki le fidèle lieutenant du Dā'i, et la reconquête de la ville après un siège très rigoureux eurent lieu en 300/912-3 : v. *Bayān*, 168-9 *Berbères* II, 524; *Tiǧāni*, 242 nonne à tort la date de 303/916.

(2) Barqa a été conquise une 1è fois en 301/913-4 par Ḥubāsa b. Yūsuf, frère de Ġazwiya; elle fut reconquise par Abū Mudayni après un siège rigoureux de 18 mois en 304/916-7, v. *Bayān*, 170, 175.

(3) L'auteur résume à propos de la rebellion d'Ibn Qurhub en Sicile, en 304/916-7 des événements exposés d'une manière plus détaillée dans *kāmil*, 142-3; *Berbères*, 524-5; *Bayān*, 168, 171, 174 : Aḥmad b. Ziyādat Allah b. Qurhub dont la famille fournit aux Aġlabides de hauts fonctionnaires reconnut l'autorité du calife abbasside al-Muqtadir, tint en échec la flotte fatimide mais fut renversé et livré au Mahdi par les Siciliens eux-mêmes.

(4) La première tentative contre l'Egypte eut lieu en 301/913-4 avec le concours de la flotte commandée par Ḥubāsa b. Yūsuf qui s'empara d'Alexandrie en 302/914 mais battit en retraite devant le général abbasside Mu'nis et fut à cause de cela exécuté par le Mahdi. La 2è tentative eut lieu en 306/918 : al-Qā'im dut battre en retraite devant le même Mu'nis et la flotte fāṭimide fut détruite à Rosette par une flotte dépêchée de Tarse : v. *kāmil*, 147, 149-50, 161; *Berbères*, 11, 524, 525 *Itti'āẓ*, 98-100, 103-4; *Bayān*, 171-2, 181; *Ibn Ḥammād*, 11-2/24-5. —

(5) L'auteur écrit en 346/957 une douzaine d'années avant la conquête d'Egypte par Ǧawhar en 358/969.

(5) Il s'agit des conquêtes réalisées en Sicile et en Calabre en 313/925 316/928, 317/929 : v. *Bayān*, 190, 193, 194; *kāmil*; 182; *Gateau*, 383-4, n.31.

avec le maudit et imposteur (1) Maḫlad b. Kaydād, lors de sa rebellion devant Mahdiya pour lui apporter leur soutien : il les plaça en tête avec l'ensemble des Kairouanais au combat dit de Lulyāna (2) lorsqu'il lança son offensive du côté de cette localité. Ils furent vaincus grâce à Dieu et exterminés; il ne resta aucun d'eux qui ne fût tué ce jour-là (à ce combat), et Dieu les fit trépasser pour le châtiment qui les attendait, excerça sur eux rapidement Sa (juste) vengeance et leur fit sentir tout le poids de Sa Force.

CHAPITRE XLI

Quelques récits relatifs au Mahdi, jusqu'à sa mort.

§ : 294

Désignation par le Mahdi de Muḥammad Abū' l-Qāsim, son fils al-Qā'im, comme héritier présomptif (3); soulèvement dans le pays des Kutāma où les rebelles se donnent pour « mahdi », un jeune garçon de banū Māwaṭnit des 'Urissa (4) prise de Mila par ces rebelles kutāma; expédition punitive dirigée par al-Qā'im; capture puis exécution du pseudo-mahdi.

---

(1) Abū Yazīd, l'homme à l'âne est dans les sources ismaéliennes assimilé à l'Antéchrist *al-Daǧǧāl*, v. supra § 60, n.2.

(2) On est bien renseigné sur ces faits par des sources sunnites, v. *Ṭabaqat*, VIII-X; *Idris*, X, 80-7; *Ma'ālim*, III, 37-42; *Bayān*, 217-8 (Ibn ʿIdarī démarque Ibn Saʿdūn et al-Raqīq; celui-ci copie sans doute l'*Iftitāḥ*): le combat où périrent les juristes kairouanais eut lieu lors de la 3è offensive d'Abū Yazīd contre Mahdiya investie, vers la fin de Raǧab 333/Mars 945. — Lulyāna localité dans les faubourgs de Mahdiya est cité par *Tiǧānī*, 371. — Sur le siège de Mahdiya par Abu Yazīd, cf. *kāmil*, 305-6; *Berbères*, 11, 533-4; *Itti'āẓ*, 114-5; Le *Tourneau révolte*, 114-5; *E I* 2, 1, 168 (Abū Yazid, par S.M. Stern).

(3) L'événement eut lieu en 299/912, v. *kāmil*, 135; *Berbères*, 11, 523; *Itti'āẓ* 97. — Al-Nuʿmān historien officiel pour qui al-Qā'im est réellement le fils du Mahdi ne fournit ici aucun élément qui permette de soulever la question contraire; selon d'autres auteurs ismaéliens qui voient en al-Mahdi le *mustawdaʿ* d'al-Qā'im et en celui-ci l'Imām *mustaqarr* et dont le dāʿī Idris, l'événement constitue le retour de l'imāmat à l'Imām réel : v. *Ivanow*, *Rise*, 70.

(4) Le *Bayān*, 166-7, 300 donne d'intéressants détails parallèles sur ce soulèvement des kutāma et l'aventure de leur pseudo mahdi, kādū b. Muʿarik plus connu sous le nom d'al-Māriṭī. — Il serait préférable de corriger la leçon du Bayān en al-Māwaṭnatī; il faudrait du reste identifier les Māwatinit aux «Maouâten» dans *Berbères*, 1, 292. — Cf. sur le même le même événement *kāmil*, ibid; *Berbères*, 11, 523-4; *Itti'āẓ*, ibid. *Canard Chambellan*, 307; n.2. — Sur les *Urissa* (— les Ouricen) v. § 102.

§ : 291

Camp dressé par les Aglabides à al-Hadaf à l'extérieur d'al-Qasr al-Qadīm du côté de Raqqāda, en état d'insurrection; habileté du Mahdi qui s'abstient de les affronter et attend leur retour dans leurs foyers pour les châtier : arrestation et exécution d'un premier groupe; puis après quelque temps, arrestation et exécution d'un autre groupe; ordre de les rechercher partout et de les exécuter; poursuite et détention de ceux qui n'ont pas trempé dans la conspiration; leur libération plus tard par al-Manṣūr après sa victoire (sur Abū Yazid) et leur exil en Egypte (1).

§ : 292

Emeute à Kairouan (2) : querelle entre un kutāmite et un kairouanais; massacre de 700 kutāmites par la populace; excuses présentées par les juristes conduits par le cadi al- Marrūḏi; pas de sanctions immédiates les meneurs n'étant pas connus; saisie après quelque temps des biens de certains (juristes) et exécution de certains autres en guise dit-on de sanctions (3).

§ : 293

Selon une autre version, certains parmi les assassins qui s'étaient achannés lors de cette émeute sur les *'Awliyā*, furent découverte et étaient bien connus par ces crimes. Mais ils ne firent l'objet d'aucune inculpation puisque les preuves contre eux faisaient défaut et qu'il eût été illégal conformément à la loi de l'exotérique de les exécuter. Ils se soulevèrent tous

---

(1) Le fait est attesté par *Ibn Ḥammād*, 37-8/59 : «là (à Mahdiya) il mit en liberté vingt personnes qui restaient de la maison des Aġlabides, les gratifie chacun de 20 mithqals et leur assigna l'Egypte pour lieu d'exil».

(2) Cette émeute fut à l'origine du soulèvement dans leur pays des kutāma déçus par la politique trop clémente du Mahdi à l'égard des gens de Kairouan; elle eut lieu le mardi 22 Ša'bān 299/13 Avril 912, cf. *Bayān* 166; *kâmil* ; 135 ; Berzères, 11, 523 ; *It-ti'āz*, 96.

(3) Al-Nu'mān passe rapidement sur des faits présentés longuement dans les sources sunnites sous forme de persécutions subies par les juristes malékites à cause de leur hostilité au ši'isme, cf. *Ṭabaqāt*, 230/3/324-7; *Idris*, IX, 144-52; *Ma'ālim*, II, 117 sqq. 197 sqq.

11 298/18 Février 911; enterrement des deux victimes sur l'ordre du Mahdi qui maudit Abū 'l-ʿAbbās mais appelle lamiséricorde d'Allah sur le Dāʿī.

§ : 287

Détails sur certaines causes de la conspiration; sentiment de frustration chez les meneurs tel Abū Zāki, jaloux de la prépondérance de Ġazwiya; convoitise des richesses du pays; echec du complot grâce à la protection divine dont bénéficie le Mahdi; comparaison de la situation du Mahdi avec celle du Prophète aux prises avec les Polythéistes de Qurayš.

§ : 288

Rôle prépondérant joué par Abū' l-ʿAbbās dans le complot.

CHAPITRE XL

Mention des Ifriqyiens qui trahirent après avoir reçu l'*amān* et du châtiment qu'ils subirent.

§ : 289

Panique parmi les éléments aġlabides demeurés en Ifriqya après l'assassinat du Dāʿī et de son frère Abū' l-ʿAbbas; opposition organisée autour d'Abū' l-Ḥasan b. Abū Haǧar (1) dignitaire aġlabide le plus en vue; insécurité ressentie par ce noyau aġlabide avec la disparition du Dāʿī.

§ : 290

Incident à Al-Qaṣr al-Qadim entre un kutāmite et un plébéen; expulsion par les Aġlabides de cette de tous les Kutāma dont quelques uns sont tués; sortie d'Abū Ḫalīfa (de Kairouan) au secours de ses contribules intervention du Mahdi pour empêcher une attaque des Kutāma contre les éléments aġlabides.

---

(1) C'est le même ibn Abū Haǧar cité supra § 57, n.1.

§ : 283

Réunions des conjurés chez Abū Zāki pour tramer le complot et attenter à la vie du Mahdi; passage de la plupart des Kutāma dans le clan des conjurés; loyauté de Ġazwiya qui tient le Mahdi au courant du développement du complot et prend le commandement des esclaves et des partisans dont un doyen Abū Ḥalīfa.

§ : 284

Hésitations des conjurés à exécuter leur projet; sang-froid et vigilance du Mahdi assisté de la protection divine.

§ : 285

Habileté du Mahdi à démasquer et à confondre le Dā'ī; détails pittoresques sur l'imprudence du Dā'ī qui portait sa « camisa a » à l'envers trois jours de suite, ayant passé trois nuits consécutives chez Abū Zāki avec les conjurés.

§ : 286

Soutien apporté aux conjurés par Ibn al-Qadim, directeur du « barid » (1), avec les fonds de Ziyādat Allah qu'il avait détournés et dont il craignait la confiscation; mesures prises par le Mahdi pour éliminer les conspirateurs : envoi d'Abū Zāki à Tripoli où le gouverneur, son oncle Abū Yūsuf (Maknūn b. Ḍubāra) dut l'exécuter sur l'ordre du Mahdi; exécution de plusieurs conjurés dont Ibn al-Qadīm à Raqqāda et dans d'autres villes (2); assassinat du Dā'ī et de son frère Abū' l-'Abbas en même temps par Ġazwiya b. Yūsuf et Ḥabr b. Tumāšit (3) le lundi 15 Ǧumada

---

(1) Il semble qu'Ibn al-Qadīm ait exercé plutôt les fonctions de directeur de l'impôt foncier v. supra § 239, n.3; 241; 275, n.3.

(2) Le *Bayān*, 167, 169 donne les noms de certains d'entre eux : Muḥammad b. Abū Sa'īd al-Mīlī, contrôleur des marchés, Muḥammad b. Abū Raǧǧāl al-Bāġā'ī et Abū'l-Wahb b. 'Amr b. Zurāra al-'Abdari exécutés en 299/912 en même temps qu'Ibn al-Qadīm et Muḥammad b. Abū'Ayyūb exécuté en 300/913.

(3) Originaire de Mila; en effet son nom est dans *Bayān*, 164 Ġabr b. Numāsib al-Mīlī. — Selon *Berbères*, 11, 522, c'est le frère de Ġazwiya, Ḥubāsa b. Yūsuf qui lui prêta la main pour assassiner les deux frères. — S.M. Stern qui utilise l'*Iftitāḥ* et d'autres documents inédits nonne pour l'assassinat des deux frères la date du 1er Ḏū'l-Ḥaǧǧa 298/31 Juillet 911, V. E I 2, 1, 107 (Abū 'Abd Allāh Al-Shī'ī). Daté donnée par *Bayān*, 164.

§ : 278

Ressentiment d'Abu' l-ʿAbbās, frère du Dāʿī, éclipsé par l'autorité du Mahdi, après avoir joué un rôle prépondérant dans l'exercice du pouvoir, pression d'Abū' l-ʿAbbās sur le Dāʿī qu'il finit par corrompre et rendre hostile au Mahdi (1).

§ : 279

Réserves formulées par le Dāʿī devant le Mahdi sur sa politique trop favorable aux Kutāma habitués par lui à une politique plus rigide et plus austère; conseils du Dāʿī engageant le Mahdi à se décharger sur lui des responsabilités du pouvoir et à mener une vie plus paisible dans son palais; réponse cordiale du Mahdi par mesure de prudence.

§ : 280

Intensification par Abū' l-ʿAbbās de sa propagande hostile au Mahd parmi les Missionnaires et les Doyens : doutes formulés sur l'authenticité de l'Imāmat du Mahdi et ressentiment des missionnaires dépouillés de leurs privilèges et dépossédés des fonds dont ils avaient la garde (à Ikǧān).

§ : 281

Développement de la conjuration menée par Abū' l-ʿAbbās au su du Mahdi.

§ : 282

Exécution du « Doyen des Doyens » Hārūn b. Yūnus al-Arbūbi qui mit ouvertement en doute l'autenticité de l'imāmat du Mahdi (1).

(1) Selon *Bayān*, 161-2 c'est le Dāʿī lui-même qui au cours d'une expédition contre les Zanāta et les ṣaddīno en 297/910-1, trama le complot en se liguant avec les chefs kutāma pour renverser le Mahdi; mais Ġazwiya qui l'accompagnait dans cette expédition le trahit à son retour à Raqqāda et mit le Mahdi au courant de la conspiration. — V. les renseignements parallèles dans *Berbères*, 11, 521-3; *Ittiʿāẓ*, 3-6; *kāmil*, 134-5. —

(1) V. sur lui supra § 46; n.1 et § 109, n.2. — On s'étonne, en admettant que le Mahdi n'était pas le père d'al-Qā'im et que celui-ci était l'Imām réel *mustaqarr*, que le «doyen des doyens» et les conjurés (missionnaires et doyens qui pouvaient être au courant de telles questions) n'aient pas exploité ce thème pour mieux mettre en doute l'authenticité de son imāmat.

de longues listes furent ainsi établies. Il donna l'ordre de recouvrer le pillage de Raqqāda (1) dont une bonne partie fut récupérée entre les mains de gens qui furent poursuivis et dont on recueillit d'importantes richesses. Il institua la « maison du Trésor » pour laquelle un service fut mis en place. Le Directeur du Trésor (2) lui présenta dit-on un bilan des pensions pour le mois de Ramaḍān s'élevant à 100.000 dinars et qu'il avait trouvé (lui-même) énorme; mais le Mahdi lui répondit : si je pouvais atteindre mes droits par la grâce d'Allah et réaliser mes espérances, je ne voudrais pas toutes ces soldes pour un seul de mes Auxiliaires »; il était très généreux et c'était un des traits du « Mahdi » que les récits prophétiques avaient jadis souligné; néanmoins il ne gaspillait ni ne négligeait la moindre petite somme et il ne laissait pas engager les dépenses qui n'étaient point justifiées.

§ : 276

Développement sur la générosité des Imāms : anecdote sur al-Ḥusayn.

§ : 277

Politique de clémence à l'égard des membres de la famille aġlabide et des dignitaires de l'ancien régime restés en Ifriqya; réintégration de certains d'entre eux leurs fonctions civiles et militaires; mérites du Mahdi dans l'exercice du pouvoir qui lui attirent la sympathie de la ḫāṣṣa comme de la *ʿāmma*; éclipse du Dāʿi par la forte personnalité et le prestige du Mahdi.

CHAPITRE XXXIX

Récit de la conspiration tramée contre le Mahdi et de son dénouement.

---

(1) En revanche le Dāʿī avait jugé de bonne politique de ne porter aucune atteinte aux pilleurs de Raqqāda, cf. supra § 219.

(2) Le premier titulaire de cette charge fut Abū Ǧaʿfar al-Ḫazarī, le convoyeur du «harem» du Mahdi. — Sur l'aménagement de ces différents services administratifs et les titulaires, v. *Bayān*, 159.

§ : 274

Redressement de la situation dans le pays; répartition des esclaves *ǧawārī* entre les chefs Kutāma après en avoir réservé quelques unes pour lui et al-Qā'im; gouvernement des différentes provinces de l'Ifriqya confié aux chefs Kutāma; affectation de chaque formation militaire kutāma *'askar* à chaque région de l'Ifriqya (et des autres régions relevant de son autorité (1); détails sur l'amélioration de la condition sociale des Kutāma grâce à la sollicitude du Mahdi.

§ : 275

Le Mahdi organisa les services de l'administration et donna l'ordre de percevoir les contributions fiscales. Le cadastre avait été brûlé alors de la fuite de Ziyādat Allah; il ordonna de le rétablir (2). Il fit installer un service des anquêtes (3), un service des biens fonciers et de liquidation qui appartenaient aux émigrés avec Ziyādat Allah et qu'il fit confisquer à l'exception des biens de leurs épouses dont il fit assurer la garde et la protection. Il prit à son service des esclaves noirs et (blans d'origine chrétienne (4) et créa un service des pensions où il fit enregistrer les affranchis et les fils d'esclaves et les candidats qui s'étaient empressés de s'inscrire;

---

(1) C'est le Dā'ī qui avait déjà organisé les kutāma en formation militaires , à Ikǧān, v. supra § 123.

(2) Le Mahdi sut choisir le titulaire de cette charge confiée au fonctionnaire le mieux indiqué, Ibn al-Qadīm qui exerçait les mêmes fonctions sous le règne de Ziyādat Allah. v. supra § 239, n.1.

(3) Apparemment un service de l'espinnage et de sa police que justifiait l'installation d'un nouveau régime dans un pays réputé hostile aux vainqueurs et à leur doctrine; ce service devint deux années plus tard en 300/912-3 le service du *barīd* et le titulaire en fut Abū Ǧa'far Muḥammad b. Aḥmad b. Hārūn al-Baġdādi (assisté de 'Imrān b. Ḫālid b. Abī Salām) homme de confiance du Mahdi et attaché à son service depuis Siǧilmāssa (v. *Canard*, op. cit. 320-1) et qui se distingua par son zèle et son dévouement lors du complot fomenté par les partisans du Dā'ī et de son frère Abū' l-'Abbās, v. *Bayān*, 163. — cf. les persécutions subies sous son autorité par les juristes hostiles au šī'isme dans *Ṭabaqāt*, 232/326.

(4) Il s'agissait sans doute d'esclaves qui avaient été au service des aġlabides et de nouveaux récemment acquis; les Noirs n'eurent pas avec les Fatimides autant d'importance qu'avec les Aġlabides; mais les esclavons furent les serviteurs les plus dévoués des imāms et formèrent l'Etat faṭimide une classe aussi prépondérante que celle des kutāma les rôles respectifs des Noirs et des Slaves et sur leurs origines, *Canard*, *Vie*, 15-6 et passim.

§ : 269

Sécurité dans tout le pays; bonne situation des *'Awliyā'* et de ceux qui obéissent; malheur aux infidèles, au traîtres et aux rebelles...

§ : 270

Exhortation à l'ordre, à l'obéissance, à la loyauté et à aimer les descendants du Prophète; citations coraniques à l'appui...

§ : 271

Conclusion à la lettre officielle : invocation à Allah.

§ : 272

Proclamation du Mahdi en tant que calife le Vendredi 21 Rabiʿ 11 297/7 Janvier 910, à Kairouan, Raqqāda et *Al-Qaṣr al-Qadīm*; invocation prononcée également dans les provinces où la lettre officielle fut portée par les missionnaires; enthousiasme populaire marquant son avènement; réception des délégations venues de toutes les régions du pays; arrivée d'al-Ḫazari avec les femmes de la famille du Mahdi, vivant de qripoli; détails sur le cérémonial et le protocole de réception (1).

§ : 273

Eloge du Mahdi prononcé par de nombreux poètes dont Saʿdun al-Warǧinī (2) renseignements biographiques sur ce poète; extraits de son poème où il fait l'éloge du Mahdi et du Dāʿi; importante récompense et rétribution annuelle attribuées à ce poète.

---

(1) L'arrivée d'al-Ḫazari à Raqqāda avec le «harem» du Mahdi aurait eu lieu beaucoup plus tôt, après l'entrée du Dāʿi à Raqqāda tandis que le Mahdi se trouvait encore à Siǧilmāssa, cf. *Canard, Chambellan*, 308-9 Bayan, 150; *Ibn Ḥammād* 9/19.

(2) De maigres renseignements sur ce poète et aussi quelques poèmes de lui sont dans *Riyāḍ*, 404-6; *Maʿālim*, 11, 164-5; *Madarik*, I (poème consacré à Mālik et à son *Muwaṭṭaʾ*); *ittiʿāz*, 106 (quelques vers du poème cité dans l'*Iftitāḥ*). — Nous n'avons pas pu l'identifier rigoureusement était-il originaire de Darǧin ?! appartenait-il à une fraction berbère les Uǧin comme le laisserait croire une indication de M. HH. Abdul-Aahhab ! Il était probablement un natif du Djerid.

Abū Muḥammad al-Mahdi bi'llah, l'Emir des Croyants, comme elle fut sur ses ancêtres, Vos lieutenants guidés et dirigés dans le droit chemin par un effet de Votre grâce et qui, dans l'exercice de leur charge et en rendant la justice, observaient la vérité. Seigneur, de même que vous l'avez élu pour l'investir de votre pouvoir, choisi pour être Votre lieutenant et désigné pour être le gardien vigilant et le pilier de Votre religion ainsi qu'un asile et un refuge pour Vos sujets, puissiez-vous de même le faire triompher de Vos ennemis rebelles, guérir par lui les coeurs des Croyants, lui faire conquérir la terre, à l'Est comme à l'Ouest, contre les rebelles injustes, Dieu de tous les Etres, Maître de l'Univers (1).

§ : 266

Ordre du Mahdi de rédiger un autre écrit; lecture de cet écrit sur les chaires des mosquées; grandes lignes de ce texte : la formule de louange à Dieu; la titulature du Mahdi (*Amīr al-Mu'minīn*); les destinataires : les partisans *'ašyā'*, parmi les Croyants *mu'minīn* et l'ensemble des Musulmans *muslimīn*; la formule de bénédiction en faveur du Prophète et ses proches...

§ : 267

Corps de cet écrit introduit par *'ammā ba'du* : triomphe des Ahl al-Bayt grâce à Dieu sur les usurpateurs et les injustes; citations coraniques appropriées...

§ : 268

Restauration de l'Imāmat dans la descendance du prophète et de son légataire *waṣiyy*, avec l'avènement de 'Abd Allah, Abū Muḥammad, al-Mahdi billah, Amir al-Mu'minīn; soutien apporté par les *'Awliyā'*, seigneurs arabes *sādāt* et preux kutāma *'anǧād*; revification de l'Imāmat; mérites de l'Imām...

(1) La forme 'Ubayd Allāh courante dans les sources sunnites ne se trouve dans aucune de nos sources ismaéliennes. — Le seul renseignement parallèle relatif au rescrit contenant cette formule de *dū'ā*, dans nos sources sunnites se trouve dans *A'māl*, 448-9; ce qui constitue un indice de plus du penchant d'Ibn al-Ḫaṭīb pour le ši'isme et laisse penser que *I.Iftitāḥ* ait été une de ses sources probablement à travers al-Raqīq ou Ibn Šaddād.

§ : 263

Fin des nouvelles mensongères et alarmantes répandues sur le sort du Mahdi· préparatifs pour l'accueillir à Raqqāda· arrivée du Mahdi au jour fixé· présence des juristes et des notables kairouanais parmis la foule venue à sa rencontre.

§ : 264

Description du convoi : en tête les Doyens, les missionnaires, les Auxiliaires avec le Dā'ī, puis le Mahdi, puis al-Qā'im derrière lui, puis les troupes déployées sur toute l'étendue de la plaine; accueil du Mahdi par les juristes en qualité de Calife et Imām; attitude affable du Mahdi à leur égard; jugement favorable porté par lui sur l'allure orientale des kairouanais; son installation au palais de Raqqāda (1).

CHAPITRE XXXVIII

Mention de la politique adoptée par le Mahdi en tant qu'Imām et appliquée publiquement parmi les sujets.

§ : 265

« Le lendemain vendredi matin, il fit sortir un rescrit avec l'ordre d'enfaire usage pour prononcer l'invocation du haut des chaires des mosquées et l'adressa aux deux prédicateurs de Raqqāda et de Kairouan prescrivant l'appel de la Bénédiction de Dieu sur le Prophète, sur ʿAli, Fāṭima al-Ḥasan, al-Ḥusayn, et les Imāms de la descendance (ʿalide). Le rescrit contenant cette formule de *Duʿā* mise déjà en usage par le Dāʿī était « Seigneur que Votre bénédiction soit sur votre serviteur et lieutenant qui, dans votre pays préside aux destinées de vos serviteurs, ʿAbd Allah

(1) Cf. dans *Bayān*, 158, les détails pittoresques sur l'entrée du Mahdi à Raqqāda et le renseignement sur l'Amān incomplet accordé aux juristes et notables venus l'accueillir : «vous avez *l'amān*, pour vous-mêmes et pour vos enfants, leur dit-il, sans mentionner les biens; certains d'entre eux s'adressèrent de nouveau à lui et demandèrent *l'amān* pour leurs biens, mais il ne leur accorda aucune attention. — Il s'installa au palais al-ṣaḥn où résida le Dāʿī avant lui, et al-Qā'im au palais al-Fatḥ.

§ : 259

« Puis le Mahdi vint avec al-Qā'im. Le Mahdi était dans la plénitude de sa jeunesse sans le moindre premier cheveu blanc et al-Qā'im à l'âge où poussent les moustaches. Le Dā'i retourna en sa compagnie avec toutes ses troupes· il lui avait auparavant remis le pouvoir et porté à la connaissance des missionnaires que c'était lui l'Imām en faveur duquel il faisait sa prédication· il lui avaitprésenté tous les Croyants et dit : c'est lui mon Seigneur, votre Seigneur, le Maitre de nos destinées, votre Guide dans le droit chemin, votre « Mahdi attendu » dont j'annonçais la bonne nouvelle· Dieu a fait triompher sa cause comme il le lui avait promis et apporta son soutien à ses partisans et à ses soldats » (1).

§ : 260

Premier signe et première preuve du Mahdi : échec des intentions criminelles de son ennemi (Ibn Midrār), par la grâce de Dieu.

§ : 261

Passage du Mahdi par Ikǧān où il prit possession des fonds enfouis par les missionnaires et les doyens· ressentiment de certains d'entre eux du Dā'ī.

§ : 262

Ordre du Mahdi au Dā'ī d'informer Abū Zāki de son arrivée à Ikǧān· lecture de sa lettre sur la chaire (de la mosquée de Kairouan)· grandes lignes du texte : mention d'Ikǧān, *Dār al-Hiǧra* (Maison de l'Expatriement) et *Mustaqarr al-'Imān* (Foyer permanent de la Foi)· détails sur l'entrée et des Croyants, *mu'minun*, enthousiasme des populations· mention du Mahdi avec le titre d'*Amīr al-Mu'minīn*· fixation· de la date de son arrivée en Ifriqya au Jeudi 20 Rabī' 11 297/6 Janvier 910.

---

(1) Selon Ǧa'far cette présentation revêtit le caractère d'une véritable cérémonie solennelle, cf. *Canard*; op. cit., 317-8. — Sur l'idée du Mahdi attendu, v. surtout *E I*, III, 117-20 (Al-Mahdi).

§ : 254

Evocation de l'expédition de Siǧilmāssa : obstacles endurés pour délivrer le Mahdi· attitude insolente d'Ibn Midrār et son obstination à demeurer dans l'égarement...

§ : 255

Détails sur les épreuves endurées par le Mahdi entre les mains d'Ibn Midrār...

§ : 256

Récit du combat livré à Ibn Midrār, de sa fuite à la faveur de la nuit vers le pays des Noirs *balad al-Sudān*...

§ : 257

Capture du « traître » (Ibn Midrār) après une poursuite de 10 jours· louange à Dieu pour avoir fait triompher ses Auxiliaires· imminence de l'arrivée du Mahdi en Ifriqya.

§ : 258

« Lorsqu'Abū Zāki reçut cette lettre et qu'il en prit connaissance, il donna l'ordre d'en faire lecture sur la chaire (de la mosquée cathédrale) Les Auxiliaires en éprouvèrent une joie immense et Dieu fit cesser les mauvaises nouvelles répandues par les insolents et démentir les paroles mensongères de ceux qui entretenaient une campagne d'alarme· le bruit en courut dans tout le pays et la bonne nouvelle de l'apparition du Mahdi se répandit· le partisan en fut saisi de joie et l'ennemi en fut contrarié, l'ensemble des populations levaient la tête dans sa direction attendaient sa « venue » et portaient leurs regards vers lui »

CHAPITRE XXXVII

Récit de la « venue » du Mahdi de Siǧilmāssa et de son arrivée en Ifriqya.

de se mettre à la poursuite d'Ibn Midrār. Les troupes partirent à sa recherche. Il resta ainsi jusqu'à l'après-midi. Puis il sortit et alla vers les Croyants. On étendit pour lui un tapis devant la tente. Ils l'entourèrent pour écouter ses paroles, pleurant et louant Dieu de leur avoir fait obtenir la faveur de le voir. Lui, cependant faisait leur éloge, rappellait leur mérite et l'abondance des récompenses que Dieu leur réservait (1), leur promettait sa faveur et leur annonçait la bonne nouvelle qu'ils obtiendraient les biens de ce monde et de l'autre monde. Lorsque le « muezzin » appela à la prière du *maġrib*, il se leva et dirigea la prière avec eux (2). Dans la première *rakʿa*, il récita la fātiḥa et la sourate qul huwa elahu aḥadun. Puis il termina la prière, entra dans sa tente, et les soldats s'en allèrent ».

§ : 252

Arrestations d'Ibn Midrār et de ses proches· confiscation de leurs biens· *'amān* accordé aux habitants de la ville et des autres régions du pays après l'exécution d'Ibn Midrār· désignation de gouverneurs· séjour de 40 jours à Siǧilmāssa· effet heureux produit en Ifriqya par l'arrivée des nouvelles de cette victoire et de la libération du Mahdi (3).

§ : 253

Texte de la missive parvenue à Raqqāda de la part du Dāʿī (4)· grandes lignes du texte : glorification d'Allah· triomphe de ses Auxiliaires grâce au soutien qu'il leur apporte, la Voie d'Allah étant celle suivie par eux.

---

(1) M. *Canard* traduit : « ... leur mérite et l'aide que Dieu leur avait fournie de sa générosité immense»; la leçon *jawābi-hi* est préférable à *jarā-hu*.

(2) M. *Canard* traduit : «et pria avec eux». Fin de la traduction de M. Canard.

(3) Sur le séjour du Mahdi et de sa suite à Siǧilmāssa, leur captivité et leur libération par le Dāʿī, cf. la version de Ǧaʿfar plus détaillée et de caractère anecdotique dans *Canard*, op. cit., 307-18. — Le récit de l'*Iftitāḥ* se retrouve en résumé dans *kāmil*, 133; *Berbères*, 11, 520; *Ittiʿāẓ*, 89-91. — Cf. les renseignements parallèles (de tendance ibadite) dans *Bayān*, 152-3; *Ibn Ḥammād*, 9/21; *Bakri*, 287-8 (il semble qu'il ait utilisé les mêmes sources ibāḍites que dans le Bayān et ibn Ḥammād). — Selon *Abū zakariyā*, fos 5-12, le Mahdi ne tarda pas après son arrivée à Siǧilmāssa à devenir si puissant que la population le porta au pouvoir après la mort de leur dynaste Ibn Midrār. Il devint le maître absolu du pays et s'empara de Fes; c'est après cette conquête qu'il envoya l'ordre au Dāʿī (Abū Zakariyā l'appelle al-Ḥiǧānī) de le rejoindre à Siǧilmāssa.

(4) Cette lettre de victoire constituait sans doute un document d'archive reproduit par l'auteur; à noter que le Mahdi n'ayant pas encore pris le pouvoir officiel à Raqqāda, cette lettre fut adressée à Abū Zākī par le Dāʿī en son nom propre.

de bienveillance à son égard et lui disait qu'il était seulement venu pour une affaire (quelconque) et non pour lui faire la guerre· il lui faisait de gracieuses promesses et s'engageait à le traiter honnêtement et honorablement, et lui donnait la plus ferme assurance. Quand les messagers arrivèrent auprès de lui avec la lettre, il la jeta après en avoir pris connaissance et ordonna de mettre à mort les messagers qui furent exécutés. Quand le Dā'ī apprit la chose, il lui renouvela ses assurances gracieuses par crainte que le Mahdi n'éprouvât de sa part des désagréments. Mais il s'abstint de mentionner le Mahdi par prudence (*taqiyyatan 'alayhi*). Mais il en fut cette fois comme de la première fois et le dynaste persista dans son insolence. Il lui envoya un troisième message. Al-Yasa' s'obstina et persévéra dans son égarement. Alors le Dā'ī implora l'aide de Dieu, fit préparer ses troupes et s'approcha de la ville. Al-Yass' b. Midrār sortit à sa rencontre à la tête de ses hommes mais au bout de peu de temps, la cavalerie du Dā'ī après lui avoir livré bataille pendant une heure, le repoussa dans la ville : un certain nombre de ses compagnons furent tués. Comme on était aux approches du soir et que le crépuscule tombait, l'armée revent en arrière et campa où elle se trouvait. »

§ : 251

« Quand la nuit fut venue, Ibn Midrār s'enfuit avec ses cousins et les gens de sa famille. Le Dā'ī et ceux qui étaient avec lui passèrent la nuit dans une grande anxiété, ne sachant ce qu'on avait fait du Mahdi et ne pouvant entrer dans la ville à cause de la nuit. Ils ne surent pas avant le matin que l'impie (Ibn Midrār) avait fui. Alors les notables de la ville sortirent vers eux et leur apprirent la nouvelle. Ils entrèrent avec eux jusqu'à l'endroit où était le Mahdi et l'en firent sortir. Ils firent sortir aussi al-Qā'im. Ce fut parmi les troupes une grande joie qui s'empara d'elles et qui leur faisait presque perdre la raison. Deux devaux furent amenés au Mahdi et à Qā'im qui les montèrent. Les croyants les (1) entourèrent tandis que les missionnaires marchaient autour d'eux et que le Dā'ī marchait devant l'"Imām disant : « voici mon maître et votre maître, ô Croyants ». Et il louait Dieu et le remerciait et pleurait tant sa joie était intense. L'"imām arriva à la grande tente où l'on avait tendu des tapis. Il y entra et ordonna

(1) M. *Canard* traduit : «Les Musulmans».

drār, dynaste de cette ville (1) qu'il se dirigeait vers lui (2). Ziyādat Allah lui avait écrit pour l'informer au sujet du Mahdi, lui donner son signalement et lui dire que c'était celui pour lequel le Dāʿi faisait de la propagande; jusqu'alors le dynaste n'avait pas témoigné au Mahdi la moindre aversion. Mais lorsque le Dāʿi approcha, il envoya chercher le Mahdi pour s'informer de sa généalogie et de sa situation et lui demander si c'était bien vers lui que veait le Dāʿi. Il avoua sa généalogie car il ne lui était pas possible de la nier. Mais il parla de façon ambigue disant qu'il ne l'avait pas vu et qu'il ne le connaissait pas. Et il était vrai qu'il ne l'avait pas vu, car nous avons raconté les débuts de son histoire. Il dit qu'il était un simple marchand, car il craignait pour sa vie et remarqua qu'al-Yasaʿ voyait d'un mauvais oeil l'arrivée du Dāʿi et était choqué de le voir entrer dans son pays (3). Le dynaste lui par la durement à ce sujet .Le Mahdi persista dans ses premières affirmations. Dieu inspira au coeur d'al-Yasaʿ encore plus de crainte et de respect pour le Mahdi, de sorte qu'il ne le soumit à aucune épreuve et ne fit pas plus que de lui assigner une résidence, d'y mettre des gardes et d'assigner de même une autre résidence à son fils al-Qāʾim bi' Amr Allah, afin de les séparer et de pouvoir s'informer des paroles de chacun d'eux. Mais leurs paroles étaient identiques. Il n'osa pas (4) leur faire du mal à cause de leur parenté avec le Prophète de laquelle il avait été informé et qu'ils avaient reconnue et Dieu a voulu qu'il fût perdu et privé de leur bien dont il avait pourtant le plus grand besoin et se trouvait le plus proche. Il soumit à la torture les hommes qui étaient avec eux pour obtenir d'eux des aveux à leur sujet. Ils ne dirent rien autre chose que ce qu'eux-mêmes avaient dit. Le Dāʿi apprit tout cela et la chose lui fut pénible. Il disait à ceux qu'il invitait à le suivre que Dieu ferait triompher la cause du Mahdi et lui donnerait une grande victoire.

§ : 250

« Il envoya des messagers à al-Yasaʿ b. Midrār pris parmi ses serviteurs et lui écrivit une lettre où il lui assurait la sécurité de sa part, usait

---

(1) M. *Canard* traduit *ṣāḥib 'amrihā* par «son gouverneur».

(2) M. *Canard* traduit *'annahu qaṣada ilayhi* par «qu'il approchait et qu'il venait pour ren ontrer le Mahdi».

(3) M. *Canard* traduit ainsi : «le gouverneur voyant que le Mahdi répugnait à se rendre auprès d'Abū ʿAbd Allah et éprouvait de la pudeur à entrer dans son pays».

(4) Cette phrase de quatre lignes manque dans la traduction de M. Canard.

§ : 246

Intention du Dāʿi de gouverner avec justice pour le bien de la population exhortation à l'ordre et à l'obéissance et à la discipline...

§ : 247

Instructions données à (Abū Zāki) Tammām b Muʿārik, pour gouverner avec douceur et justice et assurer la sécurité; obligation pour tous les gouverneurs du pays d'agir selon les prescriptions de cette missive.

§ : 248

Désignation par le Dāʿī d'Abū Zāki assiste d'Abū' l-ʿAbbās, son frère pour gouverner l'Ifriqya pendant son absence; établissement de garnisons dans tout le pays; départ du Dāʿī avec toutes ses troupes pour Siğilmāssa par la route principale *al-ğādda* (1), sans passer par le pays des Kutāma en Ramaḍān 296/Juin 909; frayeur des Zanāta et des autres tribus qui décampent des régions qu'il traverse; ralliement de leur chef Muḥammad b. Ḫazar venu à Ṭobna à la rencontre du Dāʿī (2).

§ : 249

« Le Dāʿī se mit en marche vers Siğilmāssa; il défit les tribus berbères rencontrées sur sa route et dont il avait appris le mauvais comportement Puis il (3) approcha de Siğilmāssa et la nouvelle parvint à al-Yasaʿ b. Mi-

---

(1) La route directe de Kairouan à Fes jusqu'à Ğarāwa où s'embranche la route vers Siğilmāssa, v. *Ibn Ḥawqal*, 84-91; *Bakri*, 289-90, 271-80; il y avait entre Siğilmāssa et Kairouan 46 ou 53 journées de marche.

(2) Plus précisément chef des Zanāta du Mağrib central, les deux branches les plus puissantes, les Mağrāwa (auxquels appartenaient les Ḫazar) et les Ifran; son loyalisme fut de courte durée, car il ne tarda pas à se rallier à la cause des Umaiyades d'Espagne sous le règne du Mahdi, v. à ce sujet les développements dans *Berbères*, II, 527, 549; *Lévi-Provençal*, *Espagne*, II, 94, 95, passim. — On s'étonne que l'*Iftitāḥ* ne donne aucun renseignement sur l'épisode de Tahert et la chute des Rustémides, v. *Bayān*, 153; G. *Marçais*, *Berbérie-Orient*, 115, 134.

(3) A partir d'ici nous suivons la traduction dans *Canard*, *Chambellan*, 326-8 (suite de l'appendice d'après *Ivanow*, *Rise*, 44-6/228-31).

CHAPITRE XXXVI

Récit de la marche du Dā'ī sur Siğilmāssa et du départ du Mahdi de cette ville.

§ : 243

Arrivée à Raqqāda du frère du Dā'ī, Abū' l-'Abbās; grand ascendant de celui-ci sur le Dā'ī, plus jeune que lui et moins versé dans les sciences (religieuses); organisation par Abū' l-'Abbās de séances de controverses avec les juristes kairouanais sur l'imāmat et les questions qui en matière de spéculation sur le droit *'ilm al-futyā* les opposent aux Ahl al-Bayt. Préparatifs du Dā'ī pour se rendre à siğilmāssa; proclamation adressée avant son départ, pour lecture sur chaque *mimbar* de l'Ifriqya (1).

§ : 244

Grandes lignes du texte de cette missive circulaire de la proclamation *d''amān* (2) : glorification de Dieu et éloge de Sa Justice *'adl*; devoir de suivre la voie de la Vérité; citations coraniques à l'appui...

§ : 245

Défense de la Vérité et de la Justice; nécessité de se conformer au Livre à la Sunna du Prophète et à la Sira des 'Ahl al-Bayt; obligation de gouverner avec équité; citations coraniques et *ḥadīts* dont *ḥadīt al-taqa layn* (3).

---

(1) V. les séances dans *Ṭabaqāt*, 199-210/288-304; — pour une vie comparative du fiqh fatimide avec le sunnisme kairouanais, v. *Brunschvig, fiqh*, 13-20.

(2) Sans doute un document d'archive reproduit par l'auteur.

(3) Pour l'orthodoxie le Prophète affirma dans le «sermon de l'adieu» que Dieu a donné au monde deux gardes du corps : Son Livre et la Sunna du Prophète; pour les ši'ites les deux gardes deviennent : Son Livre et la *'itra* du Prophète; cette *'itra* (ou les Ahl al-Bayt, ou les Ahl al-Nabi, les gens de la Maison, la famille du Prophète) les ši'ites la limitent aux Ahl al-Kisā' ou Ahl al-'Abā, les gens du Manteau, et à leurs descendants, v. à ce sujet E I, 2, a, 265-6 (Ahl al-Bayt) et ibid, 272 Ahl al-Kisā). — Notons l'ingéniosité et l'habileté avec lesquelles le Dā'ī après avoir cité le *ḥadīt al-taqalayn* affirme en principe fondamental du credo ši'ite, mais sans heurter violemment les esprits dans un pays profondément marqué par le malékisme : il reprend la formule sunnite : «la Sunna du Prophète», tout en lui juxtaposant une formule ši'ite : «la Sira des Ahl al-Bayt», qui en limite la portée. Ceci ne s'explique que par le souci que le Dā'ī devait avoir de ménager la population ifriqyienne malékite et les juristes de Kairouan.

ranger la situation; excuses de Ziyādat Allah qui assure Ibn Bisṭām de ses bonnes par le gouverneur (1)

§ : 241

Départ de Ziyādat Allah pour Bagdad après un séjour de huit jours en Egypte; séjour à Ramla où il est rejoint par le reste de ses hommes après réception par al-Nūšari d'une autorisation abbasside dans ce sens; séjou frocé à Raqqa; détérioration de sa situation; des démêlés avec le *muḥtasib* et le cadi de cette ville à cause de ses eunuques vendus de force; son conflit avec Ibn al-Qadīm qu'il accuse d'avoir détourné ses onds; vanité de ses démarches pour obtenir l'autorisation d'entrer à Bagdad; décision prise à la cour de le renvoyer au Maġrib pour combattre le Dā ī; instructions envoyées à al-Nūšari et Ibn Bisṭām pour pourvoir à ses besoins en hommes et en argent (2).

§ : 242

Retour de Ziyādat Allah en Egypte où il est installé à Ḍāt al-Humām (3); sa vaine attente de l'aide militaire promise; détails sūr la détérioration de sa situation, sa maladie et sa fin misérable à Jérusalem (4).

---

(1) En arrivant de l'Ouest, on pénétrait dans la ville, dans le quartier d'al-Gīza, on traversait le premier bras du Nil sur un pont supporté par une soixantaine de bateaux pour accéder à al-Ǧazīra (la «Cité»), l'île formée par les deux bras du fleuve, puis sur un autre pont d'une trentaine de bateaux aménagé de la même manière, pour franchir le deuxième bras et accéder à la rive orientale où se trouvait le palais du gouvernement; v. les précisions historiques et topographiques sur *Miṣr-Fosṭāṭ-Caire* dans *E I*, 1, 835-46 (Caire, par Becker); *E I*, III, 590-1 (Misr); *Ibn Ḥawqal*, 145-6; *Idrīsī*, 142-3/170-1. — Les faits sont attestés et les personnages cités dans *kāmil*, 124; *Nuwayrī*, 446-7.

(2) C'est à Ibn al-Furāt, vizir d'al-Muqtadir que Ziyādat Allah écrivit pour obtenir la permission califienne d'entrer à *Bagdad*; il attendit un an à *Raqqa* pour recevoir enfin une réponse négative, v. *kāmil*, 124; *Nuwayrī*, 447.

(3) Localité sur la route du *Magrib*, à la limite du territoire des banū *Mudliǧ* dans la circonscription d'Alexandrie, v. *Yā'q.bī*, 2/201; *Hadj Ṣadoc*, 3, n.11; *Idrīsī*, 137/164; selon *Bakrī*, 10, sa mosquée fut bâtie aux frais de Ziyādat Allah.

(4) La date et le lieu de sa mort sont controversés : il mourut soit à Jérusalem en 299/911-2, soit à Ramla en 303/915-6, cf. *kāmil*, ibid; *Nuwayrī*, ibid; *Bayān*, 167, 173; le premier renseignement est plus sūr.

§ : 237

Départ de Ziyādat Allah de Tripoli sans avoir pu remettre la main sur Abū'l-ʿAbbās.

§ : 238

Intentions criminelles nourries par Ziyādat Allah envers Ibrahīm b. Abī'l-Aġlab et un des dignitaires de son entourage, Abū'l-Muṣʿib b. Zurāra fuite des deux hommes pour chercher refuge auprès du gouverneur d'Alexandrie qui leur accorde sa protection et les dirige sur Miṣr· leur arrivée auprès du gouverneur d'Egypte, ʿīsā al-Nūšarī qu'ils s'efforcent de dresser contre Ziyāt Allah (1).

§ : 239

Décision prise par al-Nūšari d'empêcher Ziyādat Allah d'entrer dans la ville en attendant d'écrire à Bagdad et de recevoir une réponse à son sujet; démarche d'Ibn al-Qadīm, envoyé par Ziyādat Allah auprès du gouverneur pour l'amener à de meilleurs sentiments (2).

§ : 240

Entrée de Ziyādat Allah avec ses troupes à al-Ǧazīra en traversant le pont de vive force; alerte pour lui couper le 2è pont; embarras du gouverneur; démarche d'Ibn Bisṭām, Directeur de l'impôt foncier pour ar-

---

(1) Abū'l Muṣʿīb b. Zurāra, un des compagnons d'arme du général aglabide lors de la campagne de Laribus le soutint dans sa tentative de prendre le pouvoir, après la fuite de Ziyādāt Allah; ce qui explique l'attitude de Ziyādat Allah à leur égard et leur fuite, v. *kāmil*, 124; *Nuwayri*, 445. — ʿīsā al-Nūšari gouverna l'Egypte pendant 5 Ans de 292/905 à 297/909; il tenta d'arrêter le Mahdi lors de son séjour en Egypte, v. *kāmil*, ibid, 129; *Ittiʿāz*, 31, n.2, 81-2; *Bayān*, 167; *Nuwayri*, 445-6; *Canard*, op. cit. 291-2; *Gateau*, 391-4 et les notes.

(2) Abū'l-Qāsim ʿAbd Allah b. Muḥammad b. al-Qadīm fut un haut dignitaire dans l'Etat aglabide sous le règne de Ziyādat Allah III; il détourna des fonds de cet Emir dont il gérait les biens durant sa fuite, v. infra § 241; il retourna en Ifriqya, obtint *l''amān* du Mahdi qui lui confia la charge de Directeur de l'impôt foncier mais trempa dans le complot ourdi contre lui par le «parti» du Dāʿī et fut exécuté, v. infra § 286; *Canard*, op. cit., 320, n.3; *Bayān*, 159-168.

§ : 233

Arrivée de Ziyādat Allah avec sa suite à Tripoli; séjour au palais du gouverneur de la ville, Ibn Qurhub (1).

§ : 234

Arrivée à Tripoli d'Ibn al-Ṣāniᶜ dont le voilier, parti de Sousse pour la Sicile fut détourné par des vents contraires; disgrâce de l'ancien vizir accusé à tort d'avoir trahi et entretenu avec le Dāᶜī une correspondance secrète; son exécution sur les instances de l'entourage de Ziyādat Allah (2).

§ : 235

Séjour prolongé de Ziyādat Allah à Tripoli; arrestation d'Abū' l-ᶜAbbās le frère du Dāᶜī, caché dans cette ville depuis son évasion de Raqqāda lors de la révolte de Mudliğ; son interrogatoire par Ziyādat Allah à qui il parvient à cacher sa parenté avec le Dāᶜi; sa mise en liberté (3).

§ : 236

Séjour à Tripoli, en même temps que Ziyādat Allah, d'Abū Ğaᶜfar al-Ḫazarī, chargé par le Mahdi de convoyer les femmes de sa famille *ḥaram* et les esclaves *ḫadam* laissées en Orient; détails sur l'habileté d'al-Ḫazarī et d'Abū' l-ᶜAbbās à cacher leur véritable identité et à ne pas éveiller des soupçons à leur égard (4).

---

(1) C'est vraisemblablement son ancien *ḥāğib*, Muḥammad b. Qurhub, v. supra § 161, n.3.

(2) Selon *Bayān*, 149, Ibn al-ṣāniᶜ s'était embarqué à destination de l'Orient on comprendrait mieux ainsi que des vents contraires aient pu détourner son voilier vers Tripoli; si l'on en croit *I.Iftitā.*, le vizir semble avoir été innocent des accusations retenues contre lui; c'est Rāšid al-Aswad (l'un des gardes nègres de Ziyādat Allah) qui lui trancha le cou.

(3) Selon *Berbères*, II, 519, Abū'l-ᶜAbbās était resté dans sa prison à Raqqāda d'où le Dāᶜī le fit sortir (la phrase traduite par De Slane étant : *wa aṭlaqa aḫāhu Abā'l-ᶜAbbās mina'l-'iᶜtiqāl*). Selon *Bayān*, 150; *Ibn Ḥammad*, 9/21, le Dāᶜī le fit venir à Raqqāda de Tripoli où il était emprisonné; dans *kāmil*, 133, *Ittiᶜāz*, 88, la venue d'Abū-ᶜAbbās à Raqqāda auprès de son frère est mentionnée dans autre précision.

(4) Abu Ğaᶜfar al-Ḫazarī (ou Ğazarī), dāᶜī de haut rang fut chargé avec Abū Aḥmad ṣuᶜlūk, alias Ğaᶜfar b. ᶜUbayd, un des deux premiers chambellans du Mahdi, de convoyer le «harem» qui comprenait la mère du Mahdi ses deux filles, les deux filles de son frère, 'Umm Ḥabība qui fut la femme d'al-Qā'im et Umm ᶜAli, l'intendante femme d'Abu Yaᶜqūb, le majordome, v. *Canard*, *Chambellan*, 286-7, *Gateau*, 383-4.

§ : 228

Texte de la missive circulaire proclamation d'un 'amān, adressée par le Dā'ī à toutes les régions du pays (1); grandes lignes du texte : victoire accordée par Dieu à ses Auxiliaires sur ses ennemis, aux défenseurs de la vérité sur les partisans de l'erreur...

§ : 229

Gihād pour enlever le pouvoir aux usurpateurs et le retourner à ses posseurs légitimes, les descendants du Prophète; obstination des Aġlabides à demeurer dans la voie de l'erreur...

§ : 230

Evocation de la victoire de Laribus et de la fuite de Ziyādat Allah...

§ : 231

Mention de l''*amān* accordé sur la demande de la délégation kairouannaise et des mesures prises pour un retour à la vie paisible; exhortation des populations à l'obéissance et au loyalisme.

§ : 232

A dendum à l'intention des populations de Sicile : sollicitude particulière à leur égard, leur pays étant un territoire de guerre sainte;)promesse d'y envoyer des renforts.

CHAPITRE XXXV

Odyssée de Ziyādat Allah : son voyage, son arrivée en Orient, ses dernières aventures jusqu'à sa mort (2).

---

(1) Il s'agit manifestement d'un document d'archive copié par l'auteur.

(2) Les données de ce chapitre se retrouvent en bonne partie dans *Kāmil*, 123-4; *Nuwayrī*, 444-7.

vres » (1). Il ordonna également de frapper une monnaie (2), mais sans y inscrire le nom de personne; en revanche il fit remplacer les noms sur l'une des faces de la pièce par la (formule), « Preuve d'Allah a atteint son but », et sur l'autre face (la formule), « les ennemis d'Allah se sont dispersés» Il fit frapper une autre monnaie (3) où (la formule), « Louange à Allah, Seigneur des Mondes » fut substituée aux précédentes. Il fit graver sur les armes, « réserve pour la voie d'Allah ». Il fit inscrire sur les cuisses des chevaux, « c'est a Allah qu'appartient l'empire ». Il fit graver sur la pierre précieuse de l'anneau qu'il portait à son doigt, « remets-t'en à Allah : tu es dans l'évidente Vérité » (4). Sur le cachet qui lui servait à sceller les pièces officielles fut gravée (la formule), « que s'accomplisse l'arrêt (*Kalima*) de ton seigneur, en vérité et en justice. Nul modificateur à ses arrêts. Il est l'Audient, l'Omniscient » (5).

§ : 226

Détails sur la vie austère menée par le Dā‘ī et ses fidèles en dépit de l'abondance des richesses laissées par les Aġlabides.

§ : 227

Arrivée à Raqqāda d'Abū 'l-Muqāri‘, l'ancien gouverneur de Ṭobna, resté à Ikǧān; détails sur la modestie et la simplicité du Dā‘ī qui refuse d'adopter une étiquette royale, se lève pour saluer quiconque l'aborde, baise la main de quiconque baise la sienne...

---

(1) Sur les innovations introduites dans le culte dès l'établissement du Dā‘ī à Raqqāda, v. *Bayān*, 151-2; *Idris*, IX, 144-5; *Brunschvig*, *Fiqh*, 16.

(2) Le fait est attesté dans *kāmil*, 132; *Itti‘āz*, 88; *Berbères*, 11, 520. — sur ce dinar frappé par le Dā‘ī et les autres monnaies fatimides, v. de *Candia*, 333 *sqq* et 89 *sqq*; *Balog*, 327 sqq; M.H.H. Abdūl-Wahhab a bien voulu nous laisser consulter sa précieuse collection privée et reproduire ce dinar.

(3) Selon *Bayān*, 151, 159, cette deuxième monnaie fut appelée *al-Sayyidiyya* (sans doute par attribution au Dā‘ī qui fut surnommé al-Sayyid par les kutāma) et la charge de la *sikka* fut confiée à Abū Bakr al-Faylasūf, connu sous le nom d'Ibn al-Qammūdī, qui fut maintenu à son poste par le Mahdi.

(4) *Blachère*, *Coran*, 11, 325.

(5) *Blachère*, *Coran*, 111, 690. — Ces détails précieux pour la connaissance des institutions fatimides se retrouvent partiellement des *Bayān* ibid; *Ibn Ḥammād*, 7/19.

§ : 223

« Il attribua la charge de cadi de Kairouan à Muḥammad b. ʿUmar b. Yaḥya Marrūḏi (1) qui était depuis longtemps acquis au šiʿisme et se fondait en matière de fiqh sur les propos des Imāms; il le dota du pouvoir de nommer les cadis et les juges des autres villes; l'inscription en tête de ses lettres et rescrits était : « de la part de Muḥammad b. ʿUmar qāḍī' l-quḍāt ». Il fut investi le 1è Ramaḍān 296/24 Mai 909. Le Dāʿi donna l'ordre de recenser tout ce qui appartenait notoirement à Ziyādat Allah, biens, esclaves, armes, montures et esclaves du gynécée, sans pour cela engager de poursuite à l'égard de personne (2).

§ : 224

Garde de ces esclaves laissée à leur ancienne matrone, Rawand, avec maintien des faveurs compatibles avec la morale et la religion; droit sur elle réservé à leur maître après Ziyādat Allah, le Mahdi.

§ : 225

« Puis quand vint le vendredi, le Dāʿi donna l'ordre de célébrer la prière (de ce jour) et désigna un prédicateur pour la mosquée de Raqqāda et un autre pour celle de Kairouan. Il adressa pour le même objet des lettres-missives aux (autres) villes; il prescrivit de prononcer l'invocation dans le prône aux noms du Prophète, de ses proches, de ʿAli, le Commandeur des Croyants, d'al-Ḥasan, d'al-Ḥusayn et de Fāṭima al-Zahra (3). Il ordonna, le jour de son entrée (à Raqqāda), d'introduire dans l'appel à la prière la formule : « accourez à la meilleure des oeu-

---

(1) Son nom complet est : Muḥammad b. Umar b. Yaḥya b. ʿAbd al-Aʿlā al-Marwarrūḏi ou al-Marrūḏi (à tort al-Marwazi); sur ce cadi appartenant au *ǧund* du Ḫurāsān et qui fut destitué et exécuté sous le règne du Mahdi, v. *Ṭabaqāt*, 239/333-4 et passim; *Bayān*, 151-2; *Idris*, IX, 144-5.

(2) Selon *Bayān*, 151, l'investiture d'al-Marwarrūḏi eut lieu le jeudi 18 šaʿbān 296/12 Mai 909 et le recenseur des biens de Ziyādat Allah s'appelait Aḥmad b. Farrūḫ al-Ṭubni, surnommé al-Aḥdab.

(3) Le texte de cette invocation rendue officielle par le Mahdi à son entrée à Raqqāda (cf. infra § 249) se trouve dans *Aʿmāl*, 445-9.

§ : 220

Sortie des *šuyuḫ* et des *faqih* de Kairouan à la rencontre du Dā'i (1) leurs propos pour faire état de leur loyalisme, de leur hostilité à l'égard d'Ibrahim b. Abī 'l-Aġlab et pour flétrir Ziyādat Allah; propos du Dā'i pour condamner aussi le régime abbāsside.

§ : 221

Marques de loyalisme des notables et jurites à l'égard du Dā'i jusqu'à l'arrivée à Raqqāda; désignation de Ḥasan b. Aḥmad b. Abī Ḫinzīr au poste de gouverneur de Kairouan; entrée du Dā'i à Raqqāda le samedi 1è Rağab 296/25 Mars 909; son installation dans l'un des palais aglabides (2); Installation des Kutāma dans les maisons abandonnées à Raqqāda et à Al-Qaṣr al-Qadīm; bonne impression produite sur la population par le comportement des Kutāma.

CHAPITRE XXXIV

Mention de l'"*amān* accordé à la *'āmma* par le Dā'ī et des mesures administratives et politiques prises par lui.

§ : 222

Redressement de la situation défectueuse créée dans le pays par la déchéance des Aġlabides : *'amān* accordé par le Dā'i à toutes les populations citadines et rurales; mesures d'apaisement et de sécurité en faveur des dignitaires, des membres de la famille aġlabide, des esclaves *'abīd*, des affranchis *mawālī* qui entrent à son service (3).

---

(1) La rencontre eut lieu le Samedi 1è Rağab 296/25 Mars 909 à Saqiat Mams, à l'oues de Kairouan, v. *Bayān*, 149; *Vanderheyden*, 311.

(2) C'est le Qaṣr al-ṣaḥn, selon *Bayān*, 150; sur les châteaux de Raqqāda .: *Marçais*, *Architecture*, 28; *Vanderheyden*, 193-4.

(3) Mais *Bayān*, ibid, et *Ibn Ḥammād*, 8/21, signalent l'exécution de certains éléments de la garde nègre (notamment al-Quss).— Sur l'installtion du Dā'ī à Raqqāda et sur sa politique cf. les développements qui reproduisent le texte de *l'Iftitāḥ* dans *kāmil*, 132; *itti'āẓ*, 87-8; *Berbères*, 11, 519.

galop sous les pierres et les injures : prédictions répandues par des récits populaires : le premier et le dernier souverains aġlabides s'appellent Ibrahim; le dernier marwanide, Marwān; le premier et le dernier marwānides dans l'Andalus, ʿAbd al-Raḥmān (1).

QUATRIEME PARTIE : § 219 à 305

CHAPITRE XXXIII

Récit de l'entrée du Dāʿī en Ifriqya et de son installation à Raqqāda et du redressement de la situation en sa faveur.

§ : 219

Nouvelle de la fuite de Ziyādat Allah parvenue au Dāʿī après sa sortie de Dougga avant son arrivée à Sbība (2); passage par Silyāna (3); arrivée à Wādī al-Raml où il passe la nuit; envoi d'une avant-garde de 1.000 cavaliers sous le commandement de Ġazwiya et de Ḥasan b. Abi Ḫinzīr, le lendemain à Raqqāda ; entrée paisible de l'avant-garde dans cette ville sans porter atteinte aux pilleurs; bonne impression produite ainsi sur la population (4).

---

(1) Cette prédiction est exacte dans le cas des Aġlabides si l'on veut considérer Ibrāhīm b. Abī'l Aġlab comme le dernier Emir; elle l'est aussi dans le cas des Omaiyades d'Orient; mais elle est fausse en ce qui concerne les Umaiyades d'Espagne; il est intéressant de noter à ce propos que l'*Iftitāḥ* fut achevé en 346/957 sous le règne d'al-Muʿizz, à une date où règnait en Espagne musulmane ʿAbd al-Raḥmān III à une époque aussi où le général fāṭimide Ġawhar se lançait à la conquête Maġrib occidental et parvenait ainsiau seuil d'al-Andalus; la prédictionnotée par al-Nuʿmān exprime le voeu fatimide de voir le régime de l'ennemi andalou prendre fin avec la mort de ʿAbd al-Raḥmān III; l'auteur fait du reste état des visées expantionnistes d'al-Muʿizz sur l'Andalus et consacre dans son *Maǧālis* de longs développements à cette question, v. *Dachraoui*, *Infiltration*; *Conflit*, 317, n.1.

(2) L'antique Sufes, Sabība que les géographes arabes situent sur la route de Kairouan à Maǧǧāna, v. *Ibn Ḥawqal*, 84; *Bakri*, 106, 279; *Idrisī*, 119/139 cf. aussi *Lewicki*, *Langue*, 452-3, n.35.

(3) S'agit-il d'une localité ou de l'Oued Siliana? Le texte de l'Iftitāḥ laisse croire qu'une localité qui porte ce nom existait un peu plus au Sud-Est de Henchir Dougga à l'endroit où l'Oued Siliana prend ses source. Aujourdhui la localité qui porte ce nom se situe beaucoup plus au Nord-Est de Laribus, en dehors donc de l'itinéraire suivi par le Dāʿi au route vers Sbiba.

(4) C'est sans doute pour prévenir toute éventualité de sévices de la part des Kutāma contre la population ifriqyienne qu'il confia le commandement de l'avant-garde à un kutāmite et à un arabe.

§ : 215

Détails sur le pillage systématique de Raqqāda dès le lundi matin par la populace de Kairouan et des gens venus de partout; sauve-qui-peut, après la fuite de Ziyādat Allah parmi les membres de l'aristocratie aġlabide, les dignitaires et les responsables de l'administration civile et militaire.

§ : 216

Panique parmi ceux qui résident à al-Qaṣr al-Qadīm et dans ses faubourgs; évacuation totale de cette ville, le Mardi, pour Kairouan, Sousse et d'autres villes.

CHAPITRE XXXII

Récit de l'arrivée d'Ibn Abī 'l-Aġlab et de sa tentative de prendre le pouvoir (1).

§ : 217

Entrée d'Ibn Abī 'l-Aġlab à Kairouan dans la matinée du mardi; concovation des juristes et des « notables » au palais du gouvernement; propos d'Ibn Abī 'l-Aġlab devant eux pour dénoncer la carence de Ziyādat Allah responsable de la décadence de l'Etat, flétrir le Dā'ī et les Kutāma, exhorter la population à poursuivre la guerre et réclamer pour cela l'obéissance et les fonds nécessaires; refus de ces juristes et notables de lui procurer les sommes réclamées et de lui remettre les fonds des dépôts *wadā'i'* et des biens de main morte *'aḥbās*.

§ : 218

Manifestation hostile de la populace rassemblée devant le palais et mise au courant des desseins d'Ibn Abī 'l-Aġlab par ces juristes et notables; tentative d'émeute; fuite du général et de ses compagnons d'arme, au

(1) Ce chapitre se retrouve presque littéralement dans *Nuwayrī*, 443-4; cf. aussi *kāmil*, 132; *Berbères*, 11, 519; *Bayān*, 148; *Vonderheyden*, 310-1.

§ : 212

Préparatifs de Ziyādat Allah pour s'enfuir après avoir reçu la nouvelle de la défaite, au début de l'après-midi du Dimanche 24 Ǧumāda II 296/20 Mars 909; exécution de quelques prisonniers dont les têtes sont montrées à Kairouan et à al-Qaṣr al-Qadīm pour faire croire à une victoire; avertissement à l'intention des principaux dignitaires de son entourage et des membres de sa famille pour les engager à s'enfuir avec lui; hostilité d'Ibn al-Ṣāniᶜ à la fuite du souverain à qui il conseille de poursuivre la lutte; suspiscion de Ziyādat Allah à l'égard d'Ibn al-Ṣāniᶜ accusé d'avoir eu une correspondance secrète avec le Dāᶜī (1).

§ : 213

Détails sur la fuite de Ziyādat Allah avec sa suite, à la faveur de la nuit de Raqqāda vers Qalšāna sur la route principale *Ǧādda'*, d'Egypte (2).

§ : 214

Fuite d'Ibn Al-Ṣāniᶜ, la même nuit, vers Qaṣr-Sūsa (3) où l'attendait un voilier pour le transporter en Sicile; erreur commise par les convoyeurs de 30 charges d'or, qui au lieu de suivre le convoi de Ziyādat Allah suivent celui d'Ibn al-Ṣāniᶜ; saisie de ces fonds par le gouverneur de Sousse Ibn al-Hamdānī qu'il entrepose (à Qaṣr Sūsa) et dont le Dāᶜī entrera en possession après sa victoire (4). Panique à Raqqāda désertée par ses habitants.

---

(1) Cf. les développements parallèles dans *kāmil*, 123; *Bayān*, 147-8; *Vonderheyden*, 308-9; mais c'est surtout *Nuwayri*, 441-2, qui reproduit littéralement le récit de *l.Iftitāḥ* introduit ainsi : «l'historien dit ...»; v. à ce propos nos remarques dans l'Introduction, 20-1.

(2) Cet itinéraire est indiqué avec précision d'Egypte jusqu'à Kairouan par les géographes arabes qui placent Qalšāna à une douzaine de milles de la capitale ifriqyienne, v. *Yaᶜqūbi*, 8/208; *Hadj Sadoc*, 7, n.73; *Bakri*, 64-5; des sahéliens que nous avons interrogés prononcent plutôt Qalṣāna, cf. *Lawicki*, *Langue*, 464, n.62.

(3) Il s'agit du Ribāṭ de Sousse; sur la fondation et l'architecture de cet ouvrage défensif, v. *Lézine*, 9-36; *Marçais*, *Architecture*, 30-35. — Selon *Nuwayri*, 442, Ibn al-ṣāniᶜ se rendit à Lamṭa (aujourd'hui petite localité maritime entre Monastir et Téboulba), afin de s'y embarquer pour la Sicile.

(4) Tandis que *l'Iftitāḥ* laisse penser qu'Ibn al-ṣāniᶜ fut dévoué au régime aġlabide, le *Bayān*, 148 l'accuse de trahison et même de vol : il aurait tenté de détourner ces 30 charges de 16 000 mitqāls chacune avec la complicité des trésoriers; mais ceux-ci manquèrent le rendez-vous fixé et se rendirent à Sousse où le gouverneur s'empara de ces fonds qu'il entreposa au Ribāt; cette version que reproduit *Vonderheyden*, 310, est vraisemblable si l'on admet que le vizir embarqua non à Sousse, mais à Lamta en direction de l'Orient.

sur la route Laribus-le Kef. Fléchissement et désagrégation de l'armée aġlabide (1).

§ : 211

Retraite d'Ibn Abī' l Aġlab par la montagne d'al-Ḫarrāqin; celle des Luwāta, Karnāya et Maklāta par la route de Ḥašīr Mams; celle des *'abid* (les nègres de la garde) avec les divers éléments ifriqyiens par la route de Kairouan; celle de Maḥbūb b. 'Abdūn avec les Huwwāra et Nafza en direction des banū Bašīr. Harcellement des troupes aġlabides jusqu'à la tombée de la nuit; prise de la ville le lendemain Dimanche par la force *bi'l-sayf*; départ du Dā'ī le lendemain Lundi pour Gammūda en passant par Duqqa tandis que les gens disaient qu'il se dirigeait vers Qasṭiliya (2).

CHAPITRE XXXI

Récit de la fuite de Ziyādat Allah de Raqqāda.

---

(1) Nous n'avons trouvé aucune trace de la Ġurra al-Bayḍā' , mais On reconnaît approximativement l'endroit où se trouvent aujourd'hui des vergers.

(2) La montagne d'al-Ḫarrāqīn porte aujourd'hui le nom de Maiza (petite chèvre); des 'Awlād 'Ayyār y font comme dans les montagnes de la région des *mardūma*, pour «brûler» le charbon de bois. — Les Luwāta se sont dispersés dans plusieurs régions de la Berbérie : *Ibn Ḥawqāl*, 106, les apparente aux Zanāta et Muzāta; *Ibn Ḥazm*, 463, signale leur prétendue origine copte; v. aussi *E I*, III, 19 (Lawāta); *Hadj Sadoc*, 13, n.155; *Berbères*, 1, 231-6 et passim. — Hašīr Mams est peut-être Saqiyet Mams que *Bakrī*, 280, signale dans la région de Sbiba et où s'arrête le Dā'ī avant d'entrer à Raqqāda; v. *Bayān*, 149; *Vonderheyden*, 311. — Aucun géographe arabe ne signale Dougga;il ne s'agit pas de l'antique Thugga, l'actuelle Dougga et ses fameuses ruines au Nord-Est de Laribus à côté de la ville de Tèboursouk l'antiques Tubursicum Bure; Il s'agit d'une autre Dougga ou Henchir Douggo, l'antique Tugga Térebenthina située à mi-chemin à peu près entre ZANFOUR, l'antique Aassuras et sbiba, l'antique Sufes, sur la route le Kef-Sbeitla; ceci explique comment le Dā'ī se dirige vers le Sud, vers le Gammūda; cf. S.M. STERN, Threc North African topographical notes Arabica I (1954) pp. 343-344. — Aucun renseignement sur les banū Bašīr; étaient-ils des Huwwāra! — Al-Nu'mān se borne à une brève allusion au carnage et au prillage dont une description plus détaillée se trouve dans *Bakrī*, 99 ; *Bayān*, 146-7 : le chiffre de 30.000 tués y est donné, mais dans *kāmil*, 132, seulement 3.000 ce qui est plus vraisemblable. La violence d'un tel massacre est chose courante dans le cas d'un ville conquise par la force *'anwa ou bi'l-sayf*»; les soldats du Da'ī auraient poursuivi le massacre de la population à l'intérieur même de la mosquée jusqu'à la tombée de la nuit et le sang des victimes aurait coulé en rigoles à l'extérieur de la dite mosquée ; si les sources sunnites insistent sur ces détails sur lesquels al-Nu'mān glisse rapidement, en revanche son récit de la bataille est pittoresque presque épique; pour mieux apprécier l'originalité de ce récit, cf. les versions parallèles mais résumées dans *kāmil*, 131-2; *Itti'āẓ*, 86-7, *Berbères*, 11, 519.— *Bayān*, 147, indique que le Dā'ī se dirigea prudemment après la bataille vers Bāġāya.

§ : 208

Accrochage entre un détachement de cavalerie aġlabide et un détachement ši'ite sorti pour attaquer les banū Ǧūdān; exécution sur l'ordre d'Ibn Abī 'l-Aġlab d'un prisonner Kutāmite en dépit d'une intervention en sa faveur de Maḥbūb b. 'Abdūn (1).

§ : 20

Disposition prises par le Dā'ī pour la bataille, le samedi 23 Ǧumdā II 296/19 Mars 909; les banū Nabṭāš à l'aile droite ; les banū Yanāwa à l'aile gauche, les Malūsa et les Masālta au centre: à l'arrière-garde, autour de lui, l'élite de ses troupes, 10.000 cavaliers dont les missionnaires et les chefs de tribus. Détails précis sur le déroulement de la bataille; position en relief du Dā'i avec ses 10.000 cavaliers, sur une colline dominant la ville (2); bataille dans la plaine (3); violents combats et fléchissement des troupes ši'ites vers la fin de l'après-midi.

§ : 210

Supériorité de l'armée aġlabide sur les ši'ites; embuscade de 500 hommes organisée par le Dā'ī pour parer à une défaillance de ses soldats, dans une gorge *masīla* appelée al-Maḍāra (4) et surprendre de dos la cavalerie ennemie; même tactique d'Ibn Abi' 'l-Aġlab consistant à arranger une embuscade au même endroit; engagement favorable au détachement ši'ite au lieu dit al-Ġurra al-Bayḍā' à proximité d'un jardin d'amandiers,

---

(1) C'est le chef des Huwwāra, campant dans la région entre Sbiba et Maǧǧāna; *Bayān*, 149, donne Maḥbūb b. 'Abd Rabbihi al-Huwwārī.

(2) Nous avons examiné sur place le site de Lorbeus : on remarque encore aujourd'hui cette colline au Nord-Ouest du côté du djebel Zafrane, en face du djebel Lorbeus au pied duquel est situé le village à 626 m d'altitude; les géographes *Ibn Ḥawqal*, 87; *Bakri*, 99 signalent l'abondance de la culture du Safran auquel la première montagne doit son nom

(3) C'est la grande plaine encadréé par les montagnes de Zafrane, Lorbeus, Maiza et Fāha appelée encore al-Faḥṣ.

(4) C'est la gorge que l'on remarque entre les montagnes Zafrane et Fāhā qu'empruntent ajourd'hui la voie ferrée et la route vers le Kef et que traverse l'oued Souani (des jardins).

établi à al- Qirbāt, la nuit après le premier jour de combat; arrivée d'Abū Mudayni qui campe la même nuit à Kurša; mais repli de l'armée aġlabide à la faveur de la nuit; poursuite des troupes aglabides par Abu Mudayni jusqu'à Faǧǧ al-ʿArʿār, conformément aux instructions du Dāʿī (1).

CHAPITRE XXX

Récit de la conquête de Laribus et de la défaite d'Ibn Abi 'l-Aġlab.

§ : 207

Préparatifs du Dāʿī pour marcher sur Laribus au début du printemps à la tête d'une armée importante; départ d'Ikǧān le 1è Ǧumāda 11 296/25 Février 909; étape à Bāġāya où l'effectif de l'armée atteint 200 000 hommes (2), entre cavaliers et fantassins: renforts envoyés par Ziyādat Allah à Laribus; effectif très important de l'armée aġlabide. Passage du Dāʿī par Miskyana, puis tout le long de l'Oued Miskyana, jusqu'à l'oued Maǧǧāna, puis par Maǧǧāna jusqu'à Oued al-Raml (3). Camp établi au bord de ce cours d'eau; envoi d'un détachement de cavalerie le jeudi 21 Ǧumāda 11 296/17 Mars 909 à Manyūla (4) qui est saccagée; envoi d'un autre détachement le lendemain au Kef (5) dont les habitants demandent l'*amān* et se rendent après un combat de quelques heures.

---

(1) *Madġara* ou *Matġara*, tribu issue de la branche Burnus, dont des fractions sont signalées à travers tous les districts du Maġrib central et dans les régions de l'Ifriqīya, v. *Ibn Ḥazm*, 262; *Berbères*, a, 172, 236-41. — Il faut situer al-Qirbāt et kurša aux environs de Bāġāya.

(2) Le même chiffre peut-être exagéré et des indications similaires dans *kāmil*, 131; *itti*ʿ*āẓ*, 86; *Berbères*, 11, 518-9.

(3) L'oued Miskyana affluent du Mellègue (Wādī Milāq) porte aujourd'hui le même nom' v. *Guides bleus*, 414. — Les géographes ne mentionnent pas Wādī *Maǧǧāna*; il s'agit apparemment d'un tronçon de Wādī Milāq que *Bakrī*, 106, 278, signale plus loin à l'Ouest de Maǧǧāna. — Il s'agit sans doute de l'affluent du Mellègue, qui porte aujourd'hui le même nom, au Sud-Ouest du Kef, v. *Guides Bleus*, 411 (l'oued Ramel); s'agit-il du même Wādī al-Raml signalé par *Bakrī*, 106, à l'Ouest de Kairouan $ cf. aussi *Ḥadj Sadoc*, 5, n.50.

(4) Localité située apparemment dans la région du Kef.

(5) Saqbānariya, la Sicca Veneria des Anciens aujourd'hui Chicca Bénar ou le Kef, importante place forte sur la montagne du Dir, v. *E I*, 11, 896-7 (Al-Kef, par G. Yver); *Bakri*, 74; *Lewicki*, *Langue*, 455.

un convoi šīʿite revenant de Siǧilmāssa après avoir accompli une mission auprès Mahdi; ajournement par le Dāʿī d'un projet d'expédition punitive contre les Zanāta, jugé inopportun par les Doyens.

§ : 203

Attaque contre Qastiliyya dirigée par le Dāʿī lui-même; reddition de la ville après quelques heures de combat; *'amān* accordé par le Dāʿī; important butin, avant l'*'amān*; saisie des *'amwāl* de Ziyādat Allah (1).

§ : 205

Marche du Dāʿī sur Gafsa (2); prise de cette ville avec l'*'amān*; saisie des *'amwāl* de Ziyādat Allah; retour du Dāʿī à Ikǧān ;passage par Bāġāya où il laisse une garnison de 500 cavaliers commandés par Abū Makdūl; mort de Muḥammad b. Ġazwiya à Bāġāya où son père s'attarde à cause de cela avec 50 cavaliers des Malūsa.

§ : 205

Marche d'Ibn Abi 'l-Aġlab sur Bāġāya; alerte chez les Kutāma mais prudence du Dāʿī qui évite d'aller lui-même au secours de Bāġāya avec le gros de son armée; renforts de 12.000 cavaliers envoyés à Abū Makdūl, sous le commandement de Abū Mudayni; instructions données à celui-ci : dégager Bāġāya à tout prix, mais en cas d'une retraite d'Ibn Abī l-Aġlab, ne pas dépasser Faǧǧ al-ʿArʿār.

§ : 206

Détails sur la résistance farouche opposée; par la garnison de Bagāya à l'assaut de l'armée aġlabide : héroisme de Hāriṯ al-Madġari, à la tête

---

(1) Il s'agit des revenus de la fiscalité sous Ziyādat Allah III pour la riche province de Qastiliyya dont le chef lieu était Tawzar (Tozeur);un texte du *Bayān*, 141-2, nous renseigne à propos de Ṭobna sur ces diverses contributions : la dîme *ʿušur* perçue non pas en nature, mais en espèce et que le Dāʿī juge illégale à cause de ce mode de perception; la *ǧizya* versée par les tributaires (nombreuse colonie dans cette région) perçue non pas en dirhams mais en pièces d'or, sur la base du taux fixé par le calife ʿUmar et que le Dāʿī juge légale; l'impôt foncier que le Dāʿī juge illégal; la *ṣadāqa* sur le bétail, agréée par le Dāʿī. — Notons que le *Bayān*, 145 fait état à propos de la conquête de Qasṭiliyya du pillage et des dégats causés par les troupes šīʿites.

(2) Cf. *Berbères*, 11, 5r8, mais corriger Constantine en Qasṭiliyya et Cassa en Gafsa.

expédition punitive contre, sous le commandement de Gazwiya et d'Abū Makdūl. (1).

§ : 200

Envoi d'un corps de troupes par le Dā'ī pour protèger les banū' 'Urdīm menacés par Ibn Abī 'l-Aġlab; camp šī'ite (500 cavaliers) établi sur la montagne Bānūrāt; camp aġlabide sur la montagne d'al-Sāṭūr; engagement favorable aux bānū 'Urdīm et aux troupes šī'ites; retraite des troupes aġlabides (2).

§ : 201

Ralliement des banū Māǧin (3), fraction des Huwwāra de Kādrān à Ibn Abī 'l-Aġlab; expédition punitive contre eux conduite par Abū Makdūl placé à la tête des troupes Ǧimla et Abū Yūsuf Māknūn b. Ḍubāra, à la tête des troupes Aǧǧāna.

CHAPITRE XXIX

Récit de la conquête de Qastīliya et de Gafsa (4).

§ : 202

Sortie du Dā'ī à la tête de troupes importantes en direction de Qastīliya passage par Bāġāya; détails fournis au Dā'ī par le gouverneur de Ṭobna, Yaḥyā b. Sulaymān, qur une embuscade des Zanāta (5) contre

---

(1) Ces tribus habitaient apparemment la région de l'actuelle ville de Souk Ahras, v° supra, 193, n.1. — Abū Makdūl, lieutenant du Dā'ī appartenait à la tribu des Ǧimla. v. *Berbères*, 11, 518.

(2) Nous n'avons pas pu identifier les 'Urdīm ni localiser exactement les montagnes d'al-Sāṭūr et de Bānūrāt.

(3) Plusieurs fractions des Huwwāra s'étaient répandues aux environs de Tīǧis, Bāġāya et Marmāǧanna, v. supra § 168, n.2; *E I*, 11, 371-2 (Huwwāra, par R. Basset).

(4) La conquête des deux villes eut lieu probablement au début de l'automne 296/908 v. *Bayān*, 145; *kāmil*, 131; *Vanderheyden*, 302.

(5) Les puissantes tribus du groupe Zanāta répandues à travers le Maġrib central dominèrent l'histoire de l'Occident musulman à l'époque médiévale, v. sur leur origine et leur histoire surtout *Ibn Ḥazm*, 461-2; *Berbères*, 111, 179 sqq et passim; *Hadj Sadoc*, 13, n. 144; *E I*, IV, 1293 (Zenāta par G. Marçais).

s'étaient réfugiés des éléments arrivés des villes conquises, Qaṣr al-Ifrîqi, Maǧǧāna al-Qal'a (1), Tébessa, Marmāǧanna. Inaction du Dā'ī à cause d'une crise de gravelle chronique *ḥaṣāt*; *'amān* accordé aux habitants par des éléments ši'ites puis massacre et pillage à l'insu du Dā'ī; réparation de ces méfaits par les Doyens sur l'ordre du Dā'ī affligé par le comportement de ses troupes.

§ : 197

Entrée du Dā'ī dans le Gammūda (2); *'amān* accordé aux habitants de Kasserine(3); interdiction aux troupes d'entrer dans la ville pour éviter les abus commis à Maydara; affliction du Dā'ī à cause de ces abus dénoncés publiquement par Ziyādat Allah III; mesures prises par les Doyens pour châtier les coupables.

§ : 198

Mouvement d'Ibn Abī' l-Aġlab de Laribus vers Dār Madyān pour empêcher le Dā'ī de marcher sur Raqqāda; détachement de 2000 cavaliers envoyés en reconnaissance par le Dā'ī; engagement à l'avantage des troupes aġlabides mouvement du Dā'ī pour se porter au secours de son détachement de cavalierie; prudence des deux adversaires qui évitent de s'affronter dans un combat décisif.

§ : 199

Retraite du Dā'ī vers Kasserine; satisfaction dans le camp aġlabide après ce succès gonflé aux proportions d'une grande victoire; retour d'Ibn Abī l-Aġlab à Laribus et du Dā'ī Ikǧān; ralliement des banū' Ušnū et des banū Ṣadġayān, fraction des banū Hurāš au général aġlabide;

---

(1) Appelée aussi «Qal 'at Busr», citadelle sur la montagne au sud de Maǧǧāna, v. supra 190, n.2.

(2) Le pays de Qamūda, le Tagamuda des Anciens, territoire s'étendant entre kairouan et Gafṣa, v. *Ya'qūbī*, 10/211-2; *Muqaddasi*, 5, 19; *Idrīsī*, 103/120 *Lewicki*, *Langue*, 464-5 n.63.

(3) La forteresse d'al-Qaṣrayn, les deux châteaux, l'antique Cilium; aujoud'hui petite ville de Tunisie, cf. *Idrīsī*, 91/106, 96/113; *Guides Bleus* 661-2.

§ : 194

Attaque lancée par Ibn Abi' l-Alġab à la tête de nombreuses troupes dont 12000 cavaliers contre la garnison de Tīfāš (200 hommes); retraite de Ṣūlāt avec la plupart des habitants de Tīfāš vers Ikǧān en passant par Guelma; reprise de Tīfāš par l'armée aġlabide.

§ : 195

Incursions punitives des troupes šī'ites dans la région des Awraba, coupables d'avoir rejeté l'autorité du Dā'ī et tué leur *muqaddam*, le père de Manṣūr b. Ḫalīl al-Awrābī; opérations à partir de Maǧāz al-Marākib, non loin de Bône : un 1è corps de troupes opérant sur la côte, un 2è autour à Bāb Zāna et retour à Ikǧān avec le butin. (1).

CHAPITRE XXVIII

Récit de la bataille de Dār Madyān (2).

§ : 196

Expédition commandée par le Dā'ī lui-même ;passage de l'armée par Bāġāya Meskiana(3); Tébessa; siège de la forteresse de Maydara (4) où

---

(1) Les Awraba appartiennent à la branche de Burnus; *Ya'qubi*, 12/214, signale des Awraba dans la région de Niqāwus; mais ils habitaient surtout la région de Bône, v. *Hadj Sadoc*, 13, n.164; *Bakrī*, 117 et passim; *Berbères*, 1, 286-90. — Le *muqaddam* des Awraba appartenait sans doute à la famille des banū-Halīl cités immédiatement après les Awraba dans *Idrisi*, 85/98. Būna, l'antique Hippone ou Hippo Regius, appelée aujourd'hui «'innāba», ville des jujubiers *'Unnāb* : v. *E I*, 1, 761-2, (Bône); *Ibn Ḥawqal*, 75-6; *Bakrī*, 116-7; *Idrisi*, 116-7/136; *Léon*, III, 107-9; *Lewicki*, *Langue*, 447, n.17. Nous n'avons pas pu localiser avec les autres toponymes.

(2) Dār (ou Dūr) *Madyān*, simple étape à une journée à l'Est de Tīfāš v. *Idrisi*, 57-/65, 91/106, 96/109; il faut la situer là où est l'actuelle Medeina, en Tunisie, au Sud Ouest de Laribus (Lorbeus), l'antique Altibures, v. *Guides Bleue*, 616; *Vanderheyden*, 302 d'après *kāmil*, 131) écrit à tort «Dordemin».

3) *La Miskyāna des géographes arabes, forteresse sur la route Bāġāya-Tebessa v. Ibn Ḥawqāl*, 84; *Bakrī*, 106, 278; *Idrisī*, 103/120, 119/139; elle était placée avec *Marmāǧanna* sous l'autorité du même gouverneur. — Carette, 109, en situe les ruines à la source de l'oued Meskiana; v. aussi *Guides Bleus*, 414.

4) C'est l'antique Ammaedara dont on voit les ruines sur l'oued Haidra à proximité de l'actuelle station de Haidra en Tunisie, tout près de la frontière entre Tala et Tébessa, v. *Guides Bleus*, 619-20. — *Vanderheyden*, ibid (d'après *kāmil*, ibid) donn à tort «Medbara».

al-Ifriqi qui se retirent à Ṭubrāšiq; retour des šiʿites à Ikǧān après avoir pillé les banū Maklāta et les banūʿAmr (1).

§ : 192

Ralliement du gouverneur de Tifāš, Isḥāq b. Salās, à la cause du Dāʿi; désignation par Ziyādat -Allah d'un habitant de Tifāš, Ḥabib b. Līfa, pour le remplacer; adhésion à la *daʿwa* de quelques habitants de Tifāš acquis de longue date au šiʿisme (ʿAbd Allah b. Kulayb, Muḥammad b. Zunbūr, Abū Zaʿbal) qui renseignent le Dāʿi sur la ville et l'incitent à la prendre ;envoi d'un détachement de 500 cavaliers commandé par un des missionnaires Ṣūlāt b. al-Qāsim de la tribu des Saktān; fuite de Habib b. Līfa à Laribus; *ʿamān* accordé par Ṣūlāt à Tifāš où il tient garnison (2).

§ : 193

Arrivée du chef *muqaddam* de Guelma, Ḫalfūn b. Mahdi, auprès de Ṣūlāt, pour adhérer à la *daʿwa* et obtenir *l'ʾamān* pour sa ville ; retour de Ḫalfūn à Guelma pour amener auprès de Ṣūlāt quelques Guelmites dont Mūrabiṭ b. ʿIsa, ʿAbd Allah B. Maymūn et Ibrāhim al-Burūǧ; envoi à Guelma de 300 cavaliers sous commandement de Wāklid b. Sunbul; adhésion à la *daʿwa* de certains éléments des banū 'Urdīn (Ǧābir b. Mūsā, Faraḥ b. Yaḥya, Yūsuf b. Ayyūb) et des banū Hurāš (Ṣūlāt b. Nāzil, ʿAdiyy b. Bakr, Ḥabib b. Bakr et Ḥammūd b. Ḥafṣ) (3).

---

(1) Qaṣr al-Ifriqi qui n'était pas entourée d'une enceinte s'élevait à une journée au Sud-Ouest de Tifāš, v. *Ibn Ḥawqal*, 87; *Bakrī*, 114; *Idrīsī* 120/140. — Selon *Ibn Ḥawqal*, 106 les karnaya (—karntaya) descendent des Zanāta. — Les Maklāta selon *Ibn Ḥawqal*, ibid, descendent aussi des Zanāta mais selon *Berbères* 1, 227, 294 c'est une branche des Nafzāwa établie dans le territoire des kutāma. — Aucun renseignement dans nos sources sur les autres noms de personnes, de tribus ou de lieux.

(2) Tifāš surnommée l'injuste *al-Ẓālima*, la Tipassa des anciens, forteresse inexpugnable s'élevait non loin de la source de la Mejerda; il n'en reste aujourd'hui qu'une petite localité . v. *Ibn Ḥawqal*, 87; *Bakri*, ibid; *Idrisi*, ibid et passim; Léon, III, 110-2; *Lewicki, Langue*, 448, n.23. Quant à ṣūlāt b. al-Qāsim, son nom est déformé dans *Berbères*, II, 518, en «Souab Ibn Abi' Cacem es-Sektai». — Aucun renseignement dans nos sources sur les autres personnages.

(3) Guelma, ville d'Algérie, l'antique Calama, la Qālama des auteurs arabes, v. *Idrisī*, 91/106, 96/113; la tribu berbère des Qālama est mentionnée dans *Hadj Sadoc*, 13, n. 163; *Idrisī*, 57/66. — Les banū Hurāš étaient fixés probablement dans la région de Souk Ahras. — Aucun renseignement dans nos sources sur les autres noms de personnes ou de tribus.

§ : 189

Attaque contre Maǧǧāna dirigée par Abū Mudaynī, à la tête d'un détachement de cavalerie d'un millier d'hommes; résistance de la garnison, sous le commandement de Ḫafāǧa al-ʿAbāšī (1) ; retour d'Abū Mudayni à Ikǧān.

§ : 190

Incursion d'un détachement de cavalerie conduit par le même Abū Mudayni dans la région de Maǧǧāna dont les habitants se retranchent dans la citadelle de Busr (2); passage d'Abū Mudayni par Bāǧāya, puis par la région de Tébessa (3) en direction des Malzūza, fraction des Nafza (4) engagement dans la montagne d'Al-Maṭāḥin (5) ; victoire des troupes šiʿites après un dur combat où Ḫafāǧa fut tué; retour d'Abū Mudayni à Ikǧān.

§ : 191

Quelle sanglante entre les habitants de Qaṣr al-Ifrīqi et les Karnāya qui perdent un des leurs, le dnommé ʿAbbalū; secours demandé par son frère Fūnās au Dāʿī qui envoie un détachement commandé par l'un des Saktān, Abū Ǧaʿfar Aḥmad b. Sulaymān; défaite des habitants de Qaṣr

---

(1) Il eut auparavant un commandement à Ṭobna, v. *Bayān*, 140; *Vanderheyden*, 300. — cf. aussi supra § 161, n.2 : peut-être faut-il l'identifier à Yaḥyā b. al-Qaṣri, préposé au *ʿaṭā'* à Ṭobna.

(2) Elle s'élevait non loin de Maǧǧāna sur la montagne au sud de cette ville près d'une mine d'argent, v. *Futūḥ*, 229; *Idrisi*, 96/116; *Yāqūt* V, 56 : elle devait son nom au chef arabe Busr b. Arṭāṭ qui la conquit.

(3) Ville d'Algérie, la Tabassa des géographes arabes, la Theveste des Anciens (en latin africain Tebesse ou Tevesse; cette importante forteresse commandait la route du Zāb, pourtant Yaʿqūbi et Ibn Ḥawqal ne le mentionnent pas (5) : v. *E I*, IV, 749-50 (Tébessa); *Bakri*, 106, 278; *Idrisi* 91/106; *Léon*, III, 113-6; *Lewicki*, *Langue*, 447-8, n.20.

(4) En fait les *Malzūza* qui descendent de Tamzit v. Darī appartiennent à la même origine que les Nafza, v. *Ibn Ḥazm*, 472; *Berbères*, I, 172, 236, 248. Les Nafza selon *Ibn Ḥawqāl*, 186, descendent de Zanāta, v. supra § 29; n.5; on admet leur existence dans la région de *Maǧǧāna* puisque *Yaʿqūbi*, 11/214 les signale aux environs de Tiǧis.

(5) *Idrisi*, 118/138 signale cette montagne d'où étaient extraites les pierres de meule, sans la nommer; c'est probablement l'actuel djebel Ouenza.

§ : 186

Indécision de Ziyādat Allah et désaccord de ses conseillers sur l'opportunité d'une opération d'Ibn Abi 'l-Aġlab contre Bāġāya; hostilité d'Ibn al-Ṣāniʿ à une telle opération, jugée aventureuse (1).

§ : 187

Détails sur les joyeuses libations et la frivolité de Ziyādat Allah et de ses courtisans favoris, tel Ibn al-Šanim (2); consolation de l'Emir par le souvenir de l'échec de la révolte de Mudliǧ (3).

§ : 188

Influence des liecencieux sur Ziyādat Allah; débauche excessive de l'Emir et de certains dignitaires de son entourage; séjour prolongé d'Ibn Abī' l-Aġlab, à Laribus avec son armée.

CHAPITRE XXVII

Récit des combats du Dāʿi à Maǧǧāna (4) et dans sa région du côté de Laribus.

---

(1) ʿAbd Allah b. al-Ṣāʾiġ (ou al-Ṣāniʿ) fin lettré et principal conseiller de Ziyādat Allah fut avant de devenir son vizir et le tout puissant *ṣāḥib al-barid*, secrétaire d'Abū Muslim Manṣūr b. Ismāʿīl b. Yūnus, haut dignitaire sous Ibrahim II; accusé d'avoir soutenu Ziyādat Allah dans sa tentative de révolte contre son père ʿAbd Allah II, il fut jeté en prison puis libéré après l'assassinat de ce dernier. Il s'attacha au service de l'Emir; il fut accusé d'avoir entretenu avec le Dāʿī une correspondance secrète; v. *Bayān*, 135, 136, 137, 143, 145; *Nuwayrī*, 441-2; *A ʿmāl*, 444; *Vonderheyden*, 297-8, 305.

(2) Aucun renseignement sur lui dans nos sources.

(3) Mudliǧ b. Zakariyā et Aḥmad b. Masrūr al-Hāl (meilleure lecture qu'al-Ḫāl) se révoltèrent en Ǧumāda II 293/Avril 906, v. *Bayān*, 139; *Vonderheyden*, 300.

(4) Il y avait probablement à l'époque ancienne une «Urbs Magna» d'où la Maǧǧāna des géographes arabes qui l'appellent la Maǧǧāna des meules *maṭāḥin* ou la Maǧǧāna des mines *maʿādin*, à cause de ses carrières pour la fabrication des meules et de ses mines de fer et de plomb; cf. *Yaʿqūbī* 10/211 (qui y signale des Arabes Rabiʿa, lesSanaǧira); *Ibn Ḥawqal*, 84; *Bakrī*, 106, 278 — (qui la situe non loin de l'oued Mellègue) *Idrīsī*, 118-9/138-9. — Cette ville s'élevait dans le territoire appelé aujourd'hui «Barr Māǧin» à l'ouest de Meskiana au nord-est de Tébessa (peut-être sur l'emplacement de l'actuel centre d'El-Meridj, non loin de la frontière tunisienne, v. *Guides Bleus*, 399), au Sud-est du Djebel Ouenza; cf. aussi *Brunschvig*, *Berbérie*, I, 301-2; *Lewicki*, *Langue*, 471, n.75.

b. ʿAbd Allah b. Ǧimāl (1), en remplacement de Ḥimās (b. Marwān); satisfaction des membres de sa famille et des dignitaires de son entourage, à cause de cela; intention de l'Emir de commander lui-même l'expédition contre le Dāʿī, mais insistance de ses conseillers pour faire renoncer à son projet.

§ : 184

Commandement de l'armée confié à Ibrahim b. 'Abī' l-Aġlab, un des membres les plus en vue de sa famille (2) retour de Ziyādat Allah à Raqqāda; appui accordé à Ibn Ǧimāl pour qu'il exerce exclusivement la charge de cadi; disgrâce totale du cadi malékite, Ḥimās.

CHAPITRE XXVI

Récit de la conquête de Bāġāya (3).

§ : 185

Contacts établis avec le Dāʿi par certains habitants de Bāġāya dont Ibrahim connu sous le nom d'Ibn al-Mazīli, ʿAbd Allah al-Radam et Ḥammūd al-Qaṣīr, pour lui faire des propositions de soumission (4); expédition commandée par le Dāʿī, lui-même; fuite de gouverneur de Bāġāya qui se réfugie à Laribus; *'amān* accordé aux habitants; désignation d'Abū Yūsuf Maknūn b. Ḍubāra comme gouverneur; retour du Dāʿī à Ikǧān; garnison de 500 hommes laissés à Bāġāya.

---

(1) Il fut nommé sur les instances du vizir Ibn al-ṣā'iġ, v. *Ṭabaqāt*, 196/285, 239/333; *Bayān*, 140. Sa désignation fut impopulaire, les Kairouanais étant attachés au malikisme.

(2) Son père Abū' l-Aġlab b. Ibrahim b. Aḥmad connu par son penchant pour l'ascétisme renonça au commandement en Sicile en faveur de son neveu Ziyādat Allah, v. supra § 146.

(3) L'événement eut lieu probablement dans le courant de l'été 295/908, tandis que le général aglabide prenait ses quartiers à Laribus, v. *Vanderheyden*, 301. — *Bayān*, 143, donne la date fautive de šaʿbān 294/Mai-Juin 907.

(4) Aucun renseignement précis sur ces personnages dans nos sources, mais cf. l'indication identique sans doute d'après *l'Iftitāḥ* dans *kāmil*, 131; cf. aussi *Vanderheyden*, ibid.

§ : 179

Eloge de son valeureux vassal Ziyādat Allah; envoi imminent de renforts pour le soutenir...

§ : 180

Exhortation à l'obéissance à Ziyādat Allah, pour accomplir de devoir de *ǧihād*.

§ : 181

Lecture de cette proclamation sur la chaire de la mosquée de Kairouan et dans les autres vil es de l'Ifriqya. Hostilité accrue des populations à l'égard de Ziyādat Allah. Alarme à Kairouan et dans le reste du pays.

CHAPITRE XXV

Mention de la sortie de Ziyādat Allah à la tête de l'armée pour Laribus et de son retour de cette ville.

§ : 182

Intention manifestée par Ziyādat Allah de marcher lui-même contre le Dā'ī, afin de redresser la situation; levée de nombreuses troupes grâce à la distribution de fortes sommes : le contenu d'un vase *ṣaḥfa*, une cinquantaine de dinars pour chaque homme enrôlé; importants préparatifs militaires.

§ : 183

Départ de Ziyādat Allah pour Laribus au début de l'année 295/Fin 907 accompagné de quelques juristes kairouanais (1); désignation, à son arrivée à Laribus, d'un faqih ḥanéfite au poste de cadi, Abū l-'Abbās Muḥammad

(1) Cette date est reproduite dans *kāmil*, 131; *Itti'āẓ*, 86; *Berbères*, II, 517; mais le *Bayān*, 140, donne l'année 293, à tort, compte tenu de la chronologie des événements ultérieurs.

§ : 174

Devoir incombant à l'Emir Ziyādat Allah de faire le *ǧihād* à l'impie; mention de renforts envoyés par le calife abbasside al-Muktafī pour le soutenir contre l'impie; renouvellement des marques de loyalisme envers le calife (son suzerain)...

§ : 175

Mention des succès militaires de l'impie mais de façon à en minimiser l'importance et le danger et afin d'exhorter les populations au *ǧihād*.

§ : 176

Lecture de cette proclamation sur la chaire de la mosquée de Kairouan et dans toutes les autres cités de l'Ifriqya. Détérioration de la situation : sombre tableau des crimes de Ziyādat Allah, de ses turpitudes et de ses abus de pouvoir; contraste avec la droiture et la conduite exemplaire du Dā'i; simulation de l'arrivée d'un messager du calife abbasside avec des présents pour l'Emir et le texte d'une proclamation destinée à la population (1).

§ : 177

texte de la proclamation (attribuée) à al-Muktafī : défense de l'Islam contre l'hérésie et les ennemis de Dieu; malheurs à ceux qui s'écartent de la voie de Dieu; citations coraniques à l'appui...

: 178

Condamnation vigoureuse de l'hérésie et de la rebellion incarnée par *al-ḫariǧi* (l'hérétique); exaltation des vertus d'obéissance à la doctrine et à l'autorité de l'orthodoxie citations à l'appui...

---

rien et dont le Mahdi prit possession lors de son passage à Ikǧān, v. supra § 123, n.1. A noter que le Dā'ī observait scrupuleusement les prescriptions coraniques en matière de fiscalité : v. cela après la conquête de Ṭobna et de Bélezma, dans *Bayān*, 141-2. — Sur la fiscalité fatimide, cf. l'opinion un peu trop systématique dans *Marçais, Berbérie-Orient*, 142-7 : cette fiscalité aussi lourde fut-elle n'explique pas à elle seule leur richesse constituée surtout par les contributions particulières versées pour le compte de l'imām par les fidèles dans les *ǧuzur* à travers le monde musulman.

(1) La réception par Ziyādat Allah III d'une lettre de la part d'al-Muktafī est signalée dans *Bayān* 140, sous l'année 293; v. aussi *Vanderheyden*, 304.

§ : 172

Crimes des šiʿites qui maudissent Abū Bakr, ʿUmar, ʿUtmān, Ṭalḥa, al-Zubayr en se fondant sur ʿAli (1); défense de ʿAli innocent de ces crimes et bon compagnon pour eux tous...

ô : 173

Dénonciation du caractère messianique du šiʿisme, de son ésotérisme et de l'illégalité de sa fiscalité : « il (le Dāʿi) imposa à quiconque adhérait à sa cause le versement pour le compte de Dieu d'un dinar appelé *dinar al-hiǧra* d'un dirham dont il prétendit que c'était le *dirham al-fiṭra* (1) il institua pour son propre compte une contribution obligatoire sur les biens (des membres) de la communauté (2), détruisit les mosquées, abolit la prière et s'éloigna de la *ǧamāʿa* des Musulmans.

---

(1) Tous célèbres compagnons du Prophète dont les quatre premiers califes Abū Bakr, ʿUmar, ʿUtmān et ʿAli. — Quant à al-Zubayr b. al-ʿAwwām b. Ḫuwaylid b. ʾAsad b. ʿAbd al-ʿUzzā b. Quṣayy al-Qurašī et Ṭalḥa b. ʿUbayd Allah b. ʿUtmān b. ʿAmr... b. Taym... al-Qurašī, tous deux apôtres du Prophète, ils furent parmi les compagnons à qui le Paradis fut promis *mubaššarūn* et membres du conseil de la *šūra* chargé par ʿUmar d'élire son successeur. Après avoir été du parti de ʿAli lors de la *fitna* de ʿUtman ils se rangèrent du côté de ʿAʾiša et prirent part à la bataille d'al-Ǧamal, mais al-Zubayr quitta ʿAʾiša (ʿAli lui aurait rappelé les propos du Prophète : «tu combattras contre ʿAli mais injustement») avant la rencontre des deux armées, pour retourner à Médine; il fut rejoint et tué à Wādī al-Sibāʿ par Ibn Ǧumuz et deux de ses contribules tamīmites; Ṭalḥa prit part au combat et mourut des suites d'une blessure causée par une flèche tirée par Marwān b. al-Ḥakam pour venger ʿUtmān, v. *E I*, IV, 1306 (Al-Zubair, par A.J. Wensinck); *E I*, IV, *673-4* (Talḥa, par Levi Della Vida); *Ibn Saʿd*, *Ibn Saʿd*, III, 100-13, 214-25; *Iṣāba*, *2789*, *4267*; *Istiʿāb*, I, 560-5 et II, 310-6. — L'accusation de Ziyādāt Allah est tendancieuse : On doute fort que le dāʿī ait fait insulter Abū Bakr et ʿUmar encore moins ʿUtmān, Ṭalḥa et al-Zubayr, lors de son apostolat à Ikǧān, à une époque où la *daʿwa* ismaélienne n'était pas encore assez développée et parmi des tribus dont on imagine que les chefs et les *ʿulamāʾ* eux-mêmes étaient peu ouverte à de telles questions politico-doctrinales (v. supra § 75, le refus de la Ǧamāʿa de confronter leur *ʿulamā* avec le Dāʿī) : en fait la malédiction des usurpateurs et «des manqueurs de foi, *al-nākiṯūn* n'était prononcée que par les šiʿites extrémistes *ġulāt*.

1) Il ne s'agit pas de l'aumône de la rupture du jeune, *fiṭra* qui est la même dans le *fiqh* ismaélien et le *fiqh* sunnite; en fait Ziyādat Allah III cherche à ternir le prestige du Dāʿī en l'assimilant à un missionnaire qarmate : c'est en effet Ḥamdān Qarmaṭ (v. *Iftiʿāḥ*, 210) qui institua les contributions du *dinar al-hiǧra* et du *dirham al-fiṭra*; la première était versée par chaque partisan et destinée à couvrir les frais de fondation des *dūr al-hiǧra* et à subvenir aux besoins des adeptes *muhāǧirūn*; la seconde était versée par chaque membre de la communauté. Il n'est pas certain que le Dāʿī ait institué de pareilles contributions pour l'édification de *Dār al-Hiǧra* à Ikǧān.

(2) Affirmation tendancieuse de Ziyādat Allah : ces contributions *maġānim* constituaient les fonds confiés à la garde des Doyens kutāmites, sur lesquels le Dāʿī ne prélevait

§ : 169

Craintes des habitants de Ṭīǧis à cause de ces incursions et de l'isolement de leur ville, après la conquête des forteresses voisines; contact pris par Ibn Rikāb (1) avec le Dāʿi pour lui livrer la ville; envoi par le Dāʿī d'un premier détachement commandé par Maktadās al-Ǧimli qui retourne à Ikǧān, la garnison s'étant refusée au combat; deuxième détachement commandé par Yūsuf b. Saklab (2) qui prend Ṭiǧis par traité *ṣulḥan*; liberté laissée à la garnison aglabide de rentrer auprès de Ziyādat Allah bonne impression produite ainsi sur les populations ifriqyiennes (3).

CHAPITRE XXIV

Mention de la proclamation de Ziyādat Allah adressée aux provinces pour apaiser les esprits et dissiper l'effroi qui s'y était amplement répandu (4)

Texte de cette lettre circulaire lue du haut des chaires des mosquées dans toutes les régions de l'Ifriqya; formule d'introduction avec la mention de soutien apporté par Dieu à ceux qui défendent la religion et la *sunna* du Prophète...

§ : 171

Attaque contre le šiʿisme doctrine des innovations et de l'erreur et contre le Ṣanʿāni (le Dāʿi), l'ennemi de dieu; adhésion des Kutāma à cette doctrine expliquée par leur ignorance de la religion et leur état de peuplades primitives...

---

(1) Aucun renseignement dans nos sources sur ce chef *ra'īs* de Tīǧis.
(2) Il faut l'identifier à Yésuf al-Gassāni cité dans *Berbères*, II, 517 et *Vanderheyden*, 301; il appartenait sans doute à la tribu des Ġašmān de Tāzrūt et son nom se rétablit donc ainsi : Yūsuf b. Saklab al-Ġašamī.
(3) Renseignement parallèle sur cette attitude clémente du lieutenant du Dāʿī à l'égard de la garnison dans *Berbères*, ibid; *Vanderheyden*, ibid. — Un tel renseignement n'est pas suspect : on voit en effet le Dāʿī soucieux tout au long de sa campagne contre les Aġlabides, d'impressionner favorablement les populations par sa magnanimité et en imposant à ses troupes une conduite irréprochable, v. infra § 196-197 son désaveu des abus commis par certains de ses soldats et le châtiment infligé aux coupables.
(4) Sans doute un document d'archives, v; *Bayān*, 142, une allusion à cette proclamation : «il (Ziyādat Allah) donna l'ordre de maudire le šīʿī sur les chaires des mosquées».

forts de l'Aurès; mort au combat de Hārūn (1); importance du butin réalisé par les troupes šīʿites; lettre adressée par Ziyādat Allah al-Ṭubnī à Ziyādat Allah III pour lui annoncer la défaite et la mort de son frère.

CHAPITRE XXIII

Récit de la conquête de Tiǧis (2).

§ : 168

Etablissement antérieurement auprès du Dāʿi de certains éléments de Huwwāra et de Ra's al-Fahṣayn appartenant aux banū Maʿād et acquis au šiʿisme depuis l'époque d'al-Ḥulwānī (3); renseignements sur certains d'entre eux : Ismāʿīl b. Naṣr al-Maʿādi, ancien disciple d'al-Ḥulwānī, Ḥamza al-Malazzi, preux cavalier qui réussit un coup de main contre le courrier de Ziyādat Allah III vers Bāǧāya, à Faǧǧ al-ʿArʿār (4) et ramena les lettres au Dāʿi; incursions effectuées par ces éléments dans leur pays d'origine de Bāǧāya à Tiǧis; installations à Tiǧis d'une garnison aǧlabide de 500 hommes commandée par Yaḥfūr, un esclave noir *ʿabd* de Ziyādat Allah à la demande d'Ibn Rikāb, chef de cette ville (5).

---

(1) Dans *Berbères*, ibid, c'est Gazwiya (ʿArūba) qui «essuya alors une défaite dans une rencontre avec Hārūn et mourut sur le champ de bataille» : ce renseignement erroné provient d'une lecture incorrecte du texte arabe.

(2) L'antique Thigisis ou Tigisi (v. *Lewicki*, *Langue*, 448, n.22) située à deux journées au Sud-Est de Constantine, au nord de Bāġāya, non loin de l'actuelle localité d'Ain fakroun (v. *Guides Bleus*, 413); elle commandait la route nord du pays des kutāma à kairouan, par *Maǧǧana*, *Marmāǧanna* Sbiba, cf. *Yaʿqūbī*, II/214; *Bakrī*, 114, n.3, 131; *Idrīsī*, 118/137. — L'événement eut lieu probablement fin 293/906, v. *Vonderheyden*, 301, n.2.

(3) Selon *Ibn Ḥawqal*, ibid et *Idrīsī*, 119/139 *Marmāǧanna* était un village des Huwwāra; le renseignement est intéressant car l'on sait que le missionnaire Abū Sufyān, compagnon d'al-Ḥulwānī s'installa dans la région de Marmāǧanna pour y propager le šī ʿisme, v. supra § 28. — Des Huwwāra sont signalés dans la région de Bāġāya (v. *Ya ʿqūbī*, ibid), donc non loin de Tīǧis. — Sur les nombreuses fractions des Huwwāra répandues à travers le Maġrib, v. *Hâdj Sadoc*, 13, n. 143; *Bakrī*, 124-5 S passim; *Berbères*, I, 273-82. — A l'origine les Huwwāra étaient fixés en Tripolitaine et adoptèrent ibaḍisme, v. *Lewicki*, *Répartition*, 319-26. — Il ressort du texte que le toponyme Ra's al-Fahṣayn (la tête des deux plainnes) se situait dans la région entre Tīǧis et Bāġāya—Mais les *Maʿād* sont comptés parmi les fractions kutāmites, v. *Berbères*, I, 291; peut-être étaient-ils des confédérés des kutāma parce qu'ils s'étaient fixés dans leur voisinage.

(4) Ce défilé mentionné dans *Berbères*, II, 518, N.2 devait plutôt se situer dans les contreforts du massif de l'Aurès à l'Est de Bāġāya.

(5) Les esclaves et affranchis de race noire *ʿabīd* composaient la garde aglabide depuis Ibrahim 1è et leur rôle était plus important que celui des *mawlā* de race blanche, v. *Vonderheyden*, 197-9.

sive en force du Dāʿī contre cette ville; mort de Hayy b. Tamim (maître de la ville) pendant le siège; résistance acharnée animée par un certain Abū ʿAbd Allah originaire de Maǧǧāna; rigueurs du siège; conquête de la ville par la force *ʿanwa* : massacre des défenseurs; aucune atteinte aux femmes de condition libre; main basse faite par les conquérants sous forme de butin sur toutes sortes de richesses et de biens; destruction de la muraille; retour du Dāʿī Ikǧān (1).

CHAPITRE XXII

Récit de la bataille de Dār Maluwwal (2).

§ : **166**

Alarme de Ziyādat Allah après la chute de Ṭobna et Bélezma; levée d'une armée de 12.000 hommes; commandement confié à Hārūn al-Tubni(3) qui prend ses quartiers à Bagāya auprès de son frère Ziyādat Allah al-Ṭubnī, gouverneur de cette fortersse, raid punitif de Hārūn contre Dār Maluwwal ralliée au Dāʿī.

§ : **167**

Engagement fortuit dans la « Plaine des ventes » (*faḥṣ al-Riyāḥ*) entre l'armée de Hārūn sur son chemin de retour (Dār Maluwwal-Bāgāya) et un détachement de la cavalerie šiʿite (un millier d'hommes) dévalant de la montagne de Bélezma sous le commandement de Ġazwiya; déroute des troupes aglabides surprises sans avoir pu se réfugier dans les contre-

---

(1) Cet acharnement contre la ville est expliqué selon *Vonderheyden*, ibid par la fierté des Arabes tamīmites de Bélezma et les rancunes que les kutāma nourrissaient à leur égard, à noter que ces Tamīmites assujettissaient *yuḏillūna* les kutāma, avant le massacre qu'en fit Ibrahim II, v. *Bayān*, 133; *Vonderheyden*, 55, 106.

(2) Localité située à une longue étape à l'Est de Tobna sur la route vers Bāġāya; sa citadelle antique s'érigeait en observatoire *marṣid* sur toute l'étendue de la région. cf. *Ibn Ḥawqal*, 85; *Muqaddasī*, 5, 7, 67; *Idrīsī*, 93/109.

(3) Cf. sur lui et son expédition, *kāmil*, 130; *Berbères*, II, 517; *Ittiʿāẓ*, 85-6 *Vonderheyden*, 301; peut-être faut-il l'identifier à Ibn al-Ṭubnī qui selon *Bayān*, 142, arriva auprès de Ziyādat Allah III venant de Bagdad en 293/906; il est cité avec une orthographe fautive (al-Ṭīnī), dans *Aʿmāl*, 446.

dit Šayb junior, le chef berbère, Fatḥ b. Yaḥyā (al-Masālti), Muḥammad b. Qurhub (1), préposé au service de renseignement *ḫabar*, et Yaḥyā b. al Qaṣrī (2) préposé au service des pensions *ʿaṭā*; brèche effectuée à l'aide d'un engin mobile dans l'une des tours de l'enceinte de la ville, prise d'assaut; mais *'amān* accordé par le Dāʿī à la population; siège de la citadelle antique, refuge de la garnison.

§ : 162

Difficultés éprouvées par Abū l-Muqāriʿ et Šayb à soutenir le siège et à assurer la défense de la citadelle.

§ : 163

'Amān demandé par Abū l-Muqāriʿ et accordé par Abū Zākī au nom du Dāʿī.

§ : 164

Bienveillance du Dāʿī à l'égard d'Abū l-Muqāriʿ; exécution de Fatḥ b. Yaḥyā; désignation d'un gouverneur šiʿite à Tobna, Yaḥya b. Sulaymān (3); retour du Dāʿī à Ikǧān avec Abū l-Muqāriʿ rallié à sa cause.

CHAPITRE XXI

Récit de la conquête de Bélezma (4).

§ : 165

Incursions saisonnières effectuées par les troupes šiʿites contre Bélezma au moment des récoltes pendant 3 ans, pour épuiser ses ressources. Offen-

---

(1) Il faut l'identifier au Qurhub qui selon *Bayān*, 144, devint en šaʿbān 294/Mai Juin 907 *ḥāǧib* de Ziyādat Allah. — Sa famille fournit aux aglabides de hauts responsables dans l'administration civile et militaire en Ifriqya et en Sicile (dont Muḥammad b. Qurhub, général d'Ibrahim II tué au cours d'un engagement contre les Hawwāra en 268/882) v. *Nuwayri*, 426-7; *Vonderheyden*, 166, 169, 200.

(2) Aucun renseignement sur lui dans nos sources.

(3) Aucun renseignement sur lui dans nos sources, v. aussi § 202 où il est cité.

(4) L'événement eut lieu en 293/906, v. *Bayan*, 141; *kāmil*, 130; *Berbères*, II, 517; *Vonderheyden*, 300.

un détachement de la cavalerie ši'ite et l'armée aglabide à Kabūna (1); combat difficile pour Ibn Ḥabāši surpris avant établi son camp; attaque vigoureuse du Dā'i pour appuyer sa cavalerie; déroute complète de l'armée aġlabide; importance du butin réalisé par les troupes duDā'ī.

§ : 160

Arrivée des débris de l'armée aġlabide à Bāgāya; lettre d'Ibn Habaši à Ziyādat Allah pour l'informer de sa défaite; son retour en Ifriqya sans avoir attendu la réponse de l'Emir; prestige accru du Dā'ī après cette victoire, retour de Šayb b. 'Abī' l-Šaddād avec le reste de ses soldats à Ṭobna; première conquête annoncée au Mahdi à Siğilmāssa par des émissaires du Dā'i porteurs de r'chesses prélevées sur le butin (2).

CHAPITRE XX

Mention (récit) de la conquête de Ṭobna (3).

§ : 161

Recours exclusif du Dā'ī à l'appel pour lever les troupes (4). Offensive en force dirigée par lui contre Ṭobna : siège de la ville; résistance animée par le gouverneur Ḥasan n. Aḥmad b. Nāfiḏ, connu sous sa *kunya* d'Abū l-Muqāri' (5), le commandant de la garnison, Šayb b. Abī l-Šaddād

---

(1) Le *Bayān*, 138, donne kabūna et kaynūna; on peut localiser ce toponyme approximativement dans la région des Aǧǧāna, au sud-ouest d'Ikǧān, au nord de Bélezma.

(2) Le fait est attesté dans *Bayān*, 139; *Kāmil*, 130; *itti'āẓ*, 85; *Berbères*, II, 517. — La bataille s'est déroulée probablement vers Ǧumāda II — Raǧab 292/905 à peu près à l'époque où le Mahdi arriva à Siǧilmāssa, v. *Gateau*, 396.

(3) L'évènement est signalé sous l'année 293/906 après la conquête de Bélezma, dans *Bayān*, 141; c'est la date donnée par Stern qui utilise des documents inédits dont *l'Iftitāḥ*, v. *E I*, 2, 1, 107 (Abū 'Abd Allah Al-Shī'ī).

(4) Le *Bayān*, 138, fournit des détails plus précis sur cet usage adopté par le Dā'ī; il n'avait point recours pour lever des .. oupes au procédé habituel de *l'inscription sur un dīwān*.

(5) Il fut auparavant *ḥāǧib* de Ziyādat Allah, v. *Bayān*, 139-40; *Vanderheyden*, 166, 300; c'est après la mutinerie de ses deux généraux Mudliǧ b. Zakariya et Aḥmad b. Masrūr al-Hāl au début de l'année 293/906 que l'Emir renforça Tobna et en confia le commandement à Abū' l-Muqāri', assisté de Šayb et de Ḥafāǧa al-'Absī avec l'ordre de lancer des incursions contre les kutāma.

§ : 157

Craintes de Ziyādat Allah, à cause des succès militaires du Dā'ī. Constitution d'une armée de 40.000 hommes (1). Commandement confié à Ibn Ḥabaši (2) un membre de la famille aġabide, déprouvu de toute expérience militaire; expédition renforcée par tous les gens du Zāb et des Kutāma réfugiés auprès de Ziyādat Allah.

§ : 158

Route suivie par Ibn Ḥabaši différente de celle d'Abū Ḥawāl et passant par Constantine « ville antique sur une montagne difficile, à la lisière (orientale) du pays des Kutāma », où il prend ses quartiers pendant six mois (3); renforts venus de Ṭobna (4), sous le commandement de Šayb b. Abī l-Šaddād (5); effectif de l'armée aġlabide évalué, dit-on, à environ 100.000 hommes.

§ : 159

Attitude défensive observée par le Dā'i retranchée à Ikǧān; offensive déclenchée par Ibn Ḥabaši dans la région des Aǧǧāna; engagement entre

---

(1) De tels chiffres qu'expliquent le sursaut aġlabide ne sont pas invraisemblables; sur le déroulement de cette expédition cf. *kāmil*, 130; *itti'āẓ*, 84-5; *Berbères*, II, 517; *Bayān*, 138; *Vonderheyden*, 294. — La date approximative de cette expédition lancée après la chute de Sétif est Ḏū 'l-Qa'da 291/Septembre-Octobre 904; v. *Bayān*, 137.

(2) Son nom complet est Ibrahim b. Ḥabašī b. 'Umar al-Tamīmī, v. *Bayān*, 137-9; c'est son origine tamīmite qui l'apparente à la famille régnante.

(3) C'est de Laribus (v. *Bayān*, 137, n.1) qu'Ibn Ḥabašī entreprit sa marche vers le pays des kutāma où il pénétra en arrivant à Constantine; son séjour prolongé dans cette forteresse que justifiaient les difficultés qu'il avait à affronter en attaquant Ikǧān en plein hiver (ce que fit Abū Ḥawāl dont il s'évertuait manifestement à ne pas suivre la stratégie) constituait néanmoins une erreur de tactique illustrant son ignorance de l'art militaire; ainsi le Dā'ī eut le temps de regrouper ses forces et de se préparer soigneusement pour la bataille. — Sur Quṣanṭīna forteresse inexpugnale, v. *E I*, I, 885-8 (Constantine); *Ibn Ḥawqāl*, 93; *Bakrī*, 131-2; *Idrisī*, 94-6/110-113 S passim (l'une des places les plus fortes du monde); *Léon*, III, 96-102.

(4) Ṭobna, l'antique Tubunas, chef-lieu du Zāb et résidence des gouverneurs, v. *E. I*, IV, 847-8 (Tobna); *Ya'qūbī*, 10/214-5; G. *Marçais, Berbérie*, 44-5; *Ibn Ḥawqal*, 85; *Hadj Sadok*, 7, n. 76; *Muqaddasī*, 7, 9, 67 (elle cède son rang de chef-lieu à la Msila fatimide); *Bakrī*, 108-10; *Idrīsī* 93/109 S passim (elle redevient le chef-lieu du Zāb et Msila passe à un rang secondaire) *Brunschvig, Berbérie*, I, 292.

(5) Il faut l'identifier à Šabīb b. Abī' l-Šaddād (ou Abī' l-Ṣārim) al-Qammūdī, v. *Bayān*, 140-145; *Vonderheyden*, 300, 302.

CHAPITRE XVIII

Récit de la conquête de Sétif (1)

§ : 155

Renseignement sur le « maitre » de Sétif, ʿAli b. Ḥafṣ connu sous le nom d'Ibnʿ Uslūǧa du nom de sa mère : bravoure de ʿAli et de son frère Abū Ḥabīb (2); participation de ʿAli aux deux expéditions d'Abū Ḥawāl. Offensive du Dāʿi contre Sétif, mais résistance vigoureuse de la ville assiégée pendant 40 jours.

§ : 156

Retour du Dāʿi à Ikǧān pour un répit d'un mois; 2è offensive contre Sétif avec des troupes plus importantes; résistance d'Ibn ʿUslūǧa à l'intérieur de la citadelle après savoir été battu par le Dāʿi à l'extérieur de la ville; décomposition de la situation dans Sétif après la mort des frères Ibn ʿUslūǧa; *'amān* obtenu pour la ville par l'un des chefs des Lahīṣa, Dāwūd b. Ḥubāsa (3); destruction des remparts (4); désignation d'un gouverneur šiʿite; retour du Dāʿi à Ikǧān.

CHAPITRE XIX

Récit de l'expédition lancée contre le Dāʿi au pays des Kutāma par Ziyādat Allah, sous le commandement d'Ibn Ḥabaši, et de la défaite de de dernier.

---

(1) L'événement eut lieu quelques mois avant l'expédition d'Ibn Ḥabašī, signalée dans *Bayān*, 137, sous l'année 291, donc probablement au cours de l'été de 291/904. — Sur la prise de cette ville, *Berbères*, II, 516-17; *Vonderheyden* 293.

(2) Il est cité ainsi avec sa *kunya* seulement dans *Berbères*, ibid; *Vonderheyden*, ibid.

(3) Il est cité avec une orthographe apparemment fautive (Dawud Ibn Habatha) dans *Berbères*, II, 516.

(4) La destruction de cette muraille antique par les kutāma est attestée dans *Bakrī*, 155, où elle est expliquée par la «raison que les Arabes (ceux du *ǧund* aġlabide dont les banū 'Asad b. Ḫuzayma, v. *Ya ʿqūbī*, 12/214; *Marçais, Berbérie*, 44-5) leur avaient enlevé cette ville Ḫuzayma et les avaient obligés à payer la dîme chaque fois qu'ils voulaient y entrer.

salue-le de ma part et dis-lui que nous avons accompli la prière de la Fête, que nous sommes des gens partis pour un voyage et que plus nous parcourrons de chemins, mieux cela vaudra que s'il veut donner le signal de notre départ sur le champ, qu'il le fasse ». Le Mahdi s'était montré bon avec lui, lui faisant des cadeaux et des dons. Lorsque l'envoyé du Mahdi vint le trouver, il dit : « Par Dieu, cela sera pénible pour les voyageurs, mais je ne pense pas que je doive m'opposer à la demande d'Abū Muḥammad. Aussitôt il fit battre le tambour et il partit avec toute la caravane. Le lendemain, un messager officiel de Ziyādat Allah arrivait au gouverneur de Qastiliyya, lui donnant l'ordre de faire rechercher le Mahdi. Il se trouva qu'il était déjà sorti de sa circonscription et que Dieu l'avait sauvé de leurs mains et avait détourné de lui leur violence, parce, qu'il voulait accomplir sa mission et mener à son terme ce qui était écrit dans sa destinée.

§ : 154

Il partit et arriva à Siǧilmāssa où il resta. Pendant tout le temps de son voyage, partout où il descendait et dans quelques villes qu'il entrât, les yeux le regardaient et tous ceux qui le voyaient quelque discernement et clairvoyance disaient : « Par Dieu, ce n'est pas un marchand c'est un roi ou un prince » (1). Beaucoup de gens de Siǧlmāssa qui le voyaient disaient la même chose. Et ce qui l'indiquait, c'était son (airde) superiorité sur ceux qui l'accompagnaient ou venaient le voir, et le respect et la vénération que Dieu mettait dans les yeux de ceux qui le voyaient. Le maître de Siǧilmāssa était à ce moment là, al-Yasa' b. Midrār. Le Mahdi lui faisait des cadeaux et des présents et pour cette raison il eut pour lui le respect et la considération qui convenaient, jusqu'au jour où il reçut une lettre envoyée par Ziyādat Allah quand il apprit qu'il était arrivé chez lui dans laquelle il l'informait que c'était celui pour laquel le Dā'ī faisait de la propagande. Cela changea les dispositions d'al-Yasa' comme nous le raconterons quand nous arriverons à ce point, si Dieu le veut ». (2)

---

(1) Cf. la version de caractère anecdotique et plus étoffée que celle de l'*Iftitāḥ* dans *Canard*, op. cit., 300-5. — Cf. les renseignements totalement opposés dans *Abū zakariya*, VII, 5 : sur sa route, de Tozeur à Siǧilmāssa, le Mahdi s'arrête à Warǧalan, l'actuelle Wargla, un des centres des communautés ibadites (v. à ce sujet *Lewicki*, *Répartition*, 301-43, *id.*, *Etudes*, 13-4 et passim) où il est l'objet de railleries; on lui crache à la figure et on l'accueille avec des gestes irrespectueux, *fabaṣaqū fī-waǧhihi wa ḍarabū' l-'urūq*.

(2) Fin de la traduction de M. Canard.

que Ziyādat Allah avait déjà reçu le signalement du Mahdi et l'ordre de le rechercher parce qu'il avait échappé aux recherches et avait quitté l'Egypte. Ziyādat Allah ordonna d'enquêter à son sujet .Certains de ceux qui étaient dans la caravane avec le Mahdi rapportèrent qu'il était resté à Tripoli et dirent qu'Abū' l-ʿAbbās était un de ses compagnons. Ziyādat Allah le fit arrêter et soumettre à la question. Mais il nia et dit : « Je ne suis qu'un marchand ». Il fut emprisonné.

§ : **153**

La nouvelle arriva au Mahdi à Tripoli. Comme il se trouvait qu'aucune caravane partait pour Qastiliyya (1), il partit avec elle. Le gouverneur de Tripoli reçut une lettre de Ziyadāt Allah lui décrivant le Mahdi et lui ordonnant de le rechercher. Le Mahdi s'était concilié ce gouverneur et lui avait fait des cadeaux. Il écrivit à Ziyādat Allah qu'il avait quitté son gouvernement et avait pris la direction de Qastīliyya. Le Mahdi arriva à Qastīliyya à l'époque d'une fête. Il y avait avec lui dans la caravane des gens de différents pays du Magrib, du Zāb et de Siğilmāssa. Son but était de rejoindre le Dāʿī. Mais quand il apprit que le frère du Dāʿī avait été mis en prison, et qu'on savait qu'il était un de ses compagnons il eut peur, s'il dirigeait vers le Dāʿi que les soupçons qui pesaient sur Abū' l-ʿAbbās ne se confirmassent et qu'il fût mis à mort. Il abandonna donc son projet et se dirigea vers Siğilmāssa (2). Quand il eut assisté à à la prière de la Fête à Qasṭiliyya, il appela un de ses esclaves et lui dit : « Un pressentiment, hélas, me dit que je suis recherché. Va vers le chef de la caravane,

---

(1) Plus précisément Tawzar (ou Tūzar), chef-lieu de la région de Qasṭīliyya v. supra § 38, n.3. — Sur le séjour du Mahdi à Tawzar, cf.la version ḫaréğite dans *Abū zakariya*, VII, fos 1-3.

(2) V. sur le choix de Siğilmāssa, Introduction, 15-6, n.1, 2. On peut admettre que le Mahdi ait renoncé à se rendre auprès du Dāʿī pour ne pas exposer son frère à la mort, mais était-ce une raison majeure et suffisante ? On peut penser également que le Mahdi devait estimer que le régime du Dāʿī, en dépit de ses premiers succès n'était pas encore assez fort et que la puissance militaire aglabide était encore intacte : il restait encore à conquérir les forteresses, autour du pays des kutāma dont Bélezma, Bāġāya, Ṭobna; l'armée aġlabide dont le chef Abū Ḥawāl dut à deux reprises battre en retraite à cause des rigueurs de l'hiver puis sur l'injonction de Ziyādat Allah, n'avait pas été réellement vaincue par le Dāʿī. On peut expliquer l'envoi d'Abū l-ʿAbbās à Kairouan en mission d'espionnage, dès d'entrée en Ifriqya, à Tripoli par le souci qu'avait le Mahdi de n'agir qu'après avoir mûrement réfléchi et pris les précautions nécessaires; ses appréhensions se justifiaient par une situation certes favorable, mais pas assez consolidée pour qu'il eût pu déjà «se manifester» à Ikǧān.

membres de l'entourage de ce gouverneur, qui était un Croyant et un de nos partisans, s'empressa d'aller prévenir le Mahdi, lui conseilla de se cacher et prit toutes précautions bienveillantes à son égard, jusqu'à ce que le Mahdi fût parti d'Egypte avec son fils al-Qā'im, plusieurs de ses esclaves et avec des nombreuses richesses chargées sur des bêtes de somme. Il avait acheté des marchandises et avait mis son argent dans les ballots de marchandises, et il se mit en route avec une caravane sous l'aspect d'un marchand. Quand il arriva à al-Ṭāḥūna (1), des voleurs attaquèrent la caravane et dépouillèrent de nombreux voyageurs de la caravane. Certains des bagages du Mahdi disparurent, et la perte la plus considérable qu'il subit fut celle de livres renfermant des ouvrages de science des Imāms. Lorsque al-Qā'im fit sa première expédition en Egypte, il força ceux qui avaient attaqué la caravane à rendre ce qu'ils avaient pris, et ainsi les livres furent recouvrés dans leur intégrité. Le Mahdi disait : « Si cette expédition avait été entreprise seulement pour faire rendre les livres, ç'aurait été déjà un succès considérable. Il éprouva une joie étonnante du retour de ces livres (2).

§ : 152

Le jour de cette attaque, Abū' l-ʿAbbās Muḥammad b. 'Aḥmad b. Zakariyā, frère du Dāʿī, qui était avec le Mahdi, fut blessé (3). Il était avec ceux qui partirent avec le Mahdi. Lorsque la caravane arriva à la ville de Tripoli, le Mahdi dispersa ceux qui étaient avec lui, et on pensa que c'étaient des marchands qui avaient voyagé de concert. Il dirigea Abū' l-ʿAbbās (4) vers Kairouan, avec quelques uns de ses compagnons. Il lui avait ordonné de le rejoindre chez les Kutāma, car c'est chez eux qu'il avait l'intention d'aller, et il avait avec lui certains Kutāmites qui lui avaient été envoyés (5). Quand Abū' l-ʿAbbās parvint à Kairouan, il se trouva

---

(1) Sur cette étape. v. *Yaʿq.bi*, 2/201 ; *Hadj Sadoc*, 3, n.13; *Idrisi*, 137/164.

(2) Peut-être ces fameux ouvrages de *Malāḥim* ou de *Ǧafr* attribués à Ǧaʿfar al-ṣādiq, v. infra § 56; n.2. — Ces faits sont attestés dans *Canard*, op. cit., 295, n.2; *kāmil*, 129 *Berbères*, II, 515-6; *Ittiʿāz*, 82-3.

(3) C'est à cause de cette blessure au nez, signalée dans *Ivanow*, *Rise*, 182 qu'Abū'l-ʿAbbās reçut le surnom d'al-Maḫṭūm, (le balafré) v. *Bayān*, 150 *Ibn Ḥammād*, 7/18, 9/21 ; *Ittiʿāẓ*, 88; *Ṭabaqāt*, 199/208 (où il faut corriger «Maḫdūm» ou «Maḫṭūm»).

(4) M. Canard traduit : «Abū'l-ʿAbbās arriva...»; mais la leçon *wa qaddama Abū l-ʿAbbās* est préférable à *wa qadima Abū' l-ʿAbbās* et se justifie par le contexte et le renseignement identique dans, *kāmil*, 129; *Ittiʿāẓ*, 83; *Berbères*, II, 516.

(5) Cela est attesté dans *kāmil*, ibid; *Ittiʿāẓ*, 81 ; *Berbères*, II, 515; le Dāʿī envoya des kutāmites au Mahdi à Salamiya pour lui annoncer sa conquête de Mila en 289/902 et le tenir au courant des développements favorables de la *daʿwa* au *Maġrib*.—

§ : 151

« Ces évènement (1) arrivèrent à la connaissance de l' mām et il ne voulut pas dans ces conditions se rendre au Yémen (2). Il resta en Egypte sous l'aspect d'un marchand. Le « maître » de l'Egypte et le gouverneur (3) reçurent des lettres de Bagdad qui leur donnaient le signalement du Mahdi et leur ordonnaient de le rechercher et de se saisir de sa personne. Un des

(1) C'est à partir d'ici que nous suivons la traduction de M. Canard. Notons à propos du mot «événements» qui traduit *mā Kāna min ḏalika*, qu'il convient de ne l'appliquer qu'à l'époque où Firūz se rendit auprès d'Ibn al-Faḍl au Yémen, tandis que le Mahdi se trouvait encore en Egypte (il y séjourna probablement jusqu'au milieu de l'année 292/905) : al-Nu'mān emploie en effet une expression générale et vague qui n'englobe pas nécessairement la dissidence ouverte de 'Ali b. al-Faḍl, la guerre entre lui et Ibn Hawšab, puis sa mort qu'il évoque brièvement ci-dessus mais qui sont des événements postérieurs à l'avènement du Mahdi en Ifriqya en 297/910.

(2) Ce point est très controversé : cf. surtout *Gateau*, 389-90, 395-6; *Hamdānī*, 39-41, 368-9 On peut admettre à la lettre ce renseignement d'al-Nu'mān, en dépit de Ga'far (V. *Canard*, op. cit., 294-5, n.2) et penser que le Mahdi renonça à se rendre au Yémen après la trahison de Firūz : s'il avait pu auparavant sans doute au su de Firūz, chef des missionnaires, hésiter entre le Yémen et le Maġrib et montrer une préférence politique pour ce dernier pays, il ne pouvait plus dans de telles conditions songer à aller au Yémen. Le Mahdi devait sans doute savoir déjà à Salamiya que le Yémen n'était pas sûr et qu'il s'y exposait à la trahison de Firūz avec 'Ali b. al-Fadl : en effet celui-ci qui depuis 268/881-2 opérait en relation avec Ibn Ḥawšab certes, mais seu dans la région d'Al-Ğanad, son pays natal, était sans doute disposé à la dissidence au moment où Firūz le rejoignit tandis que le Mahdi se trouvait encore caché en Egypte; yéménite d'origine, Ibn al-Faḍl devait préférer comme Firūz que son pays fut choisi pour la fondation de l'anti-califat ši'ite. Mais il faut expliquer l'hésitation du Mahdi puis sa décision en faveur du Maġrib par les succès de la *da'wa* dans ce pays qui se révélait politiquement et socialement plus propice; Gateau l'a bien vu mais n'a malheureusement pas pu achever son travail; *l'Iftitāḥ* (dont il ne connaissait que les extraits dans *Ivanow*, *Rise*) nous éclaire sur cet aspect du problème; le chapitre sur l'émigration y est en effet inséré à un endroit bien choisi; rappelons les grandes lignes de la situation à Ikǧān : en 289/902, tandis que le Mahdi quittait Salamiya, le Dā'I avait fini de soumettre les kutāma à son autorité et venait de résister victorieusement à la 1è expédition aġlabide. En 290/903, à l'époque où le Mahdi se trouvait soit à Ramla soit déjà en Egypte, le Dā'I qui avait repris Mila repoussait la 2e expédition d'Abu Ḥawāl et se réjouissait de la détérioration de la situation de l'Etat aġlabide avec la prise du pouvoir par Ziyādat Allah III. Vers la fin de 291/904 alors que le Mahdi se cachait encore en Egypte, le Dā'I prenait d'assaut Sétif (l'évènement est raconté immédiatement après l'émigration) et achevait ainsi de prouver à l'Imām qui était certainement en contact avec lui que lui que la fortune lui souriait à l'Ouest et que le Maġrib était plus indiqué que le Yémen pour la proclamation tant rêvée du califat faṭimide.

(3) M. Canard traduit : le «Gouverneur et son préfet», or l'auteur semble désigner par *ṣāḥib Miṣr* le général abbasside Muḥammad b. Sulaymān qui mit fin au régime tulunide en prenant Fostāt, en ṣafar 292/Janvier 905 (sur les démêlés du Mahdi avec ce général, v. *Gateau*, 393); par *'āmil* il désigne probablement le gouverneur 'Isā al-Nūšari; sur l'attitude de ce dernier à l'égard du Mahdi, v. *Gateau*, Ibid; *Canard*, op. cit., 291-2; *Mahdi*, 130-1; *Kāmil*, 129; *Berbères*, II, 515; *Itti'āẓ*, 81-2.

de ses missionnaires l'avait devancé et s'y était rendu avant lui (1). Sa conviction s'altéra. Il alla trouver Abū 'l-Qāsim (Ibn Ḥawsab) le chargé de la *da'wa* au Yémen et chercha à le corrompre, mais il le trouva attaché à sa conviction. il le quitta pour se rendre auprès de 'Ali b. Il Faḍl, le disciple d'Abu 'l-Qāsim qui était dans une région du Yémen. Il l'attira à lui et le corrompit. On disait à cette époque à ce sujet : « un iraqien vint trouver un iraqien cherchant à le posséder; il ne put le faire, mais il vint trouver le yéménite et il le posséda ». 'Ali b. al Faḍl Abjara la cause d'Allah et de ses Auxiliaires, commit des actes illicites, renia l'exotérique et appela les gens à pêcher ouvertement. Lorsque cela devint notoire, celui-la même qui l'avait corrompu se déclara irresponsable de ses actes, comme ce fut le cas du démon maudit dont Allah dit : « quand il dit à l'Homme : « sois impie »; mais qui lorsque ('homme) est impie, lui dit : « je suis irresponsable de tes actes, car je crains le seigneur des Mondes (2). 'Ali b. al Faḍl fit la guerre à Abū 'l-Qāsim. il eut une histoire qu'il serait long d'exposer et mourut dans un état d'égarement et d'erreur (3); puisse Allah nous préserver de la chute, de l'erreur et de la perdition. ».

---

(1) Il s'agit de Firūz, v. *Canard*, op. cit., 293-4, n.2; *Gateau*, 383-9. Mais il convient de n'accorder qu'une confiance relative à Ǧa'far dont la mémoire est sur certains points bien défaillante et dont les souvenirs furent rédigés par al-Yamānī très postérieurement à *l'Iftitāḥ* sous le calife al-'Azīz. Al-Nu' mān est en revanche un historien, officiel certes, mais assez soucieux de précision et d'objectivité. Du reste il n'est qu'en contradiction apparente avec Ǧa'far : ce dernier évoque la fuite de Firūz et sa trahison quand le Mahdi prit en Egypte la décision de se rendre au Magrib; al-Nu'mān place la trahison *fasad al-'Amr* de Firūz qu'il ne nomme pas, après son arrivée au Yémen où il devançait le Mahdi; probablement ce *dā'ī al-du'āt* savait déjà ce que Ǧā'far, simple serviteur, ne pouvait pas savoir, que le Mahdi inclinait à fonder l'anti califat fatimide non pas en Orient à cause de la puissance encore solide des Abbassides et surtout à cause du péril qarmate mais au Maġrib où le régime aġlabide était en décomposition et où le Dā'ī venait d'emporter en 902 ses premières victoires. Il faudrait imputer la trahison de Firūz non pas à son aversion à l'égard du lointain Maġrib mais plutôt à son hostilité aux projets politiques du Mahdi; peut-être était-il même en désaccord avec l'Imām à propos de son attitude à l'égard des Qarmates. Mais ce ne sont ici que des conjectures que notre documentation actuelle ne permet pas d'étayer.

(2) *Blachère*, *Coran*, III,980.

(3) Sur la dissidence de 'Ali b. al-Faḍl et la guerre qu'il livra à Ibn Ḥawšab, v. surtout le développement intéressant fondé sur les précieux documents de la collection al-Hamdāniya dans *Hamdānī*, 41-8.

après ma mort, loin d'ici et tu endureras de pénibles épreuves », Lorsqu'Allah reprit son âme et que le Mahdi eût assumé la charge de l'imāmat après lui, le bruit en courut et se répandit largement; ses preuves le désignèrent à l'attention publique et ses signes devinrent si évident qu'il craignit pour sa vie les Abbassides (1); il eut à ce propos des aventures qu'il serait long d'expliquer et d'exposer et des épreuves telles que l'Imām, son prédécesseur, les lui avait prédites. Il partit en personne et avec lui son fils, al-Qā'im, l'Imām après lui qui était à cette époque un enfant (2), tandis que le Mahdi était un jeune homme, dans la plénitude de cet âge (3) jusqu'à ce qu'il atteignît Miṣr (4). Il eut l'espoir de se rendre au Yémen (5). L'un

---

sur laquelle aucun travail consacré à l'ismaélisme n'a encore dit historiquement le dernier mot; il y a deux hypothèses : la 1er consiste à faire du Mahdi un Imām de la lignée ʿalide, donc le fils du dernier Imām caché al-Ḥusayn b. 'Aḥmad et le père réel d'al-Qā'im. La 2è refuse le *nasab* ʿalide au Mahdi qui descendant de Maymūn al-Qaddāḥ, n'était donc qu'un imām *mustawdaʿ*, le tuteur d'al-Qāʾim qui était ainsi l'Imām véritable, *mustaqarr*. Ajoutons que si al-Nu ʿmān n'indique pas ici le nom de l'Imām, avant le Mahdi, il n'indique pas non plus qu'il en était le père : il est fort curieux qu'il ait omis de préciser la parenté du Mahdi avec l'Imām avant lui; une telle remarque aussi mince soit-elle pourrait être retenue en faveur de la thèse de Lewis qui, dans l'état actuel des travaux sur l'Ismaélisme demeure la plus vraisemblable.

(1) Le Mahdi parvenait habilement à échapper aux poursuites des Abbassides en comblant de ses largesses leurs gouverneurs à Salamiya. — Sur les conditions historiques à la veille de son émigration, v. *Gateau*, 379-80 et les notes; *Canard, Chambellan*, 281-5 et les notes.

(2) Un enfant bien capricieux; v. sur l'anecdote de la levrette (chien blanc du Yémen), *Canard*, op. cit. 287-8, n.1; *Gateau*, 385.

(3) Ce détail physique *šābb ʿindamā kamula*, correspond bien à l'âge que devait avoir le Mahdi, lors de son émigration; né en 873 ou 874, il avait donc en 902, à son départ de Salamiya, 29 ou 28 ans.

(4) Ce premier épisode de l'odyssée du Mahdi, raconté dans *Canard*, op. cit., 286-91 et évoqué dans d'autres sources (dont des extraits sont dans *Ivanow, Rise*), est exposé et étudié dans *Gateau*, 385-91; *Mahdi*, 125-33. Rappelons les points essentiels : départ de Salamiya, en Raǧab 289/Juin Juillet 902; bref séjour à Damas; passage par Ṭibériade (où le convoi ne s'arrête pas pour des raisons de sécurité); séjour à Ramla; arrivée en Egypte. Mais la chronologie relative à la durée du séjour à Ramla est controversée : court séjour, laisse entendre Ǧaʿfar (v. *Canard*, op. cit. 200-1, n.4 et *Gateau*, 386-7; séjour assez long, à peu près deux années de Raǧab, 289/Juin Juillet 902 jusqu'à la mi-291/début de l'été 904 (v. *Canard*, ibid; *Mahdi*, 126). Il est m probable que ce séjour fut assez long (le gouverneur de Ramla était en effet acquis au šiʿisme) et que le Mahdi ne fût arrivé en Egypte qu'après l'échec de l'insurrection qarmate et la capture de son chef par les Abbassides en 291/904. Un fait certain est que le Mahdi séjourna à Ramla plus longtemps que ne le laisse croire Ǧaʿfar, jusqu'au mois d'Octobre 902 puisqu'il put y observer, ainsi sa suite, la pluie d'étoiles filantes; le renseignement sur le phénomène céleste par al-Nuʿmān (v. supra § 70, n.3) confirme cette remarque.

(5) Depuis son départ de Salamiya le Mahdi laissait entendre qu'il se rendait au Yémen, Ǧaʿfar l'affirme (v. *Canard*, op. cit, 287, 292); les raisons qui motivèrent son émigration à destination du Yémen sont judicieusement exposées dans *Gateau*, 390-2; rappelons les deux raisons essentielles : les succès de la *da ʿwa* dans ce pays, avec Ibn Ḥawšab et le danger qarmate en Syrie.

remplacé par un cadi malékite Ḥimās b. Marwān (4) dans un souci de popularité. Inscription brodée sur les drapeaux : « Triomphe, par la grâce d'Allah, de l'Emir Ziyādat Allah b. ʿAbd Allah qui observe la *sunna* du Propète d'Allah ». Détails sur la débauche, le libertinage et la frivolité de Ziyādat Allah.

§ : 149

Déménagement de Ziyādat Allah, par craintes du danger šiʿite, de Tunis ou Ibrahim II s'était transporté après l'échec de l'insurrection à Raqqāda; construction des remparts de cette ville qui était entourée seulement d'un fossé et de portes (5).

CHAPITRE XVII

Récit de l'Emigration du Mahdi du « Foyer d'Orient » et de son arrivée à Siǧilmāssa (1).

§ : 150

Lorsque l'imāmat échut au Mahdi et que mourūt l'Imām avant lui (2), qui l'avait désigné comme successeur et qui lui disait : « tu émigreras,

---

(4) C'est Ḥimās b. Marwān b. Simāk al-Hamḏānī; sur s ‹ mination (après la destitu tion d'al-ṣaddīnī dont l'acte se trouve dans *Nuwayri*, 440) v. *Bayān*, 136; *Ṭabaqāt*, 153 241-2, 238/333.

(5) Sur les troubles de l'année 280/893 qui déterminèrent Ibrāhīm II à laisser sa ville de Raqqāda et à s'installer à Tunis, v. *Bayān*, 123-4; *Nuwayri*, 428-9; *Vanderheyden*, 221, 256. — Lorsqu'elle fut fondée Raqqāda ne devait être qu'une résidence royale; c'est en effet lors de cette révolte de 280 qui bouleversa la dynastie aġlabide et coincicidait avec l'entrée du Dāʿī en Ifriqya, qu'Ibrahim II aménagea un fossé et des portes de fer autour de la ville pour la fortifier, v. *Marçais Architecture*, 27-8.

(1) Chapitre capital, qui pose les problèmes épineux du *nasab* du Mahdi et du choix du Maġrib pour la fondation de l'anti-califat faṭimide. Nous en traduisons le § 150, mais pour les § 151, 152, 153, 154 nous suivons, sauf en quelques endroits signalés en note, la traduction donnée en appendice dans *Canard*, *Chambellan*, 324-6, d'après *Ivanow*, *Rise* 41-3/226-8. — Les formules de bénédiction et eulogies qui accompagnent dans le texte, Allah, le nom du Prophète et ceux des Imāms ne seront pas traduites.

(2) Selon la théorie de Bernard Lewis, *Ismailisme*, 160-3, il s'agit du dernier Imam caché, *mustaqarr* (véritable, réél, permanent), al-Ḥusayn b. Aḥmad b. ʿAbd Allah b. Muḥammad b. Ismāʿīl, dont le Mahdi était avant de lui succéder le dépositaire, *mustawdaʿ*, v. supra § 6, n.2; cf. *Gateau* 281, n.24; *Canard*, op. Cit. 282, n.2; *id.* Vie, 53-4, n.35; *Mahdi*, 143-68. Il convient de rappeler ici l'essentiel de cette question complexe.

§ : 147

Lettre envoyée par Ziyādat Allah à son frère Abū Ḥawāl, au nom de leur père, lui enjoignant de rentrer (1); retour d'Abū Ḥawāl avec l'armée; son arrivée à Bélezma où Ḥayy b. Tamīm l'informe de l'assassinat de son père et de la prise du pouvoir par Ziyādat Allah et lui offre asile et protection; refus d'Abū Ḥawāl qui poursuit sa route jusqu'à Bāġāya où il est arrêté par Ṣaliḥ al-Rūḥānī (2) dépêché à la tête d'un corps de troupes par Ziyādat Allah; exécution par celui-ci de plusieurs membres de sa famille dont Abū Ḥawāl, au mois de Ramaḍān 290/Juillet-Août 903/3.

§ : 148

Prédilection d'Abū l-ʿAbbās pour le *ʿilm al-futyā* (4); son appartenance au hanéfisme avec un penchant pour le muʿtazilisme (5) que lui reproche la *ʿāmma* (6); destitution par Ziyādat Allah du cadi ḥanéfite al-Ṣaddīnī(7)

---

sunnites postérieures : la 1è est celle de l'instigation du meurtre par Ziyādat Allah; la 2è est celle d'une initiative des eunuques qui espéraient bénéficier ainsi des largesses de Ziyādat Allah. — Son arrestation à son retour de Sicile sur l'ordre de son père eut lieu le 19 Gumāda II 290/20 Mai 903. Sur tous ces évènements cf. *Bayān*, 134 *kāmil*, 103; *Nuwayri*, 439; *A ʿmāl*: 444; *Vonderheyden*, 223.

(1) Le fait est attesté dans *Nuwayri*, 446 avec le nom du messager : l'affranchi, Futūḥ al-Rūmī. La décision de Ziyādat Allah motivée sans doute par la crainte d'une éventuelle rebellion de son frère avec l'armée fut des plus néfastes à l'Etat aġlabide : elle empêcha Ḥawāl de livrer au Dāʿī une bataille décisive et probablement de la vaincre

(2) V. *Vonderheyden*, 169, 207 qui ne donne que son prénom et le signale parmi les affranchis commandants de l'armée aglabide.

(3) L'éxécution des 29 membres de sa famille eut lieu précisément le 3 Ramaḍān à l'Ile d'al-kurrāṭ (aujourd'hui l'Ile Plane) à 12 milles au Nord de Tunis, v. *Bayān*, 135; *Nuwayri*, ibid; *Aʿmāl*, 445, n.1.

(4) Il s'agit des opinions et des spéculations des jurisconsultes sur le *fiqh*; cette prédilection de l'Émir est attestée dans *Ṭabaqāt*, 213/308, (à propos du juriste Abū ʿAbd Allah al-Baġalli qui était connu pour ses opinions et ses spéculations sur le droit et qui refusa les fonctions de cadi offertes par cet Emir, son administrateur).

5) En effet Abū' l-ʿAbbās eut pour maître ʿAbd Allah b. al-Ašaǧǧ, habile controversiste et dialecticien, cf. *Nuwayri*, 439; *Ṭabaqāt*, 220/314-5; *Idris*, IX, 135; *Vonderheyden*, 149, 156-7.

(6) L'auteur désigne ainsi non seulement la plèbe mais aussi les juristes sunnites malékites qui interprètent généralement son opinion.

(7) C'est Muḥammad b.ʿAswad al-ṣaddīnī (de la tribu berbère ṣaddīna, v. *Ibn Ḥazm*, 464; *Hadj Sadoc*, 13, n.160; *Berbères*, I,172,236) nommé Cadi par Ibrāhīm II avant son départ en Sicile et maintenu dans ses fonctions avec les plus grandes faveurs par Abū' l-ʿAbbās; celui-ci «lui accorda les places de cadi et de gouverneur de kairouan et le chargea aussi de surveiller la conduite des agents du gouvernement et des percepteurs de l'impôt», v. *Nuwayri*, ibid, cf. sur lui *Ṭabaqāt*, 194/282; *Idris*, IX, 138 *Vonderheyden*, 146-7.

§ : 144

2è expédition décidée par Abū l-ʿAbbās encouragé par des résultats de la campagne contre le Dāʿī; retraite fortuite d'Abū Ḥawāl, sans avoir été battu par le Dāʿī; fragilité du régime de ce dernier; supériorité des troupes aġlabides. Importance de l'effectif de cette 2è armée commandée aussi par Abū Ḥawal; même tactique qu'à la première expédition; offensive à partir de Sétif. Camp du Dāʿī établi à Tāsadsuq dans la région des Lahiṣa (1); camp d'Abū Ḥawāl établi à Malūsa.

§ : 145

Abondants détails (2) sur le déroulement de la bataille : supériorité de la cavalerie šiʿite qui accule les troupes aġlabides dans le camp retran-défait par le Dāʿī; retour de celui-ci avec son armée à Ikǧān.

§ : 146

Détails sur la prise du pouvoir par Ziyādat Allah III et l'assassinat de son père Abū 'l-ʿAbbās peut-être sur son instigation par ses eunuques : participation de Ziyādat Allah à la campagne de Sicile commandée par son grand-père Ibrahim II; sa détention pour conduite immorale; mort de son grand-père qui laisse le commandement à son fils Abū 'l-Aġlab; désistement de celui-ci en faveur de son neveu Ziyādat Allah; tentative de soulèvement organisée par ce dernier en Sicile; son arrestation et sa détention au palais à son retour en Ifriqya sur l'ordre de son père Abū 'l-ʿAbbās: assassinat de ce dernier par les eunuques dans son palais de Tunis, la nuit du mercredi 28 Šaʿbān 290/27 Juillet 903 durée de son règne depuis le départ de son père (Ibrahim II) pour la Sicile, 1 an, 52 jours; libération de Ziyādat Allah par les eunuques; prise du pouvoir par Ziyādat Allah qui fait exécuter les assassins de son père et emprisonne ses frères et ses oncles (3).

---

(1) Approximativement au Sud-Est de la montagne d'Ikǧān, sur la route vers Sétif.

(2) Pour mieux apprécier les données détaillées de *l'Iftitāḥ* sur cette 2è expédition et ces combats qui eurent lieu entre Sétif et Ikǧān vers la fin du printemps de 290/902, cf. les brèves indications dans *Berbères*, II, 514; *kāmil*, 128, cf. aussi le développement incertain dans *Vonderheyden*, 292.

(3) Ziyādat Allah trempa sans nul doute dans le meurtre de son père : prince débauché et sanguinaire, il était atteint d'angoisse *ḍiq al-nafs* ou de neurasthénie *malaḫunya*, v. *Ibn Ǧulǧul* 85.—Mais à propos de ce meurtre al-Nuʿmān n'incrimine pas catégoriquement Ziyādat Allah et donne deux hypothèses qui se retrouvent dans les sources

de bataille; combats poursuivis jusqu'à la tombée de la nuit, à l'avantage des ši'ites, surprise et débacle dans le camp aġlabide en dépit du sang froid d'Abū Ḥawāl qui décampe à la faveur de la nuit et se dirige vers la région des Ǧimla en route vers l'Ifriqya; retour d'Abū Ḥawāl à Tunis, des habitants de Mila chez eux, et des Kutāma dans leurs régions (1).

§ : **142**

Mort d'al-Ḥasan b. Hārūn à Ikǧān où le Dā'i se réinstalle sur l'instance d'un groupe des Saktan dont Bayān b. Ṣaqlān et Abū Ǧa'far 'Aḥmad b. Sulaym al-Saktāni, surnommé al-Garrāra; redressement de la situation à Ikǧān où le Dā'ī construit un château qui devient le *Dar al-Hiǧra* des Croyants (2) vigilance du Dā'i et envoi d'espions en Ifriqya pour s'informer sur l'évolution de la situation.

§ : **143**

Inquiétudes du Dā'ī à cause de la bonne situation créeé dans l'Etat aglabide après la mort d'Ibrahim II par la conduite exemplaire de son successeur Abū l-'Abbās; soulagement du Dā'ī après l'assassinat d'Abū'l-'Abbās et la prise du pouvoir par Ziyādat Allah, personnage falot et adonné à la débauche.

CHAPITRE XVI

Récit du retour d'Abū Ḥawāl (au pays des Kutāma) à la tête de la 2è armée et de sa défaite.

---

(1) Ces précisions sur la retraite d'Abū Ḥawāl, après son succès à Malūsa (cf. les indications schématiques dans *Berbères*, II, 514; *kāmil*, 128 *itti'āẓ*, 79; *Vanderheyden*, 292) suffisent à l'expliquer : l'échec du détachement aġlabide et l'abondance de la neige ont déterminé le repli d'Abū Ḥawāl, mais il faut aussi lier son retour à Tunis avec la mort de son grand-père Ibrāhīm II en Sicile et l'attitude insurrectionnelle de son frère Ziyādat Allah contre leur père Abū 'l-'Abbās qui venait d'accéder officiellement au trône, fin Ḏū'l-Qa'da 289/début Novembre 902.

(2) Sur *Dār al-Hiǧra* (Maison de l'Expatriement), cf. *Massignon, Dormants*, 81, n. 2 : la fondation de ce *Dār al-Hiǧra* à Ikǧān qui y est datée du 15 Rabī' II 288/900 eut lieu plus tard, comme l'atteste l'*Iftitāḥ* au courant de l'hiver 289/290-903. — cf. à ce sujet *Berbères*, ibid; *Itti'āẓ*, ibid; *Vanderheyden*, ibid, n.3.

§ : 138

Détails sur cette expédition : 12 000 hommes; équipement abondant; sortie de Abū 'Ibrahim b. Mūsā et des chefs Kutāma dont Fatḥ b. Yaḥyā avec Abū Ḥawāl départ de Tunis au mois de Dū'l-Qa'da 289/Octobre 902 (1); renforts fournis par les tribus hostiles au Dā'i, les banū 'Uslūǧa de Sétif et les banū Tamīm de Bélezma; ravages causés par Abū Ḥawāl dans la région des Maǧris qui avait soutenu le Dā'ī; offensive en direction de Tāzrūt.

§ : 139

Détails précis sur la tactique d'Abū Ḥawāl, dès sa sortie de Bāǧāya : creuser, à chaque étape, des tranchées pour protéger le campement pendant la nuit; dispositif de combat maintenu durant l'offensive; troupes tenues constamment en état d'alerte.

§ : 140

Abondants détails sur le déroulement de la bataille à Malūsa (2) : net avantage aux troupes aǧlabides dès le premier engagement; défaite du Dā'ī qui évacue Tāzrūt et se replie sur Ikǧān pour s'y retrancher; abondance de la neige qui empêche la poursuite des combats; destruction de Tāzrūt par Abū Ḥawāl qui l'incendie puis campe dans la région de Dubūr al-Qibla, non loin de Mila, à côté du verger connu par le nom de Mūsā b. al-'Abbās, en attendant de marcher sur Ikǧān.

§ : 141

Engagement entre des éléments šī'ites et un détachement aǧlabide commandé par Abū Ibrahim b. Mūsā à Kuǧarma-où il se rendit sur l'autorisation d'Abū Ḥawāl pour enterrer les restes de son père, région des Laṭāya non loin de Mila; renforts envoyés des deux côtés sur le champ

---

(1) Vraisemblablement au début du mois quelques jours avant la mort d'Ibrahim II en Sicile.

(2) Localité dans la région des Malūsa, fraction des kutāma; l'*Iftitāḥ* permet de la situer approximativement au nord de Tāzrūt entre cette forteresse et Ikǧān, v. supra § 81,n.1.

§ : 135

Entrée en contact du « maître » de Mila, Mūsā b. al-ʿAbbās avec le Dāʿi par l'intermédiaire d'al-Ḥasan b. ʾAḥmad; reddition de la ville après *l'ā'mān* accordé par le Dāʿi; fuite du fils de Mūsā, Abū Ibrahim auprès de (l'Emir) Abū l-ʿAbbās (1); exécution des chefs berbères réfugiés à Mila; désignation d'Abū Yūsuf Māknūn b. Ḍubāra au poste de gouverneur de la ville conquise; retour du Dāʿī à la tête de ses troupes à Tāzrūt.

§ : 136

Arrivée d'Abū Ibrahim b. Mūsā à Tunis auprès d'Abū'l-ʿAbbās qu'il incite à lancer une expédition contre le Dāʿi; commandement de l'armée aglabide confié par Abū'l-ʿAbbās à son fils Muḥammad AbūʿAbd Allah plus connu par son surnom d'Abū Ḥawāl (2).

§ : 137

Détention puis exécution chez les banu Ǧulāma de Mūsā b. al-ʿAbbās accusé d'avoir envoyé son fils Abū Ibrahim, à Tunis; cadavre de Mūsā jeté dans une « fosse » (3).

CHAPITRE XV

Récit du départ d'Abū Ḥawāl à la tête de l'armée pour le pays des Kutāma, du déroulement de son expédition et de sa retraite.

---

(1) Sur la fuite d'Abū'Ibrāhim et son arrivée à Tunis auprès de l'Emir ʿAbd Allah II (Abū'l-ʿAbbas) à la recherche d'un soutien contre le Dāʿī cf. le renseignement parallèle dans *Berbères*, 11,513.

(2) Les sources sunnites l'appellent Ibn al-ʾAḥwal ou al-ʾAḥwal, mais l'auteur préc:se qu' l n'éta t pas louche et qu'il avait reçu ce surnom parce qu'il lui arrivait de plisser l'eil en fixant quelque chose du regard»; cette précision est reproduite dans *kāmil*, 103, 128, où le général aġlabide est signalé à tort comme étant le frère d'Abū'l-ʾAbbās, donc le fils d'Ibrahim II, cf. *itti'āẓ*, 79; Berbères, II, 513-4.

(3) Les banū Ǧulāma sont une fraction des Laṭāya, dans la région de Mila. — C'est en cherchant à sortir de cette fosse *maṭmūra* les restes de son père pour l'enterrer qu'Abū 'Ibrahim provoquera la défaite de l'armée d'Abū Ḥawāl, v. infra § 141.

TROISIEME PARTIE : § 134 à 218

CHAPITRE XIV

Récit de la conquête de Mila (1)

§ : 134

Situation en vue à Mila des banū Abī Ḫinzīr, famille arabe issue des Rabīʿa et connue sous le nom d'al-Sanāġira, étant originaires de Ṣinǧār ville de Diyār Rabīʿa; adhésion secrète à la *daʿwa*, de leur chef al-Ḥasan b. 'Aḥmad qui renseigne le Dāʿi sur la situation de Mila; incursions des troupes šiʿites dans la région de cette ville durant la lutte contre la coalition, à partir de Tāzrūt. Offensive du Dāʿī contre Mila, après avoir soumis à son autorité l'ensemble des Kutāma. Résistance de cette ville animée par les anciens chefs de la coalition, Faḥl b. Nūḥ, Farḥ b. Ğīrān, Yūsuf b. Maḥmūd, Wazra b. Naṣr; prise des faubourgs, mort de Faḥl b. Nūḥ au combat; résistance de la citadelle (2).

---

(1) L'auteur n'indique pas de date; *Vonderheyden*, 200 (citant Fournel) donne la date de Raǧab 289/Juin 902, que confirme *Gateau*, 395; mais la prise de Mila ayant déclanché la riposte aġlabide et l'expédition de Ḏū'l-Qaʿda 289/ Octobre - Novembre 902, la date de Šawwāl/Septembre est plus vraisemblable que celle de Raǧab/Juin.

(2) Le caractère inexpugnable de la forteresse de Mila est noté par *Yaʿ Qūbī* 11-2/214 qui y signale deux citadelles, l'une au dessus de l'autre. — Les sanāġira sont signalés à Maǧǧāna dans *Ya ʿqūbī*, 10/211; cf. *Marçais Berbérie*, 44; — Sur sinǧār, ville à l'Oues de Mossoul, v. *E I*, IV, 454-5 (Sindjar). — Quant-aux Rabīʿa auxquels appartiennent ces Sanāġira de Mila, ils ont, selon les généalogistes, avec leurs frères mudarite le *nasab* le plus pur, parmi tous les descendants d'Ismael, fils d'Abraham; les Rabīʿa comme les *Muḍar*, se rattachent à Ismael par Nizār, Maʿadd ʿAdnan...; sur eux et Diyār Rabīʿ a en Mésopotamie ainsi que sur les conditions historiques relatives à leur établissement au Sud-Ouest de la *Ğazīra*, à la limite septentrionale du ʿIrāq, sur la rive orientale de l'Euphrate, v. *E I, Supp.*, 188-91 (Rabiʿa et Muḍar, par H.Kindermann). — Quant au chef de ces éléments Rabīʿa installés à Mila son nom complet est al-Ḥasan b. Aḥmad b. ʿAli b. Kulayb b. Abi Ḫinzīr; il est cité dans *kāmil*, 128; *Ittiʿāẓ* 79; sa «trahison» est signalée dans *Berbères*, II, 513 sans qu'il y soit nommé et s'expliquerait par le fait que les Aglabides n'employaient dans les hautes charges de l'administration civile et militaire que des mudarites et qaysites); le Dāʿī récompensa ses services en lui confiant l'importante charge (attribuée à un arabe et non à un kutāmite) de gouverneur de Kairouan où il fut maintenu par le Mahdi; celui-ci le nomma ensuite en Sicile pour y redresser une situation troublée par la révolte du *ğund* mais il fut renversé en 300/912-3, envoyé à la tête de la flotte fatimide contre le rebelle de Sicile Ibn Qurhub, il fut battu au large de Lamṭa et tué en 301/913-4; v. sur lui infra § 219,221; cf. *Bayān*, 151, 159, 166, 168, 171, Lamṭa 174; *Ṭabaqāt*, 174/262, 216/310.

§ : 128

Enseignement doctrinal et séances d'exhortation et de *samāʿ* assurés par le Dāʿi pour édifier les fidèles.

§ : 129

Similitude entre la société berbéro-šīʿite bâtie par le Dāʿī, marquée par le dépouillement et l'austérité, et la société musulmane sous le règne du Prophète. Mérites et qualités du Dāʿī.

§ : 130

Vertus des *'Awliyā'* au comportement moral et social exemplaire.

§ : 131

Détails sur les mérites de l'un d'eux, Kuwayrit b. Qays al-Lahīṣī.

§ : 132

Zèle des femmes présidant à des oeuvres sociales; mérites particuliers de l'une d'elles, la femme de Yaḥya b. Yūsuf, connu sous le nom d'Ibn al-Aṣamm al-Aǧǧani et compagnon d'al-Ḥulwānī qui s'illustre en consacrant la fortune laissée par son mari à des oeuvres pieuses.

§ : 133

Participation de la femme berbère aux séances de *Samāʿal-Ḥikma* (1); accession de certaines d'entre elles, de vieilles femmes, *ʿaǧāʾiz*, au rang de missionnaires ; exemple : 'Umm Mūsā, la fille d'al-Ḥulwānī (2).

---

(1) Sur cet enseignement doctrinal chez les kutāma, cf. supra § 49; sous le règne d'al-Muʿizz, c'est al-Nuʿmān qui assurait avec zèle cet enseignement, cf. Introduction,3,n.2.

(2) L'importance du rôle politique et social de la femme dans la société berbère est attestée dans plusieurs sources; cf. à propos de la place de la de la femme berbère dans la société almoravide, *Lévi-Provençal Reflexions*, 253-4.

(l'Imām) (1). Il (le Dāᶜi) ne recevait jamais rien de cette part, n'y avait jamais accès et ne pouvait guère la voir; les Doyens eurent la garde de ces fonds jusqu'à l'arrivée du Mahdi auquel ils furent remis (2) »

§ : 124

Corruption des Doyens, en partie à cause de ces fonds dont ils avaient la garde et qu'ils pensaient pouvoir conserver pour toujours (3).

§ : 125

Politique judicieuse et bonnes intentions du Dāᶜi qui par de telles mesures mettait ses compagnons à l'épreuve.

§ : 126

Correspondance assurée avec le Mahdi avant et après son émigration à Siǧilmāssa; choix d'émissaires à la hauteur de leur de leur tâche pour établir un contact ininterrompu entre le Dāᶜi et le Mahdi (4).

§ : 127

Un exemple de l'abnégation et de l'esprit de sacrifice de ses compagnons « commando » de 100 hommes chargés de se rendre à Siǧilmāssa pour tuer Ibn Midrār et délivrer le Mahdi; mission inaccomplie, le « commando » n'ayant pas pu dépasser Tāhert (5).

---

(1) V. l'explication du mot *waliyy* dans *Canard, Vie*, 52, n. 34.

(2) Le Mahdi entra en possession de ces fonds lors de son passage par Ikǧān, sur sa route de Siǧilmāssa vers Raqqāda; v. infra § 261; *Canard Chambellan*, 319.

(3) Lorsque ces fonds furent remis au Mahdi, à Ikǧān les *mašā'iḫ* en éprouvèrent beaucoup de ressentiment. Un exemple de cette corrupton *fasād* fut leur participation au complot contre le Mahdi, v. infra § 280.

(4) Les contacts ininterrompus entre les Imāms et leurs missionnaires sont attestés dans de nombreuses sources; sur cette correspondance entre le Dāᶜī et le Mahdi, cf. *Canard, Chambellan*,305-6,309; *Ittiᶜāẓ*, 85; *Bayān*, 139; *Vonderheyden*, 296.

(5) Il s'agit du dynaste al-Yasaᶜb. Maymūn b. Midrār b. al-Yasaᶜb. Samgūn b. Midlān al-Miknāssī qui accéda au pouvoir en 270/883-4; sur lui et la capitale du royaume midrarite du Tāfilelt, v. surtout *E I*,IV,419-21 (Sidjilmāssa, par G.S.Colin). — Sur Tahert capitale du royaume harēǧite des Rustémides, v. surtout *E I*,IV,640-1 (Tahart, par G.Marçais); *Marçais Berbérie-Orient* 101-16. — Le Dāᶜī prit cette ville en 296/909, en se rendant à Siǧilmāssa pour délivrer le Mahdi, après l'achèvement de la conquête de l'Ifriqya et mit fin ainsi à la dynastie des Rustémides. —

§ : **119**

Abondants détails sur le redressement moral réalisé chez les Kutāma(1)

§ : **120**

Enthousiasme des Berbères séduits par l'idéal de justice et d'égalité propre à la propagande šiʿite.

§ : **121**

Détails sur les vertus du Dāʿī et sur sa conduite impeccable.

§ : **122**

Bienfaits de la politique du Dāʿī et de sa conduite vertueuse.

§ : **123**

Organisation sociale des Kutāma selon une nouvelle formule : « Il (le Dāʿī) classa les Kutāma en 7 fractions *ʾasbāʿ*; il constitua chaque fraction en une formation militaire *ʿaskar* et plaça à sa tête un chef responsable *muqaddam*, il désigna dans chaque localité un missionnaire *dāʿī*; les chefs responsables et les missionnaires étaient appelés les Doyens *mašā'iḫ*, même sans avoir atteint un âge avancé ; ces Doyens avaient pratiquement la direction des affaires de la communauté et étaient les dépositaires de la part du butin *maġānim* (2) devant échoir en *fay'* au *walliyy al-Muslimīn*

---

(1) V. le témoignage fourni sur la morale exemplaire des kutāma sous le régime du Dāʿī par le coiffeur étranger interrogé par le Mahdi lors de son séjour à Qastiliyya sur sa route vers Siǧilmāssa, dans *Canard, Chambellan*, 299-300, n.2.

(2) L'auteur a sur les *maġānim* (v. *Kāmil Ḥusayn, Himma*, Introduction, 29-30, texte, 66-81) une théorie particulière fondée sur une exégèse coranique propre à la doctrine ismaélienne : en définissant la part à prélever pour le compte des Imāms sur les biens des Croyants et des Croyantes al-Nuʿmān donne au mot *ġanīma* une acceptation qui englobe avec le butin proprement dit, l'ensemble des biens que possède chaque membre de la Communauté; Ceci nous renseigne sur l'origine et l'importance des fonds que les missionnaires recueillaient au nom de l'Imām et qui contribuaient largement à faire la richesse connue des Faṭimides, ainsi que sur un aspect curieux de leur fiscalité selon leur propre doctrine.

§ : 113

Autorité du Dāʿī étendu à tout le pays des Kutāma. Envoi de missionnaires dans toutes les régions conquises. Triomphe de sa cause parmi les Kutāma après une lutte poursuivie pendant deux années, depuis l'échec de la coalition.

§ : 114

Autorité du Dāʿī établie dans tout l'ouest ifriqyien, à l'exception des villes; entrée dans la *daʿwa* de toutes les tribus sauf certains éléments fixés aux environs des villes et les « hypocrites » tolérés par le Dāʿī, comme furent tolérés ceux de Médine par le Prophète.

CHAPITRE XIII

Mention des mesures politiques prises chez les Kutāma par le Dāʿī, pour établir son pouvoir sur eux et les soumettre à son autorité.

§ : 115

Politique du Dāʿī au sein de la jeune communauté šiʿite fondée sur une éthique sévère.

§ : 116

Détails sur la conduite exemplaire du Dāʿī.

§ : 117

Caractéristique de la société berbéro-šiʿite : observance rigoureuse de la loi religieuse; rigorisme; justice sociale.

§ : 118

Avantages de l'implantation du šiʿisme chez les Kutāma : bien-être, égalité, justice, fraternité, sécurité, confiance et unité.

§ : **110**

Rivalité entre Fatḥ b. Yaḥyā, jaloux de son autorité sur sa tribu et son contribule Harūn b. Yūnūs; craintes éprouvées par Fatḥ qui se réfugie chez les ʿAǧisa (1); engagement entre les troupes šiʿites et celles de Fatḥ dans la région de Sétif retranchée au fort dit « Tūbar » ou wušnūk »; victoire du Dāʿī; ralliement des ʿAǧisa, des Zuwāwa (2) et des Maǧris (3).

§ : **111**

Arrivée de Fatḥ b. Yaḥyā à Tunis auprès du souverain aǧlabide Abū'l-ʿAbbās (ʿAbd Allah II) qu'il incite à lancer une expédition contre le Dāʿī (4).

§ : **112**

Prudence d'Abū'l-ʿAbbās conformément aux instructions de son père Ibrāhim II parti en campagne en Sicile.

---

(1) Selon *Ibn Ḥazm*, 461, les ʿAǧisa appartiennent comme les kutāma, les Ṣanhāǧa, le Maṣmūda, les ʿAwraba et les Azdāǧa à la branche Burnus. Des ʿAǧisa occupaient la région montagneuse au nord de Msila, v. *Berbères*,1,169,285; *Brunschvig*, *Berbérie*,1,295.

(2) Les tribus Zuwāwa occupaient la région à l'Est du Djudjura, à la lisière occidentale du pays des kutāma; leur appartenance aux kutāma affirmée par *Ibn Ḥazm*, 466, n'est pas sûre; selon les généalogistes berbères, les Zuwāwa descendent de la souche d'al-Abtar et s'apparentent ainsi aux Zanāta, v. *Berbères*,I,255-6,292,298-9; *Brunschvig*, op. cit. I,285.

(3) Les Maǧris sont comptés parmi les Huwwāra, v. *Berbères*, I, 275; *Bunschvig* op. cit. I,323. — Ils occupaient la région au Nord-Ouest de Sétif où s'élève la montagne qui porte aujourd'hui le nom de Megriss. — Le ralliement de ces tribus au Dāʿī après sa victoire sur les troupes de Fatḥ b. Yaḥya est attesté dans *Berbères*, 11,513.

(4) D'après *Berbères*,II,513, *Vonderheyden*, 290, c'est auprès d'Ibrahim II que le chef des Masālta s'est rendu dans l'espoir de provoquer une intervention aġlabide contre le Dāʿī; mais le renseignement fourni par l'*Iftitāḥ* est plus vraisemblable; on sait en effet qu'Ibrahim II se mit en campagne en Sicile au mois de Raǧab 239/Juin 902 (v. supra § 70), mais qu'il avait abdiqué auparavant au mois de Rabīʿ 1è 239/Février-Mars 902; en faveur de son fils Abū l-ʿAbbās; celui-ci exerça le pouvoir à partir de cette date jusqu,à la mort de son père devant Cosenza, au mois de Ḏū 'l-Qaʿda 289/Octobre 902, date à laquelle il accéda officiellement au trône. Donc ses réticences à intervenir contre le Dāʿī s'expliquent par la campagne de Sicile où se trouvait engagé son père à la tête de l'armée; il attendit la prise de Mila au mois de Šawwāl 239/Septembre 902, pour se décider à lancer la première expédition contre le Dāʿī en Ḏū l-Qaʿda 289/Octobre 902, ce même mois où mourut son père en Sicile (cf. infra § 136).

CHAPITRE XII

Mention de la fondation par le Dā'i d'un foyer à Tāzrūt dont il fait un *Dār al-Hiğra* et une base pour la guerre contre les tribus.

§ : 107

Edification par le Dā'i d'un château (1) à Tāzrūt et attribution des maisons attenantes en dotations *'iqtā'* au bénéfice des *'Awliyā'*. Position du Dā'i renforcée après l'échec de la coalition. Importance de la communauté šī'ite dans son foyer de Tāzrūt. Prestige du Dā'i rehaussé par ses succès militaires qui incitent plusieurs tribus à reconnaître son autorité.

§ : 108

Situation importante, auprès du Dā'i « du chef des croyants » ağğaniens, Abū Yūsuf Māknūn b. Ḍubāra et de son neveu Abū Zāki; craintes éprouvées à cause de cette situation par les chefs des Ağğāna, Farḥ b. Ğirān, Yūsuf b. Maḥmūd (2) et Wazra b. Muḥammad b. Naṣr qui vont s'installer à Mila où les rejoignent certains chefs des Laṭāya dont Faḥl b. Nūḥ; ralliement après cela, à la cause du Dā'i de l'ensemble des Ağğāna et Laṭāya

§ : 109

Hostilité à l'égard du Dā'i d'une fraction des Masālta et des banū 'Ifnit, les seuls ibāḍites parmi les Kutāma (3), groupés autour de Fatḥ b. Yaḥya; mais soutien apporté au Dā'i par un noyau des Masālta, les 'Azāya, avec leur chef Abū Mūsā Hārūn b. Yūnus (4); défaite de Fatḥ et de ses partisans; *'amān* accordé par le Dā'i à Fatḥ qui s'était réfugié à Sétif.

---

(1) Cf. les mêmes dispositions prises par Ibn Ḥawšab au Yémen pour renforcer son régime dans des conditions historiques similaires dans *Hamdānī*, 33-4.

(2) Il fut l'un des animateurs de la résistance à Mila et fut exécuté avec les autres chefs berbères après la conquête de cette ville par le Dā'i v. infra § 134, 135. — Il est cité dans *Berbères*, 11, 513.

(3) Les kutāma, avant l'établissement du šī'isme parmi eux, furent sans doute touchés par l'hérésie ḫarēğite; selon *Bayān*, 124-5 (d'après le récit d'al-Warrāq) les éléments avec lesquels le Dā'i entra en contact à l'occasion du pèlerinage étaient ibāḍites; cf. aussi *Marçais*, *Berbérie Orient*, 102. — Selon *Lewicki*, *Répartition*, 308 l'infiltration de l'ibaḍisme chez les kutāma remonte à 140/757-8.

(4) Sur son adhésion au šī'isme dès les débuts de la *da'wa* chez les kutāma et sur sa situation de «doyen des doyens» v. supra § 46, N.I.

§ : **101**

Obstination des coalisés à se débarraser du Dāʿī, en dépit du penchant de Faḥl pour la modération ; décision prise par les chefs de la coalition d'en finir par les armes avec le Dāʿī et ses fidèles.

§ : **102**

Précisions sur l'effectif de la coalition et l'emplacement des tribus engagements entre les troupes šiʿites et les éléments Kutāma de la région de Mila, les Aǧǧāna, Laṭāya, Ǧilma, Malūsa, Danhāǧa (1), les Ġašmān de Saǧǧa et les 'Urissa (2).

§ : **103**

Poursuite des combats, le 2è jour, à la faveur des 'Awliyāʿ.

§ : **104**

3è jour : combats acharnés ; héroïsme de Ġazwiya (3); victoire des troupes šiʿites.

§ : **105**

4è jour : engagement entre les troupes du Dāʿī et les éléments ennemis de la région de Sétif ; victoire du Dāʿī.

§ : **106**

Détails sur l'attaque lancée par le Dāʿī, le 4è jour contre les Mazāta défaite de cette tribu ; importance du butin ; victoire décisive des troupes šiʿites sur celles de la coalition.

---

(1) Sur cette fraction des kutāma de la Petite kabylie, v. *Berbères*, v. *Berbères*,1,291 ; sur d'autres éléments Danhāǧa et leur «Qaṣr-Danhāǧa», sur d'autres éléments Danhāǧa et leur «Qaṣr-Danhāǧa», entre Tanger et Fes, cf. *Bakri*, 276; *Idrisi*, 78/89 et 169/202.
(2) Saǧǧa, un toponyme ? Les 'Urissa sont les Ouricen dans *Berbères* I, ibid.
(3) Sur ce personnage bien connu dans les sources sunnites sous le nom de ʿArūba, v. Introduction, 15; cf. *Bayān*, 150, 162, n.1, 164, 172; *kāmil*, 136 *Berbères*, 11, 517, 522; *itti'āẓ*, 96.

§ : 95

Vigilance du Dā'i et des *'Awliyā'* qui se regroupent à Tāzrūt ; organisation de la coalition Kutāma : 1è formation militaire avec les éléments originaires des villes ; 2è formation militaire avec les Aǧǧāna les Laṭāya et les autres tribus de la région de Mila ; 3è groupe avec les Kutāma de la région de Sétif conduits par Fatḥ b. Yaḥyā ; 4è groupe avec les Muzāta.

§ : 96

Détails sur les préparatifs à Tāzrūt pour faire face à la coalition et sur la fermeté de la jeune communauté šī'ite.

§ : 97

Propos du Dā'i pour exhorter les *'Awliyā'*, ranimer leur foi et relever leur moral.

§ : 98

Organisation des *'Awliyā'* pour le combat : 700 cavaliers et 2000 fantassins camp établi par les *'Awliyā'* au bord de Wādī Tāfart (1) non loin des troupes Laṭāya menées par leur chef, Faḥl b. Nūḥ (2).

§ : 99

Habileté du Dā'i qui tente de rallier à sa cause Faḥl b. Nūḥ partisan d'un arrangement pacifique.

§ : 100

Démarche dans ce sens effectuée auprès de Faḥl par son gendre Sahl b. Birkās (3)

---

1) Il s'agit sans doute de l'oued Melah (salé) qui coule à l'Est de l'actuel djebel Bou-Chert où nous avons localisé Tāzrūt (v. supra § 46), non loin du centre Fedj *Mzala*. — *Idrisi*, 92-108 signale le toponyme Tawart au bord de l'oued salé du même nom, mais sur la route de Bougie à al-Qal'a.

(2) Il est cité dans *Berbères*,11,512-3. Il fut l'un des organisateurs de la résistance à Mila et mourut en défendant cette ville attaquée par le Dā'ī, v. infra § 134.

(3) Il faut l'identifier à «Sehel ibn Foucach», cité dans Berbères,1,512-3. —

des coalisés, Mahdi b. Kināwa, dont le frère Abū Mudaynī (1) adhère à la *daʿwa*.

§ : 92

Décision prise par Abū Mudayni de tuer son frère Mahdi avec le concours d'un de ses contribules acquis à la *daʿwa*, Lāwa b. Ṣūḥān.

§ : 93

Assassinat de Mahdi ; défection des Lahīṣa provoquée par la perte de leur chef ; redressement de la situation en faveur du Dāʿī après ces premiers succès militaires ; incursions victorieuses des troupes šiʿites contre les Muzāta (2) et leur chef Yūsuf al-ʿAṭṭāšī dont l'esclave que lui avait offerte Ibrahim II échut au Dāʿī et devint son unique *ʿUmm Walad*.

CHAPITRE XI

Récit de l'offensive de toutes les tribus (de la *Ǧamāʿa*) contre le Dāʿi et de sa victoire sur elles.

§ : 94

Reconstitution de la coalition anti-ši-ʿite, en dépit de cette première victoire du Dāʿī ; armée considérable formée par des Aǧǧāna, des Laṭāya et de toutes les tribus de la région de Mila ainsi que par des éléments Kutāma de la région de Sétif renforcés par des éléments Mazāta ; principal animateur de la coalition : Fatḥ b. Yaḥya (al-Masālti).

---

(1) Abū Mudayni fut un des généraux fatimides sous le règne du Mahdi; il faut l'*identifier* à Abū Madyān cité dans *Bayān*, 175 et à «Abou Medini» cité dans Berzères, II,512.

(2) Il s'agissait sans doute d'une démonstration de force dans la région des Mazāta au nord de Bélezma (v. *Bakri*,107,277); ces Mazāta qui étaient une des puissances tribus Zanāta (v. *Ibn Ḥawqal*, 106) furent les ennemis lesplus ir réductibles du šiʿisme, sans doute à cause de leurs luttes tribales avec les kutāma et de leur perméabilité à l'hérésie harēǧite. *Idrisī*, 120/141 signale les Muzāta avec des éléments kutāma au village d'al-Nahrāwīn dans la région située entre Qaṣr al-Ifrīqī et Msīla. — Sur les Mazāta — Muzāta ibaḍites, v. *Hadj Sadoc*, 13, n. 156; *Lewicki*, *Etudes*, 13, 66; id. *Répartition*, 317-9.

§ : 85

Démarche dans ce sens faite par Mahdi b. Kināwa auprès de Maḥmūd b. Hārūn.

§ : 86

Préférence de Maḥmūd pour une confrontation du Dā'ī avec les *'ulamā'* ; réticences de sa part, en dépit de son hostilité au Dā'ī.

§ : 87

Stratagème du chef de la coalition, Mahdi b. Kināwa : arranger une confrontation entre les 'ulamā' et le Dā'ī, mais dans l'intention de s'emparer de lui, à l'insu de Maḥmūd.

§ : 88

Démarche des Ġašmān conduits par al-Ḥasan b. Hārūn auprès de son frère Maḥmūd, pour obtenir une réconciliation avec lui et l'assurer de leur attachement ; satisfaction de Maḥmūd reconnu comme chef par tous les Ġašmān .

§ : 89

Vigilance de Maḥmūd qui fait échouer la ruse des coalisés.

§ : 90

Bataille rangée entre les troupes des coalisés et les Ġašmān qu défendent courageusement le Dā'ī; bravoure de Maḥmūd, tué en combattant les siens.

§ : 91

Renforcement de la situation du Dā'ī qui se manifeste et prend par aux combats; détails pittoresques sur la bravoure et les exploits du che

§ : 80

Installation du Dāʿī avec les *Awliyā'* à Tāzrūt, devenue ainsi après Ikǧān un foyer important du šīʿisme.

§ : 81

Intensification de la propagande du Dāʿī parmi les Aǧǧāna, les Malūsa (1), les Lahīṣa, les Laṭāya et les Ǧilma (2). Position du Dāʿī consolidée à Tāzrūt grâce à l'énergie et aux mérites de son protecteur, al-Ḥasan b. Hārūn.

§ : 82

Vif ressentiment de Maḥmūd b. Hārūn (3), jaloux de l'autroité de son frère al-Ḥasan et du Dāʿī sur les Gašmān.

§ : 83

Craintes des coalisés suscités par l'installation du Dāʿī à Tāzrūt.

CHAPITRE X

Récit du conseil tenu par la *Ǧamāʿa* pour trouver le moyen de régler le cas du Dāʿī.

§ : 84

Nouvelle manoeuvre des chefs de la coalition : dresser contre al-Ḥasan b. Hārūn ,soutien du Dāʿī, son frère Maḥmūd.

---

(1) Les Malūsa fraction des kutāma occupaient le territoire au Sud-Est d'Ikǧān là où se trouve le village actuel de Melbouza à l'Est du Chevreul. Certains éléments d'entre eux, dont Ġazwiya, apportèrent au Dāʿī dès les débuts de son apostolat un solide soutien, v. *Berbères*,1,292.

(2) Il s'agit d'une importante fraction des kutāma, v. *Berbères*,11,510,512 il faut les identifier aux «Djemila» (leçon fautive), dans *Berbères*,I,292. — Ils occupaient le territoire au Sud d'Ikǧān sur les bords de l'oued Djemila où sont ajourd'hui les ruines et le centre de Djemila, *Guides Bleus*, 338-44.

(3) Sur l'attitude de ce personnage d'abord hostile au Dāʿī puis rallié à sa cause, cf. *kāmil*, 127-8; *Berbères*, II,512-3, *Ittiʿāẓ*, 78.

§ : 76

Coup de force tenté par les coalisés contre les Saktān, entre Tākūt et Wadi al-Naǧāt (1) ; résistance armée des partisans du Dā'i qui sortent victorieux de ce combat ; vigilance accrue des *'awliyā'* (2) autour du Dā'ī.

§ : 77

Manoeuvres des coalisés pour isoler le Dā'ī : propositions alléchantes renouvelées à Bayān b. Saqlān : exhortation à refaire l'unité détruite par le Dā'ī ; appel à la solidarité berbère contre l'intrus ; condamnation de la doctrine prêchée par cet cet « oriental » et dénonciation de son imposture (3).

§ : 78

Hostilité de Bayān b. Ṣaqlān à l'égard du Dā'i ; efforts déployés par Bayān, pour dresser ses contribules contre leur protégé.

CHAPITRE IX

Récit de l'abandon d'Ikǧān par le Dā'ī et de son départ à Tāzrūt (4)

§ : 79

Désaccord des Saktān sur la décision à prendre ; offre d'héberger le Dā'ī à Tāzrūt faite par le chef des Ġašmān, al-Ḥasan b. Hārūn ; acceptation du Dā'i après une longue hésitation.

---

(1) L'*Iftitāḥ* permet de localiser ces deux toponymes approximativement à l'Est de la montagne d'Ikǧān, vraisemblablement non loin de l'actuel de col Tamentout; Tākūt devait sans doute son nom à une forêt de *Tākūt* nom berbère d'une espèce d'euphorbe, v. *Bākrī*, 291, n.1.

(2) V. l'explication de ce terme dans *Canard*, *Vie*, 52, n.34.

(1) V. dans *Bayān*, 137, la condamnation du Dā'ī prononcée par les faqihs de l'Ifriqya réunis à Tunis par Ziyādat Allah III.

(4) Tāzrūt (montagne et ville) était située à deux lieues au Sud-Sud-Ouest de Mila, v° *Berbères*,11,511 et IV,531 (table); cf. les indications douteuses *Carette*,106,n.1.

mim (1), *ṣāḥib* Belezma ; Fatḥ b. Yaḥya al-Masālti (2) chef des Masāltu; Mahdi b. Kināwa, chef des Lahīṣa (3) ; Fatḥ b. Ğirān (4), chef chef des ʿAǧǧāāna ; Tamim b. Faḥl, chef des Laṭāya (5) ; Ziyād al-Matūsī, chef des Matūsa (6). Protection énergique apportée au Dāʿi par Les Saktān. qentative des chefs de la coalition de dresser contre lui, l'un des personnages les plus en vue, chez les Saktān, Bayān b. Ṣaqlān (7).

§ : 73

Propositions alléchantes faites par les coalisés à Bayān b. Ṣaqlān; accusations lancées contre le Dāʿi : altération de la religion division de la communauté berbère, guerre civile entre les tribus tribus Kutāma dressées les unes contre les autres.

§ : 74

Désaccord des Ṣaktān sur la décision à prendre à propos du Dāʿi.

§ : 75

Proposition faite par Bayān b. Saqlān de confronter le Dāʿī avec les *ʿulamā'* berbères ; refus prudent des coalisés.

---

(1) Il est cité dans *Berbères* II,512. Il appartenait aux arabes tamimites signalés à Bélezma, dans *Yaʿqūbī*, ibid. — Il est probablement le même que Ḥayy b. Mālik al-Balawi (les banū Mālik étant une des familles arabes tamimites de Bélezma, rebelles à l'autorité des Aġlabides, v. supra § 64) dont la défection lors de la révolte du Zāb, sous le règne d'Abū'l-Ġarānīq, vers 260/874 causa la défaite de l'armée aglab.de, cf. *Nuwayri*, 422-3; *Vonderheyden*, 58-9.

(2) Ce personnage est appelé *al-Amīr* dans *Berbères* 11,513; ce titre correspondait sans doute à l'importance des Māsālta; v. les précisions fournies sur cette tribu dans *Carette*· 95-105, n.1.

(3) Ce personnage, un des ennemis les plus farouches du Dāʿī est cité dans *Berbères* 11, 512. — Sur les Lahīṣa, fraction des kutāma, v. *Berbères*,1,292.

(4) Il faut l'identifier à «Feredj ibn kheiran» cité dans *Berbères* II, ,513.

(5) Il est cité dans *Berbères*,11,512 (avec une orthographe fautive, «Tamlil») sur les Laṭāya ou Laṭāna, fraction des kutāma, v. *Berbères*, 11,513.

(6) Sur les Matūsa, fraction des kutāma, v. *Berbères*,1,291 (Mettouca). — *Lewicki*, *Etudes*, 40-1, signale les Matūsa ibadites, fraction des Nafūsa. — *Idrīsī*, 98/115 place le toponyme Matusa à 12 milles à l'Est de Bougie.

(7) Il est cité dans *Berbères*,11,512 (avec une orthographe fautive, «Saclab»).

mort du souverain survenue la nuit du samedi 13 Ḏū'l-Qa'da 289 (2), des suite d'une maladie du ventre (dysenterie ?!) durant le siège de Cosenza: pluie d'étoiles filantes, 5 nuits avant sa mort, la nuit du 8 Ḏū'l-Qa'da 10 Tašrin 1è Octobre (3) ; durée de son règne : 28 ans, 6 mois et quelques jours ; enterrement en Sicile (4).

CHAPITRE VIII

Récit du soulèvement de la *Ǧamā'a* des Kutāma contre le Dā'ī pour s'emparer de lui, à Ikǧān.

§ : 71

« La cause de Dā'ī devint délèbre au pays des Kutāma ; on le surnomma « l'oriental » (*al-mašriqī*), parce qu'il était arrivé d'Orient ; puis on rattacha à sa *nisba* tous ceux qui lui prêtèrent le serment d'allégeance et adhérèrent à sa doctrine et on les surnomma « les orientaux » (*al-mašāriqa*); lorsque l'un deux donnait son adhésion, on disait : « il est devenu oriental » (*tašarraqa*) ». Appréhension accrue des gouverneurs des villes voisines et des chefs de tribus qui se concertent pour faire face au prestige grandissant du Dā'ī et former une coalition contre lui.

§ : 72

Détails sur cette coalition animée par les « maîtres » des forteresses les plus proches d'Ikǧān et les chefs des tribus kutāma hostiles au Dā'ī : Mūsā b. al-'bbāss, *ṣāḥib* Mila ; Ali b. 'Uslūǧa (1) *ṣāḥib* Sétif ; Ḥayy b. Ta-

---

(1) Selon les tables de Cattenoz, le 13 Ḏū'l-Qa'da 289 tombe non pas un samedi, mais le mardi 19 Octobre 902.

(2) La précision est dans le texte; le 8 Ḏū'l-Qa'da 289 correspond non pas au 10, mais au 14 Octobre 902. — A propos de ce phénomène céleste observé la même année en Orient (Ramla) par le Mahdi et sa suite, lors de son émigration, cf. *Gateau*, 385-6; *Canard, Chambellan*, 289-90.

(3) Il s'agit de Palerme; sur cette expédition cf. *Amari*, op. Cit., 99-116. — Selon *Nuwayri*, 434; A'māl, ibid., l'enterrement d'Ibrahim II eut lieu à Palerme; mais selon *kāmil*, 6; *Vanderheyden*, 222, le corps fut transporté à Kairouan où l'inhumation eut lieu.

(4) Il s'appelait 'Ali b. Ḥafṣ et était plus connu par le nom de sa mère 'Uslūǧa (une berbère sans doute), cf. infra § 138,155; il est cité dans *Berbères* II,511. — Selon un renseignement de *Ya'qūbī*, 12/214, le commandement à Sétif était assuré par une famille arabe des banū' Asad b. Ḫuzayma. Il apparaît ainsi que 'Ali b. Ḥafṣ était arabe par son père et berbère par sa mère.

consacrée au Mahdi et les récits et les poésies de ceux qui avaient annoncé la venue du Prophète : Umayya b. Abi'l-Ṣalt, Waraqa b. Nawfal, Zayd b. ʿAmr, Asʿad b. Kārib, Ḫālid b. Sinān (1).

§ : 69

Similitude entre la pénitence d'Ibn Yaʿfur au Yémen et celle d'Ibrāhīm II après le renforcement de la situation du Dāʿi ; abdication en faveur de son fils Abū'l-ʿAbbās (2).

§ : 70

Expédition de Sicile dirigée par Ibrāhim II lui-même au mois de Raǧab 289/Juin 902 ; quelques détails sur l'expédition, conquête de Taormine le dimanche 22 Šaʿbān 289/1è Août 902 ; importance de l'effectif de l'armée aġlabide : solde des cavaliers, 20 dinars, celle des fantassins, 10 dinars;

---

(1) Bien qu'al-Nu ʿmān ait tendance à forcer le parallélisme entre la venue du Mahdi et celle du Prophète, la similitude qu'il note à ce propos n'en est pas moins évidente, cf. E I,III,685-703 spécialement 688 (Muhammad par Fr. Buhl); *Ibn Hišām*,1,203-8, 221-51. — La littérature relative à la «venues» du Prophète est liée à la *ḥanīfiya*, cette foi plus spirituelle recherchée pendant la Ǧāhiliya par certaines personnes non satisfaites du paganisme des Arabes, v. *E I*,II,274-6 (Ḥanīf, par Fr. Buhl). — Sur Umayya b. Abi l-Ṣalt, poète des Ṯaqīf et ses rapports avec l'Islam et son Prophète «attendu», cf. *E I*,IV,1051-2, (Umaiya, par H.H. Brau); *Pellat*,43; v. un de ses poèmes prophétiques dans *Ibn Hišām*,I,63-4. — Sur Waraqa b. Nawfal Cousin de Ḫadīǧa et dont l'influence sur la mission du Prophète fut indéniable, cf. *E I*,IV,1181 (Waraqa b. Nawfal, par V. Vacca); *Ibn Hišām*,I,206-8, 242-3. — Quant au poète Zayd b. ʿAmr b. Nufayl b. ʿAbd al-ʿUzzā... b. Luʾayy) il fut un des quatre principaux «ḥanifites» et adopta une attitude neutre à l'égard du judaïsme et du Christianisme, cf. *E I*, IV, 1261 (Zaid b. ʿAmr B. Nufail, par V. Vacca); *Ibn Hišām*,I,242-50. — Sur Quss b. Sāʿida, l'éloquent *ḥakam* des Arabes considéré lui-aussi comme *ḥanīf*, v. *E I*,II,1228 (Kuss Ibn Sāʿida, par H. Lammens). — Quant à Asʿad b. karib (Tubbaʿ II) b. kula-karib b. Zayd (Tubbaʿ I)... Il faut l'identifier à Tuban Asʿad Abu Karid roi yéménite qui lors de son expédition contre Yaṯrib et la Mecque fut gagné à la religion (ḥanifite) et chercha à y convertir ses sujets, v. *Ibn Hišām*, I,14-25. — Sur Ḫālid b. Sinān, compté comme *ḥanīf* et parmi ceux qui annoncèrent le Prophète, v. *Pellat*, 15-6.

(2) Il s'agit de ʿAbd Allah II qu. rappelé de Sicile où il avait été envoyé par son père41 Ibrahim II pour redresser une situation trouble, régna de 289/902 au šāʿbān 290/23 Juillet 903 et mourut assassiné sur l'instigation peut-être de son fils Ziyādat Allah III, v. infra § 146 *E I* 2,1,256-7 (Aghlabides); *Amari*, *Storia* II,81-98. — Sur les raisons de l'abdication d'Ibrahim II déterminée semble t-il par une injonction du Calife abbasside al-Muʿtaḍid, à la suite d'une requête des habitants de Tunis excédés par sa cruauté cf. *Bayān*, 132-3; *Nuwayri*, 431-2; *mâl*, Aʿ443; *Vonderheyden*, 218-22.

et acquis au ši'isme (1); protection accordée par les banū Mālik à ce poète réfugié chez eux et poursuivi pour son hostilité aux Aġlabides.

§ : 65

Poème consacré par Ibn Ramaḍān à la mémoire des Bélezmites : évocation des malheurs endurés par les victimes de la perfidie d'Ibrahīm II; invectives à l'adresse de celui-ci ; allusion à l'avènement attendu du Mahdi et la chute imminente des Aġlabides, des Abbassides et des Umaiyades (2)

§ : 66

Attitude clémente d'Ibrahim II à l'égard de ce poète dont il souhaite l'arrivée à sa cour, en dépit de ses satires ; prudence du poète qui ne répond pas au souhait de l'Emir malgré *l'amān* qui lui est accordé.

§ : 67

Vers d'Ibn Ramaḍān consacrés à la « venue » attendue du Mahdi : prédiction relative à la décadence de l'Etat aġlabide et à l'avènement imminent relative à la décadence de l'Etat aġlabide et à l'avènement imminent des Faṭimides ; parabole du Soleil qui se lèvera à l'Occident (sic) attaché à son croissant ; mention de la justice dont le « Mahdi » remplira la terre ; nomination de ce poète sous le règne du Mahdi comme cadi à Mila où il mourut.

§ : 68

Prédiction de Ya'qūb b. al-Muḍā, un membre de la famille aġlabide, propriétaire foncier dans la région de Ǧamma concernant le site de Mahdia et l'avènement du Mahdi (3) ; similitude entre cette littérature prophétique

---

(1) Nous n'avons trouvé aucun renseignement sur ce poète acquis au ši'isme et originaire de Nafṭa (cf. supra § 28, n.6).

(2) Il s'agit évidemment des Umaiyades de l'Espagne Musulmane.

(3) Ya 'qūb b. al-Muḍā Sawāda b. Sufyān (frère d'al-Aġlab) b. Sālim b. 'Iqāl appartenait donc à la branche cadette. Il vécut à l'écart de la vie politique et, s'adonnant au *zuhd*, il fit école (les «Ya'qūbiya»). Il eut deux fils Aḥmad et al-Faḍl (appelé aussi al-'Abbās) et un petit fils Muḥammad (b. al-Faḍl) qui se distinguèrent au cours de leurs commandements en Sicile : cf. *Bayān*, III-13; *A 'māl*, 472-5; *Amari, Storia*, 1,432; *Vonderheyden*, 117,188,201 (et le tableau généalogique où il faut corriger Ya 'qūb b. Muḍā b. Sufyān en Ya 'qūb b. Muḍā b. Sawāda b. Sufyān). — Dans les sources arabes Ǧamma désigne la presqu'île de Cap Africa où fut fondé Mahdiya et cette ville-même, cf. *Bayān*, 187; *Tiǧānī*,371,376,377,378. — Cf. aussi *E I*,III,127-8 (Al-Mahdiya, par G. Marçais).

§ : 63

Déclamation de ces vers devant le Dā'ī après son entrée à Raqqāda. par le poète Abū'l-Yusr (1) ; témoignage de celui-ci sur l'année fatidique annoncée jadis pour 290, mais qu'il faut rectifier en 296, date de la victoire du Dā'ī ; émerveillement d'Ibn 'Abdūn (2) en présence des juristes Kairouanais sur la réalisation des événements annoncés par ces poésies prophétiques.

§ : 64

Détails sur les démêlés d'Ibrahim II avec les banū Mālik de Bélezma (3) asile accordé par eux à un habitant de Bāġāya (4) Karim b Zurzūr poursuivi par la colère de l'Emir ; vengeance de celui-ci qui fait périr un millier de Bélezmites dans un guet-apens à Raqqāda ; haine des habitants de Bélezma contre les Aġlabides avivée par cet événement ; déclin de leur dynastie anoncé par Muḥammad Ibn Ramaḍān poète originaire de Nafṭa

---

(1) Son nom complet est Abū 'l-Yusr, Ibrahim b. Muḥammad al-Baġdādī al-šaybāni surnommé al-Riyāḍī. Bagdadien d'origine, il chercha fortune en Andalousie, avant de se fixer à Kairouan où il exerça au service des aglabides les fonctions de secrétaire de chancellerie. Il y était compté parmi les lettrés, poètes et prosateurs les plus éminents et contribua à y faire fleurir en matière *d'adab* la manière orientale de la première époque abbasside, jouant ainsi un rôle équivalent à celui de Sā'id al-Bagdādi, à Cordoue. Il est l'auteur de plusieurs ouvrages dont un recueil de hadits *musnid*, un *tafsīr (kitāb fī'l-Qur'ān)* intitulé *siraǧ al-hudā*, le *kitāb laqīṭ al-murǧān*, l'épitre *al-waḥīda al-mu'nisa*, et le *Quṭb al-adab*. Il entra au service des Fāṭimides, dès l'entrée du Dā'ī à Raqqāda et ne tarda pas à devenir l'un de ses courtisans; il l'accompagna dans son expédition de Siǧilmassa. Le Mahdi dès son installation à Raqqāda lui confia la charge de secrétaire de chancellerie. Il mourut le dimanche 16 Ǧumadā 1è/13 Janvier 911. v. *Bayān*, 152, 162, 163.

(2) Son nom complet est Abu'l-'Abbās Muḥammad b. 'Abdūn b. Abī Ṯawr; compté parmi les juristes ḥanéfites les plus en vue, il fut nommé aux fonctions de Cadi puis destitué (après 30 mois d'exercice environ) par Ibrahim II, v. *Ṭabaqāt*, 187-9/274-7,237/332; il mourut en 297/910 quelque temps après l'arrivée du Mahdi à Raqqāda, v. *Bayān*,161.

(3) Les banū Mālik étaient une fraction des Arabes tamimites fixés à Bélezma et qui tout en tenant en respect les Berbères kutāma, ne reconnaissaient que d'une manière formelle l'autorité des Aġlabides; Ibrahim II chercha en 280/893 à les soumettre en faisant périr par la ruse leur élite (700 hommes) cf. *Ya 'qūbī*, 12/214; *Marçais, Berbérie*, 44-5; *Bayān*, 123, *Nuwayrī*, 427-8; *Vonderheyden*, 106.

(4) Sur cette forteresse où habitaient «des tribus appartenant à l'armée des Persans originaires du khorassan» et sur son importance défensive accentuée par la proximité du massif montagneux de l'Aurès, cf. *Ya 'qūbī* 11/214; *Ibn Ḥawqal*, 84-5; *Muqaddasī*, 21; *Bakrī*, 277 et passim, *Idrīsī*, 104-4/121 et passim.

§ : 60

Poème prophétique dit par ce vieil homme ; grandes lignes de son contenu : référence à un livre ancien où les récits sont rapportés d'après Wahb, Saṭīḥ et Daniel ; année fatidique annoncée pour 296 ; allusion à la « venue » du Mahdi, son ascendance fāṭimide, à son règne de justice et de miséricorde, à l'avènement d'al-A'war al-Daǧǧāl, à la « venue » de 'Isā b. Maryam puis à sa mort (1).

§ : 61

1èr poème prophétique d'Ibn Abi 'Aqib ; thème principal : allusion à l'avènement « attendu » du Mahdi au Maġrib et à la fondation de sa ville « al-Bayḍā' » (2).

§ : 62

2è poème : mention de la planète « à la longue traîne » dont l'apparition annoncera l'année fatidique, 296 ; mention de Ǧiǧill d'où s'élanceront les envahisseurs (90.000) ; renversement de la dynastie qui deviendra « mahdienne » annoncé par les récits rapportés d'après Daniel et Saṭīḥ (3)

---

(1) Il s'agit du Wahb b. Munabbih sur lequel v. *E I*,IV,1142-4 (Wahb b. Munabbih par J. Horovitz). — Il s'agit du fameux devin *kāhin* de la Ǧāhiliya, Saṭīḥ b. Rabī'a sur lequel v. E I,IV,189-90, (Saṭīh b. Rabi'a par Lévi Della Vida). — Il s'agit du prophète Daniel sur lequel v. *E I*, 338-9 (Daniyet). — Il s'agit de l'Antéchrist sur lequel v. *E I*, 1,909 (Dadjdjal). — ajoutons que la littérature ismaélienne identifie le Daǧǧāl à Abū Yāzīd, l'homme à l'âne (cf. infra § 299). — Il s'agit du Christ, du Messie Mahdi qui «se manifestera» pour tuer le Daǧǧāl v. *E I* 111, 118 (Al-Mahdi); *E I*,II,558-60 (Isa) et 1109-12 (Al-ḳiyāma par D.B. Macdonald).

(2) Son nom est Yaḥya b. 'Abd Allāh b. Abī 'Aqib al-Layṯī; il est considéré avec Qays le fameux «maǧnūn laylā» et Ibn al-Qariyya comme un personnage imaginaire; on lui attribue les poésies prophétiques dites *malāḥim*. Abu Nuwās et al-Raqqašī composaient des poèmes où ils imitaient la manière d'Ibn 'Aqib et les faisaient rapporter par le poète «nail» Abū Yāsīn, cf. *G A L, Supp.*,1,81,118; *Ǧāḥiz*, II, 231-2, n.2; *Aġānī*,I,169 et VI,135; *wafayāt*, 1,231; *Prolégomènes*, 11,232. — Al-Bayḍā' est le surnom donnée à Mahdiya dans les récits prophétiques (cf. infra § 296); sur cette ville v. *E I*, III, 127-8 (Al-Mahdiya) (par G Marçais).

(3) Il s'agit de la planète Mars (Zuḥal) dont le ciel est le Septième (y avoir le symbole du 7è Imam, Ismā'il) et le plus haut des Cieux porteurs d'un astre; sur l'importance de l'astrologie dans la doctrine ismaélienne. v. *Corbin, Qasida*, 102-4, n.163, 109-2 — *Massignon, Dormants*, 80-1 identifié Giǧill à Guidjdjal — Ikǧān; *Yaqūbī*, 12/214; *Bakrī*, 167-8; *Idrisi*, 97-115 donnent Ǧiǧill différente d'Ikǧān et ville maritime d'Algérie, cf. *E I*, I, 1073-4 (Djijelli par G. Yver.

mad (1) hostilité réciproque entre Saḥnūn et les princis et les princes et les dignitaires aġlabides ; détails sur les manoeuvres des disciples de Saḥnūn, au lendemain de sa mort, pour le faire remplacer par son fils Muḥammad(2); anti malékisme des princes et des dignitaires aġlabides réskdant à al-Qaṣr al-Qadim (3), leur abstention de faire, derrière l'Emir Muḥammad 1èr la prière dunèbre devant le cerceuil de Saḥnūn transporté à al-Sabḫa, du côté de sa maison ; manifestation publique de leur abstention, à al-Hārūniya où ils s'arrêtent pour ne pas se joindre au cortège de l'Emir (4).

§ : 59

Tendance šiʿite des princes aġlabides (5) ; intérêt d'Ibrahim II pour le šiʿisme et les récits prophétiques relatifs au « Mahdi » (6) ; arrivée à la cour d'un vieil homme originaire d'un des faubourgs de Tunis « Qaryat al-Ḫirbatayn » et poète versé dans le *ʿilm al-Ḥadaṯān*, mandé par le souverain qui l'interroge sur le « Mahdı » (7).

---

(1) Sur le célèbre cadi malékite, auteur de la *mudawwana* v. *E I*, IV, 66-7 (Saḥūn). — Il fut nommé par l'Emir Muḥammad 1èr (Abū l-ʿAbbās) qui régna de 226/841 à 242/856 et qui fit échec à une tentative d'usurpation faite par son frère Aḥmad (Abu Ǧaʿfar) cf. *E I* 2,257-8 (Aghlabides); *Bayān* 108-9; *Aʿmāl*, 436-7; *Nuwayri*, 415-6; *Vonderheyden*, 139-90, N. 2.

(2) Ce fut en fait le hanéfite Sulaymān b. ʿImrān, surnommé Ḫarūfa qui succéda à Saḥnūn et non son fils, devenu chef de file de l'école malékite après lui, cf. *Ṭabaqāt*, 236-7/331, 129-32/309-15; *Riyāḍ*, 345-60.

(3) Cette résidence des Aġlabides était située à 3 mille environ au Sud de Kairouan; elle fut fondée en 185/801 par Ibrahim 1èr qui la surnomma al-'Abbāssiya; cf. *Marçais, Architecture*, 26-7; *Bayān*, 92-3; *BaJri 62,64*; *Vonderheyden*, 192 et passim.

(4) La comparaison de l'indication de *l'Iftitāḥ* avec celles de *Riyāḍ*, 288; *Ma ʿalim*11,66,68 et *Brunschvig, Berbérie*,1,360,371 permet de localiser al-Sabḫa à l'extérieur du Bāb Nāfi ʿau Nord-Est de Kairouan. — Al-Hārūniya devait se situer entre al-Qaṣr al-Qadīm et Bāb Nāfiʿ, dans les faubourgs au Sud de Kairouan — L'attitude des dignitaires de l'aristocratie aġlabide est expliquée par leur tendance mu ʿtazilite que Saḥnūn avait vigoureusement combattue, cf. *Riyāḍ*, ibid; *Maʿālim*,II,66; *Vonderheyden*, 138, n.3.

(5) L'auteur, après avoir souligné l'hostilité des dignitaires aġlabides à l'égard de Saḥnūn, donne de leur attitude une interprétation forcée en assimilant leur anti-malikisme ou leur muʿtazilisme à une tendance nettement šiʿite.

(6) Sur l'idée du «Mahdi attendu» et les prédictions relatives à sa venue, cf. *E I*,III,117-20 (Al-Mahdi); *Lewis, Isma ʿilisme*, 83-6; *Massignon, Dormants*, 79-81; *Prolégomènes*, 11, 158 sqq.

(7) Nous n'avons pas pu identifier avec précision ce toponyme d'al-Ḫirbatayn, peut-être s'agit-il de Ibbiyāna, localité qui porte aujourd'hui le nom de Mornag; mais *Bakri*, 69,87-8 mentionne à propos des malheurs endurés pendant la révolte d'Abū Yazīd, l'homme à l'âne, par la population de la région de Tunis et du Sawād (la campagne de l'actuelle région du Sahel) un recueil de prédictions (*ḥadaṯān*) d'un certain al-Ǧirbī; cette leçon semble fautive et il faudrait lire al-Ḫirbī, par attribution à ce faubourg d'al-Ḫirbatayn ; il n'est pas impossible que ce vieil homme cité dans *l'Iftitāḥ* soit ce même auteur de prédictions mentionné dans Bakrī.

II) avait un penchant pour le šiʿisme ainsi que plusieurs membres de sa famille et les principaux dignitaires parmi eux, dont Sālimiyūn ; une fraction d'entre eux étaient des « séparatistes » (*yaǧḏimūm*) ; c'est pourquoi le poète Ibn Ḥasan dit pour invectiver l'un d'eux :

« Si tu séparais en « ǧuḏāmite » ou si tu entrais dans la cause de ʿAli, tu ne serais pas un sālimite authentique, au sein des Sālimites » (1).

§ : 57

« Ibrahim nomma ʿAli b. Abi Ḥaǧar (2) gouverneur de Gafsa (3) et Qasṭiliya et lui faisant ses recommandations, tandis qu'il s'apprêtait à rejoindre son poste il lui dit : « adopte avec tes administrés la conduite des deux ʿUmar ». (Abu Bakr et ʿUmar)-Non, répondit-il, par Dieu je n'adopterai avec eux que la conduite ʿAli b. Abī Ṭālib, ou tu y consens ou je te rends ton acte de nomination. ʿAli était un des membres de sa famille qui étaient acquis au šiʿisme. Ibrahim lui dit : « par Dieu, c'est la conduite la plus vertueuse. Adopte-la, je ne pense pas du reste que tu puisses y parvenir ».

§ : 58

Digression sur Saḥnūn : désignation du cadi malékite par Muḥammad b. al-Aġlab pour satisfaire la *ʿammaʿ* après son conflit avec son frère Aḥ-

---

(1) Nous donnons cette traduction sous toute réserve, le passage étant obscur. L'auteur fait-il allusion à une *ʿaṣabiya yéménite*, au sein de la famille aġlabide pourtant tamimite, muḍarite . On serait tenté de le croire en sollicitant un peu trop le texte. — En fait les Sālimiyūn étaient une branche collatérale de la famille régnante, celle des partisans de Sālim b. Ġalbūn (ou al-Aġlab) b. ʿAbd Allah b. Aġlab b. Sālim b. ʿIqāl, le gouverneur du Zāb qui se souleva en 233/847 contre son cousin l'Emir Muḥammad Iè et fut exécuté avec son fils al-Azhar. — cf. *Bayān*, 109-10; *Nuwayrī*, 417; *Vonderheyden*, 201 — Quant au poète Ibn Ḥasan c'est le neveu de Sālim b. Ġalbūn; son nom comple. est AbūʿIqāl Ġalbūn b. al-Ḥasan b. Ġalbūn; de longues notices sur lui et des extraits de ses poèmes sont dans *Riyāḍ*, *427-42*; *Maʿālim*, 11.

(2) Cette famille de l'aristocratie aglabide fournit à l'Etat de hauts fonctionnaires : le père de ʿAli, Abū Ḥaǧar Gaʿfar b. Muḥammad était gouverneur de Sicile sous Ibrahim II et fut victime d'une conspiration en 264/878; son fils ʿAli dont la kunya est Abū 'l-Ḥasan (v. infra 289) fut un des trois ambassadeurs envoyés par Ziyādat Allah III auprès de l'empereur de Byzance, en 294/908; cf. *Bayān*, 117, 144; *A ʿmāl*, 475-6.

(3) Qafsa, la Capsa des Anciens, sur l'importance de cette ville au moyen âge; cf. *E I*, 11,133-4 (Gafsa); *Ya ʿqūbi*, 10/212; *Ibn Ḥawqāl*, 94; *Hadj Sadoc* 7. n.74; *Bakri*, 100-1 et passim, *Idrisi*, 103/122 et passim; *T ǧāni*, 136-9.

§ : 53

Lettre d'Ibrahim II à Mūsā b. al-ʿAbbās à Mila envoyée avec l'astrologue Ibn al-Muʿtaṣim (1); message porté par celui-ci au Dāʿi ; entrevue secrète entre eux arrangée par Mūsā et l'un des Saktān.

§ : 54

Teneur de ce massage verbal (2) : exhortation à se soumettre et à cesser toute propagande hostile au régime établi ; offres d'*amān* et de clémence en cas de soumission ; menaces en cas de refus.

§ : 55

Réponse du Dāʿī qui fait fi des menaces d'Ibrahim II et repousse ses offres avec dédain ; objectifs de sa mission définis ouvertement ; proposition faite à l'Emir de se « convertir » et de reconnaître l'autorité du Mahdi sur l'Ifriqiya.

§ : 56

Vive appréhension d'Ibrahim II, au retour de son messager ; penchant de cet Emir pour le *ʿilm al-ḥadaṯān* et les récits prophétiques (2). « Il (Ibrahim

---

(1) Il faut l'identifier à Ismāʿil b. Yūsuf al-Qayrawānī, plus connu par son surnom d'al-Ṭallāʾ, al-Munaǧǧim, cité dans *zubaydī*, 263-4 et *Qifṭi* 213-4 : il est compté parmi les grammairiens de l'école kairouanaise; C'est lui qui introduisit d'Irāq en Ifriqya l'art de la fabrication des «pommades» (les ingrédients, *al-Ṭillāʾ*) dont l'invention est attribuée à Hippocrate. Mais il s'illustra surtout auprès d'Ibrahim II par sa maîtrise de l'astrologie par laquelle cet Emir avait un fort penchant. Il l'accompagna dans son expédition en Sicile en 289/902 et lui tira un horoscope (*Ṭāliʿ*) particulièrement heureux lors de la conquête de Taormine (cf. sur la prise de cette ville infra 70). Accusé d'hérésie et d'avoir frappé de fausses monnaies, il se réfugia (sans doute sous le règne d'ʿAbd Allah II ou de son fils Ziyādat Allah III) en Espagne musulmane où l'astrologie était cultivée. Il s'attacha probablement au service des Umaiyades qui cherchaient à attirer à leur cour de Cordoue les savants kairouanais. — Sur l'astrologie chez les Musulmans v. *E I*, 1,502-5 (Astrologie par Nallino). — Pour l'Andalus de 250 à 350, cf. *Ṣāʿid*, 122-5; *Lévi Provençal*, *Espagne*,I,140,272-3. — Pour l'Ifriqya, sous les Fāṭimides qui avaient une grande prédilection pour l'astrologie considérée dans la doctrine ismaélienne comme une science ésotérique à cause de son usage prophétique et eschatologique cf. *Maǧālis*, f s 391-8, 403-6 (*ḥadīṯ fi faḍl al-niǧāma*); *Corbin*, *Qaṣīda*, 102-12.

(2) Le messager d'Ibrahim II auprès du Dāʿī n'eut à transmettre de part et d'autre qu'une communication orale; le texte de *l'Iftitāḥ* a été reproduit par Nuwayri (v. *Berbère* 11.511,n.6) sans doute après al-Raqīq; des fragments s'en retrouvent dans *Aʿmāl*[5] 445 et *Hulāṣa*, 32-3.

(2) Sur les récits prophétiques et eschatologiques du «*ilm al-ḥadaṯān*» des *malāḥim* ou du *ǧafr* cf. *E I*, III,200-1 (Malāḥim); *E I*,1,1022,3 (Djafr) *Prolégomènes*, 11,205, sqq

§ : 49

Notoriété de la cause du Dā'i qui est connu sous le surnom d'« Al-Mašriqī » l'oriental ; surnom reçu en conséquence par ceux qui adhèrent à sa *da'wa* et embrassent sa cause : al-mašāriqa ,les orientaux (1); Séduction exercée par la conduite exemplaire des fidèles sur leurs contribules qui viennent se « convertir » à la *da'wa* et retournent chez eux ou s'établissent à Ikǧān; enseignement doctrinal assuré oralement (*samā'*), par le Dā'i; hospitalité offerte aux nouveaux adeptes par les Croyants.

§ : 50

Mérites des « convertis » que distinguent parmi leurs contribules leurs bonnes actions ; accusations d'impiété, d'hérésie et d'hypocrisie lancées contre eux par les impénitents qui trouvent cette doctrine secrète contraire à l'Islam.

§ : 51

Prestige grandissant du Dā'i, inquiétudes de Mūsā b. al-'Abbās qui propose aux Saktān une confrontation entre le Dā'i et les *'ulamā* à Mila; méfiance des Saktān qui refusent en dépit de ses menaces.

§ : 52

Appréhension du souverain aġlabide Ibrahim b. Aḥmad (2) devant les succès de la propagande ši'ite ; renseignements sur le Dā'i demandés par le souverain à Mūsā b. al-'Abbās qui, dans sa réponse, en minimise le danger.

CHAPITRE VII

Mention de la lettre d'Ibrahim II à Mūsa b. al-'Abbās portée par un envoyé de sa part et de son message (verbal) au Dā'ī.

---

(1) Ces surnoms sont dūs à l'origine du Dā'i (v. infra 71); C'est pour la même raison que le ši'isme est appelé *tašrīq* et qu'il est dit de quiconque y adhère *tašarraqa* : sur ces mots v. *Dozy*,11,751,cf. *kāmil*, 127; *Berbères*,11,511; *iftitāḥ*, 77; *Bayān*,152,183,185. *Ṭabaqāt*, 223-6/317-21; *Manāqib*, f. 31; *Riyāḍ*, 419, n.3.

(2) C'est Ibrahim II, qui régna de 261/857 à 289/902; v. sur lui *E I* 2,1, 255-8, *Aġlabides*, par G. *Marçais* et *J. Schacht*; *Vonderheyden*, 217-22.

il le fit dā'i. Al-Ḥasan était un jeune homme doué de raison, de belle allure et de noble caractère, et appartenait à la société « fortunée » et aisée. Il avait accompli de bonnes actions et s'était acquis une haute réputation. Parmi les Aǧǧāna, vinrent trouver le Dā'i Abū Yūsuf Māknūm b. Ḍubāra et son neveu Tammām b. Mu'ārik, Abu-Zāki qui était encore tout jeune (1). Il les fit dā'i. Il remarqua chez Abū Zāki du dynamisme, de la vivacité d'esprit, de l'ardeur dans ses occupations, de la souplesse ainsi qu'un vif désir d'avoir ces qualités et du zèle pour les obtenir. Abū Zāki s'attacha à son service et fut son proche compagnon. L'apostolat du Dā'i devint notoire et il l'accomplissait publiquement.

§ : 47

Maladie du Dā'i (gravelle chronique, *ḥaṣāt*) ; son voyage à Mila pour prendre des bains, son séjour à l'auberge de Farǧawn, un affranchi du « maitre » (*ṣāḥib*) de cette ville, Mūsā b. Al-'Abbās ; tentative de celui-ci d'arrêter le Dā'i qui, averti à temps par Farǧawn, échappe aux poursuites (2).

§ : 48

Propagation des récits relatifs au Dā'i parmi les Kutāma qui affluent à Ikǧān ; notoriété de la doctrine prêchée par lui et tenue secrète (*'amr maktūm*); formule d'initiation devenue leur leitmotiv : « tâche d'arriver et tu trouveras la certitude » ; rapports de fraternité entre les « convertis » appelés *Iḫwān* (3).

---

(1) Les Aǧǧana, fraction des kutāma, v. *Berbères*,1,292, voisins des Ǧimla ils occupaient la région au sud-Est d'Ikǧān entre Sétif et Mila, approximativement le centre actuel de Djemila (v. *Guides Bleus* 338). — Cet oncle d'Abū Zāki cité dans *Berbères*, 11, 513 et *Bayān* 164 fut nommé gouverneur de Mila (après la conquête de cette ville par le Dā'I) puis de Tripoli, sous le règne du Mahdi. — Abū Zāki (v. la notice dans l'Introduction, 15) est cité dans *Bayān*,152,164; *Berbères*, 11,513,522; *kāmil*, 134; *itti'āẓ*, 89,85.

(2) Sur les eaux bénéfiques de Mila et ses bains, cf. *Bakri*, 133-4. — Bien qu'aucune source parmi celles que nous avons pu consulter ne mentionne cette arrestation manquée du Dā'I à Mila, le renseignement de l'*Iftitāḥ* à ce sujet est vraisemblable. — Quant au «maitre» de Mila (il ne s'agissait pas en fait d'un gouverneur de la part des Aǧlabides puisque leur autorité sur Mila, Setif et Bélezma n'était que formelle, v. supra 36), son nom complet est Mūsā b. Al-'Abbās b. 'Abd al-ṣamad; sa famille appartenant à la tribu arabe des Sulaym semble avoir fourni aux Aǧlabides sous le règne d'Ibrahim II, des commandants de valeur en Sicile; cf. *Ya'qūbī*,11,2/214; *'Amwāl*, fos 20,21 ; *Marçais*, *Berbèrie*, 45; *Berbères*, 11,511,513.

(3) Cette idée de la fraternité est bien propre à l'idéal ši'ite; on la trouve dans diverses sources ismaéliennes, cf. à ce propos, la pacte de fraternité entre les affranchis des califes fāṭimides dans *Canard*, *Vie*, 206-7, n. 451.

et de troubles au cours de laquelle ses défenseurs seront les meilleurs (des hommes) dont le nom dérive de la racine Kitmān (1).

§ : 45

Etablissement du Dā‘ī à Ikǧān qui devient le foyer de la propagande ši‘ite. « Il tenait des séances pour les entretenir de l'aspect exotérique (*ẓāhir*) des vertus de ‘Ali b. Abī Ṭālib que les prières d'Allāh soient sur lui et sur les Imāms de sa descendance, que le salut d'Allah soit sur eux. Lorsqu'il remarqucit qu'ils avaient l'un après l'autre retenu son enseignement et et au moment où il pressentait chez l'un d'entre eux une disposition à ce qu'il voulait de lui, il l'initialt alors progressivement jusqu'au moment où le voyant adhéré, il le « convertissait » en lui faisant prêter serment ».

§ : 46

«Il avait auparavant « converti » Anu'l-Qāsim al-Warfaǧǧūmi, Ḥurayṯ et Mūsā. Ḥurayṯ s'était exclamé : « Combien long fut notre voyage avec toi et pourtant nous étions loin de penser que telle était ta mission. « Hārūn b. Yūnus b. Mūsa al-Masālti qu'on appelail le « doyen des doyens », membre des Masālta (2) vint le trouver ; il le fit dā‘ī (*da'aāhu*) (3) Al-Ḥasan b. Hārūn al-Ġašamī, membre des Ǧašmān de Tāzrut (4) vint le trouver;

---

(1) Le *ḥadīt* ši‘ite remonte à l'Imām Ǧa‘far al-ṣādiq dont le *sanad* au Prophète passe généralement par Muḥammad al-Bāqir, Zayn al-‘Abidln, Ḥusayn et Ḥasan, Fāṭima et Ali, cf. *Maǧālis* fos 531 et passim, *Ga‘far*, 55-62. — Des «doutes subsistent sur l'authenticité» *d'une partie au moins* des *ḥadīs* attribués par le ši‘ite Ga‘far comme sur l'authenticité de sa recention coranique, V. sur ce point *Blachère, Coran* 1, 39 41 et n. 44, 46, 156. — Sur les *ḥadīṯs* relatifs au «Mahdi attendu», v. *Prolégomènes*, 159 sqq; —

(2) Les Masālta, fraction des kutāma, occupaient la région située à l'Ouest de la montagne d'Ikǧān, au nord de Sétif; cf. *Berbères*,1,292; *Carette*, 105-n.l. — Hārūn b. Yūnus al-Arbābl, dont le titre de «doyen des doyens» dénote un haut rang dans la société kutāmite (sur le corps des doyens v. infra 123) est cité dans *Bayān* 160; *Berbères*, 11,513 (où il faut l'identifier à Hārūn b. Yaḥya); c'est lui qui osa émettre publiquement des doutes sur l'imāmat du *Mahdi* lors du complot ourdi contre lui, (v. infra 282).

(3) Nous traduisons ainsi ce verbe car il ne s'agit pas semble t-il d'une simple adhésion mais de la désignation des premiers missionnaires choisis parmi les principales tribus kutāma, pour assister le Dā‘ī dans l'exercice de son apostolat.

(4) L'*Iftitāḥ* permet de situer Tāzrūt approximativement, entre *Ikǧān* et *Mila*, sur l'actuel djebel Bou Cherf, non loin du centre de Fedj Mzela (*v. Guides Bleus*, 344); cf. les indications dans *Carette*, 106, n.1, *Berbères*, IV, 531 (table). — Sur les Ǧašmān fraction des kutāma, v. *Berbères*, I, 292. — Al-Ḥasan b. Hārūn membre éminent des Ǧašmān qui apporta au Dā‘ī un solide soutien dans la lutte avec la coalition anti-ši‘ite est cité dans *Berbères*, 11,512; *kāmil*, 127, *itti‘āẓ*, 78.

§ : 42

Départ du Dā'ī de Sūǧmār pour le pays des Kutāma accompagné en plus des pèlerins Kutāma par al-Andalusī et al-Warfaǧǧūmī.

DEUXIEME PARTIE : § 43 à § 133

CHAPITRE VI

Récit de l'arrivée du Dā'ī au pays des Kutāma, et des commencements de son apostolat dans ce pays.

§ : 43

Arrivée du Dā'ī et de ses compagnons au pays des Kutāma le jeudi 14 Rabiʿ 1èr 280/3 juin 893 (1), querelle entre ses compagnons à propos de sa résidence qu'il choisit au Faǧǧ al-Aḫyār (vallée des Meilleurs hommes ou des Gens de bien) chez les Saktān (2).

§ : 44

Choix de ce Faǧǧ al-Aḫyār à Ikǧān (3) déterminé par un *ḥadīṯ* : « Le Mahdi émigrera loin de sa paterie, à une époque pleine de vicissitudes

---

(1) D'après les tables de concordance de Cattenoz le 14 Rabī ʿ1èr 280 tombe non pas un jeudi mais un dimanche.

(2) Les Saktān sont une fraction des Ǧīmla, une des principales tribus kutāma, cf. *Berbères*, 11, 510, 512; *Kāmil*, 127; *Itti'āẓ*, 76. — *Carette*, 104, n.1 les identifie à la tribu des «Beni-Slimans» une des plus considérables au Sud de Bougie; mais il ressort de *l'Iftitāḥ* que les Saktān résidaient beaucoup plus à l'Est, au Nord-Est de Sétif, sur le massif des Badors.

(3) La position d'Ikǧān est difficile à établir avec exactitude : *l'Iftitāḥ* permet de situer le toponyme approximativement au sommet d'un triangle dont la base est une ligne Sétif Mila, donc sur un versant du Djebel Babor ou du djebel Sidi Mimoum au Nord de l'actuelle localité de Chevreul. Il semble que le Faǧǧ al-Aḫyār soit la vallée entre les deux djebels. — Cf. les indications dans *Muqaddasi*, 7, 53; *Idrisi*, 98/115; *Berbères*, 11,511,IV,510 (table); *Carette*, ibid. — *Brunschvig*, *Berbérie*,I, 287, n.4, place Ikǧān à 1 km au nord de Chevreul; *Massignon*, *Dormants* 79-81 l'identifie à «Guidjdjel» à 12 km 500 au Sud-Est de Sétif.

§ : 38

Départ de Miṣr (1) ; itinéraire suivi à partir de Tripoli : la route principale al-Ǧādda par Qasṭīliyya (2), sans pénétrer en Ifriqya arrivée à Sūǧmār dans le territoire de Sumāta, accueil généreux réservé à Abou Sūǧmār dans le territoire de Sūmāta, accueil généreux réservé à Abū ʿAbd Allah par les éléments sumātites acquis au šiʿisme : Abū'l-Mufattiš (3), Abū'l-Qāsim al-Warfaǧǧūmī (4) et Abū ʿAbd Allah al-Andalusi (5).

§ : 39

Renseignements sur le noyau šiʿite des Sumāta.

§ : 40

Indications sur les premiers rapports entre Abū ʿAbd Allah et ces éléments Sumāta qui devinent en lui le dāʿi annoncé par al-Ḥulwānī.

§ : 41

Renseignements sur al-Andalusi à qui le Dāʿī (6) révèle ses intentions et qui prête serment.

---

(1) Sur Miṣr Fusṭāṭ, avant la fondation du Caire v.surtout *E I*, III,590-1 (Miṣr); *E I*, 1,835-46 (Caire).

(2) Les géographes désignaient ainsi l'actuel Djerid tunisien, avec chef-lieu Tūzar ou Tauzar (aujourd'hui Tozeur) et les villes de Nafta Tāqiyūs et al-Hamma; cf. *E. I*,II, 855-6 (kastiliya); Lewicki, *Langue*, 463-4, n.61; *Yaʿqūbi*, 10/212; *Ibn Ḥawqal*, 94; *Bakrī*, 102-4 et passim; *Idrīsī*, 104/121-2.

3) C'est Abū Ḥayyūn, l'ancien disciple d'al-Ḥulwānī, cité supra 29 aucune source parallèle ne le mentionne parmi les sumatites qui accueillirent Abū ʿAbd Allah.

(4) Il est cité dans *Berbères*,II,510, parmi les quatre pèlerins kutāma rencontrés à la Mecque par Abū ʿAbd Allah. — Sur les Warfaǧǧūm — Urfaǧǧūm, tribus ḫāréǧites ṣufrites du Sud de l'Ifrqya, maîtres de Kairouan de 137/755 à 141/758, vaincus par des troupes hawwarites ibaḍites de Tripoli et gagnées ainsi pour la plupart d'entre elles à l'ibaḍisme cf. *E I* 2,1,1210 (Berbères); *Berbères*,1,172,222-8; Lewicki, *Etudes*, 113. *id.*, *Répartition*, 319-26; *Cheikh Békri*, 57-9,106-7.

(5) Le même personnage est cité dans *Berbères*,II,510-1, sous le nom de «Mohammad Ibn Hamdoun Ibn Semmek». — C'est le frère (plus vraisemblablement le père de ʿAli b. Ḥamdūn qu'al-Qā'im chargea de construire Msila et qui devint gouverneur du Zāb; sur lui cette famille des banū Hamdūn d'origine yéménite émigrée en Espagne Musulmane puis à Bougie et dont les deux fils de ʿAli, Ǧaʿfar et Yaḥya jouèrent un rôle important dans l'Etat fāṭimide et aussi dans l'Etat Umaiyade,cf. *Canard*, *Vie*, 109, n. 208; *id.*, *Famille*, 33-49.

(6) Nous désignons Abū ʿAbd Allah par le «Dāʿī» à partir de son entrée au pays des kutāma et au moment où commence son apostolat.

§ : 36

Renseignements recueillis par Abū ʿAbd Allah sur les Kutāma (1) : aucune autorité du pouvoir central sur eux ; situation de leur pays à 10 journées de la capitale ; cités limitrophes ; Sêtif (2), Mila (3). Billizma (4); autorité formelle du pouvoir central sur les « maîtres » de ces cités; prépondérance des Kutāma sur eux ; pouvoir détenu exclusivement par les notables des tribus et les *ʿulamā* ; usage local fait de la dîme et de l'aumône légale ; superficie du pays ; 5 journées en longueur sur 3 journées en largeur ; ramification des Kutāma en plusieurs fractions (tribus, noyaux et clans); existence de luttes tribales ; puissance accrue par le relief accidenté du pays, l'importance de leur cavalerie et l'abondance de leur armement.

§ : 37

Arrivée d'Abū ʿAbd Allah avec les pélerins Kutāma en Egypte, terme de son voyage ; acceptation de se rendre dans leur pays pour y exercer le métier de muʿallim (5).

---

(1) Le Dāʿī obtient ces renseignements, sans dévoiler ses intentions, en simple compagnon de voyage et en causant à bâtons rompus; ses précautions s'expliquent par le caractère encore secret de sa mission; à noter la similitude entre son attitude et celle d'Ibn Hawšab au cours de son voyage vers le Yémen via la Mecque. Sur le pays des kutama, cf. *Yaʿqūbi*; 12-3/214; *Ibn Ḥawqal*, 93-6; *Berbères*,1,291-9; *Vonderheyden*, 47-9; *Brunschvig*, *Berbérie*,1,288-92.

(2) Ville d'Algérie, Saṭīf, l'antique Sififis, Distefe dans *Léon*, III,90,n.1 (v.*Lewicki*, *Langue*, 453, n.37). Les géographes soulignent son importance cf. *Yaʿqūbi*, 12/214; *Muqaddasi*, 59; *Ibn Ḥawqal*, 95; *Idrīsi*, 98/115.

(3) Aujourd'hui petite ville d'Algérie, Mila, l'antique Mileu, Mela dans *Léon*, III, 102-6. C'était pour les Aġlabides la forteresse qui commandait le pays des kutāma, cf. *Yaʿqūbi*, 11-2/214; *Muqaddasi*, 7; *Bakrī*, 132-3 *Idrīsi*, 94/110.

(4) Actuellement ksar Bellezma en Algérie (V.*Guides Bleus*, 336), Billizma ou Balzma. — Sur cette forteresse dont les «maîtres» des Arabes tamimites tenaient en respect les kutāma jusqu'à la destruction de leur *ǧund* par Ibrahim II, cf. *Bayān*, 123 ; *Yaʿqūbī*, 12/214; *Ibn Ḥawqāl*, 93; *Bakri*, 107; *Idrīsī*, 99/116. — Sur l'importance défensive de ces places fortes au 9e siècle, v. *Marçais*, *Berbérie*, 44-5.

(5) Les *duʿāt* se font passer soit pour des «précepteurs» (*muʿāllim*) ou des commerçants à cause du caractère secret de leur mission; à noter que le métier de *muʿallim* facilite la tâche du missionnaire en lui assurant le prestige de *ʿālim* auprès des gens qu'il cherche à convertir; cf. *Maǧālis*, fos 117-26, 331-47, les indications intéressantes sur la tâche des *duʿāt*, leur formation, les qualités qu'ils doivent posséder, la conduite impeccable qu'ils doivent adopter dans l'exercice de leur mission.

§ : 32

Surnom d' « al-Sayyid », donné par les Kutāma à Abū ʿAbd Allah, selon la tradition arabe courante en Orient ; sur noms d'al-Sayyid al-Ṣaġīr et d'al-Huwāri donnés à Ibrāhim qui trempa dans la *fitna* au Yémen(1).

§ : 33

Surnom, d'« al-Ṣanʿānī » reçu par Abū ʿAbd Allah parce qu'il se fit passer pour un yéménite originaire de Ṣanʿā, lors de sa rencontre avec les pèlerins Kutāma ; utilisation courante de ce surmon dans la formule de *duʿā'* récitée pour le maudire dans les prônes aġlabides (2).

CHAPITRE V

Récit de la rencontre d'Abū ʿAbd Allah avec les éléments Kutāmites à la Mecque et de son arrivée avec eux au pays des Kutāma.

§ : 34

Rencontre d'Abū ʿAbd Allah avec les pélerins Kutāmites à Minā; premier contact avec deux d'entre eux, acquis au *šiʿisme* à cause de la propagande d'al-Ḥulwāni, Ḥurayṯ al-Ǧimlī et Mūsā b. Makārim (3); conversation sur les mérites de ʿAli.

§ : 35

Départ d'Abū ʿAbd Allah pour l'Egypte avec ces pélerins qui ignorent ses véritables intentions ; attitude déférente du groupe Kutāma à son égard à cause de son vaste savoir.

---

(3) L'auteur fait allusion à la trahison de Firuz et surtout à la dissidence de ʿAli b. al-Faḍl (qu'il évoquera brièvement, cf. infra 150) et) et à la guerre entre lui et Ibn Ḥawšāb; ces événements sont racontés avec plus de détails dans *kašf*, 209-16; *Sulūk*, 168-74-cf. à ce sujet l'exposé clair et bien documenté dans *Hamdāni*, 41-8.

(1) L'auteur en expliquant ainsi l'attribution de ce surnom au dā ʿī confirme que celui-ci était originaire de koufa et non de ṣanʿa, cf. *kāmil*, 127; *Bayān*, 124, 137.

(2) La rencontre du Dāʿī avec les pélerins kutamites ne semble pas avoir été fortuite; c'est sans doute dans l'intention de se mettre en contact avec eux; qu'il accompl t le péler nage. cf. *Bèrbères*,11,510 (où sont donnés les noms de quatre kutām tes avec une orthographe douteuse); *kāmil*, bid (les mêmes noms que dans l'*Iftitāḥ* ma s avec une orthographe fautive).

il reçut plus tard l'enseignement de ses disciples et atteignit Abū ʿAbd Allah· Nous évoquerons ses rapports avec lui quand nous le citerons à l'endroit approprié si Dieu, Très Haut, le veut ».

CHAPITRE IV

Récit de l'arrivée d'Abū ʿAbd Allah, le dāʿī du Maġrib chez le chargé de la *daʿwa* au Yémen et de son départ.

§ : 30

Renseignements biographiques sur Abū ʿAbd Allah (1) : son origine, Koufa; son nom, al-Ḥusayn b. Aḥmed b. Muḥammad b. Zakariya ; maîtrise de la science du *bāṭin*; *sa connaissance non approfondie* du *ẓāhir* (2); son stage au-près d'Ibn Ḥawšab, pour se perfectionner en matière de propagande doctrinale ; destination ultime que l'Imām lui aurait prescrite, le pays des Kutāma au Maġrib ; séjour de formation pendant un an auprès d'Ibn Ḥawšab.

§ : 31

Départ d'Abū ʿAbd Allah pour la Mecque en compagnie de ʿALJ Allah b. Abi-l-Malāḥif conformément à l'usage dans les missions ; rappel de ce personnage au Yémen après un bref séjour chez les Kutāma, à cause de la maladie de sa mère ; son remplacement par Ibrāhīm b. Isḥāq al-Zabidī (3).

---

(1) V. sur lui *E I* 2,I,106-7 (Abū ʿAbd Allah Al-Shiʿi, par S.M.Stern). — cf. les indications sur son séjour au Yémen et son arrivée au Maġrib dans *Kāmil*, 127; *Berbères*,11,509-10; *Ittiʿāz*, 74-5; *Stern*, *Succession*, 234; *Hamdāni*, 38; *Mahdi*, 116-9 et passim. *Bayān*, 124-9, fournit (d'après al-Warrāq) une version divergente assez douteuse; le récit de ce chroniqueur manifestement hostile au šiʿisme est suspect.

(2) La question de l'ésotérique *bāṭin* et de l'exotérique *ẓāhir* dans la doctrine ismaélienne a été étudiée dans la plupart des travaux consacrés à l'ismaélisme; pour une vue d'ensemble, cf. *E I*, *Supp.*, 107-8 (Ismaʿiliya par Ivanow); *E I* 2,I,1131-3 (Bāṭiniya); *Ivanow*, *Notes*, 437-78; *Corbin*, *Ḥikmatayn*, 53-91; id. *Qasida*, 21-5,47-50,85-93; *kāmil Ḥusayn*, *Adab*, 3 sqq; *Mahdi*, 258 sqq.

(3) Ces faits et ces deux personnages sont cités dans *Hamdāni*, 38 (d'après *l'Iftitāḥ* et *ʿUyūn al-Aḫbār*); sur le premier d'entre eux cf. *kāmil*, 127; *Canard*, *Chambellan*, 311,n.1, sur le second v. *Bayān*, 153 où il est cité avec ses deux surnoms donnés par *l'Iftitāḥ* et sous le nom d'Ibrahim b. Muḥammad al-Yamāni; il fut désigné comme gouverneur de Tahert en association avec Dawwās b. Ṣūlat al-Lahīṣi, après, la chute Rustémides.

§ : 29

Quant au second, il était connu sous le nom d'al-Ḥulwānī (1). Il s'avança jusqu'à ce qu'il arrivât à Sūǧmār (2) où il s'établit au lieu dit al-Nāẓur (3). Il y bâtit un *masǧid*, se maria et acheta un esclave (nègre) et une esclave (négresse). Il y acquit une si grande réputation par sa piété, sa vertu et son savoir qu'il devint largement célèbre ; des gens appartenant à différentes tribus se dirigèrent vers lui et de nombreux éléments des Kutāma, (4) Nafza (5), et Sumāta (6) furent « convertis » par lui au šiʿisme; Il leur disait : « on nous a envoyés, Abù Sufyān et moi et on nous a dit : au Maġrib ! Vous foulerez une terre en friche, il faut la labourer, la retourner, la travailler jusqu'au jour où y viendra l'homme chargé de la semence. Il la trouvera travaillée et y sèmera son grain. Puis 135 ans s'écoulèrent depuis leur entrée au Maġrib jusqu'à celle de l'homme de la semence » qui est Abū ʿAbd Allah. Abū Sufyān mourut à Marmāǧanna où on reconnait encore aujourd'hui le lieu de sa tombe et de son *masǧid*. Al-Ḥulwāni lui survécut si longtemps que ses disciples purent atteindre Abū ʿAbd Allah ; il laissa une fille connue sous le nom d'Umm Mūsa et mourut à al-Nāẓūr dans la région de Sūǧmār, où se trouvent son tombeau et son *masǧid*. Il y avait parmi ceux qui connurent al-Ḥulwānī et atteignirent Abū ʿAbd Allah ,Abu Ḥayyūn, plus connu par sa *kunya* d'Abūʿl Mufattiš; encore tout jeune il reçut d'al-Ḥulwānī un enseignement élémentaire;

---

(1) Il est cité dans *kāmil*, 126-7; *ittiʿāẓ*, 53-4; *Berbères*, II, 508; *Hamdāni*, 38-9; *Mahdi*, 74-5.

(2) L'auteur situe ce toponyme dans le territoire de Sumāta (cf. infra 38) donc au Nord-Ouest du pays de Qastiliyya, cf. *Berbères*, ibid, (la note est douteuse); *kāmil*, ibid (la leçon *Sūq-Ḥumār* est mauvaise).

(3) *Ibn Ḥammād*, 31/51, 32/52, donne al-Nāzur au Nord-Est de Msila. Est-ce le même toponyme . Il s'agit plutôt d'une localité beaucoup plus à l'Est, le Sumāta étant le territoire intermédiaire entre le Zāb et le Qastiliyya.

(4) Sur les kutāma qui ont forgé la puissance de l'Etat fatimide, *l'Iftitaḥ* est actuellement la source fondamentale; cf. surtout *Ibn Ḥazm*, 461, 466; *Berbères*, I, 291-6; *Hadj-Sadok*, 13, n.154; *Brunschvig*, *Berbérie*, I,285-91 ;

(5) *Ibn Ḥawqal*, 106 les comptes parmi les tribus issues des Zanāta; cf. sur leur origine *Berbères*, I, 182; *Hadj Sadok*, 13, n.149 — *Yaʿqūbī*, 11/214 et *Bakri*, 113 les signalent aux environs de Tīǧis (donc au Nord-Est du Sumāta où al-Ḥulwānī entreprit sa propagande).

(6) Selon les indications concordantes d'*Ibn Ḥawqal*, 93 et de *Bakri*, 152 le territoire de Sumāta est au Nord-Ouest du Qastiliyya. — Les Sumāta sont une branche des Nafzaoua, cf. *Ibn Ḥazm*, 462; *Berbères*, I,230-I ; — Le toponyme est cité aussi dans *Berbères*, II,510,n.2 (la leçon «Soumāna» est fautive); *Canard*, *Chambellan*, 297,n.2.—

§ : 26

Détails sur la propagande dans la compagne égyptienne : récit du dā'i chargé de l'Egypte, Abū Muḥammad 'Abd Allah b. 'Abbās (1).

CHAPITRE III

Mention de l'infiltration ši'ite au Maġrib avant l'arrivée du Da'i (Abū 'Abd Allah) dans ce pays.

§ : 27

Arrivé au Maġrib en 145/762-3 de deux missionnaires envoyés dit-on par Ǧa'far al-Ṣādiq. (2)

§ : 28

Premier foyer de propagande dans la région de Marmāǧanna (3) avec le dā'ī Abū Sufyan (4) qui s'installe à Tālā (5) : fcrmation de noyaux ši'ites à Laribus (6) et à Nafṭa (7) ; détails sur les moyens de propagande

---

(1) C'est un yéménite de Šāwur, fraction des Hamdān. C'est lui que le Mahdi désigna pour succéder à Ibn Ḥawšab au Yémen en 302/914-15 ;il fut tué par un fils d'Ibn Ḥawšab al-Ḥasan. Sur lui et l'histoire de la *da'wa* après la mort d'Ibn Ḥawšab et d'Ibn al-Faḍl, cf. *Hamdāni*,49-51 ; *Mahdi* 236-9; *Stern, Succession*, 234 sqq; *Sulūk*, 175; *kašf*, 216-7.

(2) Le même renseignement dans *Berbères*, II,508 et *Itti'āz*,54,n.2,67n.2. Selon une autre indication les deux missionnaires ont été envoyés par Ibn Ḥawšab : cf. *kamil*,126; *Canard, Vie*, 193,n.429; *id., Chambellan*, 294 n.1; *Mahdi*, 74-5. Si on admettait cette indication, l'arrivée d'al-Ḥulwānl et d'Abū Sufyān se placerait après 268, date de l'entrée d'Ibn Ḥawšab au Yémen; elle serait ainsi trop rapprochée de celle d'Abū 'Abd Allah chez les kutāma, en 280; l'indication de *l'Iftitāḥ* qui fournit la date plus logique de 145 est donc plus vraisemblable; v. les renseignements aux 37-40 qui confirment cette déduction.

(3) C'est l'actuel «Barr-Māǧin» au Nord de Tebessa-Thala; sur Marmāǧanna cf. *Ibn Ḥawqal*, 84; *Bakri*, 113, 278; *Idrisi*, 188/137 et passim; *Muqaddasi*, 5, 19 Berbères, IV, 515 (table).

(4) Il est cité dans *Berbères*, II, 508; *Itti'āẓ*, 54, n.2; *kâmil*, 127.

(5) Seul *Idrisi*, 98/114 donne Tālā dans la région de Giǧill, mais il s'agit ici de l'actuelle Thala en Tunisie, à l'Est de Tébéssa, v. *Guides bleus* 619.

(6) Al-'Urbus, l'antique Lares ou Laribus, actuellement Lorbeus, station au Sud-Est du Kef. C'était pour l'armée aǧlabide la base principale au Nord-Ouest de Kairouan, cf. *Ibn Ḥawqal*, 86-7; *Ya'qūbi*, 10/211; *Idrisi*, 117/36-7 et passion; Bakri, 99, 114; *Muqaddasi*, 5, 19; *Lewicki, Langue*, 439, n 2.

(7) Nafṭa, l'antique Nepte, une des 4 villes du riche pays de Qastiliyya (Tūzar chef-lieu de cette province, Taqiyus, al-Ḥamma et Nafṭa). Elle fut surnommée «la petite koufa» à cause de son noyau ḥasiǧite important; cf. *E.I*, III, 962 (Nefta, par G.Marçais); *Ibn Ḥawqal*, 94; *Ya'qūbi*, ibid; *Bakri*, 102, 152-3; *Idrisi*, 105/123 et passim; *Muqaddasi*,5,67.

§ : 20

Propos divinatoires de Ǧaʿfar al-Ṣādiq (1) concernant la *daʿwa* au Yémen à al-Muḏayḫira (2) à al-Ǧanad (3) ; à Ǧayšān dont ʿAlī b. al-Faḍl et le poète Ibn Giran acquis au šiʿisme.

§ : 21

Renseignements sur les éléments šiʿites à al-Ǧanad, lors de l'arrivée d'Ibn Ḥawšab au Yémen ; aventure de ce missionnaire illustrant l'existence de ce noyau šiʿite.

§ : 22

Suite de cette aventure.

§ : 23

Autre aventure d'Ibn Ḥawšab dans la région d'al-Ǧanad, à l'époque de la guerre entre Yaʿfur et Ǧaʿfar b. Ibrāhīm (4) dynaste d'al-Muḏayḫira;

§ : 24

Suite de l'aventure : rencontre : rencontre dans une caverne entre Ibn Ḥawšab et un yéménite guidé et inspiré par le Prophète, aperçu par lui maintes fois en songe.

§ : 25

Adhésion de ce yéménite à la *daʿwa*.

---

(1) Sur l'Imāmat de Ǧaʿfar al-ṣādiq, cf. surtout *E I*,1,1021 (Djaʿfar) ; *Lewis, op. cit.*, 95-108; *Ǧaʿfar*, 64-72.

(2) La position exacte de cette forteresse n'est pas sûre; elle s'élevait probablement, dans la région montagneuse de l'oued Nahla au Sud-Ouest du ṣanʿà, cf. ʿUmāra, 37,186-7; *Yaqūt*,V,90-91; *Hamdānī*, 36-7.

(3) Cette ville est située à 6 journées au Sud de ṣanʿà,v.*Yaqūt*,II,169.

(4) Il s'agit du dynaste d'al-Muḏayḫira Ǧaʿfar b. Ibrāhīm al-Manāḫī défait et tué par ʿAlī b. al-Faḍl en 294/906; cf. ʿ*Umāra*,37,186-8; *Sulūk*, 169, *kašf*, 207-9; *Hamdānī*, 36-7.

§ : 16

Arrivée d'Ibn Ḥawšab à ʿAdan Lāʿa, grâce au renseignement obtenu auprès des Banū Mūsa ; mention d'Aḥmad b. ʿAbd Allah b. Hall qui attendait l'arrivée d'Ibn Ḥawšab au Yémen et mourut dans la prison d'Ibn Yaʿfur ; mariage d'Ibn Ḥawšab avec la fille d'Aḥmad ; désignation de son neveu, al-Hayṯam comme missionnaire au Sind (1).

§ : 17

Accession du Mahdi à l'Imāmat anoncé au Yémen ; phase active de la propagande; édification dun fort à Ǧabal Lāʿa ; succès militaires : conquête de Ṣanʿā (2) d'où sont chassés les Yaʿfurides ; envoi de missionnaires dans les pays d'al-Yamāma, d'al-Baḥrayn, du Sind, de l'Inde, d'Egypte du Maġrib.

CHAPITRE II

Quelques récits relatifs à Abū'l-Qāsim (Ibn Ḥawšab), chargé de la *daʿwa* au Yémen.

§ : 18

Signes annonciateurs de la « venue du Mahdi » (3).

§ : 19

Anecdote illustrant l'« attente du Mahdi ».

---

(1) Ces faits sont reproduits dans *Hamdānī*,32-3,38 (d'après l'*Iftitāḥ* et ʿ*Uyūn al-aḫbār* du dāʿī Idris).

(2) L'auteur néglige sciemment la part prépondérante le ʿAli b. al-Faḍl dans les conquêtes de la *daʿwa* au Yémen, sans doute à cause de sa dissidence. C'est lui qui qui prit Muḏayḫira et ṣanʿa (conquise en 293/906 et reconquise le jeudi 3 Ramadan 299/23 Avril 912); cf. *Sulūk*, 168-70; *kašf*, 207-8, 210-1; *Hamdānī*, 35-7.

(3) L'idée du Mahdi, avant l'avènement des Fatimides est fondée sur maintes traditions douteuses et s'appuie sur des «signes», des «preuves» dans des récits prophétiques et des anecdotes où la divination le songe et les données astrologiques illustrent cette «attente», cette «venue» imminente : cf. *Ivanow, Rise*, 24-9, 65-6; *Lewis, Ismailism*, 85-90; *Prolégomènes*, 158 sqq. *E I*,III,117-20 (Al-Mahdi).

grands ; le plus Docte parmi les doctes ; le plus Célèbre de tous les temps; la Lumière parfaite ; telle est la mission de cet humble serviteur de Dieu qui dans l'Océan agit de longues années dans l'espoir que son arche échappe au nauffrage et que les passager trouvent ainsi le salut » « Puis l'Imām révéla (la signification) des propos dont il a énoncé les principes et les idées qu'il a voulu exprimer et lui faisant ses recommandations il lui dit : » Si tu rencontres quelqu'un plus rompu que toi à la controverse, fais le « noyer » dans l'ésotérique », « Comment donc lui répondit-il ! » — « Tu interromps la discussion et tu lui montres que la réponse que tu veux donner recouvre un aspect ésotérique que tu ne saurais exposer ; tu te mets en garde vis-à-vis de lui en attendant d'élaborer l'argument pour le confondre. Dernières recommandations de l'Imām à Ibn Ḥawšab et son compagnon.

§ : 13

Départ d'al-Qādisiya (1) pour le Yémen ; rencontre avec des pèlerins yéménites à la Mecque ; renseignements recueillis sur la situation au Yémen et la pénitence du dynaste de Ṣanᶜaʼ Muḥammad b. Yaᶜfur (2); citation d'une *'urǧuza* relative à ce dynaste ; arrivée des deux missionnaires au Yémen au début de l'année 268-882 ; propagande secrète pendant deux années propagande au grand jour en 270/283-4.

§ : 14

Prégriations d'Ibn Ḥawšab à la recherche de ᶜAdan Lāᶜa ; rencontre de ce dāᶜī, avec les Banū Mūsā commerçants à ᶜAdcn 'Abyan acquis au šiᶜisme (3).

§ : 15

Détails sur les contacts d'Ibn Ḥawšab avec ces éléments šiᶜites.

---

(1) Sur cette ville v. *E I*,II,651-2; c'est sans doute de koufa et non de Salamiyya que les deux missionnaires sortirent pour se rendre à al-Qādisiyya et s'y joindre à la caravane des pèlerins, en route vers la Mecque, cf. *Berbères*,II,509, *Mahdi*,72; *Hamdānī*,32.

(2) Sur la dynastie des Yaᶜfurides,v. *E I*, IV,1208 (Yaᶜfur). Le règne de Muḥammad b. Yaᶜfur assassiné en 270/883 fut marqué par les débuts victorieux de la daᶜwa, cf. ᶜ*Umāra*, 38,190-1,*kašf*,205; *Hamdānī*, 34.

(3) Sur les contacts d'Ibn Ḥawšab avec les Banū Mūsa et son arrivée à ᶜAdan Lāᶜa, cf. *kāmil* 126; *Berbères*,II,509; *Iftitāḥ*,53; — cf. aussi les renseignements parallèles mais assez divergents dans *kašf*, 204-5; *Sulūk*, 166-7.

§ : 8

Désignation d'Ibn Ḥawšab comme missionnaire au Yémen.

§ : 9

Renseignements sur le compagnon d'Ibn Ḥawšab, ʿAlī b. al-Faḍl (1) : pèlerinage en 267/880-1 de ce yéménite originaire de Ǧayšān (2) et acquis au šiʿisme, puis sa visite au mausolée d'al-Husayn où il rencontre un dāʿī.

§ : 10

Détails sur la manière d'éprouver le néophyte (Ibn al-Faḍl) avant son admission dans la *daʿwa*.

§ : 11

Rencontre d'Ibn al-Faḍl avec l'imām qui l'interroge sur la situation au Yémen ; envoi d'Ibn Ḥawšab et d'Ibn al-Faḍl au Yémen ; destination indiquée par l'imām : ʿAdan Lāʿa, différente de ʿAdan ʾAbyan (3).

§ : 12

Remise à Ibn Ḥawšab d'un acte de mission (*kitāb*) contenant des principes et des symboles et qui commence ainsi : « au Nom d'Allah, le Clément et le Miséricordieux ; de la part du Père des Musulmans, le Commandeur des croyants; le Sceau des héritiers ; le Pôle des égarés; le Soleil des contemplateurs ; l'Astre de ceux qui recherchent la lumière; le Point de mire de ceux qui prient ; la Sécurité de ceux qui ont peur; la Terreur du diable maudit ; le Pilier de l'Islam ; le plus Grand parmi les

---

(1) Son nom est ʿAlī ou Muḥammad b. al-Faḍl al-Ǧadanī; sur l'entrée de ce yéménite au service de l'imām caché al-Ḥusayn b. Aḥmad à Koufa, cf. *Kāmil*, 126; *Berbères*, II,509; *Ittiʿāẓ*, 52-3; *Mahdi*, 71-3; *Hamdānī*, 30-3, cf. les renseignements divergents dans *kašf*, 201-2; *Sulūk*, 165-7, *ʿUmāra*, 38-9.

(2) Sur cette ville du Yémen v. *Yaqūt*, II,200.

(3) Sur ʿAdan Lāʿa (dans le pays de Lāʿa, au nord-ouest de Ṣanʿa) et ʿAdan ʾAbyan v. *Yaqūt*, IV, 89; cf. les précisions dans *ʿUmāra*, 39, 198-9; *kašf*, 206; *Sulūk*, 167. — L'actuelle ʾAbyan est une petite localité à environ 18km au Nord-Est de Aden, v. les indications dans *E I* 2,I,173-4 (Abyan) et 185-7 (Adan, par Lofgren).

§ : 4

Renseignements sur Ibn Ḥawšab : ses origines ; sa formation doctrinale,son appartenance antérieure à la secte des Duodécemains (1).

§ : 5

Poème prophétique d'al-Fihrī (2), annonçant l'avènement imminent du Mahdi pour l'année 296/909 (3).

§ : 6

Détails sur la rencontre fortuite d'Ibn Ḥawšab (assis sur les bords du Tigre ou de l'Euphrate et récitant la sourate *al- Kahf* (4) avec l'Imām (5) et l'un de ses compagnons.

§ : 7

Secret sur le nom et la résidence (6) de cet Imām ; entrée d'Ibn Ḥawšab à son service.

---

(1) Sur cette secte šiʿite v. *E.I*,II,599-600 (Ithna ʿAshariya).

(2) Nous n'avons pas pu l'identifier exactement; il s'agit peut-être du poète Ibn Harma, appartenant aux banū Qays b. al-Ḥāriṯ b. Fihr, contemporain de Baššār et connu pour ses tendances šiʿites, v. *Šuʿarā*, 20-I.

(3) Sur l'année fatidique annoncée par les poésies et les récits prophétiques propres à la littérature šiʿite, v. *Massignon, Dormants*, 81 (La «venue du Mahdi» était attendue pour l'année 290/902).

(4) Sur la place de la sourate *al-kahf* dans la liturgie musulmane, V. *Massignon, op. cit.*, 67-75. — Sur les Ahl al-kahf, cf. E.I,I, 485-6 (Ashab al-kahf par A.J.Wens nck), E *I*,2,I, 712 (Ashab Al-kahf par Paret).

(5) Al-Nuʿmān fait ici allusion à l'Imām caché al-Husayn b. ʾAḥmad b. ʿAbd Allah b. Muḥammad b. Ismāʿīl, cf. *Hamdānī*, 30-1 ; *Mahdi*, 45-7, 71 ; *Stern, Succession*, 233-4; *Canard, Vie*, 193, n. 429. — cf. les indications divergentes dans *Sulūk*, 165-6, 211-2, *kašf*, 202. — La question ép neuse du secret de l'Imāmat (depu s la mort d'Ismāʿīl jusqu'à l'avènement du Mahdi, la pér ode d'occultat.on *Satr*) et la théorie des imāms «visibles» et des imāms «cachés» sont l'objet de maintes opinions contradictoires; la plus récente et la plus séduisante est celle de Bernard Lewis qui s'efforce de lever l'équivoque au sujet du *nasab* des Fāṭimides et d'expliquer ainsi l'origine des contradictions relevées dans différentes sources Ismaéliennes; v. *Lewis, Ismailism*, 83-163 (surtout tableau, 162).

(6) Il s'agit de koufa, foyer de propagande (nom de Salamiyya) *Berbères*, II,509; *Kāmil*, 126; *Ittiʿāẓ*, 52; *Mahdi*, 72, *Hamdānī*, 30.

CONTENU ET ANALYSE DE L'OUVRAGE

PREMIERE PARTIE : § 1 à 42

§ : 1

Introduction de l'*Iftitāḥ* : pérennité de l'Imāmat dans la descendance du Prophète, par la grâce d'Allah...

§ : 2

Introduction (suite) : existence d'un dāʿī dans chaque « ilot » (ǧazīra 1) intention de l'auteur de raconter les phases successives de la « prédication » (*da*ʿwa) jusqu'à l'avènement du Mahdi au Maǧrib ; mention d'un livre consacré exclusivement au Mahdi, *Maʿālim al-Mahdi* (2).

CHAPITRE 1

Mentiondes commencements de la *daʿwa* au Yémen, du dāʿī qui en eut la charge et des facteurs qui l'amenèrent à accomplir sa mission.

§ : 3

Débuts de la *daʿwa* au Yémen, avec le missionnaire Ibn Ḥawšab (3).

---

(1) Il s'agit des «provinces» soumises à la propagande ismaélienne, à travers le monde musulman; leur organisation remonterait à l'Imām Ǧaʿfar al-ṣādiq ou plus sûrement à son petit fils Muhammed b. Ismāʿīl, sous le règne du calife abbasside al-Mahdi, cf. *Maǧālis*, fos 475,491 ; *Ivanow, Propaganda*; *id.*, *Rise*, 20-1,53-4,99-106; *Mahdi*, 36-40.

(2) Selon Hamdāni, 255, *Maʿālim al-Mahdi* constitue un tome du *Kitāb Šarḥ-al-ʿaḫbār* (en 4 volumes et 16 tomes) conservé à la bibliothèque al-Hamdāniya; ces indications sont puisées dans *Fihrist-Ismāʿīl* qui a servi de base à *Ivanow*, *Guide*, 37-40; *Fyzee*, *Qadi*, 15-32; *Kāmil Ḥusayn*, *Himma*, 11-2, *id.*, *Adāb*, 46-9.

(3) Son nom complet est : al-Ḥasan b. Faraǧ b. Ḥawšab b Zādān al-kūfī; surnommé «Manṣūr al-Yaman»; sur son entrée au service de l'Imām caché al-Ḥusayn b. Aḥmad et les développements de sa propagande au Yemen, cf. *kāmil*, 126; *Berbères*, II,505-6; *Ittiʿāẓ*, 52, n.4; *Canard*, *Vie* 193, n.429, *id.*, *Chambellan*, 293, n.1; *Hamdānī*, 27-49. — cf. aussi les renseignements divergents dans *Sulūk*,165-6,311-12, *Kašf*, 202-3.

Certes, toute historiographie de cour est à priori suspecte. Mais al-Nuʿmān en dépit d'une hostilité déclarée au sunnisme dont maints passages de l'*Iftitāḥ* portent la trace ne cherche pas à propos des Aġlabides à travestir la réalité et se trouve à leur égard beaucoup moins partial que ne le sont les auteurs sunnites vis à vis des Fāṭimides. Puis, s'étant déjà sous le règne du Mahdi attaché au service de cette dynastie, al-Nuʿmān donne de leur époque une image moins déformée que celle des chroniques du IVIè et VIIIè siècles altérée par le temps et la compilation (1). Le témoignage qu'il apporte, quels qu'en puissent être le caractère subjectif et la forme tendancieuse, à l'originalité d'être direct et vivant, donc relativement digne de confiance. Loin de présenter l'allure traditionnelle d'une chronique et terne, l'*Iftitāḥ* s'apparente davantage ainsi à l'histoire biographique dont il possède la fraicheur et le pittoresque. Mais al-Nuʿmān qui ne s'enferme pas dans le cadre d'un genre précis s'évertue de raconter les évènements sans partialité et de décrire avec objectivité la situation sociale et politique de l'Etat fatimide à ses débuts chez les Kutāma. Aussi son information est-elle précise, souvent appuyée par la reproduction de documents d'archives auxquels ses hautes fonctions lui permettaient d'avoir aisément accès. Les textes de ces documents qu'al Nuʿmān affirme avoir recopiés et dont nous examinons sommairement le contenu dans l'Analyse de l'ouvrage (2), n'ont rien qui puisse en contester l'authenticité. qu'il s'agisse des proclamations d'AbūʿAbd Allah et du Mahdi que le cadi avait sans doute à sa disposition dans les archives de l'Etat ou de celles de Ziyādat Allah III qui avaient pu être récupérés lors de la chute des Aġlabides, c'est leur utilisation dans l'*Iftitāḥ* qui confère à cet ouvrage sa valeur de source digne de confiance. Le recours de l'auteur à des récits de campagne, comme cette « lettre de victoire » consacrée par AbūʿAbd-Allah à l'expédition de Siǧilmāssa et adressée à Raqqāda, est de nature à attester la rigueur de de sa méthode et la véracité des faits qu'il expose. Ainsi le mérite d'Al-Nuʿmān est de contribuer à faire sortir l'époque fāṭimide en Ifriqya de la pénombre où la confinaient l'indigence et la grisaille de certaines sources sunnites.

---

(1) *L'Iftitāḥ* a servi de base non seulement aux historiographes sunnites postérieurs mais aussi aux auteurs ismaéliens : ainsi le dāʿī Idris, mort en 872/1467-8, démarque *l'Iftitāḥ* dans le volume V de son *Kitāb ʿUyūn al-ʾaḫbār*. Sur cet ouvrage encore inédit et conservé à la bibliothèque «al-Hamdāniya» à Surat, v.*Hamdānī*,4,n. I.

(2) V. dans l'Analyse les § 170-2, 228-31,262,266.

qu'aucun des auteurs précités ne mentionne du reste (1) Nous pouvons d'ores et déjà affirmer cette catégoriquement que tel fragment du *Kitāb al-Kāmil fi-l-tārīḫ* ou de *l'itti'āẓ al-ḥunafā* reproduit ou résume, tel passage correspondant de *l'Iftitāḥ* en attendant d'être un jour en mesure d'établir et de prouver que *l'Iftitāḥ* est à coup sûr l'ouvrage de base auquel doit être ramenée la version d'Ibn al-Aṯir ou de Maqrizi. Il suffirait pour le vérifier de mettre la main par un miraculeux hasard sur l'ouvrage perdu d'al-Raqīq. Responsable de la chancellerie sous les ṣanhāğa pour lesquels il accomplit aussi des missions auprès des Fāṭimides d'Egypte, al-Raqīq n'a sans doute pas manqué d'utiliser les ouvrages d'al-Nu'mān. On pourrait ainsi reconstituer le *sanad* historique relatif aux Fāṭimides d'Ifriqya depuis al-Nu'mān jusqu'à Ibn Ḫaldūn, en passant par al- Raqiq mort en 416, ibn Šaddād, mort vers 590 et ibn al-Aṯir mort 631, et expliquer aisément la parenté remarquée entre la version d'al-Nu'mān et celles des historiographes postérieurs (2). Mais si tant est l'intérêt de *l'Iftitāḥ* que vaut l'information historique de son auteur ! Al-Nu'mān n'est pas seulement le cadi et le faqih ismaélien des Fāṭimides, il est aussi comme le montre son *mağālis* l'historiographe officiel d'al-Mu'izz qui l'éclaire de ses conseils et contrôle, semble-t-il, le contenu de ses ouvrages ,notamment de ses traités de fiqh (3). Est-ce donc une historiographie « dirigée », ne devant pas porter atteinte au prestige de la dynastie de destinée à la défendre contre l'orthodoxie ? Est-elle ouvertement pro-ismaélienne et partisane, donc délibérement anti-sunnite ?

---

(1) La confrontation des développements consacrés par al-Nu'mān à l'odyssée de Ziyāda Allah III avec le récit de Nuwayri révèle une identité frappante entre les deux versions : v. à ce propos les détails dans l'Analyse § 233-42.

(2) Cf. l'opinion de S.M. Stern dans *E I*,2,I,107 (Abū'Abd Allah Al-Shi'i) et *E I* 2,I,16 (Abū Yazid). Cette opinion judicieuse est partagée par H.H. Abdul Wahhab.

(3) Sur cette collaboration entre le cadi al-Nu'mān et le calife al-Mu'izz pour l'élaboration du fiqh ismaélien, le *mağālis* apporte des renseignements précis : sur la demande des cadis, des gouverneurs et des étudiants, al-Nu'mān compose un abrégé de la doctrine des *Ahl al-Bayt* qu'il intitule *k.al-dinār* (v. fos 266); mais al-Mu'izz, ayant été consulté par le cadi, lui demande de l'intituler *k.al-iḫtiṣār li ṣaḥiḥ al'-aṯār'an-al-'aimma al-aṭhār* (v.fos 228). D'autre part lorsque le Cadi rédige les réponses aux *masāil*, il consulte également l'Imam qui contrôle le travail et souvent le corrige (v.fos 220). Quand il s'agit d'exégèse coranique selon la doctrine ismaélienne, le Cadi consulte également l'Imām qui est le seul qualifié pour faire une interprétation conforme à cette doctrine fos,55,220,277-8,281). Pour réfuter les croyances des sunnites qu'il désigne par le terme '*amma*; le Cadi se fait aider par al-Mu'izz lui même (fos 240,272,388)· Le Cadi (fos,55,220,277-8,281). Pour réfuter les croyances des sunnites qu'il désigne par le terme '*amma*; le Cadi se fait aider par al-Mu'izz lui même (fos 240,272,388). Le Cadi insiste du reste sur la grande prédilection d'al-Mu'izz pour la science (fos 38,62-3,132-3, 142,148,386,391,403,541.

de l'*Iftitāḥ* complète sur plusieurs points les développements parallèles des chroniques connues, voire en renouvellent certaines données. Ce sont, sous la plume d'al-Nuʿmān, de véritables exploits : le Dāʿī, à partir de 293/906, déploit son offensive en direction du massif montagneux de l'Aurès et conquiert l'une après l'autre les forteresses aglabides dépourvues de garnissons suffisantes, Ṭobna, Bélezma puis Tiǧis et Bāġāya, après avoir infligé à l'armée aġlabide commandée par Harūn al-Ṭubnī, une lourde défaite. Lançant ensuite les contingents Kutāma en direction de l'actuel Djerid, dans la double intention sans doute de prévenir toute éventualité d'agitation harēǧite et doccuper une région prospère (1), il prend Gafsa et Qastiliya et menace ainsi Kairouan par le Sud-Ouest. Il triomphe enfin en 296/909 à Laribus de son rival IbnʿAbi l-Aġlab et entre dans la capitale aglabide d'où le dernier souverain Ziyādat Allah III, abandonnant son trône, s'enfuit en toute hâte en direction de Tripoli, à la faveur de la nuit.

V. VALEUR DOCUMENTAIRE DE L'IFTITĀḤ

L'intérêt de l'*Iftitāḥ* ainsi défini dénote l'importance de cet ouvrage comme source fondamentale pour la connaissance de l'histoire des Fāṭimides au Maġrib et révèle la place éminente qui revient à al-Nuʿmān dans la tradition historique ifriqyienne. Il n'est plus possible en effet de porter les regards sur un aspect quelconque de l'histoire fāṭimide en Ifriqya sans consulter al-Nuʿmān. Les développements d'Ibn al-Aṯīr, la ʿcompilation d'Ibn ʿiḏāri ou de Nuwayri, la version de Maqrizi ne sont désormais utilisables que contrôlés et vérifiés à la lumière des informations fournise directemert par al-Nuʿmān. Nous nous sommes efforcés de retrouver dans ces sources postérieures les citations, des passages plus ou moins étendus, des données plus ou moins résumées de l'ouvrage d'al-Nuʿmān

---

(1) La conquête de «Bilād al-Ǧarīd» permet en effet au Dāʿi de prendre pied dans une région perméable au ḫariǧisme et de contrôler l'accès au pays des fortes communautés ibāḍites du Sud et Sud-Ouest de l'Ifriqya, sur lesquelles cf. *E.I*,I,3-4 (Abaḍites); *E I* 2, I,171-2 (Abū Zakariya, par Lewicki); *E I* 2,I,1213 (Berbères); *Lewicki*, *Textes*, 276-8, 197-200; *id.*, *Etudes*, 96-7 et passim; *Ibn Ḥawqal*, 94-5,96; *Tiǧani*, 119-20, 185-8; *Cheikh Békri*; 76-81; *Brunschvig*, *Berbères*, I, 327-30; *Vanderheyden*, 44-6. — Sur cette région riche par ses ressources naturelles et le commerce de l'or soudanais, cf. *Bakri*, 101-3; *Idrisi*, 104-5; *Tiǧānī*, 157-8, *Lombard*, 150-1. —

nissent sur l'invasion ši'ite et la chute de la dynastie des Banū-l-Aġlab des renseignements abondants et sur certains points, suffisants. L'originalité de l'*Iftitāḥ*, achevé en 346/957 est qu'il donne de ces évènement une version officielle, plus ancienne, dont il convient ,avant d'en définir la valeur, de dégager les grandes lignes.

Ayant consolidé son pouvoir dans le pays des Kutāma, Abū'Abd Allah s'attaque à la première forteresse Mila qu'il prend d'assaut en Eté 289/902. La conquête de cette ville alarme l'aġlabide Abū l-'Abbās ('Abd Allah II) qui lance aussitôt contre le Dā'i une première expédition commandée par son fils Abū Ḥawāl. Les développements consacrés par le Cadi à cette expédition vantent la stratégie utilisée par le général aglabide et mettent en valeur sa supériorité militaire : il prend Mila, détruit Tāzrūt évacué par le Dā'ī et menace Ikǧān. Mais à la suite d'un engagement favorable au Dā'i, Abū Ḥawāl bat en retraite, à une moment où la victoire semble à sa portée et regagne l'Ifriqya. Bien qu'al-Nu'mān ne s'attarde pas sur les raisons déterminantes de cette retraite, il l'explique par l'abondance exceptionnelle de la neige ; on comprend assez que les rigueurs de l'hiver dans une région aussi montagneuse que celle d'Ikǧān aient empêché Abū Ḥawāl de poursuivre son offensive.

La deuxième expédition (290/903) commandée par le même Abū Ḥawāl se solde également par un échec. Le Cadi montre, avec plus de précision cette fois, les causes de la retraite d'Abū Ḥawāl qu'il explique par la détérioration de la situation en Ifriqya. Dans une digression il raconte les graves évènements intervenus à Raqqāda et qui contraignent Abū Ḥawāl à regagner la capitale aglabide où Ziyādat Allah III, instigateur du meurtre de son père ne tarde pas à le faire exécuter à son tour.

La troisième expédition (291/904-5) commandée par Ibn Ḥabaši, un des membres les plus en vue de la famille aglabide et conseiller favori de Ziyādat Allah III, et qui eut lieu après la conquête de Sétif par le Dā'ī, se termine sur les mérites d'Abū Ḥawāl autant il met en évidence la carence d'Ibn Habaši et son ignorance fâcheuse de l'art militaire. Puis il décrit avec une complaisance non déguisée qui donne au récit sa couleur épique la campagne victorieuse d'Abū'Abd Allah dont nous examinons de plus près le déroulement dans l'Analyse de l'ouvrage. Les succès militaires du Dā'ī au cours campagne sont si minutieusement racontés que la version

pouvoir théorique. Groupes en plusieurs tribus ne reconnaissant d'autre pouvoir que celui de leurs chefs, les Kutāma jouissent à 10 journées de Raqqāda d'une autonomie complète et possèdent une puissance indéniable accentuée par le relief accidenté de l'ensemble de leur pays. Une telle situation politique et sociale propre à la vie tribale dans une région montagneuse aussi peu accessible que la Petite Kabylie actuelle, n'est pas sans être particulièrement favorable à la propagande du Dāʿī d'autant plus que les Berbères ont toujours été pour les réformateurs les soutiens les plus enthousiastes. Ainsi le pays et les hommes chez les Kutāma offrent un terrain fertile à l'action révolutionnaire du Dāʿī qu'appuient l'attrait de sa science « orientale » et le prestige du « Mahdi attendu ». Néanmoins, Abū ʿAbd Allah, en dépit des succès de sa propagande à Ikǧān, ne parvient pas d'emblée à rallier à sa cause la totalité des Kutāma : certaines tribus(1) lui apportent un soutien immédiat et énergique tandis que d'autres (2) se dressent contre lui, menées par des chefs jaloux de leur autorité. Sur cette phase mouvementée de la *daʿwa* chez les Kutāma, l'*Iftitāḥ* apporte une véritable révélation (3) Le Dāʿī doit mener à la tête de ses partisans une longue lutte indécise et parfois sanglante contre une coalition des tribus hostiles. C'est donc au prix d'une véritable *fitna* au cours de laquelle il se trouve à deux doigts de sa perte qu'il finit par soumettre à son autorité l'ensemble des tribus Kutāma. Le récit d'al-Nuʿman vivant et pittoresque décrit avec d'abondants détails les péripéties de cette lutte et permet ainsi de mesurer toute la force que confère au Dāʿī le ralliement définitif de tous les Kutāma. Racontés avec un souci évident de clarté et de précision, les évènements révèlent toute la portée de de ces premiers succès du Dāʿī et laissent apprécier le rôle prépondérant des Berbères dans l'édification de l'Etat fāṭimide.

B. L'INVASION DE L'IFRIQIYA ET LA CHUTE DES AĠLABIDES

Les chroniques connues d'Ibn Al-Aṯir, d'al-Maqrīzi ou d'Ibn ʿIḏāri, ainsi que les études générales de G. Marçais ou de Vonderheyden four-

---

(1) les détails dans l'Analyse § 45-7.

(2) V. les détails dans l'Analyse § 72-106.

(3) Cf. les versions parallèles mais résumées dans, *Bayān*, 128; *Kāmil*, 127-8; *Berbères*, II,512-3; *Itti*ʿ*āẓ*, 78.

service et deviennent les piliers du régimes berbéro-šīʿite établi à Ikǧān· parmi eux se distinguent ses deux principaux lieutenants, Abū Zākī et Ġazwiya :

Abu Zāki Tammām b. Muʿārik, un des premiers « convertis », s'attache à Abū ʿAbd Allah et s'illustre à ses côtés par son dévouement et sa bravoure. Il devient son compagnon le plus fidèle et c'est à lui que le Dāʿi confie le gouvernement de l'Ifriqya, durant l'expédition de Siǧilmāssa, en 296/909. Deux ans plus tard en 298/911 il est l'un des animateurs de complot tramé contre le Mahdi et c'est chez lui qu'ont lieu les réunions des conjurés. Le Mahdi doit l'envoyer jusqu'à Tripoli pour le faire exécuter, par son oncle , gouverneur de cette ville.

Quant à Ġazwiya b. Yūsuf, dont le nom a été arabisé par les sources sunnites en ʿArūba, il est dans l'entourage du Dāʿī l'émule d'Abū Zāki. Il se distingue par ses victoires à la tête des troupes Kutāma. Mais il trahit Abū ʿAbd Allah à l'occasion du complot et tient le Mahdi au courant des intentions des conjurés. C'est lui qui assassine le Dāʿī ,sur l'instigation du Mahdi. Il ne tarde pas du reste, à subir un sort identique à celui de sa victime, en se soulevant à son tour contre le Mahdi, à cause de l'exécution de son frère Ḥubāsa, à l'issue de sa défaite en Egypte en 302/914-15.

3è) INTERET HISTORIQUE DE L'IFTITAḤ

A. GENESE DE L'ETAT FĀṬIMIDE

L'ouvrage d'al-Nuʿmān revêt également une grande importance du point de vue de l'histoire politique et sociale de l'Ifriqya, à l'avènement des Faṭimides. Surtout il est actuellement l'unique document à exposer d'une manière exhaustive (1) les conditions historiques de l'implantation de l'ismaélisme chez les Kutāma. Les commencements de la prédication ismaélienne *daʿwa* ont lieu dans une région où les Aǧlabides n'excercent qu'un

(1) Cf. les versions parallèles dans *Bayān*, 133-52; *Kāmil*, 127-32; *Itti'āz* 74-93, *Berbères*, II,506-14; cette affirmation est fondée sur une confrontation du texte de *l'Iftitāḥ* avec ceux des sources précitées.

document d'archive (une lettre de victoire) adresseée par Abū ͑Abd Allāh de Siǧilmāssa à Raqqāda. Cependant, les renseignements de l'*Iftitāḥ* sont à ce propos ,malheureusement insuffisants : on aurait souhaité en savoir davantage que ne le permet la *Sīra Ǧa͑far*, sur les raisons qui incitèrent le Mahdi à choisir Siǧilmāssa, pour y chercher refuge en attendant la victoire définitive d'Abū ͑Abd Allah. Cette grande cité magribine que l'oriental Ibn Ḥawqal élève au même rang que Kairouan, l'attirait-t-elle par sa prospérité et l'urbanité de sa bourgeoisie commençante vantées par le célèbre géographe ? Y-avait il des partisans dévoués parmi la colonie irakienne signalée par le même auteur (1) ? Se sentat-il, plus en sécurité, en allant aussi loin de la capitale aglabide et aussi près d'un pays qu'avait marqué l'influence des Idrissides (2) ? Ce choix était-il avant tout en rapport avec l'importance économique de Siǧilmāssa, centre caravanier enrichi par le commerce de l'or soudanais (3) ? En fait, d'autres points que le choix de Siǧilmāssa sont laissés dans l'ombre. Mais les informations de l'*Iftitāḥ*, parallèles à celles de la *Sīrat Ǧa͑far* ou des sources historiques sunnites, n'en sont pas moins intéressantes pour une meilleure connaissance de la personnalité du Mahdi.

C. AUTRES RENSEIGNEMENTS BIOGRAPHIQUES

L'*Iftitāḥ* fournit sur certains Emirs aġlabides, tel Ziyādat Allah III et sur quelques personnages qui ont exercé les plus hautes fonctions civiles et militaires dans l'Etat aġlabide d'utiles renseignements qui enrichissent les informations recueillies dans les sources sunnites. Mais l'un des avantages de l'*Iftitāḥ* est de mettre en relief des personnages sur lesquels l'historiographie sunnite donne à peine quelques détails et qui pourtant jouèrent autour du Dā͑i un rôle de premier plan. Ce sont des Kutāmites qui, acquis très tôt à la nouvelle doctrine prêchée par le Dā͑i, se distinguent à son

---

(1) V. *Ibn Ḥawqal*,61,91,99,cf., à ce propos les remarques et l'hypothèse séduisantes dans *Canard*, *Chambellan*, 296-7, n.3.

(2) V. *Maǧālis* fos 497-9, où l'auteur évoque la captivité à Manṣūriya des Princes Idrissides faits prisonniers par Ǧawhar lors de sa campagne victorieuse au Maġrib occidental en 958; al-Nu͑mān souligne le traitement favorable que leur réserve al-Mu͑izz et rapporte des propos de l'Imām ayant trait à la parenté des Idrissides avec les Fatimides.

(3) Sur l'or de Sigilmassa et la richesse de cette cité, cf. *Ya͑qūbī* 21/225; *Iṣṭaḫari*, 39; *Bakri*, 282-90; *Idrisi*, 60-1; *Muqaddasi*, 29; *Levi-Provençal*; *Espagne*, III,253,259; *Lombard*,151.

l'*Iftitāḥ*, comment un tel choix fut déterminé surtout par la fortune grandissante du Dā'i, les développements victorieux de l'insurrection Ši'ite à l'Ouest de l'Ifriqya et l'inestimable soutien qu'apportaient à la cause des Fatimides les puissantes tribus Kutāma. On voit mieux ainsi les raisons qui incitèrent le Mahdi à éviter de se rendre au Yémen, après'sa fuite précipitée de Salamiyya vers l'Egypte, en 289-902, peu de temps avant la prise de cette ville par le « Qarmate » Ibn Zikrawayh. En effet la *da'wa* qui était partagée au Yémen entre Ibn Ḥawšab et le yéménite Ibn al-Faḍl et se trouvait compromise par l'attitude traîtresse de ce dernier et du *dā'ī* en chef Firūz (1), n'avait pas dans ce pays autant de fortune que dans celui des Kutāma : le Yémen, politiquement et socialement, peut-être même économiquement ,n'offrait pas aux ambitions du Mahdi autant d'avantages que le Magrib. D'autre part la volte-face du Mahdi qui, à Qastīliyya renonce à rejoindre Abū'Abd Allah chez les Kutāma et se dirige vers Siğilmāssa est dans l'*Iftitāḥ* reliée plus nettement que dans la *Sīra* à l'arrestation à Kairouan du frère du Dā'i, Abū'l-'Abbās, que le Mahdi après son arrivée à Tripoli avait envoyé sans doute en mission d'espionnage. Bien que n'ayant pas fait des aveux, Abū'l-'Abbās fut jeté en prison à Raqqāda. C'est pour ne pas l'exposer à la mort, affirme al-Nu'mān que le Mahdi au lieu d'aller à Ikğān comme prévu, se rendit à Siğilmāssa. Mais l'*Iftitāḥ* permet surtout de penser que cette volte-face de l'Imām fut déterminée par des raisons politiques · en effet la puissance militaire des Aġlabides, bien que sérieusement entamée, était encore considérable et l'arrivée du Mahdi en Ifriqya coincidait avec la rentrée en campagne de l'armée aġlabide sous le commandement d'Ibn Ḥabašī, au début de l'automne de l'année 291/904. On comprend mieux ainsi que l'Imām ait préféré ne pas gagner Ikğān dans des conditions aussi peu, favorables.

En outre de légères différences apparaissent entre la version de la *Sīra* et celle de *l'Iftitāḥ*,à propos du séjour du Mahdi à Siğilmāssa et de sa et de sa libération par Abū 'Abd Allāh, certains n'étant pas racontés de la même manière par l'une et l'autre source. Bien que Ğa'far ait été un témoin oculaire des évènement il se peut que le rédacteur de la *Sīra* ait quelque peu altéré les faits· al-Nu'mān, en revanche utilise dans l'*Iftitāḥ* un

---

(1) Cf. à ce sujet les opinions et les arguments différents dans, *Canard Chambellan*, 294-n2; *Hamdāni*, 41-8; *Mahdi*, 332-6 — Pour les détails v. analyse, §. 150-1.

de régner sans gouverner et de le laisser ainsi exercer le pouvoir en son nom. Al-Nuʿmān montre d'une manière détaillée comment le Mahdi, mis au courant des intentions des conjurés, exploite leurs hésitations et fait échouer la conspiration. Désignant nommément les assassins du Dāʿī et de son frère, il se garde d'incriminer l'Imām, mais laisse entendre qu'il fut l'instigateur de ce double meurtre. Al-Nuʿmān jette toute la responsabilité dans cette conjuration sur Abū 'l-ʿAbbās que le Mahdi maudit et couvre d'opproche. Il s'évertue en revanche de ne pas ternir la mémoire du Dāʿī dont le Mahdi ne manque pas du reste de reconnaître le mérite ni d'évoquer élogieusement le souvenir (1).

B. BIOGRAPHIE DU MAHDI

N'ayant pas à traiter particulièrement de la vie du Mahdi, al-Nuʿmān n'en donne dans *l'Iftitāḥ* qu'un aperçu sommaire et ne consacre que quelques feuillets à son émigration et à sa captivité à Sigilmāssa. Mais s'il retrace brièvement les étapes successives de cette émigration, les renseignements qu'il fournit n'en sont pas moins importants : ils permettent en effet de confirmer ou de vérifier les données de la *Sīrat Ǧaʿfar al-Ḥāǧib* (2) dont la version plus détaillée est beaucoup p us étoffée que celle de *l'Iftitāḥ*. L'intérêt du récit d'al-Nuʿmān consiste à préciser historiquement certains points sur lesquels la *Sīra* de Ǧaʿfar, source surtout anectique n'apporte pas une clarté suffisante : on comprend mieux en plaçant, grâce à *l'iftitāḥ*, l'émigration du Mahdi dans un contexte historique donné, marqué à l'aube du 10e. siècle par les succès de la Prédication ismaélienne chez les Kutāma, comment l'Imām put choisir de fonder l'anti-califat fāṭimide, non pas en Orient où i fallait faire front en même temps à la puissance abbasside et au danger qarmate, mais en Occident où le régime chancelant des Aġla bides offrait un terrain plus propice (3). On comprend mieux, grâce à

---

(1) *Mahdi*, 263-9 : l'opinion et les arguments avancés dans cet ouvrage inégal, à propos du rôle joué par le Dāʿī dans ce complot sont discutables. A noter qu'al-Nuʿmān en jetant la responsabilité sur Abu'l-ʿAbbās se conforme au jugement porté sur cette affaire par le calife al-Muʿizz lui-même, v. *Muʿzz*, 331-2.

(2) *Ivanow, Sīrat-Ǧaʿfar, id, Rise*, 184-223; *Canard, Chambellan*, 279-329. — cf. *Gateau*, 275-96.

(3) Sur l'invasion de la Syrie par les Qarmattes d'Ibn Zikrawayh et les rapports encore obscurs entre ce mouvement — étranger, semble-t-il au qarmatisme d'al Bahrayn, et le centre de la *daʿwa* ismaélienne à Salamiyya, cf. *Ivanow, Rise*, 67-94; *Lewis, Ismailism*, 167-87, *Mahdi* 92-111; *Canard, Chambellan*, 285-,n 1. — Sur les Qarmates en général, cf. *E.I.*, II, 813-8 (Karmates, par L.Massignon); *de Doeje, Mémoire*.

attitude loyale et bienveillante (1); sa conduite impeccable, sa modestie son abstinence forcent l'estime des Kairouanais et rehaussent son prestige. Il procède ainsi dans le calme et la sécurité à la réorganisation de l'administration et à l'aménagement des institutions (2) du nouvel Etat. Avec la même foi inébranlable, le même dévouement profond qui avaient nourri sa prédication à Ikǧān, il mène sa mission à bonne fin, en allant à Siǧilmāssa délivrer le Mahdi et lui remettre le pouvoir qu'il avait conquis en son nom.

Un point demeuré obscur dans les sources sunnites et sur lequel *l'Iftitāḥ* jette une vive lumière est l'exécution d'Abū ʿAbd Allah (3). Al-Nuʿmān donne des renseignements précis sur les véritables causes de la disgrâce du Dāʿi et sur la trame du complot fomenté contre le Mahdi deux ans à peine après son avènement : il indique les noms de conjurés, les mobiles de leur action subversive, le lieu de leurs réunions clandestines, les mesures prises par le Mahdi pour déjouer la conspiration. C'est le frère du Dāʿi, abū l-ʿAbbās qui est à l'origine et à la tête du complot; fort de l'ascendant qu'il exerce sur un frère plus jeune que lui et de la maîtrise qu'il possède de la doctrine ismaélienne et dont il fait preuve au cours des contre verses qui l'opposent aux juristes de Kairouan (4), Abū 'l-ʿAbbās est associé à l'exercice du pouvoir jusqu'à l'arrivée du Mahdi à Raqqāda. Personnage ambitieux, il conçoit un vif ressentiment lorsque le Mahdi, n'entendant partager son autorité avec personne, prend lui-même en mains les responsabilités de l'Etat. Il parvient à dresser contre l'Imām certains chefs berbères qui osent émettre publiquement des soupçons sur son impeccabilité et même sur l'authenticité de son imāmat. Abū ʿAbd Allah finit par céder à l'incitation de son frère et demande ouvertement au Mahdi

---

(1) Les données de *l'Iftitāḥ* relatives à l'attitude favorable des faqihs Kairouanais à l'égard du Dāʿī ne concordent pas avec les renseignements parallèles des sources sunnites où sont évoquées les persécutions des juristes attachés au malékisme; cf. *Bayān*, 149-51; Ṭabaqāt 310-1, 324-7; *H.R. Idris*, IX, 145-52 et X, 72-88.

(2) V. les détails dans l'Analyse, § 223-5.

(3) Sur le complot et l'éxécution du Dāʿī, les renseignements sont abondants dans *Bayān*, 164-5; *Ittiʿāẓ*, 94-6; *Kāmil*, 134-5, *Berbères*, II, 521-3. Mais les données de *l'Iftitāḥ* sont plus précises et plus complètes sur certains points de détail. A noter la parenté entre le texte de *l'Iftitāḥ* et celui de *Ittiʿāẓ* par exemple, ce qui laisse penser que l'ouvrage d'Al-Nuʿmān a servi de point de départ à la tradition historique relative aux Fāṭimides

(4) Sur ces controverses, cf. *Ṭabaqāt*, 287-307; *Idris*, IX. 148-50; *Maǧālis* fos 508-9.

et d'un commerce agréable, il réussit à forcer l'admiration des pèlerins kutāma séduits par sa bonne parole et son vaste savoir. C'est surtout grâce à sa conduite exemplaire, toute de piété et d'austérité que le Dāʿi parvient à mettre en honneur, à Ikǧān, les principes d'une éthique sévère et à s'ériger en chef de la communauté berbéro-šiʿite. Avec adresse et ténacité, il finit par soumettre à son autorité l'ensemble des tribus kutāma s'entourant de compagnons, pleins de zèle et entièrement dévoués à sa cause. Préconisant une politique judicieuse, il prend le soin avant d'affronter les armées aglabides, de doter la jeune communauté de structures appropriées à la tâche insurrectionnelle qu'elle doit entreprendre : la réorganisation politico-sociale (1) qui répartit les kutāma en sept subdivisions *asbāʿ* (2) constituées en formations militaires, la mise en place pour l'exercice du pouvoir d'un corps de chefs responsables *muqaddam*, de doyens *mašā'iḫ* et de missionnaires *duʿāt*, sont autant de mesures prises pour renforcer le régime établi à Ikǧān. Ces mêmes qualités d'habilité et de clairvoyance assurent à Abū ʿAbd Allah devenu le maître redouté de tout le pays berbère, de la Petite kabylie et de l'Aurès, d'importants succès militaires. Mettant au point une prudente stratégie, il réalise en trois phases successives la conquête de l'Ifriqya : d'abord, tacticien averti, il ménage ses forces retranchées dans la région montagneuse d'Ikǧān et observant ainsi une attitude défensive il oppose une résistance victorieuse aux premières offensives aglabides. Puis, opérant à partir d'Ikǧān et de ses environs, il désorganise la ligne de défense de l'Ifriqya et enlève l'une après l'autre les forteresses qui à l'Ouest de Kairouan, formant une sorte de bouclier en arc de cercle (3). Enfin, ayant sérieusement entamé la puissance militaire des Aġlabides, il lance une grande offensive qui le mène aux portes de Raqqāda, en 296-/909.

Sa politique souple et sage déjà éprouvée durant les premières années de son apostolat à Ikǧān, lui vaut de la part des Faqihs de Kairouan une

---

(1) V. les détails dans l'Analyse, § 123-5.

(2) Il convient de rapprocher cet emploi du nombre sept de la signification particulière qu'il possède dans la croyance ismaélienne et qui trouve son origine dans leur théorie fondamentale du septième imām Ismāʿīl. Sur le problème complexe de l'*imāmat* d'Ismāʿīl b. Ǧaʿfar al-Ṣādiq et de ses successeurs, cf. *E.I*, Supp., 103-9 (Ismailiya par Ivanow); *Ivanow*, *Rise*, 133,153-5,233-6; *Massignon*, *Salmān*, 9-10. *Mamour*, 40- 92-100. — Cf. surtout les idées et les arguments particulièrement intéressants dans, *Lewis*, *Ismailism*, 83-116.

(3) *Mila*, *Sétif*, *Bélezma*, *Baġāya*, *Ṭobna*, *Tebessa*...

mieux en relief la richesse morale d'Ikğān qu'il se complaît à flétrir la corruption et la licence des cités aġlabides. Tandis qu'il exalte la droiture, l'abnégation et la piété du Dā^ci et de ses compagnons, il dénonce les turpitudes de Ziyādat Allāh, sa débauche et ses crimes. La dévotion et le zèle moral à Ikğān sont tels que des femmes dont l'auteur vante les qualités et les mérites peuvent accéder au premier rang des partisans d'Abū ᶜAbd Allah et devenir missionnaires. En ternissant la mémoire de Ziyādat Allah et des autres Emirs aġlabides al-Nuᶜmān cherche à avilir également leurs suzerains, les califes Abbassides et à faire ainsi le procès de la société sunnite. Achevé sous le règne glorieux d'al-Muᶜizz, en 346/957, *l'Iftitāḥ* en présentant l'apologie du šiᶜisme triomphant, met en évidence la faillite du sunnisme, non seulement dans l'Ifriqya conquise, mais aussi en Orient d'où il restait à chasser les Abbassides usurpateurs. L'ouvrage d'al-Nuᶜmān permet aussi en exposant les succès de la *daᶜwa* ismaélienne chez les kutāma de mieux connaitre un tournant décisif dans la lutte séculaire entre le šiᶜisme et le sunnisme.

2è) Intérét biographique

A. BIOGRAPHIE DU DĀᶜĪ ABŪᶜABD ALLAH

Abūᶜ Abd Allah tel qu'il est présenté par les sources sunnites fait figure d'un personnage sans relief, ou même d'un simple comparse : réduit au rang médiocre d'exécutant à la solde du Mahdi, il eut, tel Abū Muslim al-Ḫurāṣāni, la triste fin du serviteur devenu encombrant après l'accomplissement de sa mission politique.

Mais dans *l'Iftitāḥ*, al-Nuᶜmān fait du Dāᶜi un portrait élogieux, presque brillant. Abū ᶜAbd Allah apparait au fil du récit comme l'artisan de la victoire du šiᶜisme en Ifriqya, le véritable fondateur de la dynastie fatimide. La narration est si riche de détails, si animée qu'il est possible en suivant le Dāᶜī, tout au long des différentes phases de son apostolat, de dégager les traits marquants de sa personnalité. Ses origines, sa formation doctrinale ainsi que son stage effectué auprès du missionnaire Ibn Ḥawšab, le prédisposent à assumer convenablement la charge qui lui incombe au Maġrib. Les débuts de sa prédication révèlent ses qualités de missionnaire rompu à sa tâche : patient et discret, d'allure modeste

Quant au pays des kutāma en Ifriqya, il se révéla un terrain plus propice au triomphe de la doctrine ismaélienne. L'importance documentaire de *l'Iftitāḥ* réside dans l'exposé riche et circonstancié qu'il donne de cette *da'wa* chez les Berbères de la Petite kabylie. C'est en 280/893 (1) que le Dā'ī atteignit le pays des kutāma; il s'établit chez les banū Saktān au *faǧǧ al-Aḥyār* à Ikǧān qui devint quelques années plus tard après l'échec de la première expédition aglabide, à la fin de l'année 289/902 le *Dār al-Hiǧra* des adeptes du ši'isme (2). Les kutāma attirés par les promesses d'une réforme religieuse et sociale ainsi que par le prestige du «Mahdi attendu» accueillirent avec enthousiasme la doctrine prêchée par le Dā'ī. Mais si certaines tribus furent séduites par l'idéal de justice et d'égalité propre à la propagande ši'ite, d'autres durent se soumettre au terme de combats favorables aux partisans du Dā'ī. Cependant une quinzaine d'années suffit à Abū 'Abd Allah pour former chez les kutāma l'embryon d'un Etat berbéro-ši'ite qu'il dota d'une puissance telle que la dynastie des Aġlabides tenta en vain d'y résister.

Sur cette doctrine religieuse telle qu'elle fut adoptée par les kutāma *l'Iftitāḥ* fournit d'utiles renseignements; les adeptes devant la tenir secrète *amr maktūm*, al-Nu'mān en souligna la méthode initiatique et le caractère ésotérique (3). Il s'étend surtout sur l'effet moral qu'elle produisit sur les fidèles, grâce à une application rigoureuse de l'éthique ismaélienne fondée sur la justice et la fraternité. De longs développements dépeignent la vie morale des Berbères, austère et nourrie de piété et de l'observance rigoureuse de la loi religieuse. Parée des vertus de l'Islam tel qu'il fut à l'époque du Prophète, la communauté berbéro-ismaélienne des kutāma contraste avec la société aglabide-sunnite, minée par le relâchement des moeurs et le désordre d'une vie facile et immorale. Al-Nu'mān met d'autant

---

(1) C'est la date donnée dans *l'Iftitāḥ* (v. Analyse, 43) notée par Stern *EI* 2,I,106-7 (Abū 'Abd Allāh Al-Shi'i) et confirmée dans *kāmil*, 127, *Bayān*, 124; elle est plus exacte que la date de 288/901 données dans *itti'āẓ*, 76; *Berbères*, II, 511, n.1. Celle-ci est manifestement rapprochée de la chute des Aġlabides en 296-909.

(2) Sur ce choix de Faǧǧ al-Aḥyār pour y fonder le *Dār al-Hiǧra*, cf. *Massignon*, *Dormants*, 81, n.2; *Vonderheyden*, 288, *Mahdi*, 116-7; *Hamdānī* 39. A noter que ce choix «du lieu des meilleurs hommes» est déterminé par une prédication propre à la tradition ismaélienne.

(3) La plupart des travaux consacrés à l'Ismaélisme, surtout ceux d'Ivanow, Bernard Lewis, Fyzee, Stern, Kāmil Ḥusayn, Hamdāni..., mettent en relief le caractère ésotérique de la connaissance ismaélienne; cf. le récit de Ǧawdar, représentant l'Imām comme voyant par la lumière d'Allah, dans *Canard*, *Vie*, 44-7,n.7.

2è partie : § 43 — 133

L'établissement du Dā'ī à Ikǧān; la formation de la communauté berbérošī'ite des Kutāma.

3è partie : § 134 — 218

L'invasion šī'ite; la victoire du Dā'ī et la chute des Aġlabides.

4è partie : § 219 — 305

L'avènement des Fāṭimides et le règne du Mahdī. Aperçu général jusqu'à 346./957.

IV. IMPORTANCE DOCUMENTAIRE DE L'IFTITĀḤ

1è) Intérét religieux

Le titre *'iftitāḥ al-da'wa* caractérise nettement l'intérêt et le contenu de l'ouvrage. Ce document raconte en effet les phases successives de la Prédication ismaélienne devenue active et publique depuis son commencement au Yémen (1), jusqu'à l'avènement du Mahdī en Ifriqya. Les longs développements consacrés par l'auteur à l'implantation de l'ismaélisme au Yémen décrivent les efforts accomplis par le missionnaire Ibn Ḥawšab pour l'y propager publiquement à partir de 270/883. Le récit des évènements émaillé d'abondants détails biographiques et de renseignements sur les aspects caractéristiques de la *da'wa* retrace la formation dans ce pays d'un foyer de propagande et l'organisation d'un vaste réseau de pénétration ismaélienne en Inde, au Sind, en Egypte et au Maġrib. *L'Iftitāḥ* en exposant les conditions historiques et sociales dans lesquelles l'ismaélisme s'est implanté au Yémen permet surtout de mieux comprendre comment la *da'wa* ne put aboutir à la fondation dans ce pays d'un Etat assez solide pour pouvoir s'opposer victorieusement à la dynastie abbasside.

---

(1) Cf. à ce sujet, *Lewis*, *Ismailism*, 77-82, 164-5; *Mahdi*, 112-6; *Hamdānī* 27-48; *Stern*, *Succession*, 232-3. — Sur la propagande fatimide en général, cf. *Ivanow*, *Propaganda*; *Canard*, *Impérialisme*; *Maǧālis*, fos 475-491 (où l'auteur donne des renseignements importants sur l'organisation de cette propagande, à travers le monde musulman divisé en «îlots» (ǧuzur).

Copie A

La première copie ainsi désignée et dont nous avons obtenu un fac-similé à «Dār al-Kutub al-miṣriya», est conservée à la bibliothèque «al-hamdāniya». C'est une copie relativement récente écrite en l'an 1315; elle comprend 281 folios; il y a 16 lignes par page et l'encre utilisée est noire. L'écriture un *masḫī* bien clair est très rarement illisible; fait avec soin évident cette copie ne comporte pas de fautes graves.

Copie B

La seconde ainsi désignée appartient à M.Massignon. C'est une copie établie d'après un original indou de date plus récente encore (1350). Elle est si remplie de fautes qu'elle est en bonne partie inutilisable. Le copiste à l'écriture élémentaire et négligée possède une connaissance de la langue arabe manifestement insuffisante. Nous avons pratiquement établi le texte d'après la copie A. La copie B étant défectueuse, nous a servi uniquement à vérifier ou à confirmer notre lecture. Nous avons pris soin, néanmoins, de noter les variantes, sauf aux endroits où les fautes du copiste de B, ont rendu cela inutile.

III. — PLAN DE L'OUVRAGE

L'ouvrage contient 42 chapitres de longueur inégale dont les titres commencent invariablement par le mot *ḏikr* (récit de, ou mention de). Nous avons respecté ce découpage original. Mais il nous a été possible compte tenu de la structure de l'ouvrage de le diviser en 4 grandes parties qui englobent la totalité des 42 chapitres distingués par l'auteur. Nous avons en outre divisé le texte en 305 paragraphes plus ou moins longs qui rendent la lecture et l'analyse plus commodes.

1è partie : § 1 — 42

Les commencements de la Prédication Ismaélienne *da'wa* au Yémen (avec Ibn Ḥawšab et Ibn al-Faḍl) et au Maġrib (avec al-Ḥulwānī et Abū Sufyān); Le séjour du Dā'ī Abū 'Abd Allah au Yémen et son arrivée au Maġrib.

Ces éléments complémentaires de la biographie d'al-Nuʿmān, bien que sommairement exposés, mettent en relief son mérite dans la diffusion de l'ismaélisme dans un pays où il put enfin triompher de l'orthodoxie. Son mérite est plus manifeste encore à la lecture de ses ouvrages dont la publication rend possible, grâce à l'accès à des sources directes appropriées, une connaissance objective de la théologie ismaélienne. L'étude comparée de telles sources et des chroniques et biographies sunnites connues, en permettant de corriger certaines affirmations tendancieuses de l'orthodoxie destinées à tenir l'ismaélisme, éclaire d'un jour nouveau cette doctrine et aide à en apprécier le rayonnement et à mieux comprendre la portée historique de son implantation en Ifriqya. La publication des ouvrages encore inédits (1) du cadi al-Nuʿmān fournira sans doute d'heureux détails propres à compléter sa biographie et à l'enrichir d'éléments nouveaux. Une telle publication présente un intérêt d'autant plus grand qu'elle procurera aux chercheurs de précieux documents nécessaires à une meilleure connaissance de l'histoire de l'Ifriqya.

II. — PRESENTATION DU KITĀB ʾIFTITĀḤ AL-DAʿWA (2)

L'*Iftitāḥ* est l'un des nombreux ouvrages d'al-Nuʿmān qui sont conservés à l'état de manuscrits dans les bibliothèques privées (3) des communautés ismaéliennes au Yémen et en Inde. Depuis quelques années, des chercheurs avertis dont certains appartiennent à la branche ismaélienne des Bohra, ont pu avoir accès à ces collections privées et entre-prendre la publication de certains manuscrits. L'*Iftitāḥ* ainsi découvert en Inde semble exister en plusieurs copies détenues par des spécialistes de l'ismaélisme. Mais nous n'avons pu nous fonder que sur les deux copies suivantes :

---

(1) Cf. les précisions dans *waḥīd Mirza*, op. cit., XXXI; *kāmil Ḥusayn, Adab*, 46-7, *Hamdānī* 255.

(2) Le titre complet de l'ouvrage est *Iftitāḥ al-Daʿwa wa-ibtidāʾ al-dawla* — il est aussi cité sous la forme courante dans les ouvrages ismaéliens, d'*Iftitāḥ al-daʿwa al-ẓāhira*, v. *Hamdānī*, 5.

(3) Parmi ces collections privées celle de la famille «Hamdānī» à Surat est particulièrement riche; cf. sur cette collection les renseignements dans *Kraus*, 485; *Hamdānī*, 2-7, 251-62.

le règne du Mahdi. C'est le calife al-Qā'im qui, vers la fin de son règne, le nomma cadi de Tripoli. Le calife al-Manṣūr, après avoir défait Abū Yazīd et fondé al-Manṣūriya lui confia l'importante charge de cadi en chef de la Communauté : *Qāḍī-al-quḍāt*. Nous sommes renseignés à ce propos par al-Nu'mān qui décrit lui-même les conditions de son investiture (1) :

«Al-Nu'mān, aussitôt arrivé à al-Manṣūriya, le calife l'investit solennellement, un jour de vendredi; il lui offrit des vêtements d'honneur tissés dans les manufactures royales et lui donna ordre de se rendre sur le champ à Kairouan, al-Manṣūriya n'ayant pas alors de mosquée pour diriger la prière de vendredi à la mosquée cathédrale *al-masǧid al-ǧāmi'* et y prononcer la prêche (la *ḫuṭba*). Al-*manṣūr* le fit escorter par des officiers de la garde qui, sabre au clair, lui tinrent compagnie tout au long du trajet aller et retour. Quelques jours plus tard, le calife adresse une prescription écrite (*tawqī'*) au service de la chancellerie où un rescrit de nomination (*'ahd*) fut établi pour nommer al-Nu'mān *Qāḍī* d'al-Manṣūriya, de Kairouan de Mahdiya, des autres villes et provinces de l'Ifriqya».

L'inventaire des ouvrages (2) composés par al-Nu'mān et sur ou la lecture de ses *Maǧālis* mettent en évidence le rang élevé qu'il occupai sous le règne d'al-Mu'izz. L'exercice de sa charge de *Qāḍī al-quḍāt* le destinait à remplir, auprès de l'Imām, le rôle de théoricien de l'Ismaélisme. En effet, al-Nu'mān contribua largement à l'élaboration du fiqh ismaélien, à la lumière de la doctrine des Imāms impeccables et surtout en collaboration étroite avec al-Mu'izz lui-même. On remarque dans ses *Maǧālis* le zèle et l'effort qu'il déploya à codifier le fiqh ismaélien et à le vulgariser par un enseignement public (*durūs al-ḥikma*) de la doctrine des Imāms (3).

---

1) *Maǧālis*, fos 203-13.

(2) V. cet inventaire établi d'après «fihrist Ismā 'il», dans *Ivanow*, *Guide* 37-40, *cf.kraus*, 483-90; *Fyzee*, *Qaḍi*, 15 sqq; *kāmil Ḥusayn*, *Himma*, 11-2; id., *Adab*, 46-7; *Hamdāni*, 253-6; *wahid Mirza*, *op. cit.* XXXI-II.

(3) Al-Nu-'mān dans son *Maǧālis* fos 288,464,508-9 revint maintes fois sur cet enseignement doctrinal : la vulgarisation de la doctrine ismaélienne *samā 'al-ḥikma* se faisait après *la prière du 'aṣr*. Puis les séances de controverse avaient lieu dans une salle spéciale. Ce *maǧlis al-ḥikma* tel qu'il est décrit par al-Nu'mān, présente le caractère d'une véritable institution destinée à la diffusion des principes du fiqh ismaélien parmi une population fortement imprégnée par le malékisme.

INTRODUCTION

I. — LE CADI AL-NU'MĀN (1)

La plupart des chercheurs qui, sur les traces d'Ivanow ont étudié l'ismaélisme (2), ont souligné l'importance du rôle tenu par le cadi al-Nu'mān, auprès des califes fatimides en Ifriqya. Les notices consacrées à ce juriste ismaélien et la publication de certains de ses ouvrages ont permis de mieux connaître sa biographie. Pour éviter d'en reproduire des éléments déjà connus et analysés par ces chercheurs nous nous bornerons à en dégager les traits essentiels en insistant toutefois sur quelques données originales.

Le cadi al-Nu'mān naquit à Raqqāda, probablement vers la fin du 3e. siècle. Si sa date de naissance ne peut être établie avec précision, les sources s'accordent en revanche à situer en 313/925, son entrée au service du premier calife faṭimide, al-Mahdī. La rapidité de son adhésion au šī'isme ainsi que sa *Kunyā* d'Abū Ḥanīfa laisseraient croire qu'il appartenait au ḥanéfisme. Ibn Ḫallikān (3) note pourtant qu'al-Nu'mān était de rite malikite avant l'avènement du Mahdī. Cette hypothèse mérite néanmoins d'être retenue; en effet, le šī'isme accueillit dès la chute des Aġlabides maints faqihs ḥanéfites et finit sous le règne d'al-Mu'izz par absorber le ḥanéfisme, amoindri déjà par la prépondérance du malékisme ifriqyien (4).

Les maigres renseignements fournis par les sources ne permettent pas de définir avec précision les fonctions occupées par al-Nu'mān, sous

---

(1) Sur la biographie du cadi cf. *GAL, Supp.* II 325,953; *Gottheil, family* ; *Fyzee, Qadi* ; *id. Da'ā'im* (introduction) ; *Kāmil Ḥusayn, Himma* (introduction) ; *id., Adab*, 42-50 ; *Wahid Mirza, Iqtiṣār* (introduction) *'Adel-'Awa, Sélections* (introduction) ; *Hamdāni*, 253-6

(2) Parmi les travaux relativement récents sur l'ismaélisme, v. surtout, *Ivanow, Guide* ; *id. Rise* ; *id. Creed* ; *Massignon, Esquisse* ; *id. Salman* ; *Lewis, Ismailism* ; *Stern, Heterodox, id. Succession.*

(3) *Wafāyāt*, V. 48-56 (notice importante).

(4) Sur l'antagonisme entre malékisme et ḥanéfisme, avant l'établissement du šī'isme en Ifriqya, et après l'avènement des Faṭimides cf., *Idris*, IX, 129-37, 144-52; *Brunschvig. Fiqh*, 14-5.

YAʿQŪBĪ — *'Ahmad b.Alī Yaʿqūb b.waḍiḥ al-Yaʿqūbī*, Description du Maġrib, extrait de son *Kitāb al-Buldān*, éd. et tr. en latin par M.J. de Goeje, Leyde 1850, tr. en français par G.Wiet, Paris 1937 (renvoi en même temps au texte arabe de l'édition de Goeje et aux pages correspondantes de la traduction française).

ZUBAYDĪ — **AL-ZUBAYDĪ**, *Ṭabaqāt al-naḥwiyīn wa'l-Luġawiyīn*, éd.M. Abū'l-Faḍl Ibrāhim, Caire 1953.

RIYĀḌ — ABU BAKR AL-MĀLIKĪ, *Kitāb riyāḍ al-nufūs*, t.I. éd Ḥussain Monès, Caire 1951

ṢA ʿĪD — SĀ ʿĪD AL-'ANDALUSĪ, *Kitāb Ṭabaqāt al-'Umam* (livre des catégories des Nations) tr.R.Blachère, Paris, 1935.

STERN, S.M. EMBASSY — *An Embassy of the Byzantine Emperor to the Faṭimid Caliph al-Muʿizz*, dans Byzantion XX,1950.

STERN, S.M. HETERODOX — *Heterodox Ismā ʿilism at the time of al-Muʿizz*, dans BSOAS, XVII,1955.

STERN, S.M. SUCCESSION — *The Succession to the Faṭimid'Imam al-'Amir*, Appendice n 2 : *Ḥātim Ibn Ibrāhīm on the de ʿwa in Yemen*, dans Orient n 2,1951.

ŠU ʿARĀ' — IBN AL-MUʿTAZZ, *Ṭabaqāt al-šuʿarā'*, éd. ʿAbd al-ṣattar Aḥmad Farrağ Caire,1956.

SULŪK — BAHA AL-DĪN AL-ĞANADĪ, *Al-Sulūk min ṭabaqāt al-ʿulama wa'l-mulūk*, Extrait intitulé *Aḫbār al-qaramiṭa bi'l-Yaman* et éd; par H,Sulaymān Maḥmūd (d'après H.C.Kay 1892), Caire 1957.

ṬABAQĀT — *Abu'l-ʿArab, Ṭabaqāt ʿUlamā Ifriqya* (Classes des Savants de l'Ifriqya) éd. et tr. par M. Ben Cheneb, Alger 1920 (renvoi en même temps au texte et aux pages correspondantes de la traduction).

TIĞĀNĪ — ABDALLAH TIDJANI, *piḥla* (Relation de voyage en Tunisie et en Tripolitaine de 1306 à 1308 J.C., éd. H.H. ʿAbdul-Wahāb, qunis, 1958.

ʿUMĀRA — *ʿUmāra b.ʿAlī'l-Ḥasan ʿAlī al-Yamanī, Tarīḫ al-Yaman*, 2e. éd. par H.Sulaymān Maḥmūd (d'après la lè éd. de H. C.Kay 1892), Caire 1957.

VONDERHEYDEN — M.VONDERHEYDEN, *La Berbérie Orientale sous la Dynastie des Benou'l-Arlab*, Paris 1927.

WAFAYĀT — IBN ḪALLIKĀN, *wafāyāt al-'aʿyān*, 6v.éd. M.M. ʿAbd al-Hamīd, Caire, 1948.

MANĀQIB — **ABŪ 'ISḤĀQ AL-ĞIBINYĀNĪ**, *Manāqib*, ms. H.H. ʿAbdul-Wahāb, Tunis (au moment où nous achevons notre travail nous n'avons pas pu obtenir un exemplaire de l'édition de cet ouvrage donnée par R. Idris).

MARCAIS, G. ARCHITECTURE — *L'Architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954.

MARCAIS, G. BERBERIE — *La Berbérie au IXé siècle*, dans Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'Occident musulman, t. I, Alger 1957.

MARCAIS, G. BERBERIE-ORIENT — *La Berbérie musulmane et l'Orient au Moyen Age*, Alger-Paris,1946.

MASSIGNON, L. DORMANTS — *Les Sept Dormants d'Ephèse en Islam et en Chrétienté*, Paris 1955 (extrait de REI).

MASSIGNON, L. ESQUISSE — *Esquisse d'une Bibliographie Carmathe*, Cambridge 1922.

MASSIGNON, L. SALMAN — *Salman Pāk et les prémices spirituelles de l'Islam iranien*, Publication de la Société des Etudes Iraniennes, N 7, Paris, 1934.

MU ʿIZZ — **H.I.ḤASSAN ET T.A. SHARAF**, *Al-Muʿizz li-Dien-l'Ilāh*, Caire, 1948.

MUQADDASI — **AL-MUQADDASI**, *Description de l'Occident Musulman au IV — Xé siècle*, texte et tr. par Ch. Pellat, Alger 1950.

NUWAYRĪ — Extraits de l'encyclopédie d'Al-Nuwayri intitulé *Nihāyat al-arab*, traduits par de Slane, dans Berbères t.I pp. 313 sqq.

PELLAT — *Le Kitāb at-tarbi ʿwa-t-tadwīr de Ğāḥiẓ*, éd. Ch. Pellat, Damas 1955 (renvoi exclusif à l'index).

PROLEGOMENES — **IBN ḪALDŪN**, *Les Prolégomènes*, tr. de Slane, en 3 parties, Paris 1936 (renvoi exclusif à la traduction).

QIFṬĪ — **ʿALĪ B.YŪSUF AL-QIFṬĪ**, *'Inbāh al-ruwāt ʿalā' Anbāh al-nuḥāt*, éd. M. Abu'l-Faḍl Ibrāhīm, 3t., Caire 1950-5.

LEVI-PROVENCAL, E. REFLEXIONS — *Réflexions sur l'empire almoravide au début du XIIè siècle*, dans *Islam d'Occident*, Paris 1948.

LEWICKI, T. ETUDES — *Etudes Ibādites Nord-Africaines*, partie, I, Varsovie, 1955.

LEWICKI, T. LANGUE — *Une langue romane oubliée de l'Afrique du Nord*, Gracovie, 1953.

LEWICKI, T. REPARTITION, — *La Répartition géographique des groupements Iābḍites*, dans Rocznik Orientalistyazny, 1957.

LEWICKI, T. TEXTES — Quelques textes inédits en vieux berbère provenant d'une chronique *ibādite* anonyme, dans REI, 1934, 1935.

LEWIS, B. ISMAILISM — *The Origins of Ismailism : study of the historical background of the Faṭimid Caliphate*, Cambridge, 1940, tr. arabe, 'Uṣūl al-Ismā ʿiliya, Caire 1947 (renvoi exclusif à la traduction arabe).

LEZINE — **A. LEZINE**, *Le Ribat de Sousse*, Direction des Antiquités et Arts de Tunisie, Tunis, 1956.

LOMBARD — **M.LOMBARD**, *L'or musulman du VIIè au XIè*, dans Annales E.S.C., 2è année Avril-Juin 1945.

MA ʿĀLIM — **IBN NĀĞI**, *Maʿālim al-'īmān fī ma ʿrifat ʿahl al-Qayrawān*, 4 t., Tunis, 1320 H.

MADĀRIK — **ʿIYĀḌ (AL-QĀḌĪ)**, *Tartīb al madārik* ...; ms. Zaytūna 5132.

MAĞĀLIS — **AL-NUʿMĀN**, *Kitāb al-mağālis wa'l-musāyarāt*, ms. copie H.H. Abdul-Wahāb, Tunis.

MAHDI — **Ḥ.I.ḤASSAN ET T.A. SHARAF**, *The Mahdi Ubay'd-Ullah*, Caire, 1947.

MAMOUR — **P.MAMOUR**, *Polemics on the Origin of the Fatimid Caliphs*, Londres, 1934.

ITTI ʿĀẒ — AL-MAQRĪZĪ, *itti'āz al-ḥunafā'..*, éd. Šayyāl, Caire 1948.

IVANOW, W. CREED — A. *creed of the Faṭimids, d'après le Tāj al-ʿaqā'id wamaʿ din al-fawā' id, de ʿAli b. Moḥammed b. Al-walīd*, Bombay, 1936.

— , GUIDE — *A. Guide to Ismaili Literatur*, Londres, 1933.

— , NOTES — *Notes sur l''Umm al-kitāb*, dans REI 1932.

— , PROPAGANDA — *The organisation of the Faṭimid propaganda, jour nal of the Bombay Branch of the RAS*, Bombay 1939.

— , RISE — *Ismaili tradition concerning the rise of the Fatimids*, Oxford 1942 (Ismamic Research Association Series, n 10)

IVANOW, W. SIRAT JAʿFAR — *Sīrat ja 'far al-Ḥājib*, Bulletin of the Faculty of arts of the University of Egypt, IV/2, 1932.

KĀMIL — IBN AL-AṮIR, *Al-Kāmil fi'l-tārīḫ*, éd. Al Naǧǧār, 9 t. Caire 1348-53 (renvoi exclusif au t. VI).

KĀMIL ḤUSAYN, 'ADAB — *Fi'Adab miṣr al-fāṭimiyya*; Caire 1950.

KĀMIL ḤUSAYN, HIMMA — *Kitāb al-himma fi''adab al-'a'imma*, d'al-NuʿMān, éd. Kāmil Ḥusayn, Caire 1948.

KAŠF — AL-ḤAMMADI, *Kašf'asrār al-bāṭiniyya wa aḫbār al-qarāmiṭa*, 2è éd. par Al-Kawtari, Caire 1955.

KRAUS — P. KRAUS, *Bibliographie Ismaélienne* de W. Ivanow, dans REI 1932.

LEON — LEON L'AFRICAIN, *Description de l'Afrique*, éd. Schefer, Paris 1896.

LE TOURNEAU, R. REVOLTE — *La Révolte d'Abū Yazid au Xè siècle* Cahiers de Tunisie, N 2, pp. 103-25, 1953.

LEVI-PROVENCAL E. ESPAGNE — *Histoire de l'Espagne musulmane*, 3t. Paris, 1950-3.

HAMDĀNI — **Ḥ. AL-HAMDĀNI**, *Al-ṣulayḥiyūn wa'l-ḥaraka al-fâ-ṭimiyya fi'l-Yaman*, Caire 1955.

ḪULĀṢA — **M. AL-BĀĞĪ AL-MAS'ŪDĪ**, *Al-Ḫulāṣa al-naqiyya fi 'umarā 'Ifriqiyya*, 2è éd. Tunis 1323 H.

IBN ĞULĞUL — **ABU DĀWUD SULAYMĀN IBN ḤASSĀN IBN ĞULĞUL AL-'ANDALUSĪ**, *Les Générations des Médecins et des Sages, éd. Fu'ad Sayyid*, Caire 1955.

IBN ḤAMMĀD — *'Abu 'Abd Allah Muḥammad b.'Ali b. Ḥammādu, Histoire des Rois Obāïdites*, éd. et tr. par M. Vonderheyden, Alger-Paris 1927, (renvoi en même temps au texte arabe et aux pages correspondantes de la traduction).

IBN ḤAWQAL — *Abu'l-Qasim b. Ḥawqal al-Naṣibī, Kitāb ṣūrat al-'arḍ (kitab al-masālik wa'l-mamālik)* 2è éd. par J.H. Kramers Leyde 1938 (renvoi exclusif à la Ie partie).

IBN ḤAZM — *Abu Muḥammad b.'Ali b. Ḥazm, Djamharat ansab al-'Arab*, éd. E. Lévi-Provençal, Caire 1948.

IBN HIŠĀM — *'Abd al-Malik b.Hišām, Sirat al-Rasūl*, éd, M.M. Abd al-Hamid, Caire 1937 (renvoi exclusif au t.I).

IBN Sa'D — *Muhammad b. Sa'd, Al-Ṭabaqāt al-kubrā*, 8 v. Beyrouth 1957.

IDRIS IX ET X — **H.R. IDRIS**, *Contribution à l'Histoire de l'Ifriqiya. d'après le Riyāḍ En Nufūs de Abu Bakr El-Māliki*, dans REI, IX 1935, X, 1936.

IDRĪSI — **EDRĪSI**, *Description de l'Afrique et de l'Espagne*, texte et tr. par R.Dozy et M.J. de Goeje 1866 (les renvois sont en même temps au texte et aux pages correspondantes de la traduction).

IṢĀBA — **IBN ḤAĞAR**, *Al-'Iṣāba fi tamyīz al-ṣaḥāba*, 4 v. (avec l'Istī 'āb, d'ibn 'Abd al-Barr), Caire 1939 (renvoi au n de la notice).

ISṬAḪRĪ — **IBRĀHĪM AL-ISṬAḪRĪ**, *Kitāb masālik al-mamālik*, BGA, I, 1870 (renvoi à la 2è éd., Leyde 1927).

ISTĪ'ĀB — **IBN 'ABD AL-BARR AL-NAMARĪ**, *Al-'Isti 'āb fī asma' al-aṣhāb*, 4 v. (avec l''Iṣāba), Caire 1939.

DOZY — **R. DOZY,** *Supplément aux dictionnaires arabes*, 2 v. 2è éd. Leyde Paris.

E I — *Encyclopédie de l'Islam.*

E I 2 — *Encyclopédie de l'Islam*, 2è éd.

E I SUPP. — *Encyclopédie de l'Islam*, Supplément.

FUTŪḤ — **ABU'L-ḤASAN AL-BALĀḌURĪ,** *Futūḥ al-Buldān*, éd. M. Raḍwān, Caire 1932.

FYZEE, A.A. QAḌI — *Qaḍi an-Nu'mān, the Fatimid jurist and Auther*, dans JRAS, 1934.

FYZEE, A.A., DA'Ā'IM — *Da'a'im al-'Islam d'Abu Ḥanīfa an-Nu'mān*, t. I, éd. Fyzee Caire 1951 (renvoi exclusif à l'introduction del' édition.

ĞA'FAR — **A. SAYYID AL-AHL,** *Ğa'far b. Muḥammad al-Imam al-Ṣād.q* Beyrouth, 1954.

ĞĀḤIẒ — **AL-ĞĀḤIZ,** *Al-Bayān wa'l-Tabyīn* éd. H. al-Sandubi, 3 v., Caire 1947.

GAL SUPP. — C. Brockelmann, Geschiehte arab. litteratur. 3 v.

GATEAU — **A. GATEAU,** *La Sirat ja'far al-Ḥajib, contribution à l'histoire des Fatimides*, dans Hespéris r. XXXIV 1947.

DE GOEÜE, MEMOIRE — *Mémoire sur les Carmathes du Baḥrain et les Fatimides*, Leyde 1866.

GOTTHEIL, R. FAMILY — *A distinguished family of Fatimid Cadis* (al-Nu'mān) *in the tenth century*, JAOS 27, 1907.

GUIDES BLEUS — *Les Guides Bleus*, Algérie Tunisie, Hachette, Paris,1955.

ḤADJ-ṢADOC — **M. ḤADJ ṢADOC,** *Description du Maghreb et de L'Europe au IIIè — IXè siècle, Extraits du kitāb al-Masalīk wa'l-Mamālik d'Ibn Khurradādhbih, du Kitāb al-Buldān d'Ibn al-Faqīh et du Kitāb al-A'lāq an-nafīsa d'Ibn Rustih*, Alger 1949.

CANARD, M. CHAMBELLAN — *L'autobiographie d'un chambellan du Mahdi Obeid-Allah le Fatimide* (traduction de la Sirat Ja'Far al-Ḥājib) dans Hespéris 1952.

— , Famille — *Une famille de partisans, puis adversaires des faṭimides, les Banu Ḥamdūn,* dans Mélanges G. Marçais t. II, Alger 1957.

— , **IMPERIALISME** — *L'impérialisme des Faṭimides et leur propagande* dans AIEO, VI, 1942-7.

— , **VIE** — *Vie de l'Ustadh jaudhar,* traduite de l'arabe sur l'édition de M.M. Kāmil Ḥusayn et M. ʿAbd al-Hādi Chaʿira, Alger 1958.

CANDIA DE — **FARRUGIA DE CANDIA,** *Monnaies fatimides du Musée du Bardo,* dans Revue Tunisienne 1936 et 1937.

CARETTE — E. Carette, *Recherches sur les origines et les Migrations des principales tribus de l'Afrique Septentrionale et particulièrement de l'Algérie,* Paris 1853.

CHIKH BEKRI — **CHIKH BEKRI,** le *Karijisme berbère, dans* AIEO, Alger 1957.

CORBIN, H. ḤIKMATAYN — *Le livre réunissant les deux Sagesses (jāmi ʿal-Ḥikmatain)* de Nasir-e-Khesraw, Etude préliminaire en Français, Téhéran-Paris 1953 (renvoi exclusif à cette étude).

— , **QASIDA** — *Ṣommentaire de la Qasida ismaélienne d'Abu'l-Haith am jerjani,* Introduction en français, Téhéran-Paris 1955 (renvoi exclusif à cette introduction).

DACHRAOUI, F. CONFLIT — *La Crète dans le Conflit entre Byzance et Al-Muʿizz* dans Cahiers de Tunisie 2è et 3è trimestres Tunis 1959.

— , **INFILTRATION** — *Tentative d'infiltration šiʿite en Espagne Musulmane sous le règne d'al-Ḥakam II, dans Al-Andalus* 1958

LISTE DES OUVRAGES ET ARTICLES CITES EN REFERENCE

ABŪ ZAKARIYĀ — **ABŪ ZAKARIYĀ YAḤYA B. ABĪ BAKR AL-WARĞALĀNĪ,** *Kitāb al-Sīra wa aḫbār al-'a' imma, chap.* V, ms. Krakow.

'ADEL 'AWA, SELECTIONS — *Imma 'ili Selections from the 4 th, 6 th, 7 th & 10 th Hiğra centuries*, Damas 1958.

'AĠĀNĪ — **ABŪ L- FARAĞ AL-'ISFAHĀNĪ,** *Kitāb al-Aġānī*, 20 V., Bulāq 1285 H.

'A'MĀL — **IBN AL-ḪAṬĪB,** *Kitāb'a'māl al-'a'lām* ...., extraits annotés et publiés par H.H. 'Abdul-Wahāb, dans Centenario della nascita di Michele Amari, Palerme 1910.

AMARI M., STORIA — *Storia dei Musllmani di Sicilia*, 2è éd. par C.A. Nallino 3 t. (*le 3e en 3 parties*), Catane 1933-9.

'AMWĀL — **AL-DĀWUDĪ,** *Kitāb fi'l-'amwāl*. ms. copie H.H. 'Abdul-Wahāb, extrait édité et traduit par H.H. 'Abdul-Wahāb et F. Dachraoui, dans Mémorial Lévi Provençal, Paris 1961.

BAKRI — *Description de l'Afrique Septentrionale*, tr. M.G. de Slane, Alger-Paris 1913 (renvoi exclusif à la traduction.

BALOG — **P. BALOG,** *Monnaies islamiques rares fatimides et ayoubites*, Bulletln de l'Institut d'Egypte, t. XXXVI, Caire 1955.

BAYĀN — **IBN 'IḎĀRI,** *Al-Bayān al-Muġrib*..., nouvelle édition par G.S. Colin et E. Levi Provençal, Leyde 1948.

BERBERES — **IBN ḪALDŪN,** *Histoire des Berbères*, 4 t. tr. de Slane, Paris, 1925-26 (renvoi exclusif à la traduction.

BLACHÈRE R., CORAN — *Le coran*, Introduction et Traduction, 3 t., Paris 1947-50.

BRUNSCHVIG R., BERBERIE — *La Berbérie Orientale sous les Ḥafṣides*, 2 t. — Paris 1940 — 7.

BRUNSCHVIG. R, FIQH — *Fiqh fatimide et Histoire de l'Ifriqya*, dans Mélanges G. Marçais t. II, Alger 1957.

Système de Transcription

Consonnes

	ʾ	ض	ḍ
ب	b	ط	ṭ
ت	t	ظ	ẓ
ث	ṯ	ع	ʿ
ج	ǧ	غ	ġ
ح	ḥ	ف	f
خ	ḫ	ق	q
د	d	ك	k
ذ	ḏ	ل	l
ر	r	م	m
ز	z	ن	n
س	s	ه	h
ش	š	و	w
ص	ṣ	ي	y

Voyelles

َ	a
ُ	u
ِ	i
ا	ā
و	ū
ي	ī

Nous avons par ailleurs opté de rendre souvent iyya par iya

AVANT - PROPOS

La présente édition critique du «Kitab Iftitāḥ al-Dawa» avec Introduction, Analyse et Index a servi de thèse complémentaire de Doctorat Es-Lettres d'Etat. Achevée il y a une quinzaine d'années, cette thèse a obtenu le visa et le permis réglementaires 1961.

Elle a été soutenue en même temps que la thèse principale intitulée «Le Califat Fàṭimide au Maghreb» à la Sorbonne, une dizaine d'années plus tard, exactement le 25 mai 1970. La partie en langue arabe de cette thèse complémentaire avait été entre-temps imprimée par les soins de la STD en 1969, mais non commercialisée conformément à la règle en vigueur à l'époque avant la soutenance.

Notre travail - aboutissement de longues et patientes recherches - ayant un caractère différent de l'édition libanaise donnée en 1970 par Mlle Qadi, nous nous sommes abstenus délibérément, dans un souci d'honnêteté scientifique d'en tenir compte. Ainsi donc l'Iftitāḥ que nous présentons aujourd'hui au lecteur parait sans aucune modification, tel que nous l'avons déposé à la Sorbonne en 1961 puis imprimé, dans sa « partie arabe », en 1969.

Tunis, le 15 Avril 1975

ERRATA

Pages	lignes	Au lieu de	Lire	Pages	lignes	Au lieu de	Lire
21	5	fatimides	faṭimides	69	8	Ǧilma	Ǧimla
22	18	surou	surtout	71 (n.)	4	Djudjura	Djurdjura
24	6	masḫi	nasḫi	84	8	Abjara	abjura
24	6	fait	faite	85 (n.)	17	seu	seul
26	7et26	aglabide	aġlabide	91	1	aglabide	aġlabide
29	18	contre verses	controverses	91	6	Habạši	Ḥabaši
32	11	aglabide	aġlabide	94 (n.)	1	Gazwiya	Ġazwiya
32 (n.)	7	sigilmassa	siǧilmassa	96 (n.)	14	Isāba	Iṣāba
32 (n.)	7	Isṭaḫari	Isṭaḫri	100	10	liecencieux	licencieux
33	15	coulrant	courant	119	9	onds	fonds
33 (n.)	1	Itti'āz	itti'āẓ	120	11	mimbar	minbar
37	16	!	?	120	19	hadit al taqa-	ḥadiṯ al-ṭaqa
38	16	fatimide	faṭimide	120 (n.)	10	layn	layn
40 (n.)	11	Husayn	Ḥusayn	135	1	Qasr	Qaṣr
42 (n.)	7	Hawšab	Ḥawšab	141	21	Gawdar	Ǧawḏar
43 (n.)	7	fatimides	faṭimides	(n.)	22	"	"
56 (n.)	8	comple	complet		23	"	"
56 (n.)	12	Ga'far	Ǧa'far		24	"	"
59 (n.)	3	aglabides	aġlabides	142	12	Sawwal	Šawwāl
63	15	Saqlān	Ṣaqlān	142 (n.)	19	Gawdar	Ǧawḏar
65	6	Ǧilma	Ǧimla				

Vu, le 25 Septembre 1961,

Le Doyen de la Faculté des Lettres
et Sciences Humaines
de l'Université de Paris

Le Doyen de la Faculté des Lettres
et Sciences Humaines
de l'Université de Paris

André Aymard

VU
et PERMIS D'IMPRIMER
LE RECTEUR
DE L'ACADÉMIE DE PARIS
Président du Conseil de l'Université de Paris

TABLE DES MATIERES DE LA PARTIE EN LANGUE ARABE

TABLE DES MATIERES DE LA PARTIE EN LANGUE FRANÇAISE

LES COMMENCEMENTS DU CALIFAT FĀṬIMIDE AU MAGHREB

EDITION CRITIQUE ET ANALYSE

du Kitāb IFTITĀḤ AL-DAʿWA

du CADI AL NUʿMĀN

346 H./957 J.C.

par

Farhat DACHRAOUI

STD - Tunis 1986

[illegible] وطلوع [illegible]

[illegible] وقد جمعنا من ذلك كتبا كثيرة اشبعت

معانيها [illegible] فيها فلم يسغ

لي ان اخلي هذا الكتاب من نكت التي ذكرنا فيه كل

على حسب ما شرطت من الاختصار [illegible]

ذلك عليه وكان [illegible] سنة ٣٦٢

[illegible]

[illegible]

[illegible] عليهم أجمعين

تم الكتاب بعون الله وحسن توفيقه [illegible]

[illegible] يوم الجمعة [illegible]

[illegible] سنة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

د ـ ك ـ و ـ 86/673. ـ الطبعة الثانية ـ الرقم الاصطلاحي : 6ـ03
سحب من هذا الكتاب 3.000 نسخة

الشركة التونسية للتوزيع
5 شارع قرطاج ـ تونس

